القسم الثاني

عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية

obeikandl.com

الخلفاء الراشدون

(الخلافة وشروطها)

جاءت الشرائع السموية كلها لارشاد البشر الى طرق السعادة فى الدنيا والآخرة ، وحملهم على اتباع هذه السبل فى جميع أحوالهم - تم فى الملك الذي هو ضروري للاجتماع البشري ، فان هذه الشرائع أجرته على منهاج الدين ليكون محوطا بنظر الشارع الذى أعلم بمصالح البشر من البشر ، واذا كان الملك الطبعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، والملك السياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى لدفع المضار وجلب المنافع الدنيوية ، فان الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها ؛ واذ كان صاحب الشرع هو المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اختار الرفيق الأعلى ، فالخلافة من بعده في الحقيقة نيابة عنه فى حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، وتسمى امامة أيضا تشبيها لها بالامامة فى الصلاة

ولما كان الاسلام دينا وشرعا ، وقد وضع حدودا ورسم حقوقا فلا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود وتنفيذ الاحكام بالحق ، وصون نظام الجماعة ، وتلك القوة لايجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير ، فلا بد أن تكون فى واحد وهو الخليفة

والخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحى ، ولا من حقه الاستئثار بتفسير كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يخصه الدين

بمزية فى فهم الكتاب والعلم بالاحكام ، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، ثم هو مطاع مادام على المحجة ، والمسلمون له بالمرصاد ؛ واذا انحرف أو اعوج قوموه ، وخالفوا أمره . اذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، واذا زاغ وفارق الكتاب والسنة ، وجب عليهم أن يخلعوه ، وان يستبدلوه بغيره ؛ فالأمة حينئذ أو من ينوب عنها هو الذى ينصبه ، والامة هي صاحبة الحق فى السيطرة عليه ، وهي التى تخلعه متى رأت من مصلحتها ذلك .

وليس للخليفة أي سلطان دينى سوى سلطة الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهي سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لأعلاهم يتناول بها أدناهم

وقد اتفق المسلمون من أهل السنة والشيعة وأكثر الخوارج على وجوب الأمامة ، وأن الامة يجب عليها أن تنقاد الى امام عادل ، يقيم أحكام الله ، ويسوسهم بالشريعة التى أتى بها رسول الله ، وحجتهم فى ذلك اجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فأن الصحابة عند وفاة الرسول بادروا الى بيعة أبى بكر والتسليم اليه ، وعليه جرى العمل كلما دعت الحاجة ، ولم يترك الناس فوضى فى عصر من العصور ، فاستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام — والذين لا يوجبون ذلك أرادوا أن يفروا فقط من الملك ومذاهبه — غير أن الشرع لم يذم الملك لذاته ، ولا طلب تركه ، ولا حظر القيام به ، وانما ذم المفاسد الناشئة عنه

وبهذه المناسبة نقول : أن البيعة للامام لا تفتقر الى اجماع من جميع

أهل الحل والعقد ، بل الواحد والاثنين من هؤلاء كاف في ثبوت الامامة ووجوب اتباع الامام على أهل الاسلام بدليل ان الصحابة اكتفوا بذلك فى عقد الامامة . كعقد عمر لابى بكر وعقد عبد الرحمن ابن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا فى عقدها اجتماع من فى المدينة من أهل الحل والعقد فضلا عن اجماع الامة من علماء الامصار ومجتهدي الاقطار ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه انطوت الاعصار بعدهم .

والامام الحق بعد رسول الله هو أبو بكر الصديق عند أهل السنة، وعلى عند الشيعة ، والاجماع على أحقية أبى بكر ، ولو لم يكن على الحق لنازعه على والعباس كما نازع على معاوية ، وترك المنازعة مع امكانها معصية كبيرة .

ومن الشيعة من يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى الى على، ولو أنه أوصى بذلك ما بايع أبا بكر ولا عمر ، ولا دخل في الشورى أحد ستة رجال لانتخاب عثمان ، ولا يجوز أن يظن بعلى أنه امسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة

أما ماشرطه القوم فيمن يتولى الخلافة فهو

(١) العلم ، لان الخليفة انما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما بها ، ولا يكفى من العلم الا أن يكون مجتهدا ، لان التقليد نقص

(٢) العدالة لان منصبه دينى ينظر في سائر المناصب التى العدالة شرط فيها ، فكان أولى باشتراطها فيه

(٣) الكفاية وهي أن يكون جريئا على اقامة الحدود ، واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها ، عارفا بالعصبية وأحوال

الدهاء قويا على معاناة السياسة ، ليصح له بذلك ماجعل اليه . من حماية الدين ، وجهاد العدو ، واقامة الاحكام ، وتدبير المصالح

(٤) السلامة ، ويدخل فيها : سلامة أعضائه من النقص الذي يؤثر فى تمام عمله ، والقيام بما جعل اليه على الوجه الذي ينبغى ، ويلحق بذلك سلامته من الاسر والعجز عن التصرف بالحجر عليه ، ولو من بعض أعوانه من غير عصيان عليه ولا مشاقة

(٥) النسب القرشي ، وهذا الشرط مؤسس على ما كان من الاجماع الذى حصل يوم السقيفة ، حينما قال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وخالفهم المهاجرون محتجين عليهم بقول النبي (الأئمة من قريش) وبان النبي أوصانا بأن نحسن الى محسنكم ، ونتجاوز عن مسيئكم ، ولو كانت الامارة فيكم ، لم تكن الوصية بكم ، فتيقظ الانصار الى الخطأ ، ولم يتمادوا في الباطل بل رجعوا الى الحق ، وأزعنوا وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد بن عبادة ، وهم أهل الدار ، والمنعة والعدة ، والسابقة فى الاسلام ، ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ،

والحكمة فى اشتراط النسب القرشى اعتبار العصبية التى تكون بها الحرية والمطالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها ، وينتظم حبل الالفة فيها .

وذلك أن قريشا أنف مضر وأصلهم ، وأهل الغلب منهم ، والعرب عامة يعترفون لهم بذلك ويستكينون لغلبهم ، فلو جعل الأمر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ، ولا يقدر غيرهم من قبائل

مضر أن يردوهم عن الخلاف ، ولا يحملهم على الكره فتفترق الجماعة ، وتختلف الكلمة ، والشارع محرز من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبيه وتحسن الحماية .

بخلاف ما اذا كان الأمر فى قريش لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراد منهم ، فلا يخشى من أحد خلاف عليهم

فاشتراط النسب القرشى في هذا المنصب أبلغ فى انتظام الملة واتفاق الكلمة ، واذا انتظمت كلمتهم انتظم بانتظامها كلمة مضر ، فاذعن لهم سائر العرب وانقادت الامم سواهم الى أحكام الملة .

ولما اضمحل أثر الخلافة بعد انتهاء العصر الذهبي للدولة العباسية بطل هذا الشرط بطبيعته . اذ صار الحل والعقد للعجم دون العرب

ابو بكر الصديق

هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى صاحب رسول الله ، وجليسه فى الغار ، وأول من صلى معه ، وآمن به واتبعه ، روى أن عمر نازع أبو بكر فقال النبي هل أنتم تاركوني وصاحبي ، أن الله بعثنى بالهدى ودين الحق الى الناس كافة ، فقالوا جميعا كذبت ، وقال أبو بكر صدقت — ولد لسنتين من عام الفيل ، وكان في بسطه من الرزق فساعده ثراؤه على الافضال على ذوى الحاجة ، وكان محببا في قريش ، ونسابة فى العرب وفى قريش خاصة ، وقد احتمل أشد الأذى منهم ، ثم هم بالهجرة الى الحبشة فلقيه ابن الدغنة من سادات العرب فأجاره ، وقال : مثلك لا يهاجر ،

انك تصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدم ، وتعين على نوائب الدهر . وقد أجازت قريش جواره على ألا يعلن بصلاته لهم فاتخذ بفناء داره مسجدا يصلى فيه ويقرؤ القرآن حتى هاجر الى المدينة مع رسول الله ، وقد شهد معه الشاهد كلها

انتخابه خليفة

وقد رأيت أن أثبت هنا الرواية الاخرى لحديث السقيفة ، لأن فيها بسطة فى القول وتفصيلا لما أجمل فى الرواية الماضية ، وتكميلا لما قد يكون من النقص فى عباراتها :

قال أبو عمرة الانصارى : لما قبض النبى صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة ، وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الامر وكان مريضا فقال بعد أن حمد الله : « يامعشر الانصار لكم سابقة وفضيلة ليست لأحد من العرب ، ان محمدا صلى الله عليه وسلم لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم فما آمن به الا القليل ، ماكانوا يقدرون على منعه ، ولا على اعزاز دينه ، ولا على دفع ضيم ، حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ، ورزقكم الايمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها ، وأعطى البعيد المقادة صاغرا فدانت لرسوله بأسيافكم العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض قرير العين ، استبدوا بهذا الامر دون الناس ، فانه لكم دونهم ، فاجابوه

بأجمعهم : قد وفقت وأصبت الرأى ، ونحن نوليك هذا الامر فانك مقنع ورضا للمؤمنين ، ثم أنهم ترادوا الكلام وأبى المهاجرون من قريش ، وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الاولون ، وعشيرته وأولياؤه ، فقالت طائفة منهم: فانا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبدا فقال سعد هذا أول الوهن ،وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر فيه فارسل اليه أن أخرج الى ، فأرسل اليه اني مشتغل ، فقال عمر قد حدث أمر لابد لك من حضوره ، فخرج اليه فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة ، قال عمر : فاتيناهم وقد كنت زورت كلاما أقوله لهم فلما دنوت أقول أسكتنى أبو بكر وتكلم بكل ماأردت أن أقول فحمد الله وقال : « ان الله قد بعث فينا رسولا شهيدا على أمته ، ليعبدوه ويوحدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذي قومهم وتكذيبهم اياه ، وكل الناس لهم مخالف زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم ، فهم أول من عبد الله في هذه الارض ، وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياءه وعشيرته ،وأحق الناس بهذا الامر من بعده ، لاينازعهم الا ظالم ، وأنتم يامعشر الانصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ولا سابقتهم فى الاسلام ، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هجرته ، فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء ، وأنتم الوزراء ، لاتفاوتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الامور ، فقام حباب بن المنذر بن الجموح فقال : « يامعشر

الانصار أملكوا عليكم أمركم ، فان الناس في ظلكم ، ولن يجتري مجتري على خلافكم ، ولايصدروا الا عن رأيكم . أنتم أهل العز وأولو العدد والمنعة وذوو البأس ، وانما ينظر الناس ماتصنعون ، ولاتختلفوا فيفسد عليكم أمركم : أبى هؤلاء الا ماسمعتم فمنا أمير ومنكم أمير » فقال عمر : هيهات لايجتمع اثنان ، والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم ، ولا تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته فقال الحباب بن المنذر : يامعشر الانصار أملكوا على أيديكم ولاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذا الامر فأنتم والله أحق بهذا الامر منهم فانه باسيافكم دان الناس لهذا الدين أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أنا أبو شبل في عرينة الاسد ، والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة . فقال عمر اذن ليقتلك الله فقال بل اياك يقتل ، فقال أبو عبيدة يامعشر الانصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير ابن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يامعشر الانصار ، انا والله وان كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في الدين ماأردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح على أنفسنا فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك ولانبتغي به الدنيا الا أن محمد صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أولى به وأيم الله لايرانى الله أنازعهم هذا الامر فاتقوا الله ولاتخالفوه ، فقال ابو بكر : هذا عمر وابو عبيدة فان شئتم فبايعوا فقالا : والله لانتولى هذا الامر عليك ، وأنت أفضل المهاجرين ، وخليفة رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى الصلاة ، وهى أفضل دين المسلمين ، أبسط يدك نبايعك فلما ذهب يبايعه سبقها بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر عققت عقاقا ، أنفست على ابن عمك الامارة ؟ فقال : لا والله ولكني كرهت ان أنازع القوم حقهم . ولما رأت الاوس ماصنع بشير وماتطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان نقيبا والله لئن وليتها الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولاجعلوا لكم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبابكر فبايعوه فاكر على سعد والخزرج ما اجمعوا عليه واقبل الناس يبايعون أبابكر من كل جانب ثم تحول سعد بن عبادة الى داره فبقى اياما وارسل اليه ليبايع فان الناس قد بايعوا فقال : لا والله حتى ارميكم بما فى كنانتى واخضب سنان رمحي ، واضرب بسيفى ، واقاتلكم باهل بيتي ومن اطاعنى ؛ ولو اجتمع معكم الجن والانس ما بايعتكم حتي اعرض على ربى فقال عمر لاتدعه حتى يبايع فقال بشير بن سعد انه قد لج وابى ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه ؛ وانما هو رجل واحد فتركوه وجاءت أسلم فبايعت فقوى أبو بكر بهم ، وبايع الناس بعد

قيل ان عمر بن حريث قال لسعيد بن زيد متى بويع أبو بكر قال يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة . فلما كان الغد من بيعة أبى بكر جلس على المنبر وبايعه الناس بيعة عامة ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ

له حقه ،والقوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق ان شاء الله تعالى ، لايدع أحد منكم الجهاد ؛ فانه لايدعه قوم الاضربهم الله بالذل أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله .

وهذه الخطبة تشبه ماتسميه الآن خطبة العرش : اذ ان أبا بكر أبان فيها برنامجه الذى سيسلكه فى حكم المسلمين ، وقد صار صاحب الأمر فيهم .

نظرة فى هذا الانتخاب

لاشك فى أن أبا بكر رضى الله عنه كان أولى الناس بالخلافة عن رسول الله لعلمه وسنه وأقدميته في الاسلام وصحبته رسول الله ، ولان رسول الله استخلفه وهو مريض ليؤم الناس بدله فى الصلاة وهي أهم أركان الاسلام ، وكانت منزلته بين الصحابة جليلة وكذلك كانت مكانته بين قومه في الجاهلية فلا غرابة اذا اجتمعت عليه كلمتهم ، ووقع عليه اختيار وجوههم وسادتهم ، غير أنه كان هنالك من آل رسول الله من يطلبها كالامام على ، يعضده في هذا الطلب زوجه ومن مال اليه ، كذلك كان من الانصار من يطلبها ويرى انهم أحق الناس بها ، فاما علىٌ فقد كان صغير السن قليل الخبرة بالشئون السياسية فحال كل منهما بينه وبين الزعامة العامة ، وأما الانصار فقد اجتمعوا في سقيفتهم للشورى ، وحضرهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة واشتركوا معهم فى هذه الشورى ، وبين لهم أبو بكر ماأثر عن رسول الله في هذا الموضوع

حتى اقتنعوا وقام أسيد بن حضير وكان أحدَ النقباء فأنكر على سعد ابن عبادة وعلى الخزرج ماأجمعوا عليه وتقدم فبايع أبا بكر وتبعه الناس من الأوس والخزرج وبذلك تمت البيعة لأبي بكر ، واعتبر المؤرخون أن أبا بكر انتخب انتخابا ديمقراطيا صحيحا بعد مداولة وشورى على حسب ما كان مألوفا عند العرب الى ذلك العهد من اعتبار السن والفضل أساسا لاختيار الرؤساء والقادة .

غير أن من المؤرخين المحدثين من يرى أن الاستشارة في الامر كانت ناقصة بالقياس على ما يحصل من نظم الانتخابات في العصر الحاضر فقط ، اذ لم يحضرها الا ثلاثة فقط من المهاجرين الأولين كان أبو بكر خيرَهم ، ومن أجل ذلك وقع عليه الاختيار ، وفي أمر خطير كانتخاب الخليفة يجب أن يختار المكان ويدعي القوم اليه ، ويعرفوا الغرض الذى من أجله دعوا ، حتى تتم الاصول المرعية ، غير أن الظروف كانت حرجة ، فتم الامر على هذا الوجه بمبادرة عمر الى بيعته ، حرصا على كلمة المسلمين أن تتفرق ، وما كان لابى بكر في هذا الظرف الحرج أن يتخلى عن منصب أجمع الناس على اختياره له .

وقد روى ان سيدنا عمر قال فى بعض ما أثر عنه : أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها ، فقد فسروه بأن الذي حصل كان مظنة للفتنة العظيمة اذ لم يؤخذ فيه رأى القرابة القريبة فضلا عن كبار المهاجرين .

المتخلفون عن بيعة أبي بكر

يصح أن نقول ان المسلمين واجهتهم بعد وفاة الرسول مشكلة عظمى وهي الولاية العظمى ، وسد ذلك الفراغ الذي أحدثته هذه الوفاة ، ومن أجل ذلك تخلف عن بيعة الصديق ، حتى بعد البيعة العامة بعض الانصار ، وقالوا لانبايع الا عليا ، وتخلف علي وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة ، وقال الزبير لا أغمد سيفا حتى يبايع علي ، فقال عمر : خذوا سيفه واضربوا به الحجر .

فأما علي فقد روى انه لما سمع ببيعة أبي بكر خرج في قميص ماعليه ازار ولا رداء عجلا حتى بايعه ، ثم استدعى ازاره ورداءه فتجلله وأنا أميل الى هذا الرأى . واعتقد أن هذا هو الذي يتفق مع ماعتقده من رجحان عقل علي واصالة رأيه — وقد روى أنه لم يبايع الا بعد ستة أشهر ولكن هذا لايتفق وما كان من أنه كان علي أنقاب المدينة هو وطلحة والزبير حينما هاجمها الثوار المرتدون من اتباع طليحة بن خويلد الاسدي ، وان أكثر ماروى فى هذا الموضوع من ابطاء عليه ، ربما كان من أوضاع الشيعة ولا أصل له ، ومنه المخفف ومنه المبالغ فيه ، ومن الاول أن عليا أرسل بعد موت السيدة فاطمة الى أبي بكر فأتاه فى منزله فبايعه ، وقال : والله مانفسنا عليك ماساقه الله اليك من فضل وخير ، ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الامر شيئا ، فاستبديت به دوننا وما نشكر فضلك — ومنها أن أبا بكر مازال يجعل أبا عبيدة وسيطا بينه وبين علي ، ويكتب اليه الكتب حتى لان وبايع —

ومن الثاني ماروى من ان أبابكر ارسل الى المتخلفين الذين قعدوا فى بيت فاطمة عمر بن الخطاب ليخرجهم منه ، وقال له ان أبوا فقاتلهم ، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال نعم ، او تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة ، فخرج على حتى دخل على أبي بكر فبايعه ، فقال له أبو بكر اكرهت امارتى ، فقال لا ، ولكني آليت الا ارتدى بعد موت رسول الله حتى احفظ القرآن ، فعليه حبست نفسى

وأما أبو سفيان فكان غائبا ، فلما حضر وعلم ماكان من اجتماع الناس على أبى بكر أقبل وهو يقول : انى لأرى عجاجة لايطفئها الادم ، يا آل عبد مناف ، فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ، أين الاذلان على والعباس ؟ مابال هذا الامر فى أقل حى من قريش ؟ ثم قال لعلى أبسط يدك أبايعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليك خيلا ورجلا ، فأبى على عليه فتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به ... الا الاذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يبكى له أحد

فزجره على وقال : والله انك ماأردت بهذا الا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا ، لاحاجة لنا فى نصيحتك

وأما العباس فانه لما تخلف أرسل أبو بكر الى عمر ، وأبي عبيدة والمغيرة بن شعبة ، فاستشارهم فاشاروا عليه بان يلقى العباس ، فخرجوا جميعا حتى دخلوا على العباس ليلا ، فبين له أبو بكر أن الناس أختاروه عليهم واليا ولامورهم راعيا ، فاما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه وأما

صرفتموهم عما مالوا اليه ، فقال العباس لابى بكر فى حديثه فان كنت برسول الله فحقا أخذت ، وان كنت بالمسلمين فنحن منهم ـ وهكذا مازال الذين تخلفوا عن بيعة أبى بكر يبايعونه واحدبعد الآخر الى أن تمت له فى خلال هذه الاعاصير الشديدة الولاية على المسلمين

﴿ انفاذ جيش أسامة ﴾

استعمل رسول الله أسامه بن زيد على جيش، وأمره بالتوجه الى الشام كما سلف ، فتوفى النبى ولم يسر الجيش ، وارتدت العرب اما عامة أو خاصة ، وظهر النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية ، وبقى المسلمون كالغنم الشاردة فى الليلة المطيرة ، لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم ، وقال الناس لابى بكر : ان هؤلاء (يعنون جيش أسامة) جند المسلمين والعرب على ماترى قد انتقضت بك ، فلا ينبغى ان تفرق جماعة المسلمين عنك فقال ابو بكر : والذى نفسى بيدي لو ظننت ان السباع تختطفنى لانفذت جيش أسامة كما أمر النبى ، وخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو والخروج الى المعسكر فخرجوا ، ولما تكاملوا أرسل أسامة عمر (وكان معه فى جيشه) الى أبى بكر يستأذنه أن يرجع بالناس وقال : ان معى وجوه الناس وجلتهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون ، وقال من مع أسامة من الانصار لعمر ان أبا بكر خليفة ، الا فامض فابلغه عنا ، واطلب اليه ان يولى أمرنا أقدم سنا من اسامة (كان ابن ١٨ سنة) فخرج عمر بأمر اسامة الى أبى بكر فأخبره بماقال اسامة فقال لوخطفتنى الكلاب

والذئاب لانفذته كما أمر رسول الله ، ولا أرد قضاء قضى به رسول الله ولولم يبق في القرى غيرى لانفذته — قال عمر : فان الانصار تطلب رجلا أقدم سنا من اسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالساً وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يابن الخطاب ، استعمله رسول الله وتأمرنى ان أعزله ، ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب ،فقال له أسامة : لتركبن أولأنزلن ، فقال : والله لانزلت ولا أركب ، وما علىّ أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله

فلما أراد ان يرجع قال لاسامة : ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ، ثم وصاهم ، وأوصى اسامة ان يفعل ما أمر به رسول الله فسار وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التى ارتدت وغنم وعاد ، وكانت غيبته أربعين أوسبعين يوما .

وكان انفاذ جيش اسامة أعظم الامور نفعا للمسلمين ، فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة ، لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه .

دولة الرومان الشرقية

من مبتدأ تاريخها الى نهاية حكم هرقل

كانت دولة الرومان دولة واسعة الاطراف عظيمة الشأن يتناول سلطانها جميع البقاع المشرفة على البحر المتوسط من أوربا وآسيا وافريقية .

وقد أدرك ملوكها من عهد دقلديانوس ان ملكا واحدا أصبح لايكفى لمقاومة الاسباب الكثيرة التى ستؤدى بالدولة الى الانحلال

والسقوط فلم يجدوا علاجا خيرا من تجزئتها

ولما ملك قسطنطين أراد ان يتخلص من طبقة الاشراف فقسم الدولة الى عمالات عظيمة وكل عمالة الى مقاطعات صغيرة . ثم رأى ان ينقل كرسى الملك الى ناحية أخرى غير رومية فأنشأ القسطنطينية واعتنق النصرانية رجاء ان يتخلص من تقاليد الرومان القديمة معبوداتهم الباطلة .

وكان تيودتيوس آخر امبراطور رومانى اجتمع له السلطان على جهات المشرق والمغرب - وقبل موته عين ابنه هونوريوس امبراطورا على بلاد الغرب . وبعد موته تولى ابنه الثانى ارقاديوس أمر المشرق، ومن هذا الوقت صارت الدولة الرومانية مقسومه الى قسمين شرقية وغربية وذلك سنة ٣٩٥ ، وبعد هذا التاريخ أغارت القبائل المتبربرة على دولة الرومان ، ثم أجهزت على الغربية وظلت الشرقية بعدها نحو ألف سنه ، على ان الغربية لم تعمر اكثر من ١٨ سنه ، وكان أباطرة الشرقية يعدون أنفسهم حكام دولة الرومان كلها . ولذلك كانوا يعطون أنفسهم ألقاب الرومان ، وبالرغم من ان الدولة الشرقية نشأت فى بلاد اغريقية صرفه ، فان أباطرة المشرق قد حافظوا على اللغة اللاتينية وجعلوها اللغة الرسميه ، وكانت دولتهم تسمي الامبراطورية الشرقية أو الدولة السفلى أو البوزنطيه ، وهي التي نريد بيان تاريخها ايجازفنقول: ينقسم ماعن بصدده من تاريخ الدولة الشرقيه الى مدتين

المدة الاولى : من سنة ٣٩٥ الى ٥٦٥ م ، أى الى نهاية حكم جستنيانوس الاول

المدة الثانية: من سنة ٥٦٥ الى ٦٤١ م ، أي الى نهاية حكم هرقل الاول

المدة الاولى

وقد تولى الملك فى هذه المدة تسعة من الاباطرة ، أولهم اركاديوس ، وكان صغير السن ضعيفا تغلب عليه وصيه واكبر حجابه ، ومما يذكر من أعماله بمصر انه أغلق هياكل الاصنام فيها وأمر اهلها باعتناق النصرانية ، وهى مذهب اريانوس اسقف نيقوميديا الذي يرى ان المسيح عليه السلام انسان مخلوق من العدم وانه خليفة الآب وليس بآله — ومات اركاديوس غير مأسوف عليه فملك بعده ابنه تيودتيوس الثانى ، وكان ضعيفا كابيه ، فاستولى عليه وزيره ، ثم أخته بولخيريا فساست البلاد سياسة حسنة ، وجاءت الفرس فى أيام بهرام جور وانتصرت عليهم وأخذت منهم نصف ارمينية ، وتغلبت على الدولة الغربية ولكن الهون من قبائل التتر بربن أغاروا عليها والزموها ان تخضع للشروط التى يملونها عليها ، ومنها ألا تعقد معاهدة مع أي أحد من أعداء الهون . فانحط شأن الرومان جدا وصاروا كالارقاء لأتيلا ملك الهون

ومما يذكر من حوادث عصره شيوع مذهب النسطوريه وطرد اتباع اريانوس من القسطنطينية

ولما تولى مرقيانوس من بعده وهو زوج بولخيريا تمكن من رد غارات الهون وحسن لهم الاغارة على الدولة الغربية — وتولى بعده ستة من الاباطرة ، كانت أيامهم كلها اضطرابات وفتن وحروب بينهم

وبين القوط والوندال ، أو بين أصحاب المذاهب المسيحية المختلفة .وفى أيام السادس منهم دخلت اللاظ فى حكم الرومان ، وكانت تدفع خراجا لفارس

وللملك جستنيانوس الاول كان اشهر ملوك هذه الدولة ،وقد وصلت الامبراطورية على عهده الى ذروة المجد ، وكان له قائد يدعي بليساريوس اشتهر فى كل حروبه بالنصر

وكان جستنيانوس موفقا ذا مقدرة نادرة ، وخبرة باختيار الرجال رمم ماتصدع من بنيان الدولة ، وأحيا موانها وضرب على أيدى العصاة والمفسدين والثائرين ، وأرهب الخارجين عليها والطامعين فيها ، وكان لقائده الاكبر شأن عظيم فى التغلب على الفرس والوندال والقوط الشرقيين أى الاستروقوط

(١) فاما الفرس فكانوا قد نقضوا ماينهم وبين الروم من عهد بمساعى الارمن والقوط ، وهجموا على الشام فطردهم منها بليساريوس الا ان أمة اللاظ التى كانت على سواحل البحر الاسود دخلت فى طاعة كسرى أنوشروان فاغتنمها كسرى فرصة مناسبة وشرع فى انشاء سفن حربية كانت تمخر عباب البحرين مجتازة خليج القسطنطينية وهو بحر مرمرة بمساعدة اللاظ الذين كانوا مهرة في هذا الشأن ، ولكن اللاظ سرعان مانقضوا عهد الفرس وعادوا الى الرومان فنقووا بهم على الفرس وطردوهم من كل ماوقع بأيديهم من الاملاك الرومانية سنه ٥٥٥ ثم ظلت الحروب بينهما متوالية الى أن اصطلحا في النهاية على أن يرد كل فريق منهما ماوقع بيده من أملاك الآخر

(٢) وأما الوندال بافريقيه فقد نازلهم سنة ٥٣٣ والسبب فى ذلك أن مسيحييها استنجدوا القيصر ليخلصهم من ظلم الوندال وقد علمنا أن أباطرة المشرق كانوا يعتقدون أنهم أباطرة المغرب أيضا ، وأنهم يتدخلون فى أعمال الدولة الغربيه للاصلاح عند مستوجباته، وكان الوندال قد ضعفوا وأنحطت أحوالهم الاجتماعية ولذلك لم يستطيعوا رد بليسار يوس فاكتسح دولتهم وجعلها ولاية رومانية ، ثم عبر في العام التالى الى صقليه وكان معه نحو ٨٠٠٠ مقاتل فاحتلها بلا كبير مقاومة

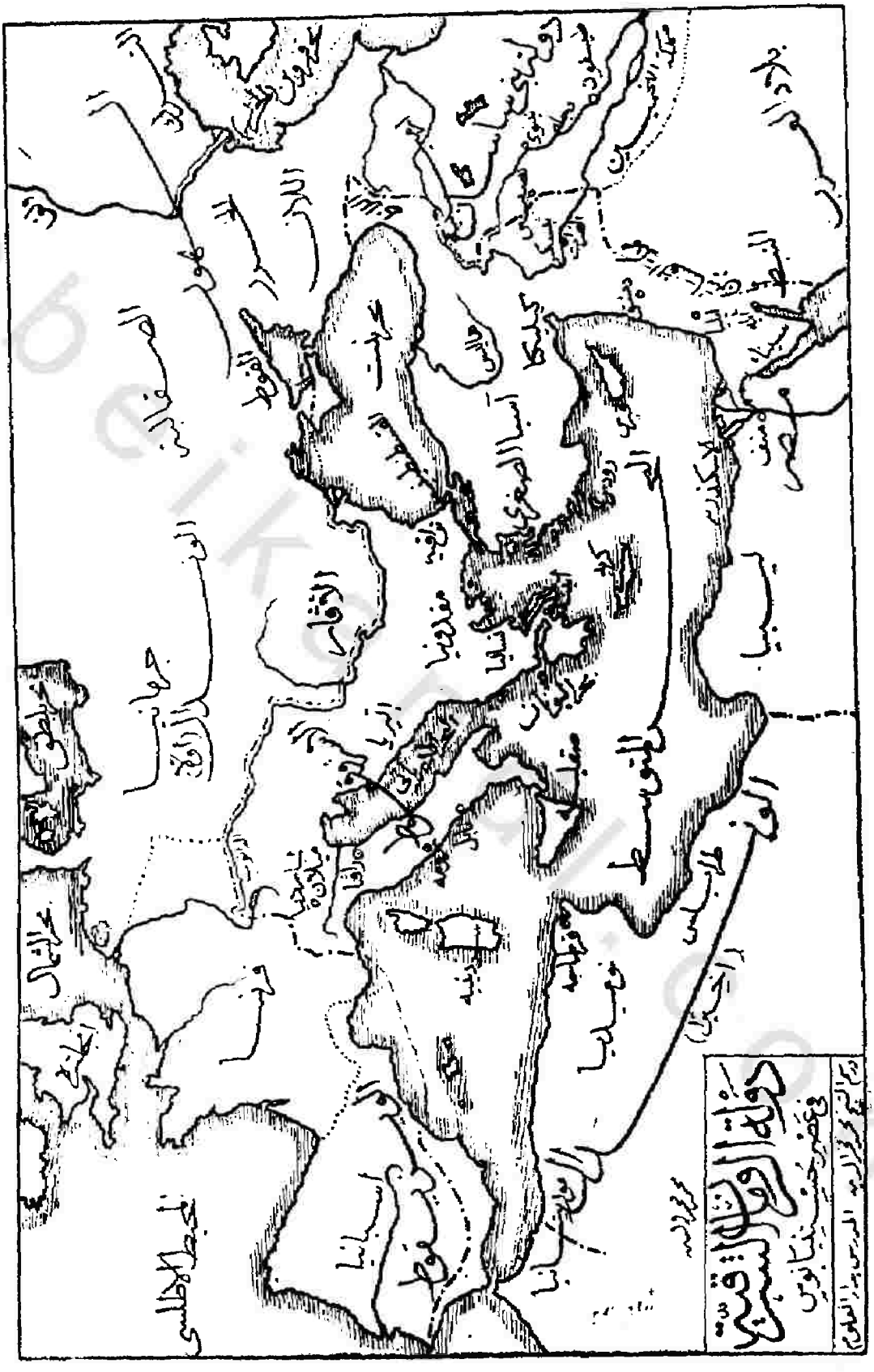
(٣) وأما القوط الشرقيون فكانوا ينزلون ايطاليا من الجنوب وكانوا قد انحطوا كالوندال ، ثم اتفق أنهم كانوا فى حرب داخليه مع الرومان فانتهزها بليسار يوس فرصة مناسبة وأنضم الى الرومان وكان جيشه لا يزيد على ٥٠٠٠ وجيش القوط أكثر من ١٥٠٠٠٠ فبمهارته وحسن تدبيره اكتسح بلادهم ، واستولى على نابل وروما بلا كبير مقاومه ، وتتبع الوندال حتى دخل رافنا حاضرتهم سنه ٥٤٠ وعاد بليسار يوس الى القسطنطينية ظافراً منصوراً — غير أن القوط انتهزوا فرصة غيابه عنهم ، وجمعوا شملهم وساروا تحت رايه زعيمهم توتيلا وحاربوا الرومان في ايطاليا ، وانتزعوا من أيديهم أكثر البلاد القوطية ، فسير اليهم جستنيانوس جيشا بقيادة نارسيس سنه ٥٥٤ ففرق جمعهم وأعاد ايطاليا الى الرومان — وفى هذا العام استرجع أسبانيا الجنوبيه فصارت دولة جستنيانوس تمتد من الفرات شرقا الى المحيط غربا

هذا ولم تك فتوحات المغرب أيام هذا الملك ذات بال بالنسبة الى ماكان يهدد الاطراف الشرقية التي كانت عرضة الى أغارات الفرس

الاقوياء وغيرهم

وكما أشتهر عصر هذا الامبراطور بالاعمال الحربية المهمة، عرف أيضا بالاعمال السلمية المجدية وانفق من سعة على اقامة المبانى الفخمة مثل كنيسة أياصوفيا، وعلى تشجيع المسيحية، وعلى نشر العدل فى أطراف الدولة، وكان يضطهد الوثنية جدا ولذلك اضطر الى اغلاق جامعة اثينا لأنها مركز تعليم هذه الديانة، ولكن الذي لايزال يذكر له الى الآن، (قوانين جستنيانوس) التى لقب من أجلها بالمشرع العظيم، ذلك أنه جمع ماتشتت من القوانين الرومانية وشرائعها بوساطة لجنة أمرها أن تعمل على تهذيبها وتنقيحها واضافة ماأصدره القضاة والمشرعون من الاحكام اليها، فصار من ذلك كله مجموعة واحدة هى التى تسمى القانون الرومانى وهو الذي لايزال يدرس الآن بمدارس الحقوق وله مختصران وشروح في نحو خمسين مجلداً

وفى عصره أحرق نارسيس مدينة الاسكندرية بمصر لامتناع اهلها عن قبول البطريرك تيودسيس، وفيه ايضا حصل وباء عظيم فى بلاده قدرت ضحايا بمائه مليون نسمه فعادت به حال الرومان الى فوضى كالتى كانت قبل ايام جستنيانوس — وكانت ايامه كلها ايام عزو فخار.


دولة الرومان في القرن الثاني بعد الميلاد
البحر الأطلسي
البحر المتوسط
البحر الأحمر
بلاد العرب
بلاد الشام
مصر
بلاد الحبشة
بلاد الفرس
بلاد الترك
بلاد الجرمان
بلاد الغال
بلاد الإنكليز
بلاد الإسبان
بلاد البربر
بلاد الطليان
بلاد اليونان
بلاد المجر
بلاد البلغار
بلاد الموسكو
بلاد الجركس
بلاد الكرج
بلاد الأرمن
بلاد الكلدان
بلاد الأشوريين
بلاد الكلدانيين
بلاد الفرات
بلاد الدجلة
بلاد النيل
بلاد الحبشة
بلاد النوبة
بلاد البجة
بلاد الزنج
بلاد الحبش
بلاد الصومال
بلاد الحبشة
بلاد النوبة
بلاد البجة
بلاد الزنج
بلاد الحبش
بلاد الصومال

المدة الثانية

وقد تولى الامبراطورية فيها أربعة بعد هرقل الاول، كان يسمى أولهم جستينوس الثانى وهو الذى تمكن فى أول حكمه من ردغارات الفرس فاستبشر به الرومان خيرا ، غيرأن أهل لمبارديا اغتصبوا قسما كبيرا من أيطاليا ، ونهبت قبائل الافار الولايات التى في حوض الدانوب ، ولذلك اضطر الامبراطور الى عقد معاهدة دفاعية مع الاتراك النازلين حول بحر الخزر لصد غارات الترك والرومان فأمن بذلك شر الفرس - وفى السنة الرابعة من حكمه ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم

وفي أواخر أيامه انقطع الى اللهو الخلاعة وترك الحكم الى زوجته وجعل الامر من بعده الى طبريوس رئيس الحرس بمساعي تلك الزوجة التى رغبت أن تكون زوجة طبريوس بعد هلاك الامبراطور، ولما لم يتزوجها أرادت اغتياله ، فكشف سرها قبل أن تنفذ ولكنه عفا عنها، ثم التفت الى الفرس وكانت بينهما حروب ، ثم الى الافار فالهام بالمال وبذلك سلمت الدولة فى أيامه من الاغارات ، وكان شديد التمسك بالنصرانية ولما رأى أهل مصر على مذهب اليعقوبية مال اليه وحمل الناس عليه

وملك بعده موريس فعاهد الفرس وصالحهم ، واتفق له أن الحروب الداخلية قامت فى فارس وخنق ابرويز أباه واستولى على الملك وارسل اليه المصطفى عليه السلام كتابه مع عبد الله بن حذافة يدعوه الى الاسلام

فمزقه فدعا عليه ان يمزق الله ملكه ، فثار عليه قومه ففر الى موريس فانجده بجيش تمكن به من العودة الى الملك ولكن الجند تآمروا عليه وقتلوه

وتولى فوكاس بعد موريس وكان ظلوما فاسقا كما كان نذلا جبانا فقدت الدولة على عهده جزءاً كبيراً من الاطراف الشرقية ، ولذلك خرج عليه الاهالى واستنجدوا حاكم افريقية فأرسل اليهم جيشا بحريا بقوده ابنه هرقل ، فحصلت بينه وبين فوكاس واقعة بحرية فى مياه القسطنطينية ، وقبض عليه هرقل بعد ان خلعه مساعده الاهالى وقطع رأسه وقام مقامه سنة ٦١٠

وقد حاول ان ينهض بالدولة بعد الذي أصابها منذ عهد جستنيان ، فشرع فى اطفاء الفتن الدينية التى شغلت الناس عن المصالح العظمى ، وفي العمل على تخفيف الضرائب التى اثقلت كاهل الرعية ، ولكن العبء كان ثقيلا عليه ، وبخاصة حينما رأى ان قوة الصقالبة فى البلقان واللمبارديين فى ايطاليا قد زادت ، وان الدولة الساسانية في فارس أخذت آسيا الصغرى وسورية ومصر ، فعزم على ترك القسطنطينية ليتخذ قرطاجة حاضرة ، فرده البطريرك عن هذا العزم ، فتجهز الى فارس ونازلهم وانتصر عليهم انتصاراً باهراً فى نينوى سنة ٦٢٧ واسترد آسيا الصغرى حتى جهات الدجلة فكانت هذه أول غزوة لهرقل انتصر فيها الروم على الفرس ، وكانت فى السنة الثانية للهجرة ، ومات الشاه غما ، واضطر الشاه الجديد الى أن يعقد مع هرقل معاهدة ترجع بهما حدود دوليتهما الى ما كانت عليه قبل الاغارة

وبينما كان كل منهما يجد في توطيد ملكه، اذ فاجأهما خبر رسول الله وما يدعو اليه، وانتصاره فى فتوحه ، ثم جاءتهما كتبه التي يدعوهما فيها الى الاسلام

أخبـــار الردة

لما مات النبي وسير أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب ، وتضرمت الارض نارا ، وارتدت كل قبيلة عامة أوخاصة الا قريشاً وثقيفاً ، واستلغظ أمر مسيلمة وطليحة ، وارتدت غطفان تبعا لعيينة ابن حصن ، فانه قال : نبي من الحليفين يعني أسدا وغطفان أحب الينا من نبي من قريش ، وقد مات محمد وطليحة حي فاتبعه ، وتبعته غطفان وقدمت كتب أمراء الرسول من كل مكان بانتقاض العرب عامة أوخاصة وتسلطهم على المسلمين

شرع أبو بكر يحارب المرتدين بالكتب والرسل ، كما كان يفعل النبي وانتظر بمصادمتهم قدم أسامة ، فعاجلته عبس وذبيان ونزلوا فى الابرق ، ونزل فريق منهم بذى القصة ، وأمدهم طليحة بأخيه حبال ابن خويلد فى بني أسد ، ومن انتسب اليهم من بني كنانة، وبعثوا وفدا الى أبي بكر نزلوا على وجوه الناس يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة ، وأبى أبو بكر منهم ذلك ، وقال والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه ، وردهم فرجعوا فأخبروا قومهم بقلة من فى المدينة، واطمعوهم فيها — أما ابو بكر فانه بعد مسير الوفد جعل على انقاب المدينة عليا وطلحة والزبير وابن مسعود ، والزم اهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة

من العدو لقربهم ، فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسى ليكونوا لهم ردءا — فوافوا ليلا الانقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم . وأرسلوا الى أبي بكر بالخبر ، فارسل اليهم أن ألزموا اماكنكم ، وخرج فى أهل المسجد فردوا العدو واتبعوهم الى ذى حسى، فنفروا ابل المسلمين بلعبات اتخذوها فنفرت ورجعت بهم الى المدينه وهم لا يملكونها ، ولم يصبهم شيء ، ولكن القوم ظنوا بالمسلمين الوهن ، وبعثوا الى إخوانهم بذى القصة يستقدمونهم — أما أبو بكر فبات على تعبئة ثم خرج فما طلع الفجر الا وهم والعدو فى صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيف فما ذر قرن الشمس الا وقد هزموهم وغنموا ما معهم من الظهر ، وقتل جبال واتبعهم أبو بكر الى ذي القصة فكان أول الفتح ثم وضع النعمان بن مقرن فى عدد ورجع الى المدينة .

ووثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتله ومايدرون أنهم يقتلون أنفسهم ويخربون بيوتهم بأيديهم ، ويوهنون قواهم ، وحلف أبو بكر ليقتلن من المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، واعتز المسلمون بوقعة أبى بكر وأزدادوا قوة وثباتا ، وازداد المشركون من أجلها انعكاسا من امرهم فى كل قبيلة ، وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقات الناس ، وذلك لستين يوما من مخرج أسامة فيما يقال

وقدم اسامة بعد ذلك بايام فاستخلفه ابو بكر على المدينه وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهورهم ، ثم خرج فيمن كان معه وسار الى

ذى حسى وذي القصة حتى نزل بالابرق ، فقاتل من به فهزم المشركين من عبس وذبيان وبنى بكر ومن يليهم ، وأخذ الحطيئة أسيرا ، وأقام أبو بكر على الابرق أياما ، وغلب على بلاد بنى ذبيان وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم ، ورجع المنهزمون الى طليحة وهو ببزاخه ، ورجع أبو بكر الى المدينة

عقـــد الالوية

ولما استجم جند أسامة وثاب مَنْ حوالى المدينة وجاءتهم صدقات كثيرة تفضل عليهم ، خرج أبو بكر الى ذى القصة وهي على بريد من تلقاء نجد ، فعقد فيها أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً لقتال أهل الردة ، وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيلة ، وترك بعضها لحماية البلاد .

(١) فعقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة ، وبعده لمالك بن نويرة بالبطاح

(٢) ولعكرمة بن أبى جهل وأمره بمسيلمة وأردفه بشرحبيل ابن حسنة

(٣) المهاجر بن أبى أمية وأمره بجنود العنسى ، ومعونة الابناء على قيس بن مكشوح

(٤) لخالد بن سعيد بن العاصى وأمره بمشارف الشام

(٥) ولعمر بن العاص وأرسله الى قضاعة

(٦ و ٧) ولحذيفة بن محصن وأمره بأهل دباء . ولعرفجة بن

هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما ان يجتمعا وكل واحد منهما أمير فى عمله على صاحبه

(٨) ولمعن بن حاجز وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوازن

(٩) ولسويد بن مقرن وبعثه الى تهامة اليمن

(١٠) وللعلاء بن الحضرمى وبعثه الى البحرين

ففصل الامراء من ذوى القصة ، ولحق بكل أمير جنده، وكتب أبو بكر الى الامراء عهودهم بنص واحد رسم اليهم فيها المنهاج الذى يجب عليهم اتباعه ، وكتب أيضا الى المرتده كتابا واحدا فى نسخ كثيرة وارسله اليهم على يد رسل تقدموا بين يدى الامراء ، يذكرهم ويحذرهم وينذرهم ، فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرج الامراء ومعهم العهود

(خبر طليحة الاسدى)

كان طليحة قد ارتد في حياة رسول الله وكان كاهنا فادعى النبوة، واتبعه أفاريق من بنى اسرائيل ونزل سميراء ، فوجه اليه رسول الله ضرار بن الازور مع جماعة فاجتمع عليهم المسلمون ، وهم ضرار بمناجزته فأتى الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم، فاستطار أمر طليحة واجتمعت اليه غطفان وطيىء وهوازن، وفر ضرار ومن معه الى المدينه ، وقدمت وفودهم على أبى بكر فى الموادعة على ترك الزكاة ، فأبى ذلك كما سلف ، وخرج فأوقع بهم بذى القصة فانضموا بعد الهزيمة الى طليحة وبنى أسد ببزاخة، وكذلك فعلت طىء ، وأقام بنو عامر وهوازن

ينتظرون أمر طليحة وما تصنع أسد وغطفان ، وكان أبو بكر بعث عدى بن حاتم قبل خالد الى طيىء ، وأتبعه خالدا وأمره أن يبدأ بطيىء فخرج عدى فدعاهم وخوفهم فأجابوه ، وقالوا له استقبل الجيش حتى نستخرج من معه طليحة منا لئلا يقتلهم ففعل وفعلوا ، وعادت طيىء الى الاسلام ، ورحل خالد يريد جديلة فاستقبله عدى عنهم ولحق بهم يدعوهم الى الاسلام فأجابوه فعاد الى خالد باسلامهم ، ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم فكان عدى خير مولود ولد في أرض طيىء

ثم بعث خالد عكاشه بن محصن ، وثابت بن أقرم من الانصار طليعة فلقيهما طليحة وأخوه سلمه فقتلاهما ، ومر بهما المسلمون فعظم عليهم قتلهما ، ثم عبى خالد كتائبه وسار حتى التقيا على بزاخة من مياه بنى أسد ، وهنالك اقتتل الفريقان ، وكان عيينة بن حصن الفزاري مع طليحة فى سبعمائة من فزارة ، فقاتلوا قتالا شديدا واشتد المحال بينهم ، وطليحة فى عباءة يتكذب لهم ، فلما اشتدت الحرب جاء عيينة . وقال هل جاءك جبريل بعد ، قال لا ، ثم راجعه ثانية ثم ثالثة فقال : جاءوقال: ان لك رحى كرحاه ، وحديثا لاتنساه فقال : عيينة يابنى فزارة الرجل كذاب وانصرف ، فانهزموا وقتل من قتل وأسلم الناس ، أما طليحة فوثب على فرسه ، واحتقب امرأته وفر لاحقا بالشام فنزل فى كلب من من قضاعة حتى أسلمت أسد وغطفان فأسلم ، ثم خرج معتمرا أيام سيدنا عمر ولقيه بالمدينة فبايعه ثم رجع الى قومه حتى بعثه عمر فى الفتوح فأبلى بلاء حسنا .

وأما عيينة فانه أسر أثناء انصرافه ، وقدم به على أبى بكر فكان

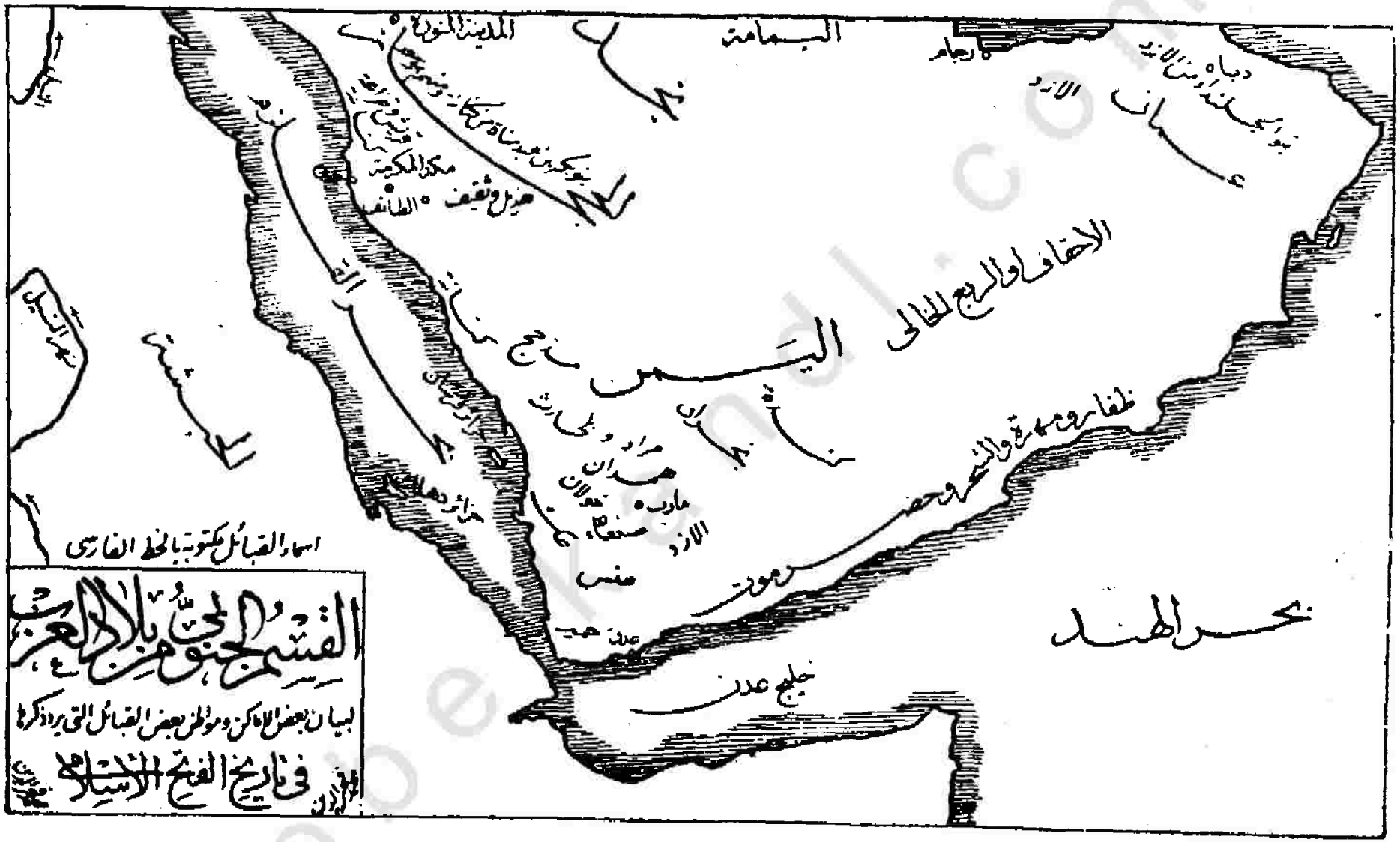
صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف : ياعدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين ، فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه ، كما حقن دم فروة بن هبيرة المرتد فى بنى كلب . واما بنو عامر وهوازن وسليم فانهم حينما بلغهم ايقاع خالد ببني أسد وغطفان جاءوا الى خالد واسلموا فقبل منهم الاسلام الا من عدا على احد من المسلمين ايام الردة ، فانه تتبعهم فأحرقهم ، ومثّل بهم ، ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم فى الآبار

﴿ خبر بنى تميم وسجاح ﴾

كان رسول الله قد فرق فى تميم عماله ، وكان منهم الزبرقان بن بدر وسهل بن منجاب ، ومالك بن نويرة ، على بنى حنظلة ، وصفوان بن صفوان ، فلما قبض رسول الله جاء صفوان بصدقات بنى عمرو ، وجاء الزبرقان بصدقات اصحابه من الرباب وبقي من اسلم منهم متشاغلا بمن تربص او ارتاب ، وبينما هم على ذلك فجئتهم سجاح بنت الحرث بن سويد التميمية ، اقبلت من الجزيرة وادعت النبوة بعد الوفاة واتبعها الهذيل بن عمران فى بنى تغلب ، وعقة بن هلال فى النمر ، وغيره فى اياد ، وغيره فى بنى شيبان ، فأتاهم امر اعظم مما هم فيه لما كانوا عليه من اختلاف الكلمة

كانت سجاح تريد غزو ابى بكر فارسلت الى مالك بن نويرة فوادعها وثناها عن الغزو ، وحرضها على احياء من بني تميم فأجابته ، ثم سارت تريد المدينة فهزم جمعها ورجع عنها مالك بن نويرة فقصدت


القسم الشمالي من بلاد العرب
لبيان بعض الاماكن ومواطن بعض القبائل التي يرد ذكرها
في تاريخ الفتح الاسلامي
بقلم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم
اسماء القبائل مكتوبة بالخط الفارسي
الروم
الشام
دمشق
بصرى
فلسطين
القلزم
مصر
النيل
بحر القلزم
مدائن كسرى
الحيرة
الانبار
الفرات
دومة الجندل
تبوك
تيماء
الحجر
خيبر
وادي القرى
المدينة المنورة
الابلة
البصرة
الكوفة
القطيف
هجر
اليمامة
البحرين
عمان
دبا
مهرة
حضرموت
اليمن


القسم الجنوبي من بلاد العرب
لبيان بعض الاماكن ومواطن بعض القبائل التي يرد ذكرها
في تاريخ الفتح الاسلامي
اسماء القبائل مكتوبة بالخط الفارسي
البحرين
اليمامة
المدينة المنورة
مكة المكرمة
الطائف
الاحقاف والربع الخالي
اليمن
حضرموت
عدن
خليج عدن
بحر الهند
نهر النيل

اليمامة وفيها مسيلمة في بنى حنيفة فخاف مسيلمة ان هو شغل بها ، أن يغلب ثمامة بن أثال الحنفى (وكان مقاتلا لمسيلمة ومزاحما له) .

وشرحبيل بن حسنة ، على حجر وهى اليمامة ، فصانعها وأهدى اليها واستأمنها على نفسه حتى يأتيها فأمنته ، وكانت راسخة فى علم النصرانية أخذت ذلك من نصارى تغلب ، فلما جاءها قال لها مسيلمة نصف الارض لنا ونصف الارض لقريش ، لكنهم لم يعدلوا فقد جعلت نصفهم لك ، فقبلت ويقال أنه تحصن منها ، فقالت له . أنزل فقال أبعدي أصحابك ففعلت فضرب لها قبة وجمرها (بخرها وطيبها) ويقال انها جاءت اليه واستأمنته فخرج اليها من الحصن الى تلك القبة فدخل عليها وسجم لها وسجعت له فشهدت له بالنبوة ، وقال لها : هل لك أن أتزوجك ، واكل بقومى وقومك العرب فاجابته وأقامت عنده ثلاثا ، وانصرفت الى قومها فقالوا لها ماعندك قالت . كان على الحق فتبعته وتزوجته ، قالوا هل أصدقك شيئا قالت: لا ، قالوا ارجعى فاطلبي الصداق ، فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك ؟ قالت اصدقنى ، فقال لها نادي فى قومك انى قد وضعت عنهم صلاة الفجر والعتمة مما فرض عليهم محمد ، وصالحته على أن يحمل لها الصنف من غلات اليمامة ، فاخذته وانصرفت ومعها أصحابها ولم تترك عن مسيلمة الا من يأخذ النصف الثانى ولحقت بالجزيرة فلم تزل فى تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة فى زمانه ، وجاءت معهم وحسن اسلامها واسلامهم وانتقلت الى البصرة وماتت بها

مالك بن نويرة

لما عادت سجاح الى الجزيرة ندم مالك وتحير وسقط في يده ، أما خالد فانه بعد فراغه سار يريد البطاح وبها مالك قد تردد في أمره وأمر أصحابه بأن يتفرقوا ، ونهاهم عن مناوأة المسلمين ، فلما قدم خالد البطاح بث السرايا ، وأمرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب وان امتنع أن يقتلوه ، وكان ابو بكر قد اوصاهم اذا نزلوا منزلا ان يؤذنوا ، فان اذن القوم كفوا عنهم ، والا قاتلوهم ، وان اجابوا الى داعية الاسلام سألوهم عن الزكاة . فان أقروا قبلوا منهم ، والا قاتلوهم فجاءته الخيل بمالك في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، فاختلفت السرية فيهم ، وشهد ابو قتادة انهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا أمر خالد بأن يحبس مالك ومن معه . وكان ذلك في ليلة باردة فأمر خالد مناديا فنادى ان ادفئوا اسراكم (وهي في لغة كنانة القتل) فقتلوهم . قتل ضرار بن الازور مالك . فسمع خالد فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله امرا اصابه — فقال ابو قتادة هذا عملك فزبره خالد فغضب ومضى حتى اتى ابا بكر ، فلما رآه غضب عليه حتى كلمه فيه عمر فأبى الا ان يرجع ابو قتادة الى المعسكر فرجع وكان خالد قد تزوج ام تميم امرأة مالك — وقال عمر لأبي بكر ان سيف خالد فيه رهق وكثر عليه في ذلك فقال هيه ياعمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين ، وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل . ودخل المسجد فقال له عمر ارثاء قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك وخالد لا يكلمه ، فلما دخل

على ابى بكر اعتذر اليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه فى التزوج الذى كانت عليه العرب من كراهته أيام الحرب، فخرج خالد وعمر جالس فقال هلم الى يابن ابى سلمة . فعرف عمر ان ابا بكر قد رضى عنه

ويروي أن خالدا قتل مالكا لأنه ارتد ورد على قومه صدقاتهم لما بلغه وفاة الرسول، فلما لقيه خالد فكلمه فى هذا الشأن خاطبه مالك بقوله انه مات صاحبك (يريد رسول الله) فعلم خالد قصده ومراده من أنه ليس صاحبا له فتيقن ردته وقال أما تعده لك صاحبا ثم ضرب عنقه وأصحابه كلهم ، وأما زواجه بامرأته فلعلها كانت مطلقة قد انقضت عدتها الا أنها كانت محبوسة عنده والا لما اكتفى أبو بكر بتعنيفه

وجاء متمم بن نويرة الى أبى بكر يطلب بدم أخيه ويسأله أن يرد عليهم سبيهم ، فأمر الخليفه برد السبي وودي مالكا من بيت المال :

خبر مسيلمة الكذاب

أشرنا الى بعض حديثه قبل أن يختار عليه السلام الرفيق الاعلى وقلنا ان أبا بكر أرسل عكرمة الى مسيلمة فى عسكر واتبعه شرحبيل ابن حسنة — ونزيد هنا أن عكرمة تعجل ليذهب بصوتها فانهزم ، وكتب الى أبى بكر فكتب اليه لاترجع فتوهن الناس ، وامض الى حذيفة وعرفجة فقاتلوا مهرة وأهل عمان ، فاذا فرغتم فامض أنت وجنودك واستنفروا من مررتم عليه حتى تلقوا المهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت

وكتب الى شرحبيل يأمره بالمقام الى ان يأتى خالد فاذا فرغتم فكن مع عمرو بن العاص تعينه على قضاعة

فلما فرغ خالد من البطاح ، ورضى عنه أبو بكر ، ووجهه الى مسيلمة واوعب معه المهاجرين والانصار تعجل خالد الى البطاح واقام ينتظر البعوث حتى قدمت عليه فنهض الى اليمامة وبنو حنيفة نحو أربعين الف مقاتل متفرقين في قراها ، وتعجل شرحبيل أيضا فأصابه ماأصاب عكرمة ، فلما قدم عليه خالد لامه على ذلك ، وأمد أبو بكر خالدا بسليط ليكون رده الثلاثة من خلفه ففرت جموع كانت تجمعت هنالك من فلال سجاح

ولما بلغ مسيلمة وبني حنيفة دنو خالد خرجوا وعسكروا في منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفروا اليهم ، وخرج مجاعة بن مرارة في سرية فاخذه المسلمون ، وقتلوهم أجمعين واستبقوا مجاعة ، ثم سار خالد ونازل بني حنيفة والرجال على مقدمة مسيلمة واشتد الحرب وانكشف المسلمون حتى دخل بنو حنيفة خباء خالد ومجاعة بها أسير مع أم تميم امرأة خالد فدافعهم عنها مجاعه وقال نعمت الحرة ثم تراجع المسلمون وكروا على بني حنيفة وقاتل ثابت بن قيس قائد الانصار يومئذ حتى قتل ، وقاتل زيد بن الخطاب وأبو حذيفة أميرا المهاجرين حتى قتلا ، وقاتل البراء بن مالك أخو أنس (وكانت تأخذه عند الحرب رعدة حتى ينتفض ويقعد عليه الرجال حتى يبول ثم يثور كالاسد) وفعل الافاعيل حتى هزم الله العدو والجأهم الى الحديقة وفيها مسيلمة ، فقال البراء القوني عليهم من أعلى الجدار فاقتحم وقابلهم على باب الحديقة

وفتحه للمسلمين فدخلوها فاقتتلوا أشد قتال وكثر القتلى فى الفريقين فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة وهو مزبد مقساند لايعقل من شدة الغيظ

وكان خالد لما نازل بنى حنيفة ومسيلمة ودارت الرحا عليه طلب البراز فلم يبرز اليه أحد الا قتله ودعا مسيلمة للبراز والكلام فأجابه فعرض اليه خالد أشياء مما يشتهى مسيلمة فكان يعرض بوجهه ولايقبل فانتهز خالد مرة اعراضه وركبه فارهقه فولى مدبرا وأدبر صحبه بادباره فصاح خالد بالناس لاتقيلوهم فركبوهم وانهزم بنو حنيفة وقالوا لمسيلمة أين ما كنت تعدنا به ؟ فقال قاتلوا عن أحسابكم وأتاه وحشى قاتل حمزة فرماه بحربته فقتل واقتحم الناس عليه حديقة الموت من حيطانها وأبوابها وولت بنو حنيفة منهزمة فأخذهم السيف من كل جانب وجاء خالد بمجاعة ليريه مسيلمة فاراه اياه فاذا هو رجل دميم أخينس أصيفر وقال هذا صاحبكم قد فرغتم منه فقال خالد : هذا الذى فعل فيكم مافعل ؟ فقال مجاعة قد كان ذلك وانه والله ماجاءك الا سرعان الناس وان جماهيرهم في الحصون فهلم أصالحك على قومي ، فقال له أصالحك على مادون النفوس ، فقال مجاعة استشيرهم وذهب ثم رجع الى خالد وقال أبوا . فنظر خالد الى رءوس الحصون قد اسودت . والمسلمون قد نهكتهم الحرب ، وقد قتل من الانصار مايزيف على ثلثمائة وستين ، ومن المهاجرين نحو ذلك العدد ، ومن التابعين مثلها أو يزيد وقد فشت الجراحات فيمن بقى فجنح الى السلم فصالحه على الصفراء والبيضاء ونصف السبي والحلقة وحائط ومزرعة من كل قرية فابوا

فصالحهم على الربع فصالحوه وفتحت الحصون فلم يجد فيها الا النساء والصبيان فقال خالد خدعتنى يا مجاعة فقال قومى . ولم أستطع الا ما صنعت فعقد له وخيرهم ثلاثا ، ووصل كتاب أبى بكر الى خالد أن يقتل كل محتلم وكان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر . وبعث وفدا منهم الى أبى بكر باسلامهم فلقيهم وسألهم عن اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال . سبحان الله هـذا الكلام ما يخرج من ال ولا بر . فاين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الى قومهم .

وبعد وقعة اليمامه أمر أبو بكر بجمع القرآن الكريم لما رأى من كثرة من قتل الصحابة .

(ردة أهل البحرين)

بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمى على قتال أهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن آثال الحنفى فى مسلمة بنى حنيفة وقيس بن عاصم وغيره فسلك بهم الدهناء ثم نزل ونزل الناس ليلا فنفرت ابلهم باحمالها فما بقى عندهم بعير ولا زاد ولا ماء فظمأنهم العلاء فاظمأنوا وما تعالى النهار حتى أقبلت ابلهم من كل وجه فحمدوا الله ثم ساروا فنزلوا بهجر ، وكتب العلاء الى الجارود بن المعلى العبدى (وقد اجتمعت اليه عبد القيس بعد أن ثبتهم على اسلامهم) أن ينزل على الحطم ابن ضبيعة وكان على بكر وائل الذين ثبتوا على ردتهم وعلى من اجتمع اليهم من المشركين) مما يليه وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي

هجر ، ثم خندق الفريقان وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خنادقهم ظلوا على ذلك شهرا ثم سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء هزيمة أو قتال فارسل العلاء من جاءه بان القوم سكارى فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاءوا وهرب الكفار فمن بين مترد ومقتول ومأسور وناج واستولى المسلمون على العسكر لم يفلت رجل الابما عليه ، وقتل الحطم قيسُ بن عاصم وأسر المنذر بن النعمان بن المنذر (الذى اجتمعت اليه ربيعة مرتدة وردوا اليه ملك آل المنذر وكان يسمي المغرور أو الغرور) فاسلم — وأصبح العلاء فقسم الانفال ونفل رجالا من أهل البلاد ثيابا وأعطى ثمامة الحنفى خميصة ذات أعلام كانت للحطم يباهى بها .

أما الفلاّل فقصدوا داربن الامن لحق ببلاده منهم فكتب العلاء الى من ثبت على اسلامه من بكر بن وائل ، بالقعود للمنهزمين والمرتدين كل طريق ففعلوا ، ثم ندب الناس الى داربن ، وقال لهم قد أراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا ، ودعا ودعوا ، واجتازوا الخليج بين الساحل وداربن ، واقتتلوا قتالا شديدا ، وأكثر المسلمون القتل فيهم حتى ظفروا بهم ، وماتركوا بها مخبرا وغنموا وسبوا ثم رجعوا وكتب العلاء الى أبى بكر بهزيمة المرتدين ، وقتل الحطم ، وأخبره أن الاسلام ضرب بجرانه فى هذه البقاع

﴿ ردة عمان ومهرة ﴾

أما عمان فقد نبغ فيها ذو التاج لقيط بن مالك الازدى الذى ادعي بمثل ما أدعى من تنبأ ، وغلب على عمان مرتدا ، فالتجأ بنو الجلندا الى

الجبال ، وبعث أحدهم الى أبي بكر يستمده فبعث أبو بكر حذيفة الى عمان ، وعرفجة الى مهرة كما سلف ، وأرسل الى عكرمة بن أبي جهل أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة فلحقهما قبل عمان فلما وصلوا رجاما كاتبوا بني الجلندا وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا ، وعسكر بنو الجلندا بصحار ، وكتبوا الى حذيفة وعرفجة وعكرمة في القدوم عليهم ، وكاتبوا بعض من كانوا مع لقيط من الرؤساء فارفضوا عنه ، ثم التقى الجمعان بدبا ، ووقع القتال الشديد فاستعلى لقيط غير أن أمدادا جاءت المسلمين من عبد القيس وغيرهم فقوى المسلمون ونازلوا المشركين فولوا مدبرين ، وقتل منهم عشرة آلاف وسبى المسلمون ذراريهم وأخذوا أموالهم وقسموها وبعثوا بالخمس الى أبي بكر مع عرفجة وكان ثمانمائة رأس وبقي حذيفة بعمان حتى يوطىء الامور ويسكن الناس .

وأما مهرة فقد سار الى أهلها عكرمة لما فرغ من عمان ومعه من انضم اليه من عبد القيس وغيرهم فاقتحم عليهم بلادهم فرآهم قد انقسموا على أنفسهم ، ولهم رئيسان فكاتب عكرمة أحدهما فأجابه وكاتب الاخر فلم يجب فقاتله قتالا شديدا حتى قتل وانهزم جمعه وركبهم المسلمون فقتلوا من قتلوا وأصابوا ماشاءوا من الغنائم ، وبعثوا بالاخماس الي أبي بكر ، وبقي عكرمة وجنده حتى أسلم الناس .

﴿ ردة اليمن ﴾

كان الاخابث من عك أول منتقض بتهامة اليمن بعد الوفاة ، فسار اليهم الطاهر بن أبي هالة . وقاتلهم بمن لم يرتد فقتلهم قتلا ذريعا

حتى أنتنت السبل لقتلهم وكان ذلك فتحا عظيما

أما أهل نجران فارسلوا وفدهم ليجددوا عهدهم مع أبى بكر

وأما بجيلة فقد أرسل اليهم أبو بكر جرير بن عبد الله البجلى فاستنفر من ثبت على اسلامه من قومه ، وقاتل بهم من ارتد حتى قتلهم

وكان ممن ارتد ثانية قيس بن مكشوح ، وذلك انه لما بلغه موت النبى عمل على قتل فيروزوداذويه وجسنس فكتب أبوبكر الى رؤساء المستمسكين بدينهم أن يقوموا بامر الله ويعينوا الابناء على من ناوأهم ويسموا ويطيعوا لفيروز فلما سمع قيس كتب الى هؤلاء الذين ثبتوا على دينهم يدعوهم الي قتل الابناء واخراج أهلهم من اليمن فلم يجيبوه ولم ينصروه فاستعد لهم وكاتب أصحاب الاسود العنسى المترددين فى البلاد سرا يدعوهم ليجتمعوا معه فجاءوا اليه فسمع بهم أهل صنعاء ، ثم ان قيسا ذهب الى فيروز وصاحبه يستشيرهما في أمره خديعة ليلبس عليهما ولئلا يتهماه فاطمأنوا اليه ، فصنع لهما من الغد طعاما ، ودعاهما اليه فدخل اليه داذويه فقتله ، وفطن فيروز الى هذا الغدر فهرب وهرب معه جسنس الى جبل خولان وهم أخوال فيروز ، وطلبهما أصحاب قيس فلما اعتصما بالجبل وأهله رجعوا الى قيس فأخبروه فثار بصنعاء وما حولها وعمد الى الابناء ففرقهم ثلاث فرق : من أقام أقر عياله ، ومن ساروا مع فيروز فرق عيالهم فرقتين ، سير احداهما الى عدن لتحمل فى البحر ، وحمل الاخرى فى البر . فكان عيال فيروز ممن سُيِّر في البر وعيال داذويه ممن سير فى البحر ، فلما علم فيروز كتب الى من استنقذ هؤلاء وهؤلاء وقتلوا من معهم من أصحاب قيس ، واستمد

الناس فأمدوه وخرج فنازل قيسا وصحبه دون صنعاء فهزمهم وتذبذب أصحاب العنسى وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران فانضاف الى عمرو بن معديكرب الزبيدى وكان قدفارق قوم سعد العشيرة وانحاز الى مراد وأسلم ولكنه ارتد فيمن ارتد مع الاسود ، فسار اليه خالد بن سعيد بن العاص فاختلفا بينهما ضربتين فضربه خالد على عاتقه فقطع حمالة سيفه فوقع ووصلت الضربة الى عاتقه فهرب وأخذ خالد سيفه الصمصام وفرسه ، وجعله الاسود بازاء فروة بن مسيك الذى جعله النبى على صدقات مراد ، فامتنع كل منهما من البراح لمكان صاحبه

فبينما هم كذلك اذ قدم عكرمة بن أبى جهل من مهرة وقدم المهاجر بن أبى أمية ، وجرير بن عبد الله فى بجيلة الى نجران فانضم اليه فروة بن مسيك وما هو الا أن أقبل عمرو مستخفيا حتى دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه ، فجاء قيس فأوثقه أيضاً وأرسلهما الى أبى بكر — فقال لقيس قتلت عباد الله واتخذت بالمشركين وليجة من دون المؤمنين ، وهم بقتله ، ولكنه لم يجد أمراً جليا ، فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئا ، فتجافى له عن دمه

وقال لعمرو أما تستحيى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور ، لو نصرت هذا الدين لرفعك الله ، فقال لاجرم لأقبلن ولا أعود فخلى سبيله أيضا ورجعا الى عشائرهما

وأما المهاجر فقد سار من نجران على أصحاب العنسى فاستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ، ثم سار الى صنعاء فدخلها وكتب الى أبى بكر بذلك

﴿ ردة حضرموت وكندة ﴾

ارتدت كندة وتابعوا الاسود فقاتلهم زياد بن لبيد الانصارى وهزمهم وعاد بالسبي والغنائم فمر بالاشعث بن قيس فاستغاث نساء السبي فغار الاشعث وثار وجمع جموع قومه واستنقذ السبي وأقام على ردته فاستغاث زياد بالمهاجر فاغاثه واقتتلوا فانهزمت كندة واجتمعوا في حصن من حصونهم مع من استغووه من السكاسك وشدا والسكون وحضرموت ، فحصرهم المسلمون ثم قدم عليهم عكرمة فشدد الحصار ، فخرجوا مستميتين في بعض الايام فهزموا — فاستأمن الاشعث الى عكرمة فخرج به الى المهاجر ، وأمنه فى أهله وماله وتسعة من قومه على ان يفتح لهم الباب فأقتحمه المسلمون وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية ، فكان فى السبي ألف امرأة ، ولما فرغوا دعا المهاجر بكتاب الامان من الاشعث واذا هو قد كتب لنسمة ونسى نفسه ، فأوثقه المهاجر وهمّ بقتله ، فقيل له أخره وسيره الى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه ، فسيره الى أبي بكر مع السبى ، وكان لما أسلم قومه وغدر بهم سموه عرف النار — فلما قدم على أبي بكر قال له ماترانى أصنع بك ، قال لا أعلم قال فانى أرى أن أقتلك ، قال فانى أنا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى ، قال انما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها ، فلما خشي القتل قال ياأبابكر احتسب فىّ وأقلنى واقبل اسلامى ، ورد على زوجتى (وكان قد تزوج أم فروة أخت أبي بكر حين قدم على رسول الله وأخرها الى أين يرجع) فانك ان فعلت ذلك تجدنى خير أهل بلادى لدين الله ، فحقن دمه وأطلقه ورد عليه زوجته وقال لا يبلغنى

عنك الا خيرا ثم خلا عن القوم فذهبوا وقسم الا نفال

وبعد فقد انتهت حروب المرتدين والمتنبئين بانتصار المسلمين ، وعادت جزيرة العرب كلها الى حظيرة الاسلام فان شئت فقل ان أبابكر قد جدد الدين وأعاد الملة ، وأباد الشرك واجتث جذور الوثنية ، وقضى على دواعي الفرقة ، وجمع شمل الأمة ، وأطفأ تلك النار التي كادت تلتهم ماقضى فيه الرسول وأصحابه زهرة حياتهم وضحوا بانفسهم وأموالهم حتي عالجوا النفسية العربية المستعصية وذللوها وقهروها للكبير المتعال وحده

ورب قائل ماسبب انقلاب العرب هذا الانقلاب السريع ؟ والجواب أن هنالك جملة أسباب ترجع كلها الى سبب واحد وهو حداثة عهدهم بالاسلام ونظمه (١) فقد حرم وحظر ووضع حدودا ثم رسم عقوبة على كل من يتعداها (٢) وفرض عليهم الزكاة فى أموالهم فرأوها لاتختلف عما يفرضه جبابرة الملوك على رعاياهم

وقد طلب نفر من الصحابة الى أبى بكر أن يقبل من بعض الثائرين الصلاة ويعفيهم من الزكاة مؤقتا تأليفا لقلوبهم اذ لاطاقة للمسلمين بحرب العرب عامة فابى وغضب وقال لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها لرسول الله لحاربتهم عليه ورأي أن قواعد الاسلام وحدة لاتتجزأ ومنكر أي واحدة منها منكر للاسلام عائد الي الشرك (٣) وجعل الاسلام للعرب حكومة واحدة ، يقوم بالامر فيها رجل واحد أوجب عليهم طاعته فيما يأمر به وينهى عنه ، وكل هذا مما لاعهد لهم به

ورب آخر يقول مابال أبى بكر يعترض الناس فى حرية العقيدة ويكره الناس على الاسلام والله تعالي يقول « لا اكراه فى الدين » ؟

والجواب أنه لا اكراه لمن لم يدخل في الاسلام ، أما من دخل فيه ثم ارتد عنه فلابد من تطبيق قواعد الاسلام عليه ، فان مثله كمثل الجندى الذى يهرب من الصف عند احتدام القتال ، أو يولى مدبرا عند الزحف أو يمالي الاعداء أو يظاهرهم على قومه ، ولا عقاب لهذا الا الاعدام

من أجل ذلك جعل أبو بكر أمر المرتدين والمتنبئين في الدرجة الاولي من عنايته ، وبادر اليهم ليردهم الي حظيرة الاسلام كما تركهم رسول الله ، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ، ولو أن أبا بكر تمهل أو رضى باعفائهم من الزكاة لفسد عليه الامر واتسعت مطالب الثوار وقل المال الذى كان من أهم وسائل المعونة على نشر كلمة الله والفتح في فارس والروم .

أما تعدد الالوية فحكمته ظاهرة من ان أبا بكر أراد أن يفاجيء كل ناحية بالهجوم عليها ، ويحارب من ارتد فيها بمن ثبت على اسلامه من أهلها حتى يشغلها بنفسها فلا تنضم الى جارتها فتكون المنازلة حينئذ خطيرة وربما لاتكون محمودة العاقبة .

هذا ولقد كان ما رسمه أبو بكر فى هذا الامر غاية فى الاحكام ، فقد كتب له التوفيق والنجاح فى جميع خطواته التى خطاها مما دل على أنه جدير بهذا المنصب الذي اختاره الناس له ، وعلى أن طول صحبته لرسول الله وشهوده المشاهد كلها معه كان له أثره فانه علمه الحرب والاقدام وزاده يقينا بان لن ينهزم له جند وهو يحاول اعلاء كلمة الله وقد كان من أهم خطواته الموفقة في هذا السبيل

(١) تسييره جيش اسامة في زمن هو أحوج مايكون فيه الى

الدفاع ، اذ أن المنشقين لما سمعوا به خالطهن الوهن ، وملأ قلوبهم الخوف أذ علموا أن المسلمين فى قوة تمكنهم من الفتح لامن الدفاع

(٢) مسارعته الى محاربة عبس وذبيان ومن لف لفهم بذي القصة فلما انتصر عليهم وغنم منهم كان ايقاعه بهم كايقاع المسلمين بالمشركين فى بدر — وأنا أدع اليك الموازنة بين الواقعتين

هذا وان ننس لاننس ماكان من الف الصحابة من المهاجرين والانصار حول خليفتهم سواءاً كانوا من الموافقين على خلافته أم من المخالفين ، إذ أنه عند الشدائد تذهب الاحقاد ، فاقد قاموا معه وعززوه وآزروه ونصروه حتى قضوا على هذه الفتنة التى أراد الذين أيقظوها ان يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

قال عبد الله بن مسعود لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله مَنَّ علينا بأبى بكر اجتمع رأينا جميعاً على ألا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون وان نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، وعزم الله لابى بكر على قتالهم فوالله مارضى منهم الا بالخطة المخربة أو الحرب المجلية

الفتح فى فارس والروم

هاتان الدولتان كانتا أقوى دول الارض وأعظمها الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فارس أو دولة الاكاسرة فى الشرق ، والروم أودولة القياصرة فى الغرب ، وكانتا بحكم الجوار واتصال الحدود فى تطاحن باستمرار ، وانما كان السلم يسود بينهما فى فترات قصيرة تستعد

فيها كل منهما للوثوب بالأخرى ، حتى آل أمرهما معا الى الضعف

وكانت عوامل الترف قد وصلت في الدولتين الى الطرف المقوت ومن أجل ذلك تطاولت أيدى أصحابهما الى فرض المكوس وأخذ مابأيدى الرعايا ظلما وعدوانا ليسدوا مطالب الترف الذى انغمسوا فيه ، وصار الضعيف لقمة سائغة للقوى ؛ والغافل فريسة للعاقل حتى استولى الذعر على الناس ، وانتابهم الخوف ، وحل بهم الفقر واستعبدوا الى درجة أنهم أصبحوا كالآلة الصامة فى أيدى سواسهم يوجهونهم الى حيث يريدون ، وبذلك فقدوا الاستقلال الشخصى وأصبحوا كالانعام يقادون بالزمام — فلما تسامعوا بالاسلام تراموا اليه هرابا مما أصابهم ،

كان للفرس فوق قوانينهم السياسية الجائرة ، معين من ينابيع لوثنية لا ينضب ، ومدد لا ينقطع كما كان للروم أيام وثنيتهم ، فلما اعتنق هؤلاء المسيحية أحدثوا فيها وغيروا وبدلوا ، وثارت بينهم الشبهات على أصول عقائدهم وفروعها ، فصاروا شيعا ومذاهب وتعادوا واستنفدوا قواهم فى محاربة بعضهم بعضا ، ولقد صبغت أراضى مصر مثلا بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عند ماأريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها لله أما ، على ان رؤساء المسيحية كانوا يحظرون على الناس أن يفهموا فى الكتب الدينية ، أو يستنبطوا منها أحكاما ، واحتكروا لانفسهم حق التفسير والتأويل فيها ، وليتدعوا تعاليم غالوا فيها حتى تنبه العقلاء الى انه لايمكن أن تكون هذه التعاليم من املاء الآله فانكروها ، ومن جراء ذلك قامت الحرب بين الناس ، وحل التخاصم محل التآزر ، والقطيعة محل التراحم ، وحصل الاضطراب وعمت الفوضى .

أما فى فارس بلاد الوثنية فقد فطن سدنة الاوثان منهم الى ماقد يحصل بين حين وحين من ظهور أفراد ذوى فطر سليمة مطبوعة على الخير ، يستعملون مافطروا عليه فى ارشاد العامة الى سواء السبيل، وينبهون الغافلين الجاهلين الى مافيه صلاحهم فيرفع القوم أصواتهم مطالبين بالحق والعدل ، صارخين فى وجه الباطل والعسف ، وهنا يضيق المجال على الذين وضعوا أساس حكمهم على ظلم الناس،وابتزاز أموالهم ، والسيطرة على عقولهم ، من أجل ذلك وضع هؤلاء السدنة تعاليم وعملوا على ايجاد سحب كثيفة من الاوهام الباطلة ، ليحولوا بين الناس وعقولهم حتى يظلوا فى غفلتهم ، فيظل للا كاسرة عليهم سلطان لاحدود لاطرافه .

من أجل ذلك نقول ان حال الدولتين كانت تستدعى الاصلاح وعامة الشعبين كانوا فى اشتياق واضطرار الى الخلاص والنجاة من هذه الفوضى وذلك الظلم الذي لامبرر له ، فكان من فضل الله ورحمته بالناس أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — وماهو الا أن ظهر صوته عاليا ينادى فى أهل الزعامة أن أهبطوا الى مصاف العامة فى الخضوع الى الله الواحد القهار وفى الرعايا أن تنبهوا الى عرفان أنفسكم واستعمال عقولكم ، فليس لأحد بعد الله ورسوله سلطان على عقيدة أحد، ولا سيطرة على ايمانه، وارجعوا الى أصل دينكم تعتقوا من سلطة الرؤساء والزعماء الذين اغتصبوا عقولكم ، وملكوا عليكم أنفسكم

وقد علمت أن الرسول كتب الى قيصر وكسرى يدعوهم الى

الاسلام والا كان عليهم أثم رعاياهم ، وينذرهم عواقب ماقد يكون منهم اذا هم وقفوا في طريق الدعوة الاسلامية أو حالوا بين الناس وعقولهم اذا التمسوا عقلا في دين ، أو عدلا فى ايمان فوجدوه فى ثنايا هذه الدعوة .

فلما استكبروا وامتنعوا ، وناصبوه وقومه الشر ، وأخافوا السابلة وضيقوا على المتاجر ، واعدوا له ماستطاعوا من قوة شرع يحاربهم رفقا بالعباد لاطمعا فى الاستعباد ، وطلبا للأمن وابلاغ الدعوة لا رجاء فى الملك والسلطان .

وماكان ينبغى للرسول حبا فى السلم أن يترك كلمة الباطل تعلو على كلمة الحق ، ولا ان يترك الدين والمسلمين فريسة لهؤلاء وهؤلاء وقد أصبح فى قومه وأمته بحيث يستطيع دفع الاعتداء بمثله ، ويفتح للدعوة الاسلامية بابا تلج منه الى الشعوب المظلومة التى تتوق الى من يخلصها من هذا الحال الى أى حال ، بله الحرية والمساواة والاستقلال والاطمئنان .

وهل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه ، وعند عدم التمكن من سواه خاص بالدين الاسلامى ، أو هو فى طبيعة كل قادر عليه بعد أن يعذر الى خصمه ؟

ليس القتال فى الاسلام للاكراه على الدين ، ولا للانتقام من المخالفين ولكن لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم وانما شهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن نفسهم وكفا للعدوان عليهم

وقد أرسل رسول الله جيش الامراء الي الروم فانهزم، وقبيل وفاته أعد جيش أسامة اليهم ، وهو بماصنع قد رسم خطة الى خلفائه من بعده فاتبعوا سبيله ، واقتفوا أثره وأرسلو الجيوش الى فارس والروم حتى يفيئوا الى أمر الله ، وحتي لاتكون فتنة ، ويكون الدين كله لله

يقول فريق من الجهال والمتعصبين ، خرج المسلمون بالقوة المسلحة يكرهون الناس على اعتناق الاسلام ، ونقول : أما انهم خرجوا مسلحين فصحيح ، وهل كان يصح أن يخرجوا عزلا ليدفعوا شاكى السلاح؛ أو يعقدوا حتي يدخل الروم والفرس عليهم المدينة ويقتلوهم ويقضوا على دينهم من أساسه !

وأما انهم اتخذوا ذلك ذريعة لا كراه الناس على الاسلام فهذا بهتان عظيم ؛ لان المسلمين كانوا يكتفون من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانهم ، ثم يتركون الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب عليهم فى اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد ، وانما يكلفونهم بجزية يدفعونها لتكون عونا على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم وهم فى عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار ، لايضايقون في عمل ، ولايضامون في معاملة .

نعم حمل المسلمون الى أولئك القوم كتاب الله وشريعته ، وألقوا بذلك بين أيديهم ، وتركوا لهم الخيار في القبول وعدمه ، ولم يقوموا بينهم بدعوة ، ولم يستعملوا الاكراههم شيئا من القوة ، وما كان من الجزية لم يكن مما يثقل اداؤه على من ضربت عليه .

وأما استيلاء المسلمين على البلاد فلعجز أصحابها عن سياستها على مقتضى العدل وقواعد الانصاف — وقد قلنا أن العرب بعد أن صاروا أمة ، واعتنقوا الاسلام رأوا أنهم أولى الناس بأن يكونوا ساسة الناس وقادتهم .

(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون)

بعوث العراق

كان المثنى بن حارثة الشيبانى يغير على سواد العراق فى رجال من قومه ، فبلغ أبا بكر خبره فسأل عنه فقيل له : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، المثنى بن حارثة الشيبانى ، ثم ان المثنى قدم على أبى بكر فقال له استعملنى على من أسلم من قومى أقاتل هذه الاعاجم من أهل فارس فكتب له أبو بكر فى ذلك عهدا فسار ودعا قومه الى الاسلام فاسلموا — ثم ان أبا بكر أرسل الى خالد ابن الوليد وهو باليمامة أن سر الى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند وهي الابلة وتألف أهل فارس ومن كان فى ملكهم من الامم ، وكتب الى عياض بن غنم ان يقصد العراق ويبدأ بالمصيخ من أعلاه ويسير حتى يلقى خالدا ، وأمرهما معا أن يستنفرا من قاتل أهل الردة ، والا يغزون معهما مرتدا ففعلا — وكتب الى المثنى ومن معه ان يلحقوا بخالد بالابلة وكان أصحابه ثمانية آلاف ، وقدم خالد ومعه عشرة آلاف

واقعة ذات السلاسل

ولما جاء خالد فرق جنده ثلاث فرق ، ولم يحملهم على طريق واحد ، على مقدمته المثنى ، وبعده عدي ، وجاء خالد بعدهما وتواعدوا الحفير ليصادموا عدوهم وكان صاحب تلك الناحية يسمى هرمز ، فلما سمع بالمسلمين كتب الى أردشير الملك بالخبر وجمع جموعه ، وعلم أن المسلمين تواعدوا الحفير فسبقهم اليه واستعد جنده واقترنوا بالسلاسل لئلا يفروا فقال قائل منهم : قيدتم أنفسكم لأعدائكم ، ومال خالد بالناس الى كاظمة فسبقه هرمز اليها ، ونزل خالد بالناس هنالك على غير ماء ، فقال له أصحابه في ذلك ما تفعل ؟ فقال لهم : لعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين فحطوا أثقالهم ، وتقدموا وقاتلوا الفرس ، وخرج هرمز ودعا خالد الي البراز وواطأ أصحابه على الغدر بخالد ، فبرز اليه خالد وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغل ذلك خالدا عن قتله ، وحمل القعقاع بن عمرو على الفرس فأزاحهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون الى الليل ، وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف ، وبعث بالاخماس الى أبي بكر ، وسار حتى نزل بجهات البصرة وبعث المثنى في آثار المنهزمين الذين تجمعوا وأمدهم أردشير ، ثم سار اليهم خالد فهزمهم أيضا — وبلغ سهم الفارس فى الموقعتين ألف درهم والراجل على الثلث من ذلك

ثم ان اردشير أرسل جيشاً آخر ، وانضم اليه عرب الضاحية فسار اليهم خالد ووضع لهم كمينا فى ناحيتين ، فلما التقى الجمعان خرج الكمينان

فانهزمت صفوف الاعاجم ، فسبى ذراري المقاتلة ، ومنهم ولدان لبعض سادة بني بكر بن وائل - وبذل الامان للفلاحين فصاروا ذمة

ولما أصاب بنى بكر بن وائل ماأصابهم غضب لهم نصارى قومهم واجتمعوا بناحية أليس، وأمدهم أردشير بجيش فاختلفوا على قائدهم وبسطوا الطعام ، فقدم خالد وليست له همة الا من تجمع له من عرب الضاحية فطلب المبارزة فبرز له مالك بن قيس فقتله وانهزمت العرب، فولى وجهه نحو العجم فاعجلهم عن طعامهم فقاموا عنه وقاتلوا المسلمين غير انهم انهزموا وسالت دماؤهم كالنهر ونادى منادى خالد الأسر الاسر الا من امتنع فاقتلوه ، فعاد المسلمون بكثير من الاسرى، ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه ، فتعشى به المسلمون ، وقال من لمير الرقاق ، ماهذه الرقاع البيض ، وجعل من يعرفها يجيبهم مازحا هل سمعتم برقيق العيش فيقولون نعم ، فيقول هو هذا

فتح الحيرة

وبعد ذلك بقليل سار خالد الى الحيرة ، فخرج مرزبانها فعسكر عند الغريين ، وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الارض، فسار خالد في خيل نحو ابن المرزبان فقتله وأصحابه . وسار نحو الحيرة فهرب منه المرزبان وقد بلغه موت أردشير وقتل ابنه . وسار المسلمون فنزلوا عند الغريين . وتحصن أعيان الحيرة فى قصورهم فحوصروا فيها . ودعا المسلمون أهل المدينة فأبوا . فقاتلوهم . ولما كثر القتل فيهم نادى القسيسون والرهبان ياأهل القصور مايقتلنا غيركم

فنادي أهل القصور المسلمين : قد قبلنا واحدة من ثلاث وهي إما الاسلام وإما الجزية ، وإما المحاربة فكفوا عنهم ، وخرج اياس بن قبيصة وعمرو بن عبد المسيح وغيرهما ورضوا بالجزية ، وفتحت البلد ، وكان فتحها فى ربيع الاول سنة ١٢ هـ وبعث خالد بالفتح والهدايا الى أبى بكر ، فقبل الهدايا من الجزية وكتب الى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية ويحسب لهم الهدية .

ولما صالح أهل الحيرة بادر أهل النواحى المختلفة بطلب الصلح على الجزية أيضا ، فقتل منهم خالد ، وأرسل بعض قواده فخروا ماوراء الحيرة الى شاطىء دجلة .

وعند ذلك كتب خالد الى أهل فارس يدعوهم الى الاسلام أو الجزية فان أجابوا والا حاربهم ، فكان العجم على اختلاف بموت أردشير الا انهم اجمعوا حرب خالد ، وهو مقيم بالحيرة يصعد ويصوب ويجبى الخراج سنة كاملة قبل خروجه الى الشام ، والفرس يخملون ويملكون

(فتح الانبار)

ثم خرج خالد على تعبئته وعلى مقدمته الاقرع بن حابس الى الانبار ، وأطاف بها وانشب القتال وتقدم الى رماته فاوصاهم ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون

وطلب حينئذ أمير جند الفرس الصلح على أمر لم يرضه خالد فابى ، وتقدم حتى وصل الى خندقهم ، وأقام فيه سدا ، ثم عبره فلقيه

الكفار عليه ، وأرسل ذلك الأمير الى خالد وبذل له ماأراد فصالحه على ان يبلغه مأمنه فى جريدة خيل ليس معهم من متاع شيء فقبل خالد وفتحت المدينة وصالح خالداً من حولها على الجزية

﴿ فتح عين التمر ﴾

اجتمع بعين التمر العجم بقيادة مهران بن بهرام والعرب من التمر وتغلب واياد وغيرهم عقة بن أبى عقة ، فسار اليهم خالد فقال عقة لمهران ان العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا ، فقال له مخادعا . صدقت دونكموهم وان اجتجتم الينا اعنّاكم ، ولامته العجم على ماصنع ، فما زال بهم حتي اقنعهم ، وسار عقة الى خالد فالتفوا فحمل خالد بنفسه على عقة فاحتضنه وأخذه أسيرا ، هكذا يذكر المؤرخون ومعناه فيما أرى انهما تبارزا فتمكن خالد من أن يقصى على مناورانه ويخيب جميع ضرباته فلما رأى الموت رأى العين سلم نفسه ، فاخذه خالد أسير ، وبذلك انهزم جنده من غير قتال كما هى العادة ، وولوا مدبرين لكن المسلمين أسروا اكثرهم ، ولما رأى مهران ماحصل للعرب فر بجنده وترك الحصن فانتهي اليه المنهزمون وتحصنوا به ، فنازلهم خالد حتى طلبوا الامان فابى فنزلوا على حكمه فاخذهم أسرى وقتلهم أجمعين كما قتل عقة وغنم كل مافي الحصن ، وكان فى بيعتهم غلمان يعلمون الانجيل فاخذهم فقسمهم فى أهل البلاد ، ومنهم سيرين أبو محمد ، ونصير أبو موسى :

والملحوظ ان خالدا قسى على العرب كثيرا واشتد بطشه بهم والمبرر لصنيعه هذا هوا انه أراد ان ينبه العرب عامة الى ان الاجدر

بهم ان يكونوا مع العرب محافظة على القومية وانتصارا للعصبية ، فلما استهانوا بالعرب وكانوا مع العجم عليهم عاقبهم بمثل ما قدمت ايديهم وما ظلموا ولكنهم هم الظالمون

خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمده على من بازائه من المشركين : اذ بينا خالد قد وفق الى الانتصار فى العراق اذا بعياض لم يدرك غرضا ، وقد علمنا أن أبا بكر أرسلهما معا ليفتح كل منهما ناحية من نواحي العراق ، فأتم خالد ماأمر به وزاد اذ شرع يفتح في ناحية عياض ، فلما كتب الى خالد سارع اليه ، وكانت دومة لرئيسين ، أكيدر بن عبد الملك ، والجودى بن ربيعة ، فاما الاول فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه فلم يقبلوا منه فخرج عنهم وسمع خالد بمسيره فارسل من جاء به أسيرا وقتله وأخذ ماكان معه ، (لانه ارتد بعد وفاة الرسول وخان ، وقد علمنا أن رسول الله حقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله فرجع الى قريته)

ثم سار خالد حتى نزل على دومة فجعلها بينه وبين عياض ، فخرج اليه الجودى فيمن معه من العرب ، وأخرج طائفة الى عياض ، فهزم كل من خالد وعياض من يليه وأسر الجودى ، وانهزم المشركون الى حصن دومة فلم يحملهم فلما امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله فاخذهم خالد فقتلهم ، وقتل الجودي أيضا ، ثم شدد الحصار على الحصن حتي أخذه قهرا ، وقتل المقاتلة وسبي الذرية والسرح وباعهم

وأقام بدومة ، فطمع الاعاجم ، وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة والعدو حصيدا ، ورجع خالد الى الحيرة فسمع باخبرهم ؛ وكان القعقاع قد سار الى عين التمر ، فسار اليه خالد وسيره الى الحصيد كما سترى

﴿ وقائع أخرى ﴾

ولما سار القعقاع الى الحصيد قتل من العجم مقتلة عظيمة فانهزموا الى المصيخ ، فأغار المسلمون عليهم من ثلاثة أوجه فقتلوهم ومن انضم اليهم من العرب ، وكان فيهم رجلان قد أسلما ومعهما كتاب من أبي بكر باسلامهما ، وكانت لهما مندوحة عن الوجود فى عسكر محارب المسلمين ، فلما بلغ أبا بكر خبرهما ودا هما وأوصى بأولادهما ، أما عمر فقد ضم هذه الى قصة خالد مع مالك بن نويرة

وسار خالد من المصيخ حين بلغه ان جماعة من العرب اجتمعوا شرقي الرصافة غضبا لعقة ، فجرد فيهم السيف حتى لم ينج منهم مخبر ، وغنم ما كان معهم ، وأرسل بالاخماس فى كل هذه الوقائع الى أبي بكر

ثم تقدم الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وأفطر بها رمضانا لاتصال الغزوات ، وحمية الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم ، واجتمع معهم تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد فلما بلغوا الفرات قالوا له اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم قال خالد اعبروا ، قالوا له تنح عن طريقنا حتى نعبر قال لافعل ولكن أعبروا أسفل منا فعبروا أسفل من خالد ، وقالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولى ففعلوا ، ولما التقى الجمعان انهزمت

الروم ومن معهم من العرب والعجم وأمر خالد جنده ألا يرفعوا السيف فقتل في المعركة وفى الطلب منهم مائة ألف : ثم أذن بالرجوع الى الحيرة ولم يرجع .

حج خالد

ثم خرج من الفراض سراً ، ومعه عدد من أصحابه فأتى مكة وحج ورجع ، ولم يعرف جنده الخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة ، ولم يعلم أبا بكر بذلك الا بعد رجوعه فعتب عليه ، وكانت عقوبته إياه أن صرفه الى الشام من العراق ممدا جموع المسلمين باليرموك

وبالتأمل نرى أن خالدا ومن معه أمكنهم أن يغيروا على أطراف العراق مما يلى الفرات غربا ، وأن يهزموا جنود الفرس والعرب الذين اجتمعوا اليهم جميعا ، وان يغنم منهم ويأسرهم ويسبي ذراريهم ، ويستولى على ذخائرهم وأموالهم ، وتضرب الجزية على من استأمن اليه منهم ، وكان المسلمون بعد ذلك اذا ذكروا وقائعهم مع الفرس وبخاصة جند على بن أبى طالب أيام خلافته واستعداده لمعاوية ، نحن أصحاب ذات السلاسل ، ويسمون ما بينها وبين الفراض أما ما حصل بعد الفراض فكانوا لا يذكرونه احتقاراً له بالنسبة الى ما كان قبل الفراض

وقد رأيت ان العجم كانوا مشغولين بمن يولونه أمرهم ، أما العرب في تلك النواحى فكانوا أضعف من ان يقفوا فى وجه خالد لان مسلميهم كانوا عونا لخالد وجنده على مشركيهم .

﴿ فتوح الشام ﴾

لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه ، وفى غنائم الروم ، فسارع الناس اليه من بين محتسب وطامع ، وأتو المدينة من كل أوب ، فعقد ثلاثة ألوية لثلاث رجال (١) خالد بن سعيد بن العاص ، (٢) شرحبيل بن حسنة الكندى (٣) عمرو بن العاص ، وكان ذلك مستهل صفر سنة ١٣ — ويقال انه عقد لواء رابعا لابى عبيدة ثم عرض لأبى بكر أن يعزل الاول لانه كما قال عمر رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب وجعل لوبراءة الى يزيد بن أبى سفيان فسار به ومعاوية أخوه يحمله بين يديه ، أما خالد فسار فى جيش شرحبيل محتسبا

وأمر أبو بكر عمر بن العاص أن يسلك طريق أيلة وأمر شرحبيل ويزيد أن يسلكا طريق تبوك ، لان أهل البلدين كانا على صلح مع المسلمين ،

وكان العقد لكل أمير فى بدء الامر على ثلاثة آلاف فلم يزل أبو بكر يتبعهم الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة

﴿ امراء المسلمين بالشام ﴾

لما وصل الامراء الى الشام ، نزل أبو عبيدة الجابية ، ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل الاردن وقيل بصرى ، ونزل عمرو بن العاص

العربة وبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل وكان بالقدس فقال : أرى أن تصالحوا المسلمين فوالله لان تصالحوهم على نصف مايحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم الى حمص وأعد الجنود والعساكر ، وأراد أشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن يازائها .

فارسل تزارق أخاه فى تسعين الفا الى عمرو وأرسل قائدا آخر الى يزيد وارسل ثالثا فى ستين الفا الى ابى عبيدة وارسل رابعا نحو شرحبيل فهابهم المسلمون وكتبوا الى عمرو بن العاص ما الرأى ؟ فأجابهم ان الرأي لمثلنا الاجتماع ، وكتبوا الى الخليفة فأجابهم بمثل رأي عمرو ، وقال اجتمعوا باليرموك متساندين فاجتمعوا وتبعهم الروم ونزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق الا عليهم. فقال عمرو ابشروا حصرت الروم ، وقلما جاء محصور بخير غير ان الروم طاولوا المسلمين نحو ثلاثة أشهر

﴿ مسير خالد الى العراق ﴾

ولما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد يأمره بالمسير اليهم، وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الثانى المثنى بن حارثة ، ولا يأخذن من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله ، واذا فتح الله عليهم رجع خالد الى العراق فسار خالد

من العراق وقاتل في طريقه من اجتمع لمقاومته من تغلب وكلب وبهراء ، ثم التمس الأدلاء لقطع بادية الشام ، فخوفوه سوء العاقبة . فقال لابد لى من ذلك لاخراج مَنْ وراء جموع الروم لئلا تحبسني عن غياث المسلمين ، وأمر صاحب كل جماعة ان يأخذ الماء لها لخمس ، وان يعطش من الابل الشرف مايكتفى به ثم يسقيها عللا بعد نهل ثم يصر آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ، ثم ركبوا فلما ساروا يوما وليلة شقوا له العدة من الخيل بطون عشرة من الابل فخرجوا مافى كروشها بما كان من الالبان وسقوا الخيل ، فعلوا ذلك أربعة أيام — ثم وصلوا الى أصل شجرة فحفروا واستخرجوا عينا فشربوا حتى روى الناس

ومهما يكن فى هذه القصة من غير المألوف فانها تدل على أن خالدا كان لايبالى بالاخطار ، وأنه أعمل الحيل فى سبيل الحصول على الماء حتى وصل الى غرضه ، وأغار على جماعة من بهراء بعد ذلك وأخذ أموالهم فى ناحية تسمى قراقر ، ثم أتى أرك فصالحوه ، ثم تدمر فتحصن أهلها ثم صالحوه ، ثم القريتين فقاتل أهلها وظفر وغنم ، وسار فوصل الثنية فنشر رايته وتسمى العقاب وكانت لرسول الله أو لخالد فسميت الثنية بها — ثم سار فأتى مرج راهط فأغار على غسان فى يوم فصحهم ، وسار الى بصري فصالحه أهلها بعد أن انتصر عليهم ، وكانت أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق ، وبعث بالاخماس الى أبى بكر ، ثم سار فطلع على المسلمين واذا الشماسة والقسيسون يحرضون الروم على القتال .

ويقال ان خالد لما جاء من العراق الى الشام لقي أمراء المسلمين

ببصرى فحاصروها جميعا حتى فتحوها على الجزية ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص

هذا ويقال ان أبابكر جعل خالدا أميرا على الامراء في الحرب ، ويقال بل كان أميرا على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون اذا اجتمعوا لحرب أمّره الامراء فيها لبأسه وكيده ويمن نقيبته

وقعة اليرموك

لما تكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا سبعة وعشرين ألفا ، وقدم خالد فى تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفا ، سوى من انضم اليهم فقيل وصل العدد بهم الى ستة وأربعين الفا . وكان الروم في مائتي الف وأربعين الف ، مابين مقيد ومسلسل لئلا يفروا ، وقيل كانوا مائة ألف ، ومهما يكن من المبالغة فى عدد الروم فانهم كانوا ضعف عدد المسلمين .

خرج الروم الى القتال ، فلما أحس المسلمون أرادوا الخروج متساندين ، فسار فيهم خالد فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ان هذا يوم من أيام الله لاينبغي فيه الفخر ولا البغى ، اخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له مابعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وانتم متساندون فان ذلك لايحل ولاينبغي ، وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا بما لم تؤمروا به ، بالذى ترون أنه رأى ولاكم ومحبته ، قالوا هات فما الرأي ؟ قال : ان أبا بكر لم يبعثنا الا

وهو يرى ان سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ، ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيهم وانفع للمشركين من امدادهم . . . . . فهلموا فلنتعاور الامارة فليكن بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ، ودعوني اتأمر اليوم ، فأمّروه وانهم يرون انها كخرجاتهم وان الامر لايطول

ثم خرجت الروم فى تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط وخرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب قط ، وكان قاضى القوم ابو الدرداء ، والقاص ابو سفيان ابن حرب ، وعلى الاقباض عبد الله بن مسعود ، وأمر خالد عكرمة ابن أبي جهل والقعقاع بن عمرو ، فأنشبا القتال ، والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا — فبينا هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة ، فجعل الناس يسألون عن سبب قدومه فاخبرهم بالسلامة وان وراءه مددا لهم ، وكتم عنهم موت أبي بكر ثم وصل الى أبي عبيدة فأخبره سرا بموت أبى بكر ، وناوله كتاب عمر بتوليته وعزل خالد فاستحيا أبو عبيدة من خالد وكره أن يعلمه بالعزل ، وهو قد بذل جهده فى القتال فكتم أبو عبيدة الخبر عن خالد وصبر حتى تم الفتح ثم أعلمه بموت أبى بكر وبعزله ، فسلم اليه الجيش

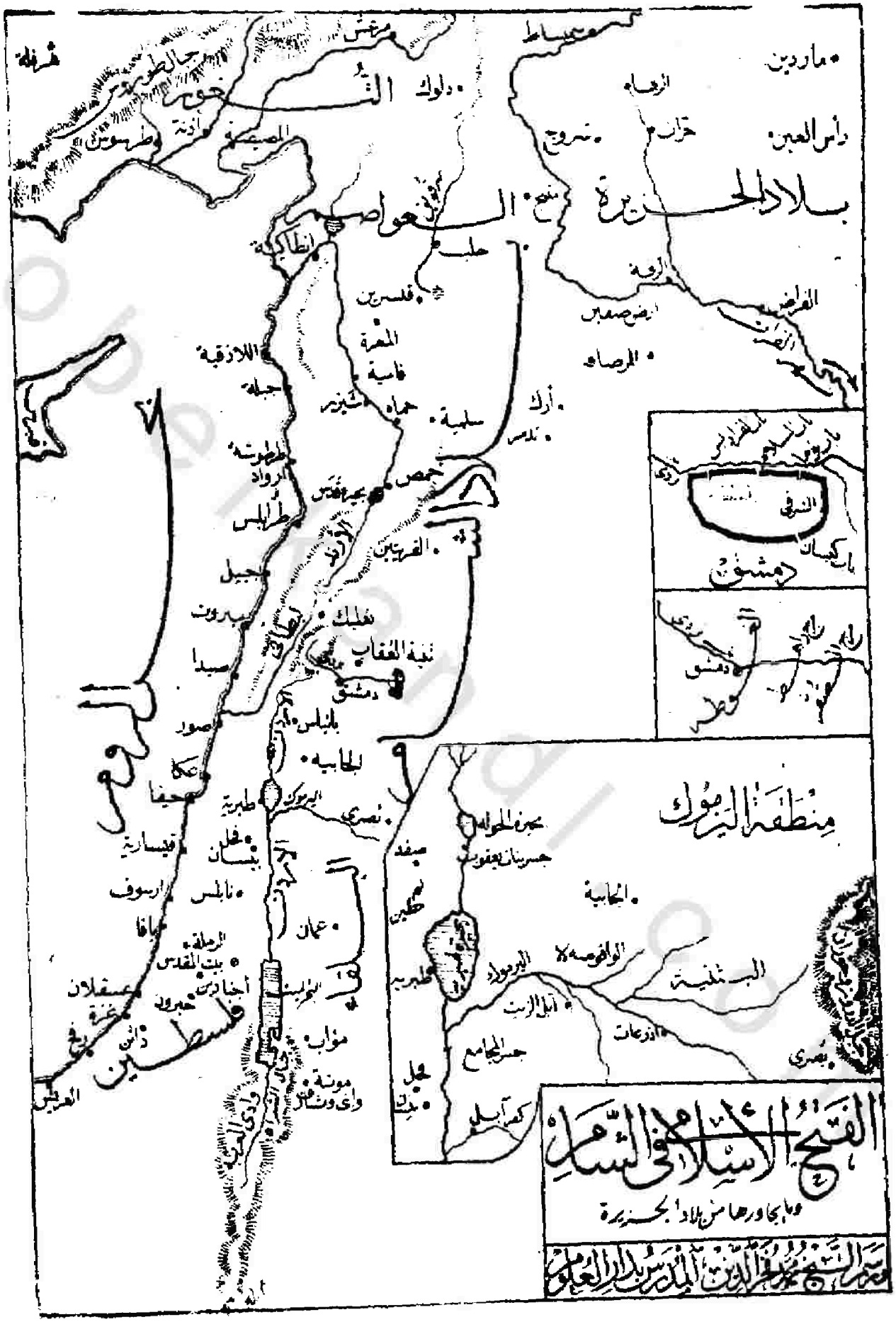
ويقال بل انهم دلوا الرسول على خالد فأخبره سرا بموت أبى بكر ، وبعزله وتولية أبى عبيدة ، فقال انى لاأحارب من اجل عمر واستمر حتى انتصر على ماترى .

وهناك موضع حكاية ، وهي أن أحد قواد الروم واسمه جرجة خرج بين الصفين وطلب خالدا فخرج اليه وآمن كل واحد منهما

صاحبه وسأله جرجه جملة أسئلة منها . أخبرني إلام تدعو ؟ فقال خالد الى الاسلام أو الجزية أو الحرب ، قال فما منزلة الذى يجيبكم فقال منزلتنا واحدة .... فمال مع خالد وأسلم وخرج معه فقاتل الروم فكان ماصنع وهنا على الروم .

ثم حملت الروم حملة أزالت المسلمين عن مواقفهم فنادى عكرمة من يبايع على الموت فبايعه الحرث بن هشام ، وضرار بن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، وقاتلوا قدام فسطاط خالد فخرج من جرح وقتل من قتل ، ثم قاتل خالد وجرجه حتى قتل الثاني وتضعضع الروم فنهد خالد بالقلب حتى حال بين خيلهم ورجلهم فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة — ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب أفرجوا لها فتفرقت ، وساء حال الرجالة ففروا الى خندقهم ، فاقتحمه المقترنون والمسلسلون وسيوف المسلمين تأخذهم وهم لايستطيعون الهرب ، ويسيرون على غير هدى ، حتى لقد ركب بعضهم بعضا من شدة الزحام ، ويقال أن اليوم كان مضبا وفيه ثارت الرياح الهوجاء فاثارت الغبار — وجاء الليل والمسلمون يقتفون أثرهم فلم يمنعهم ظلامه عن التضييق عليهم وحصرهم فأخذ الروم يتساقطون فى اليرموك وفى الواقوصه ، وهي هوة وراء احدي ضفتيه ، حتى قتل منهم بهذه الصورة أكثر ممن قتل بسيوف المسلمين ، ولم ينج من من الرجالة الا قليل . أما الفرسان فقد تفرقوا فى الصحاري وبذلك تمت الهزيمة على الروم .

وبعد هذه الموقعة أعظم ماكان من الوقائع بين الروم والعرب .


الفتح الاسلامي للشام
وما جاورها من بلاد الجزيرة
منطقة اليرموك
دمشق
فلسطين
بلاد الجزيرة
الشوبك
الكرك
الطفيلة
بصرى
عمان
جرش
اربد
طبرية
بيسان
نابلس
الرملة
بيت المقدس
عسقلان
غزة
حبرون
الخليل
بيت لحم
بحيرة طبرية
اليرموك
الجابية
دمشق
حمص
بعلبك
تدمر
الرقة
حلب
انطاكية
اللاذقية
جبلة
طرطوسة
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
حيفا
قيسارية
الرصافة
الرقة
ماردين
رأس العين
نصيبين
سنجار
الموصل
الفرات
دجلة
البحيرة
الشرقي
باب كيسان
باب الجابية
باب الفراديس
باب توما
باب شرقي
باب الصغير
باب السلام
باب الجنان
باب النصر
باب الفرج
باب الحديد
باب الجابية
باب الجابية
باب الجابية

فقال عمر قد علم ابو بكر انه يسوءنى ان اؤمر خالدا فلهذا امرنى أن أرد اصحاب خالد وترك ذكره معهم .

والى ازرميدخت انتهى شأن ابى بكر — فهذا حديث العراق الى وفاته رضى الله عنه .

﴿ وفاة أبى بكر ﴾

كانت وفاة أبى بكر لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ١٣ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ودفن في بيت عائشة وجعل قبره كقبر النبى مسطحا ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليسال ، قام فيها بجلائل الاعمال

ولما ولى الخلافة وارتد العرب خرج شاهرا سيفه الى ذى القصة ، فجاءه على وأخذ بزمام راحلته ، وقال له : أين ياخليفة رسول الله ، أقول لك ماقال لك رسول الله يوم أحد شم سيفك لاتفجعنا بنفسك فو الله لئن أصبنا بك لايكون للاسلام نظام ، فرجع وأمضى الجيش ، ويظهر أن رجوعه كان مؤقتا فقد علمنا أنه ذهب بنفسه وحارب وانتصر .

وكان يقيم بالسنح ثم تحول الى المدينة بعد ستة أشهر من خلافته وقال : ماتصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ، فترك التجارة ، وانفق من مال المسلمين مايصلحه وعياله يوما بيوم وكان أول وال فرض له رعيته نفقة

ولما قبض أبو بكر سجى بثوب فارتجت المدينة من البكاء ودهش القوم كقبض رسول الله ، وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا

وان هرقل كان اذ ذاك بحمص ، فلما بلغته هزيمة جنده نادي بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين هذا ويقول المؤرخون ان الذين أصيبوا من المسلمين فى اليرموك زهاء ثلاثة آلاف

﴿ حال المثنى بالعراق ﴾

أقام المثنى بالحيرة بعد مسير خالد الى الشام ، واستقام أمر الفرس فوجهوا اليه جيشاً وكتب اليه كسرى انى قد بعثت اليكم جندا من وحش أهل فارس ، فرد عليه المثنى بكتاب جزع الفرس منه ثم التقي الجيشان بجهة بابل ، واقتتلوا وكان فيلهم يفرق المسلمين فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى مدائن كسرى ، ومات كسرى اذذاك فعاد الاختلاف الى أهل فارس وبقى مادون دجلة بيد المسلمين .

ثم أن الفرس اجتمعت على ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر وخلعت وملك سابور وكان صغيرا فقام بأمره كبير رجال الفرس وقتئذ فثار به أحد القواد لأمر ما فقتله وقتل سابوراً يضا وملك عليهم أزرميدخت بنت كسرى وتشاغلوا بذلك .

أما المثنى فقد سار الى المدينة بعد ان استخلف على المسلمين ليخبر أبابكر بأمر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت نيته من المرتدين فانهم انشط الى القتال عن غيرهم ، فقدم المدينة وابو بكر مريض قد أشفى فاخبره فاستدعى عمر وقال له . اذا مت فلا تمشين حتى تندب الناس مع المثنى .... واذا فتح الله على اهل الشام فاردد أهل العراق الى العراق فانهم اهله ، وولاة امره واهل الجرأة عليهم

حتي وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر . . . . . كنت والله للاسلام حصنا، وللكافرين ناكبا ، لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى دينك متواضعا فى نفسك .

﴿ استخلافه عمر ﴾

لما نزل بأبى بكر الموت دعا عبد الرحمن بن عوف، وقال أخبرنى عن عمر ، فقال انه أفضل من رأيت الا أن فيه غلظة ، فقال أبو بكر لأنه يرانى رفيقا ، ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه ، وقد رمقته فكنت اذا غضبت على رجل أرانى الرضا عنه ، واذا لنت له أرانى الشدة عليه ـ ودعا عثمان فقال له أخبرنى عن عمر فقال سريرته خير من علانيته وليس فينا مثله . فقال أبو بكر لهما لا تذكرا مما قلت لكما شيئا ، ولو تركته ما عدوت عثمان ، والخيرة له الا بلى من أموركم شيئا ثم دخل طلحة فقال استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به اذا خلا بهم ، وانت لاق ربك فسائلك عن رعيتك . فقال أبو بكر أجلسونى فاجلسوه فقال أبالله تخوفنى ، اذا لقيت ربى فسألنى قلت استخلفت على اهلك خير اهلك ثم احضر عثمان بن عفان خاليا ليكتب عهد عمر فقال له أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد ابى بكر بن ابى قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا

منها ، واول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ، ويشقى الفاجر ، ويصدق الكاذب، انى أمرت عليكم عمر الخطاب، ان عدل واتقى فذاك ظنى به ورجائي فيه ، وان بدل وغيّر فالخير اردت ، ولا يعلم الغيب الا الله .

قيل ان ابا بكر بعث بهذا الكتاب مع عثمان ورجل من الانصار ليقرأه على الناس ، فلما اجتمع الناس قاما فقالا هذا عهد ابى بكر بن أبى قحافة فان تقروا به نقرؤه وان تنكروه نرجعه . فما خالف احد ، بل رضى الناس عمر حينما ارتضاه ابو بكر للخلافة واسرعوا الى مبايعته على ما كانوا يرون فى عمر من الشدة والغلظة مما يدلك على ان الذين كانوا يزاحمون أبا بكر من سنتين اصبحوا بحيث لا يردون له قولا ولا يرغبون عما رغب فيه .

ولا عجب فقد ساسهم بالحزم والعدل وتجرد الى خدمتهم، وضحى مصالحه الشخصية حبا فى مصلحتهم ، ومن أجل ذلك وثقوا به وثوقا لاحد له ، وانقادوا لامره وخضعوا لرأيه ، وأجابوا داعيه وكان فى أيام خلافته رضى الله عنه كالمروض لسيدنا عمر ، فوق أنه مهد للخلافة سبيلها، وترك المسلمين متضامنين متكاتفين كانهم افراد أسرة واحدة ، وبذلك تقووا على أعداء المسلمين من الفرس والروم وحاربوهم فى عقر ديارهم وانتصروا عليهم

خلافة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ينتهى نسبه الى عدي ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك

وقد علمنا انه لما احتضر أبو بكر عهد اليه بالأمر من بعده بعد استشارة عبد الرحمن وعبد الرحمن وطلحة وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال أترضون بمن استخلفت عليكم فانى ما استخلفت ذا قرابة ، وانى قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا ، فاني والله ما آلوت من جهد الرأى ، فقالو سمعنا وأطعنا — ثم استحضر عمر فقال له انى قد استخلفتك على أصحاب رسول الله وأوصاه بتقوى الله

فلما دفن أبو بكر صعد المنبر عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انى داع فأمنوا ، اللهم انى غليظ فلينى لاهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم

وكان أول كتاب كتبه الى أبى عبيدة بتوليته جند خالد وبعزل خالد لانه كان عليه ساخطا فى خلافة أبى بكر كلها ويظهر انه خشى بأس خالد واعجاب الجندية فكتب الى أبى عبيدة : ان كذب خالدا نفسه (فتنته بغير الحق) فهو الأمير على ما كان عليه وان لم تكذبه نفسه فأنت الامير على ماهو عليه وانزع عمامته عن رأسه (يظهر ان عمامة القائد كانت بحيث يعرف بها) وقاسمه ماله ، فذكر ذلك لخالد

فأبى ان يكذب نفسه فنزع عمامته وقاسمه ماله وأقام خالد بالشام مع المسلمين الى آخر حياته

وقد قدمنا ان كتاب العزل والتولية جاء وهم على اليرموك ، وقوم يقولون ان هذا الكتاب وصل وهم محاصرون دمشق وان أباعبيدة كتم الامر عن خالد أياما لان خالدا كان أمير الناس في الحرب فقال له خالد مادعاك رحمك الله الى مافعلت قال كرهت ان اكسرك وأوهن أمرك وأنت بازاء عدو .

الفتح فى عهده

تنبيه — بين المؤرخين خلاف كثير فى ترتيب الوقائع وتأريخها، بل وفي قوادها أيضا ، وقد علمت أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير يقصد لناحيـة ليغزوها ويبث غاراته فيها ، وكانوا اذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه كما سترى فى فتح دمشق ، واذا احتاج أحدهم الى معاضدة صاحبه وامداده سارع الى ذلك — وكان أبو بكر حين ولى الامراء قال اذا كان بكم قتال فأميركم الذى تكونون فى عمله . أما عمر فانه حين استخلف ولى أبو عبيدة أمر الشام كله وأمرة الامراء فى الحرب والسلم

الفتح فى الشام

(فتح دمشق سنة ١٤)

لما انقضى أمر اليرموك على مامر ، سار أبو عبيدة حتي نزل مرج الصُّفَّر ، أتاه الخبر ان المنهزمين اجتمعوا بفحْل ، وأن المدد أتى اهل دمشق من حمص ، فبعد استشارة الخليفة سير طائفة من المسلمين الى فحْل فنزلوا قريبا منها ، وبثق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض ، فصاروا كالمحصورين ، وأرسل طائفة أخرى فنزلوا بين حمص ودمشق ، وطائفة ثالثة ليكونوا بين دمشق وفلسطين ليمنع الامداد عن دمشق ، وقصد مع خالد دمشق ، وهى اذ ذاك حصن الشام فاخذوا الغوطة وكنائسها عنوة ، وتحصن أهل دمشق وأغلقوا أبوابها ، فنزل خالد على الباب الشرقى ، ونزل عمرو على باب توما ، ونزل شرحبيل علي باب الفراديس ونزل أبو عبيدة على باب الجابية ، ونزل يزيد على باب كيسان ، وحصروا الروم فيها سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق ، وجاءت خيل هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التى عند حمص فخذل أهل دمشق وطمع المسلمون فيهم ، ثم أن خالدا استغفلهم في بعض الليالى وتسور سورهم من ناحية وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم والقاها على السور فعلق منها حبلان بشرف السور صعد فيهما وصعد المسلمون ، ثم انحدر خالد وأصحابه حتى انتهى الى مايليه من الروم فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة لايدرون ما الحال ، وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم ،

وفتح خالد الباب ، وقتل كل من عنده من الروم ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح فقبل منهم وفتحوا له الباب ، وقالوا أدخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ، ودخل كل أهل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد عنوة فالتقى خالد والقواد فى وسطها ، هذا قتلا ونهبا ، وهذا صفحا وتسكينا . فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح ، وكان على المقاسمة ، وقسموا معهم للجنود التى عند فحل وحمص ، وغيرهم ممن هو رده للمسلمين ، وأرسل أبو عبيدة الى عمر بالفتح ثم وصل كتاب عمر الى أبي عبيدة بارسال جند العراق الى سعد بن أبى وقاص فارسلهم وكان ممن أرسل : الاشتر النخعي والقعقاع بن عمرو ، وسار الامراء الى فحل وخلفوا يزيد بن أبى سفيان بدمشق

﴿ واقعة فحل ﴾

كانت وقعة فحل بعد خلافة عمر بخمسة أشهر . سار أبو عبيدة الى فحل وجعل خالدا على المقدمة ، وشرحبيل على الناس ، وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص ، وعلى الخيل ضرار بن الازور . وعلى الرجال عياض بن غنم ، وكان أهل فحل قد قصدوا بيسان فهم بها فنزل شرحبيل بالناس فحلا وبينهم وبين الروم تلك المياه والاوحال فباردهم الروم ، ولكن المسلمين كانوا حذرين فكانوا على تعبئة ، فقاتلوهم أشد قتال كان لهم ، ليلتهم ويومهم الى الليل ، فلما خيم الظلام حار الروم فانهزموا وهم حيارى ، وأصيب رئيسهم وركبهم المسلمون وهم لا يعرفون فأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه . ولحقهم

المسلمون فأخذوهم وهم لا يمنعون يد لامس ، فوخروهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالردغة

وقد كان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون . كرهوا البثوق والوحل فكانت عونا لهم على عدوهم ، وغنموا اموالهم فاقتسموها . وانصرف ابو عبيدة بخالد ومن معه الى حمص .

وبالتأمل ترى ان مقاتلة الروم كانوا لا يعرفون الطرق ولا المسالك حتى انهم في هذه الموقعة لم يسلكوا سبيلا ينجيهم ، وسبب ذلك انهم جمعوا من بقاع شتى ، جمعهم هرقل (بعد ان فر من حمص الى انطاكية) من الروم وأهل الجزيرة وقذف بهم الى ميادين القتال قذفا من غير أن تكون لهم فرصة يتعرفون بها طبيعة البلاد التى يقاتلون فيها .

﴿فتح نواح أخرى﴾

ولما قصد أبو عبيدة حمص أرسل شرحبيل ومن معه الى بيسان فقاتل أهلها ثم صالحوه على صلح دمشق .

وكان قد بعث قائدا آخر الى طبرية فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضا ، وأن يشاطروا المسلمين المنازل فكمل فتح الاردن صلحا ونزلت القواد فى مدائنها وقراها .

وبعث يزيد فصيلة الى ندمر ، وأخرى الى حوران والبثنية فصالح أهلوها وسار يزيد الى صيداء وجبيل وبيروت وهى سواحل دمشق وكان على مقدمته أخوه يزيد ففتحها كلها فتحا يسيرا

﴿ الفتح فى العراق ﴾

لما أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر كان أول ماعمل أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة ، ظل ثلاثا ولاينتدب أحد الى فارس اذكان هذ الوجه أثقل الوجوه على المسلمين لشدة سلطان الفرس وشوكتهم وقهرهم الامم ، فلما كان اليوم الرابع ، كان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى والد المختار ، ثم سعد بن عبيد الانصاري ثم سليط بن قيس من البدريين ، فولى أبا عبيد لسبقه ، وقال له اسمع من أصحاب النبى وأشركهم في الامر ، ولا تجتهد مفرعا بل اتئد فانها الحرب ، والحرب لايصلحها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة ـ

أقبل سعد وصحبه من المدينة لايمر بقوم من العرب الا رغبهم فى الجهاد والغنيمة فصحبه خلق . وأمر المثنى بالتقدم الى أن يقدم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثني فقدم الحيرة .

ومن محاسن الصدف أن الفرس تشاغلت عن المسلمين بموت كسراها ، حتى ملكت بوران بنت كسرى وكانت عدلا بين الناس حتى يصطلحوا ، فارسلت الى رستم وكان في خراسان ، فاسرع حتى دخل المدائن وهزم جيوش ازرميدخت ونصب بوران على أن تملكه عشر سنين ثم يعود الملك فى آل كسرى ان وجدوا من غلمانهم والا ففى نسائهم فدعت المرازبة وأمرتهم أن يسمعوا له ويطيعوا . وتوجه

فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد

كتب رستم الى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، وبعث جندا لمصادمة المثنى، فخرج المثنى من الحيرة لئلا يؤتي من خلفه ، فقدم عليه أبو عبيد فلما استراح هو واصحابه خرج الى الفرس وجعل المثنى على الخيل، ولما التقى الجمعان هزم الله أهل فارس ، وأسر أحد الجند جابان قائدهم ثم خدعه فخلا عنه فأخذه المسلمون وأتو به أبا عبيد وأشاروا عليه بقتله فقال : انى أخاف الله أن أقتله ، وقد أمنه رجل مسلم ، فقالوا له أنه الملك قال وان كان ، لاأغدر ، فتركه وتركوه

أما المنهزمون من الفرس فهربوا فتبعهم أبو عبيد — وكان رستم وبوران حينما علما بهزيمة جابان بعثا جندا الى قائد آخر يسمى نرسى عليهم الجالينوس فعاجلهم أبو عبيد وهزمهم ، وأخذ من الاطعمة شيئا كثيرا فنفله من حوله من العرب ، ومازال أبو عبيد يتتبع الجالينوس وهو ينهزم الى النواحى الشمالية حتى قدم الى الحيرة .

﴿ يوم الجسر ﴾

ولما رجع الجالينوس منهزما الى رستم وجه بهمن المعروف بذى الحاجب الى المسلمين ورد الجالينوس معه، فأقبل بهمن ومعه راية كسرى، فنهض له أبو عبيد وقعد الى أن نصبوا للفريقين جسرا على الفرات وخيرهم بهمن فى عبوره أو عبورهم، فاختار أبو عبيد العبور واجاز اليهم ، وماجت الارض بالمقاتلة ونفرت خيول المسلين من الفيلة وترجل أبو عبيد والناس وصافحوا العدو بالسيوف ، ودافعتهم الفيلة فقطعوا وضنها فسقطت رجالها ، وقتل

من كانوا عليها ، وقابل أبو عبيد فيلا فوطئه بيده وقام عليه فأهلكه ، وكانت الدائرة على المسلمين فولوا مدبرين وتركوا المثنى ، فبادر أحدهم الى الجسر فقطعه وقال موتوا أو تظفروا وتوالت بعضهم الى الفرات فغرقوا ، وأقام المثنى يقاتل حتى لقد قاتل معه بعض نصارى العرب حمية للعرب ولكن ذلك كله لم يجد نفعا ، واضطر المثنى الى أن ينادي الذين عبروا من المسلمين سباحة فعقدوا الجسر ، وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس الانصارى ، وهلك من المسلمين يومئذ اربعة آلاف بين قتلى وغرقى وهرب الفان وبقى ثلاثة آلاف .

وبينا نحن نحاول العبور خلف المسلمين أتاه الخبر بان الفرس ساروا برستم فرجع الى المدائن . وكان ذلك من فضل الله على المسلمين

﴿ يوم البويب ، وهو يوم مهران ﴾

لما بلغ عمر وقعة ابى عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان فيمن ندب بجيلة ، وأمرهم الى جرير بن عبد الله لأنه الذي جمعهم من القبائل بعد أن كانوا متفرقين ، فسيره مددا للمثنى بالعراق ، فأبى البجليون الا الشام ، فعزم عمر على العراق وينفلهم ربع الخمس فأجابوا ، وكتب عمر الى أهل الردة فلم يأته أحد الا رمي به المثنى ، وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه حتى نصاري النمر ، وقالوا نقاتل مع قومنا ، وبلغ الخبر رستم ومن التف عليه فبعثوا مهران الهمدانى الى الحيرة وسمع المثنى فكتب الى جرير وغيره ان يقصدوا العذيب مما يلي الكوفة فاجتمعوا هنالك ومهران قبالتهم عدوة الفرات ، وتركوا له العبور فاجاز

اليهم وسار اليه المثنى فى التعبئة وكان رمضان ، فأمر الناس بالافطار ليقووا على عدوهم فأفطروا وأقبل الفرس فى ثلاثة صفوف فى كل صف فيل ، فوقف المثنى على الرايات يحرض الناس فاعجلتهم فارس وخالطوهم وحمل المثنى على مهران فازاله عن مركزه ، وأصيب مسعود أخو المثنى وجماعة من أعيان المسلمين وخالط المثنى القلب حتى أفناه ، ووثبت المجنبات على المجنبات قبالتهم ، فانهزمت الفرس وقتل غلام نصرانى من تغلب مهران ، واستوى على فرسه ثم انتمى : أنا الغلام التغلبى أنا قتلت المرزبان ، وسبق المثنى الى الجسر وأخذ طريق الاعاجم عليهم فهربوا مصعدين ومنحدرين ، واستلحمتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا ، فما كان بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمة منها ، وأرسل المثنى الخيل في طلب الاعاجم فغنموا وسبوا واستباحوا الفرس ومخروا السواد بينهم وبين دجلة لايلقون مانعا .

فتوح أخرى

وخرج المثنى أيضا من الحيرة وأغار على نواح كثيرة بالسواد ثم رجع الى الانبار فأتوه بالعلوفة والزاد ، وأخذ منهم ادلاء وسار بهم ليلا فصبح سوق بغداد ووضع فيهم السيف وأخذ ما شاء الله من الذهب والفضة والجيد الحر من كل شيء ورجع الى الانبار — وبعد قليل أمر بالغارات على احياء من تغلب بصفين ففر من بها الى الجزيرة ، فمر المثنى وراءهم وفى الزاد الذى مع المثنى وأصحابه حتى أكلوا دوابهم الا

مالابد منه حتى جلودها ، ثم دلهم أحد الخفراء على حى من تغلب ساروا اليه يومهم وهجموا عليه فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية واستاقوا الاموال فاشترى أسراهم من كان هنالك من ربيعة بنصيبهم من الفيء واعتقوهم .

ولما سمع المثنى أن جميع من يملك البلاد قد انتجع شاطىء دجلة خرج فى اتباعهم فادركهم بتكريث فغنم ماشاء وعاد الى الانبار ، وأرسل من أغار على النمر وتغلب بصفين وتمكن رعب المسلمين من قلوب أهل فارس وملك المسلمون مابين الفرات ودجلة .

﴿ أخبار القادسية ﴾

لمادهم أهل فارس من المسلمين بالسوا مادهمهم وهم مختلفون اجتمع عظماؤهم وقالوا لرستم ومنافسه الفيرزان . أما أن تجتمعا ، والا فنحن لكما حرب ، فقد عرضتمونا للهلكة ، وما بعد بغداد الا المدائن ففزعا الى بوران يسألانها في ولد من كسرى يوليانه عليهم فاحضرت النساء والسرارى وبسطوا عليهن العذاب حتى استدلوا على يزدجرد وكانت أمه قد هربته عند اخواله فاحضروه وكان ابن احدى وعشرين فولوه الامر واجتمعوا عليه وانقطع النزاع والمنافسة وتباري المرازبة فى طاعته فعين المسالح والجنود لكل ثغر ومنها الحيرة والابلة والانبار وخرجوا اليها من المدائن —

كتب المثنى بذلك الى عمر ، وبينا هو ينتظر الجواب انتقض اهل السواد وكفروا من كان له عهد ومن لم يك له عهد ، فاضطر المثنى الى أن يخرج على حامية وينزل بذى قار ومعه الناس وكان شيئا من تلك الفتوح لم يكن

ولما وصل كتاب المثنى الى عمر قال والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيسا ولا ذا رأى وشرف وبسطة ، ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به. وكتب الى المثنى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرق في المياه بحيالهم على الحدود بين العرب والعجم وان يدعوا الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرها ـ وكتب الى عماله من العرب أن يبعثوا اليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى ، وخرج الى الحج سنة ١٣ ورجع فجاءته افواجهم الى المدينة ، ومن كان الى العراق أقرب انضم الى المثنى .

فلما اجتمعت عند عمر أمداد العرب خرج من المدينة واستخلف عليها عليا ، وعسكر بناحية من نواحيها وانبهم أمره على الناس ، ولم يطق أحد سؤاله فسأله عثمان ، فاحضر الناس واستشارهم فى المسير الى العراق ، فقال له العامة : سر ونحن معك ، فوافقهم ، ثم رجع الى أصحاب النبى وأحضر عليا وطلحة والزبير وعبد الرحمن واستشارهم فاشاروا بمقامه وأن يبعث واحدا بعده آخر من الصحابة ويرميه بالجنود حتى يفتح الله على المسلمين ويهلك عدوهم ، فقبل ذلك ورأى فيه الصواب وعين لذلك سعد بن أبى وقاص ، وكان على صدقات هوازن فأحضره وولاه حرب العراق ، وأوصاه ثم سرحه فى أربعة آلاف ممن اجتمع اليه فيهم عمرو بن معديكرب الزبيدى ، ثم أمده بعد خروجه بالفى يمانى والفى نجدى وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه

فمات المثنى قبل ذلك من جراحه انتقضت عليه واستخلف على الناس وأمر عمر بنى أسد أن ينزلوا على حد أرضهم فنزلوا فى ثلاث

آلاف ، ثم لحق الاشعث بن قيس سعدا في ألف وسبعمائة ، وانضم اليهم من انضم حتي كان جميع من شهد القادسية من المسلمين بضعة وثلاثين الفا ، ولم يك أحد أجرأ علي أهل فارس من ربيعة .

ثم عبى سعد الكتائب ، وأمر الامراء وسارت مقدمته حتي انتهت الى العذيب ، أما هو فقد سار على تعبئته ولقيه المعني بن حارثة وكان قد سار بعد موت أخيه الي طليعة من طلائع الفرس بالقادسية فأوقع بها ورجع الي سعد بعلمه برأي المثنى له وللمسلمين . يشير عليهم بأن يحاربوا العدو بين القادسية والعذيب ويأمرهم أن يقاتلوا الفرس على حدود أرضهم ، علي أدنى حجر من أرض العرب ، ولايقاتلوهم بعقر دارهم ، فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم ، وان كانت الاخرى رجعوا الي فئة ، ثم يكونون أعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم الى أن يرد الله الكرة عليهم ، فترحم سعد ومن معه على المثنى ، وجعل المعنى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيرا وتزوج سلمى زوج المثنى — ثم وصله كتاب عمر بمثل رأي المثنى ، فمازال على تعبئته حتي وصل الي العذيب ومنها الى القادسية .

وهنالك جاءه كتاب عمر يقول : انى ألقى في روعي انكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم ، ثم أكد عليهم في الوفاء بالأمان ولو كان اشارة أو ملاعبة

﴿ أول ماكان من الحرب ﴾

كان زهرة بن عبد الله على مقدمة سعد فبعث سرية في ثلاثين من أهل النجدة ، وأمرهم بالاغارة على الحيرة ، وبينما هم في الطريق اذا بأخت

مرزبان الحيرة تزف الى بعلها. فحمل أمير السرية على ابن المرزبان فدق صلبه، وحملوا الاثقال والفرس فى ثلاثين امرأة ومائة من التوابع ومعهم مالايعرف قيمته ، ورجعوا بكل ذلك الى سعد بالعذيب فقسمه في المسلمين

ولما نزل سعد القادسية اقام شهرا يشن الغارات ولا يأتيه خبر من الفرس فاستغاث أهل السواد الى يزدجرد وأعلموه أن العرب نزلوا القادسية وقد أخربوا مابينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمة ، وان ابطأعنا الغياث أعطيناهم بأيدينا ، فارسل الى رستم ودفعه لهذا الوجه فتقاعد عنه وقال ليس هذا من الرأى ، وبَعْثُ الجيوش يعقب بعضها بعضا أولى من مصادمة مرة ، فأبى يزدجرد الا مسيره لذلك ، فخرج رستم وهو كالمكره ، وأرسل الى سعد يسأله توجيه بعض أصحابه اليه (للتفاهم) فوجه المغيرة بن شعبة فقصد قصد سريره ليجلس عليه فمنعته الاساورة من ذلك ، ثم تكلم رستم بكلام كثير ثم قال : قد علمت انه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ماتتمنون با وننصرفكم ببعض ماتحبون ، فقال له المغيرة فى حديثه ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه ؛ فان فعلت ولا فالسيف بيننا وبينكم ، فتميز رستم غضبا ثم قال: والشمس والقمر لايرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم اجمعين ، فحوقل المغيرة وانصرف وكان على فرس له مهزول ، وعليه سيف معلوب ملفوف عليه الخرق

﴿ دعوة كسرى الى الاسلام ﴾

وكتب سعد الى عمر بما كان من استعداد الفرس فكتب اليه لايكربنك مايأتيك عنهم ، ولامايأتونك به ؛ واستعين بالله وتوكل عليه، وابعث رجالا من أهل الرأى والجلد يدعون عظيم الفرس الى الاسلام .

فوجه سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن، وقيس بن زرارة والاشعث ابن قيس، وعمرو بن معديكرب ، والمغيرة بن شعبة ؛ والمعنى بن حارسة، فمروا برستم فاتى بهم ، فقال أين تريدون ؟ قالوا صاحبكم ، فجري بينهم كلام كثير حتى قالوا أن نبينا قد وعدنا ان نغلب على ارضكم ، فدعا بزنبيل من تراب فقال هذا لكم من أرضنا ، فقام عمرو مبادرا فبسط رداءه وأخذ من ذلك التراب فيه ،وانصرف فقيل له مادعاك الى ماصنعت ، فقال تفاءلت بان أرضهم تصير الينا ونغلب عليها

ثم تركوا رستم وأتوا كسري ، فلما أذن لهم قال لترجمانه : سلهم ماجاء بكم وما أولعكم بغزونا ، أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فتكلم النعمان وكان من حديثه : ونحن ندعوكم الى ديننا ، فان أبيتم فامر أهون من ذلك وهو الجزية ، فان أبيتم فالمناجزة

فقال يزدجرد : انى لا أعلم امة فى الارض كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم ، وقد كان اهل الضواحى يكفوننا أمركم ، فلا تطمعوا أن تقوموا للفرس ، فان كان بكم جهد أعطيناكم ، وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم —

فقام قيس وقال ومن قوله : أماماذكرت من سوء الحال فهى على

ماوصفت وأشد ، ثم ذكر نحو ماذكره النعمان وطلب احدي الثلاث فغضب وأمرهم بالانصراف وقال لولا أن الرسل لاتقتل لقتلتكم واستدعى بوقر من تراب وقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتي يخرج من باب المدائن ، ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسيه ، ثم اورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم باشد مما نالكم من سابور ، فرجع القوم الي سعد وقالوا له ابشر فوالله لقد اعطانا الله تراب ارضهم ،

(عود) ـ وفى خلال هذا كانت سرايا سعد لاتنقطع حتى أخصب المسلمون من كثرة الغنائم

وتقدم رستم الى النجف وهنالك رأى رؤيا أصبح منها حزينا وكان منجما ، وسمع سعد بتقدمه فارسل طليحة الاسدى وعمرو بن معد يكرب طليعة فى عشرة ، فلم يسيروا الا قليلا فرأوا مسالحهم ، فرجع عمرو ومن معه وأبى طليحة ومضى حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ثم خرج فنذر به الناس فركبوا فى طلبه فما زال يقتل كل من لحقه حتى تمكن من أسر آخرهم ، ودخل على سعد به فاخبر الاسير سعدا بالفرس وعددهم وأسلم ولزم طليحة وكان من أهل البلاد بالقادسية .

ولما نزل رستم القادسية تلاحق به الناس حتى أعتموا من كثرتهم والمسلمون ممسكون عنهم ولما أصبح ركب واشرف على بعض أمراء السرايا من المسلمين وعرض اليه بالصلح على أن يجعل له جعلا فقال له أنا لم نأتكم لطلب الدنيا ـ فارسل الى سعد أن ابعث لنا رجلا نكلمه

ويكلمنا، فارسل اليه ربعي بن عامر فاقبل على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد ، واقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع نمرقا ولا بساطا الا أفسده وهتكه ، فلما قرب من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط ، ثم قال له ترجمان رستم ، ماجاء بكم ؟ قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام وأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وارضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة أو الظفر ، فسأله رستم أن أنظرونا ، فانظره ثلاثة ليختار احدى ثلاث وأنا كفيل عن أصحابى فقال . أسيدهم أنت ؟ قال لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقالوا معاذ الله أن نميل لدين هذا الكلب فقال ويحكم لاتنظروا الى الثياب ولكن أنظروا الى الرأى .

ولما كان الغد طلب رستم من سعد ذلك الرجل فبعث اليه حذيفة ابن محصن فوقف على رستم راكبا ولم ينزل فسأله كما سأل الاول فاجاب اجابته فقال والمواعده الى متى قال الى ثلاث من أمس والصرف وحاص رستم باصحابه يعجبهم من شأن القوم .

وفى الغد أرسل الي سعد فجاءه المغيرة بن شعبة وأقبل حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه فقال قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم ، انا معشر العرب لانستعبد بعضنا بعضا — ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس وسلطانهم وصغر من أمر العرب ثم قال ولم يحملكم على ماصنعتم الامابكم من الجهد ـ ولست أشتهى

قتلكم ـ فقام المغيرة ورد عليه وذكر الاسلام أو الجزية أو القتال ثم قال ان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لاصبر لنا عنه فقال رستم اذا نموتون دونها ، فقال المغيرة يدخل من قبتل منا الجنة ومن قتل منكم النار فاستشاط رستم غضبا وحلف لايرتفع الصبح غدا حتي نقتلكم اجمعين فانصرف المغيرة . وخلا رستم باهل فارس وعرض عليهم مصالحة القوم وحذرهم عاقبة حربهم فلجوا ، وبعث اليه سعد يعرض عليه الاسلام ويرغبه فيه فلم يقبل . وقال أتعبرون الينا أم نعبر اليكم فقالوا له بل اعبروا الينا ورجعوا الى سعد فدعا الناس الى الاستعداد

﴿ كيف التحمت الحرب ﴾

ثم ان علافة المسلمين لقيت خيلا للاعاجم فأغاثت الاعاجم خيلها وأغاث المسلمون علافتهم فالتحمت الحرب بين الفريقين ودامت ثلاثة أيام وليلة يقال لليوم الاول يوم أرماث ولليوم الثانى أغواث وللثالث عماس ، ولليلة ليلة الهرير

﴿ يوم أرماث ﴾

أقام الفرس جسرا أوسدا على العتيق من الفرات وعبر رستم عليه وعبر عسكره ، وأخذ المسلمون مصافهم واختط سعد قصره وكان به عرق النساء واصابته معه دماميل لايستطيع معها الجلوس فصعد

على سطح القصر يشرف على الناس فعابه بعضهم فنزل واعتذر اليهم وأراهم مابه فعذروه ، واستخلف خالد بن عرفطة وحبس من شغب عليه في القصر وقيدهم ، وكان فيهم أبو محجن الثقفي حبسه لشربه الخمر ؛ ثم خطب الناس وحثهم على الجهاد وذلك فى المحرم سنة ١٤ ، ثم أرسل جماعة من أهل الرأى لتحريض الناس على القتال، مثل المغيرة وطليحة وعمرو ، ومن الشعراء الشماخ والحطيئة ففعلوا ، ثم قال انى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، فاذا سمعتم الثانية فكبروا وأتموا عدتكم ، فاذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس ، فاذا سمعتم الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لاحول ولا قوة الا بالله، فلما كبر الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال،وخرج أمثالهم من الفرس فاعتوروا الطعن والضرب وارتجزوا الشعر، وطلب البراز بعض الاساورة فبرز اليه عمرو بن معديكرب فأخذه وجلد به الارض فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته ، وحملت الفيلة عليهم فنفرت الخيل وفرقت بين الكتائب ، وقصدت الفرس بجيلة فكادت تهلك فأرسل سعد الى بنى أسد أن دافعوا عن بجيلة ، فجاء طليحة وحمل بن مالك فردوا الفيلة وقتل كل منهما عظيما من عظماء الفرس ، وعير الاشعث كندة بما يفعله بنو أسد فاستشاطوا ونهدوا معه فأزالوا من بازائهم ، ثم حمل الفرس حملة واحدة فكبر سعد الرابعة فزحف المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد ، فأرسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى هل من حيلة لهذه الفيلة فبعث الرماة يرشقونها بالنبل وبعث آخرين فقطعوا الوضن، فاشتد عواء الفيلة وولت وقتل أصحابها ، ونفس عن أسد وردوا فارس الى

مواقفهم وظل القتال حتى غربت الشمس ودخل الليل ورجع هؤلاء وهؤلاء .

﴿ يوم أغواث ﴾

وأصبح سعد فدفن القتلى وأسلم الجرحى الى نسائه يقمن عليهم، واذا بنواصى الخيل طالعة من الشام ، أرسلها أبو عبيدة بأمر عمر بعد فتح اليرموك أو دمشق، وعليهم هاشم بن عتبة كما أشرنا الى هذا فيما سبق ، فخرج بهم هاشم وعلى مقدمته القعقاع الذى أسرع فوصل قبل الجند فى الف فسلم وبشر ببقية جند العراق وحرض صحبه على القتال، وطلب البراز فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى با لثارات أبى عبيد وسليط واصحاب الجسر ، وتضاربا فقتله القعقاع ووهنت العجم لذلك ثم طلب البراز فخرج اليه الفيرزان والبندوان فانضم الى القعقاع أحد بنى تيم اللات وقتل كل منهما مبارزه ، وأكثر المسلمون القتل فى الفرس، ثم انه كان كلما طلعت قطعة من أصحابه كبروكبر المسلمون، ويحمل ويحملون وحمل بنو عم للقعقاع عشرة عشرة على ابل قد ألبسوها وهي مجللة مبرقعة واطافت بهم خيولهم تحميهم وأمرهم أن يحملوها على خيل الفرس ففعلوا فنفرت منها خيل الفرس ، وركبتها خيل المسلمين ، ولقي الفرس من الابل أعظم مما لقى المسلمون من الفيلة ولما انتصف النهار وتزاحف الناس اقتتلوا الى انتصاف الليل وقتلوا عامة أعلام فارس — وجالت فيه خيل القلب فلولا أن خيلهم عادت أخذ رستم أخذا .

يوم عماس

ثم أصبحوا فى اليوم الثالث على مواقفهم ، وبين الصفين الفان من قتلى المسلمين وعشرة آلاف من قتلى المشركين فدفن المسلمون قتلاهم وأسلموا جرحاهم الى النساء وبقى قتلى المشركين بين الصفين وبات القعقاع يعبى أصحابه فلما ذر قرن الشمس أقبل القعقاع وأصحابه فتقدموا وتكتبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن، والمدد متتابع فما جاء آخر اصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم فعبى أصحابه وكان فيهم قيس بن المكشوح المرادى الذى اخترق الصفوف وأبلى بلاء حسنا، واقبلت رجالة الفرس مع الفيلة يحمونها ، أن تقطع وضنها، ومع الرجالة فرسان يحمونهم ، فلم تنفر خيل المسلمين منها كما نفرت بالامس . غير ان الفيلة من شدة الضرب ولت مدبرة فخلص المسلمون والفرس واجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء

﴿ ليلة الهرير وقتل رستم ﴾

أرسل سعد طليحة وعمرا ليلة الهرير الى مخاضة أسفل العسكر ليقوما عليها خشية ان يأتيه القوم منها فتشاورا أن يخوضاها ويأتيا الاعاجم من خلفهم ، فجاء طليحة وراء العسكر وكبر فارتاع أهل فارس وطلبوا طليحة فلم يدركوه ، أما عمر فأغار أسفل المخاضة ورجع ثم تزاحف الناس من غير اذن سعد زاحفهم القعقاع وقومه فحمل عليهم ثم حمل بنو أسد ثم النخع ثم بجيلة ثم كندة ، وسعد يقول فى كل واحدة اللهم

اغفر لهم وانصرهم، ولحق الناس بعضهم بعضا واختلطوا وصليل الحديد كصوت القيون (جمع قين) الى الصباح وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم ، وحمل الناس من كل جهة على من يليهم وظل القتال قائما الى الظهيرة ، ثم هبت ريح عاصف فقلبت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق ، وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير وقد قام رستم عنه فاستظل فى ظل بغل وحمله ، وضرب هلال بن علفة الحمل فوقع أحد العدلين على رستم فكسر ظهره ، فمض رستم نحو العتيق ورمى بنفسه فيه فاقتحم وراءه هلال وجره برجله وقتله وصعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الىّ الىّ فاطافوا به وكبروا فانهزم قلب المشركين . وقام الجالينوس على السد ونادي الفرس الى العبور فتهافت المقترنون بالسلاسل فى العتيق من الفرات فهلكوا ، وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس العظمى فعوض منها ثلاثين ألفا . وقتل فى ذلك اليوم من الاعاجم في المعركة غير من قتلوا فى اليوم كله، ومن قتلوا ليلة الهرير، وجمع من الاسلاب والاموال مالم يجمع قبله ولا بعده مثله - وأمر سعد بتتبع المنهزمين فلحق زهرة ابن حيوة بالجالينوس فقتله وأخذ سلبه

وكان ممن هرب من أمراء الفرس الهرمزان وهو قاتل سيدنا عمر وستأتى له أخبار. ثم كتب سعد الى عمر بالفتح وبمن أصيب من المسلمين ، وكان عمر يسأل الركبان حين يصبح الى انتصاف النهار ، ثم يرجع الي أهله، فلما ألقى البشير قال من أين ؟ فأخبره فقال : حدثنى

فقال هزم الله المشركين وعمر يخب معه ويقول : يسأله والآخر يسير على ناقته لايعرف عمر حتى دخل المدينة واذا الناس عليه بأمرة المؤمنين. فقال البشير هلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ! فقال عمر لابأس عليك ياأخي

انتهت أخبار القادسية بانتصار المسلمين على الفرس بعد جهاد وجلاد ومصابرة وبلاء من الطرفين لايكاد يستوعبه وصف واصف ، وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ابين ، وفيما بين الابلة وأيله ، يرون ان المسألة مسألة حيات أو موت، والامر أمر ثبات ملك أو زواله ، وكانت كل البلدان مصيخة اليها تنظر مايكون شأنها ، فلما انتهت بفوز المسلمين سارت بها الركبان الى جميع الآفاق واسرعت أخبارها اسراع البرق حتى لقد زعموا ان الجن سبقت بها أخبار الانس.

هذا وفي ثنايا أيام القادسية حصلت حوادث طريفة لابأس بأن نذكر منها

(١) انه لما حال الناس يوم ارماث وكان سعد لايطيق الجلوس جعل يتململ جزعا فوق القصر ، فلما رأت سلمى التي تزوجها (وهي امرأة المثنى) مايصنع الفرس قالت وآمثنياه ولامثنى للخيل اليوم ، فلطم سعد وجهها وقال أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحا يعني بعض أهل البلاء ، فقالت أغيرة وجبنا . فقال والله لايعذرني اليوم احد ان لم تعذريني وأنت ترين مابي ، فتعلقها الناس لم يبق شاعر الا اعتمد بها عليه ، وكان غير جبان ولاملوم .

(٢) انه لما اشتد القتال يوم أغواث كان أبو محجن الثقفي قد حبس وقيد فهو في القصر ، فقال سلمى هل لك ان تخلّين عني وتعريني البلقاء ، فلله على ان سلمني الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي فابت فقال شعرا فرقت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها حتي كان بحيال الميمنة فكبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنة الفرس وكان يقصف الناس قصفا منكرا ، وتعجب الناس منه وهم لايعرفونه ، وكان سعد يقول لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل القصر وعاد رجليه في القيد وقال شعرا سمعته سلمى فلما أصبحت صالحت سعدا وكانت مغاضبة له فاطلقه وقال والله لاحبستك أبدا فقال له والله لاشربتها أبدا .

هذا والعجب ان ينتصر العرب وهم فئة قليلة على الفرس وهم أهل العدد الكثير والعدد الوفيرة والاستعداد الوافي من الزاد والذخيرة وقرب الدار ، وسهولة الاستمداد . ولاعجب من أمر الله الذي يوفق أهل الحق حتى يصرعوا دعاة الباطل « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » غير أن هنالك أسبابا للهزيمة لاتكاد تخفى

(١) ان رستم خرج الى الحرب كالمكره كما علمت .

(٢) انه من أجل ذلك كان يماطل ويطاول خوفا وتقية حتى يقل من حدة قومه ؛ بل كان يخشى ان يلقي مالقي من قبله فجبن عن النزال لولا ماجعل الملك يستعجله وينهضه فهو حينئذ مسوق الى الحرب

مجبر لاراغب فيها مخير .

(٣) انه كثيرا ماكان ينصح قواده وجنده بمصالحة العرب ويحذرهم عاقبة حربهم ، وكان يقول لهم بعد انصراف رسل المسلمين من عنده أين هؤلاء منكم ، هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين — أطيعونى ياأهل فارس انى لأرى لله فيكم نقمة لاتستطيعون ردها — أى ان رستم كان مخذلا لامحرضا — وانما كان يجيب رسل المسلمين بالشدة دفعا للتهمة والا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين ، وقد اظهر ذلك الى من يثق به .

(٤) ان رستم كان من المنجمين الذين يتفاءلون ويتشاءمون حتى من أضغاث الاحلام، ولقد رأى ليلة من الليالى كأن ملكا ينزل من السماء فأخذ قسى اصحابه فختم عليها ثم صعد الى السماء ، فاستيقظ مهموما ، واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا لو اتعظنا ، وقد تشاءم جدا حينما أمر رسل المسلمين بحمل التراب من أرض فارس فحملوه .

هذه نفسية القائد العام لجيش الفرس فهل ينتظر ان يضع تدبيرا محكما ، وان يرسم خطة موفقة او يهجم بقلب يتوقد حمية وغيرة على اهله ووطنه وهو يري أنه مهما صنع مهزوم .

وعليه فالسبب القوى فى هزيمة الفرس يوم القادسية يرجع الى سوء القيادة العامة ، والله ولى المتقين .



﴿ ما بعد القادسية ﴾

اقام سعد بعد القادسية شهرين ثم كتب اليه عمر بالمسير الى المدائن فسار الى جهة بابل وهزم فلول الفرس المجتمعين اليه فى نواح مختلفة، وفر الهرمزان نحو الاهواز فاستولى عليها. والفيرزان نحو نهاوند فاستولى عليها مما يدل على ان البلاد اصبحت فى فوضى وكل من غلب على ناحية فهو ملكها

﴿ فتح المدائن الدنيا ﴾

ثم قدم سعد مقدمانه الى بَهُرَسير وهي المدينة العتيقة وهى المدائن الدنيا من الغرب ، ثم وصل سعد اليها والمسلمون فرأوا الايوان فقال بعضهم الله أكبر ، أبيض كسري هذا ماوعد الله ورسوله ، ثم حاصروها، وفى خلال ذلك أغاروا على من ليس له عهد ، ودعا سعد الدهاقين الى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة والمنعة فتراجعوا على الجزاء والمنعة ، ولم يبق غربى دجلة الى أرض العرب سوادي الا آمن وأغتبط بملك الاسلام

وما زال المسلمون يحاصرن بَهُرَسير ويرمون أهلها بالمجانيق ويقاتلونهم بكل عدة حتى ضاقوا ذرعا فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية ، فنهد المسلمون الى المدينة فما وجدوا فيها شيئا ولا أحدا

﴿ فتح مدائن الايوان ﴾

أقام المسلمون أياما ببهرسير ودجلة فى فيض عظيم تقذف بالزبد الى ان جاء علج فقال لسعد مايقيمك ؟ لاتأتى عليك ثالثة حتى يذهب يزدجرد

بكل شيء في المدائن، فهيجه ذلك على العبور، فجمع الناس وقال قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم ، ، فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل ، فقال من يبدأ فانتدب له عاصم بن عمر وفي ستمائة من أهل النجدة فتقدمهم عاصم في ستين فارسا جعلهم على خيل ذكور وأناث، ثم اقتحموا دجلة وتلاحق الستمائة بالستين غير متعتعين ، فأذن سعد للناس بالاقتحام فاقتحموا وتلاحقوا في دجلة وانهم ليتحدثون كما يتحدثون في البر، ولم يغرق احد غير ان باربقيا زال عن ظهر فرسه فأخذ بيده القعقاع فاخرجه سالما

أما الفرس فقد أتاهم أمر لم يكن في حسابهم ، فخرجوا هاربين نحو حلوان ، وكان يزدجرد قد قدم عياله وما قدر عليه من خير متاعه وخفيفه ، وتركوا مالا يدرى له قيمة ؛ وكانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة ، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف — فكان أول من دخل المدائن كتيبة عاصم، ثم كتيبة القعقاع ، فأخذوا في سككها لا يخشون فيها أحدا يلقونه الا من كان في القصر الابيض ، فأحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا لهم على تأدية الجزية والذمة ، فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم الا آل كسرى ومن خرج منهم ونزل سعد القصر الابيض، وكان سلمان الفارسي رائد المسلمين وداعيتهم وانخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيه من التماثيل ، ولما دخل قرأ: «كم تركوا من جنات وعيون» الى آخر الآيات ، وكان أهل المدائن قد نهبوها وفروا ، ولكن المسلمين قطعوا عليهم الطرق فما فلت أحد منهم بشيء الا أدركه الطلب ، ومن أخص ذلك ما كان من

ان جماعة من المسلمين أدركوا نفرا من الفرس على جسر النهروان ، فوقع لهم بغل في الماء فعجلوا عليه وكلبوا، فجالدهم المسلمون عليه فأخذوه وفيه حيلة كسرى ثيابه وخرزانه ووشاحه ودرعه التي فيها الجواهر ، وكان يجلس فيها للمباهاة ، ثم أخذ آخرون بغلين آخرين فاذا فوق احدهما سفطان فيهما تاج كسري مرصعا وفيه الجوهر ، وعلى الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى — وأدرك القعقاع فارسيا فقتله وأخذ منه عيبتين فيها أدراع منها درع كسرى ودرع هرقل ودرع خاقان وغيره استلبها الفرس في غزوهم ، ومع العيبتين غلافان فيهما ستة أسياف من سيوف كسري وهرمز والنعمان وهرقل وخاقان وغيره ، فاحضر الجميع عند سعد فخيره فاختار سيف هرقل ، وبعث بسيف كسري وسيف النعمان الى عمر لتسمع العرب بذلك لمعرفتهم بها ، ونقل الباقي فى كتيبة القعقاع - وهكذا كل من أدرك شيئا أتى به الى صاحب الانفاض حتى قال سعد . لولا ماسبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر .

فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفيء بين الناس بعد ماخمسه ، وأرسل فى الخمس كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وأراد اخراج الخمس من القطيف وهو بهار كسرى فلم تعتدل قسمته ، فقال للمسلمين هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخماسه ؟ فرضوا فبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء . والقطيف بساط واحد طوله ستون ذراعا فى مثلها مقدار جريب ، كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض فيه طرق كالصور ، وفيه فصوص كالانهار أرضها مذهبة وخلال ذلك

فصوص كالدر ، وفى حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب ، وزهرة الذهب والفضة وثمرة الجوهر وأشباه ذلك .

فلما قدمت الاخماس على عمر نقل منها من غاب ومن شهد من أهل البلاء ، ثم قسم الخمس فى مواضعه ، وقال اشيروا علىّ فى هذا القطيف فاشار عليه على بتقطيعه بين الناس فقطعه فاصاب عليا قطعة منه باعها بعشرين الفا وماهى بأجود قطعة .

﴿ فتح جلولاء وحلوان ﴾

لما انتهى الفرس بعد الهرب من المدائن الى جلولاء وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس ، أراد اهل كل جهة أن يقصدوا الى بلادهم للدفاع عنها ، فتزامروا وقالوا لو افترقنا لم نجتمع أبدا ثم اتفقوا على أن يجتمعوا للعرب فى جلولاء ، فاحتفروا خندقا واجتمعوا فيه وتقدم يزدجرد الى حلون فنزلوا بها ورماهم بالرجال وخلف فيهم الاموال فاقاموا وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد الاطرقهم فاستشار سعد الخليفة فاشار عليه ان يقدم وان يسرح هاشم ابن اخيه عتبة الى جلولاء وان يجعل على مقدمته القعقاع ، ففعل وسار هاشم من المدائن فى اثنى عشر الفا منهم وجوه الانصار والمهاجرين واعلام العرب ممن كان قد ارتد ومن لم يرتد ، فحاصرهم في خنادقهم ، واحاط بهم وطاولهم الفرس وزاحفهم المسلمون ثمانين يوما ، ثم خرج الفرس آخر الايام فقتل المسلمون منهم أكثر من ليلة الهرير الا انه كان

أعجل، وهبت عليهم ريح أظلم بها الجو فسقطت فرسانهم في الخندق ففسد كحصن ، وعلم المسلمون فحملوا عليهم ففروا يمنة ويسرة وهلكوا فيما أعدوا من الحسك ، وعقرت دوابهم فعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا من لايعد ، وجللت القتلى ميدان القتال ، ولذلك سميت جلولاء الوقيعة بما جللها من قتلاهم ، وسار القعقاع فى طلبهم حتى بلغ خانقين

أما يزدجرد فقد فر من حلوان نحو الرى ، وقدم القعقاع فنزلها من بعده ، وبقي بها الى ان تحول سعد الى الكوفة ، وكتبوا الى الخليفة بالفتح وبنزول القعقاع حلوان ، وأرسلوا الخمس اليه فقسمه من ليلته

﴿ فتح تكريت والموصل ﴾

وتجمع بتكريت بعض الروم واياد وتغلب والنمر فبلغ سعد ذلك فكتب الى الخليفة فكتب اليه بحربهم فوجه اليهم جيشا عليه عبد الله ابن المعتم فحاصرهم أربعين يوما . ثم أرسل الى العرب المناصرين للروم يدعوهم الى نصرته فقبلوا ، وما هو الا أن جند الروم فروا وتركوا أمراءهم في فئة الخنادق فأرسل العرب اليه بالخبر وسألوه الامان واعلموه انهم معه واسلموا، فتقدم المسلمون الى خنادق الروم وكبروا فأخذ العرب الذين أسلموا أبواب الخندق عليهم فلما أراد الروم الفرار أخذتهم السيوف فلم يفلت منهم أحد ، ثم تقدم المسلمون الى الموصل فصالحهم أهلها وصارت جميع أعمال الموصل للمسلمين

غزو فارس من البحرين

كان العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين قد أراد ان يؤثر في الفرس شيئا ، لان ظفر سعد بالقادسية أعظم مما صنعه العلاء بالبحرين فندب الناس الى فارس فأجابوه وفرقهم أجنادا فعبروا البحر الى فارس بغير اذن من عمر ، فخرجت الجنود الى اصطخر فحال الفرس بينهم وبين سفنهم فقاتل المسلمون مستميتين حتى قتلوا من الفرس مقتلة عظيمة ، واتجهوا نحو البصرة طلبا للنجاة فأخذ الفرس عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا ، ولكن الخليفة تداركهم فارسل الى عتبة بن غزوان وهو بالبصرة ان ينقذهم ، فارسل عتبة اثني عشر ألف مقاتل فادركوا المسلمين والفرس قد تداعوا اليهم من كل جهة فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتلوا وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ولولا انهم تدوركوا لبادوا عن آخرهم ، وتلك من غلطات العلاء ولذلك صرفه الخليفة

فتح الاهواز والسوس

اشرنا فيما سبق الى أن الهرمزان لما انهزم يوم القادسية قصد خوزستان وقاعدتها الاهواز فملكها ، وكان أصله من البيوتات السبعة في فارس ، ثم أقام يغير على ثغور البصرة فاستمد عتبة سعد فأمده والتقى المسلمون بالهرمزان فانهزم وفر ، ثم طلب الصلح على أن تكون له نواح عينها فأجيب ، ثم حصل بينه وبين المسلمين خلاف على الحدود فنقض

ومنع ماقبله وكشف جنوده ، فبعث اليه عتبة جيشا وهزمه ففر وطلب الصلح على مابقى من البلاد ، وكان يزدجرد فى خلال ذلك يمده ويحرض أهل فارس حتى اجتمعوا له ، فارسل سعد النعمان بن مُقَرِّن فى جند كثيف نزلوا منازل الهرمزان ، فلما بلغ الهرمزان مسير النعمان اليه بادره بالشدة ولقيه ولكنه انهزم الى تستر ، ثم سار أبو موسى الأشعرى فى جند البصرة فاتى تستر ولحقه بها النعمان فحاصروا الفرس بها أشهرا واكثروا فيهم القتل ، وزاحفوهم ثمانين زحفا حتى انهزموا ، واقتحم المسلمون خنادقهم واحاطوا بها وضيقوا عليهم الحصار ، فاستأمن بعضهم من داخل البلد بمكتوب فى سهم على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه فاجابوه ،ودخلت طائفة من المسلمين المدينة من ذلك المدخل بدلالة هذا المستأمن وملكوها وقتلوا المقاتلة ، وتحصن الهرمزان بالقلعة فاطافوا به واستنزلوه على حكم عمر ، فنزل فاوثقوه واقتسموا الفىء وأرسل أبو سبرة بن رهم : وكان على الجند الهرمزان الى عمر فى وفد منهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج المذهب وتاجه مرصعا بالياقوت وحليته ليراه المسلمون فلما رآه عمر أمر بنزع ماعليه وقال ياهرمزان كيف رأيت أمر الله وعاقبة الغدر ؟ فقال ياعمر أنا وايا كم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما صار الآن معكم غلبتمونا قال فما حجتك وما عذرك فى الانتقاض مرة بعد أخرى ، قال أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك قال لاتخف ذلك ، ثم استسقى فأتى بالماء فقال انى أخاف أن أقتل وانا أشرب ، فقال لابأس عليك حتى تشربه ، فألقاه من يده

وقال لا حاجة لى فى الماء وقد أمنتنى ، قال كذبت،قال أنس صدق ياأمير المؤمنين فقد قلت له لابأس عليك حتى تخبرنى وحتى تشربه،وصدق الناس فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتنى لا والله الا أن تسلم فاسلم ففرض له وأنزله المدينة .

﴿ مسير المسلمين الى الفتح فى فارس ﴾

ولما جاء الأحنف بن قيس بالهرمزان الى عمر قال له ياأمير المؤمنين لايزال أهل فارس يقاتلون مادام ملكهم فيهم فلو أذنت بالانسياح في فى بلادهم فازلت ملكهم انقطع رجاؤهم ، فعقد سبعة الوية (١) لواء خراسان للاحنف (٢) لواء أردشير خره وسابور لمجاشع السلمى (٣) لواء اصطخر لعثمان بن ابى العاصى الثقفى (٤) لواء فساو داربجرد لسارية الكنانى (٥) لواء كرمان لسهيل بن عدى (٦) لواء سجستان لعاصم بن عمرو (٧) لواء مكران للحكم التغلبى فساروا فى بلاد العجم وفتحوا ولم ينهزم لهم جند جميعا

﴿ أين يزدجرد ؟ ﴾

قدمنا ان يزدجرد كان قد أجفل من حلوان الى الرى ، ثم انه بعد ذلك سار الى اصبهان ومعه الناس ثم الى كرمان، ثم قطع الى مرو بخراسان فنزلها وامن العرب ، وكاتب الهرمزان واهل فارس بالاهواز والفيرزان واهل الجبال فنكثوا جميعا ثم هزمهم الله وخذلهم على مارأيت وما سترى .

(نهاوند وما بعدها)

لما فتحت الاهواز كان يزدجرد بمرو ، فكاتبوه واستنجدوه ، فبعث الى الملوك مابين السند وخراسان وحلوان يستمدهم فاجابوه واجتمعوا الى نهاوند وعلى الفرس الفيرزان فى مائة وخمسين الفا ـ فلما سمع عمر بخبر الأعاجم جمع الناس واستشارهم ان يسير بنفسه فاتفق رأيهم على ان يبعث الجنود ويقيم ردءا لهم ، فولى على الحرب النعمان بن مُقَرن المزنى ، وكان على جند الكوفة ، وامره ان يسير الى الفيرزان وكتب الى الذين بالاهواز أن يقيموا بتخوم اصبهان وفارس ، ويقطعوا المدد عن أهل نهاوند ـ ثم اجتمع الناس على النعمان فارسل طليحه وعمرو بن معد يكرب طليعة فانتهى الأول الى نهاوند ، وعاد فاخبر الناس بما رأي ، فرحل النعمان وعبى المسلمين وجعل على المقدمة نعيم بن مقرن ، أما الفرس فقد توافي اليهم كل من غاب عن القادسية من أبطالهم فلما تراءى الجمعان كبر المسلمون وحطت العرب الاثقال ، ثم تزاحفوا للقتال يومين والحرب سجال ، ثم احجزوهم في خنادقهم فى اليوم الثالث وحاصروهم أياما حتي سئم المسلمون اعتصامهم بالخنادق وتشاوروا ، فاشار طليحة باستخراجهم للمناجزة بالاستطراد فناشبهم القعقاع ثم أظهر الهزيمة فبرزوا اليه من خنادقهم كانهم حبال حديد قد تواثقوا الا يفروا ، والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا ، فاستطرد القعقاع لهم حتي فارقوا الخنادق ، فانقض عليهم المسلمون وثبتوا وصبروا فانفض الأعاجم وانهزموا


الفتح الاسلامي
في بلاد الاشاعرة والماتريدية
ورسم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم
بلاد الروم
بلاد الترك
ما وراء النهر
الصغد
بخارى
بلخ
طخارستان
زابلستان
الهند
كرمان
مكران
البحر الاخضر
طبرستان
قزوين
الري
همدان
قم
كاشان
اصبهان
الطبسان
نيسابور
مرو
هراة
سرخس
جرجان
استراباد
الدينور
نهاوند
جلولاء
المدائن
الانبار
القادسية
الكوفة
العذيب
البصرة
الاهواز
تستر
خوزستان
شيراز
ارد شير خرة
فسا
دارابجرد
فيروزاباد
سيراف
جنابة
بست
زرنج
حلب
منبج
حمص
دمشق
الرقة
الموصل
نصيبين
آمد
ميافارقين
خلاط
بدليس
ارزن
الروم
ارمينية
اذربيجان
الديلم
جيلان
طبرستان
الجزيرة
الفرات
دجلة
بحر الروم
بيت المقدس
الرملة
عسقلان
ايلة
دومة الجندل
مارد
تبوك
تيماء
حبر
فدك
خيبر
صرية الربذة
المدينة المنورة
ينبع
الثعلبية
القطيف
هجر
عمان
صحار

وقتلوا حتى سالت الدماء وصيرت الأرض مزالق زلق النعمان فيها وصرع فسجاه أخوه نعيم بثوب وتواصوا بكتمان موته ،وذهب الاعاجم ليلا وعميت عليهم المذاهب ، وعقرهم حسك الحديد ، ووقفوا في اللهب الذى أعدوه فى عسكرهم ، فمات منهم الف ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة وغنموا ما فيها وجمعوه الى صاحب الاقباض ، وفر الفيرزان الى همدان فى الفلول فاتبعه نعيم فقتله قبل أن يدخلها ثم حاصر همدان حتى صالح صاحبها على الجزية واقتدى بهم أهل تلك النواحي، ثم صار نعيم الى الرى فأبى ملكها الصلح واستمد أهل النواحى ولكنه انهزم ، وأفاء الله على المسلمين بالرى مثل ما كان بالمدائن وتولى الصلح بالرى عن أهلها عظيم منهم

ثم فتح المسلمون بعد ذلك أذربيجان والباب وجهات أرمينية الاخرى.

﴿ فتح خراسان ﴾

لما عقدت الالوية للامراء للانسياح فى بلاد فارس كان الاحنف بن قيس منهم خراسان ، سار اليها من طريق الطبسين وافتتح هراة ، ثم سار الى مرو الشاهجان ففر يزدجرد منها الى مرو الروز فملكها الاحنف وهنالك لحقه مدد أهل الكوفة فسار الى مرو الروز وجعل الكوفيين فى مقدمته ، فالتقوا هم ويزدجرد على بلخ فهزموه فعبر النهر ولحقهم الاحنف وقد فتح الله عليهم ، ودخل عامة أهل خراسان فى الصلح مابين نيسابور وطخارستان وكتب الى الخليفة بالفتح فكتب اليه ان يقتصر على مادون النهر

وكان يزدجرد وهو بمرو الروز قد استنجد ملوك الامم ، فلما عبر مهزوما أنجده خاقان ملك الترك ، وأهل فرغانة والصغد ، فرجع يزدجرد وخاقان الى خرسان فنزلا بلخ فجلا المسلمون عنها الى الاحنف بمرو الروز وتقدم المشركون اليه فأقام المسلمون يقاتلونهم أياما ، وصحبهم الاحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب بطبله ومعه اثنان كذلك ثم يخرج العسكر بعدهم وتلك لهم عادة فقتلهم الاحنف فلما مر بهم خاقان تطير وتشاءم فرجع أدراجه وارتحل عائدا الى بلخ ، وبلغ الخبر يزدجرد وكان على مرو الشاهجان فجمع خزائنه واجمع اللحاق بخاقان على بلخ ، فمنعه أهل فارس ، وحملوه على صلح المسلمين والركون اليهم وانهم أوفى ذمة من الترك فأبى وقاتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ، ولحق بخاقان وعبر النهر الى فرغانه فاقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر كلها ، ثم جاء أهل فارس الي الاحنف ودفعوا اليه الخزائن والاموال وصالحوه واغتبطوا بملكة المسلمين ثم نزل الاحنف بلخ فانزل اهل الكوفة فى كورها ثم رجع الى مرو الروز ، وكتب الى الخليفة بالفتح فخطب الناس وقال

الا وان ملك المجوسية قد ذهب فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم الا وان الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لأخاف على هذه الامة أن تؤتى الامن قبلكم .

وهكذا كان شأن بقية الامراء في أرض فارس حتي استوعبوها وصارت للمسلمين

وقد اقتصرنا على لواء الاحنف بخرسان اكتفاء بأنه أشبه شيء بنموذج لبقية الألوية

(عود الى الشام)

علمنا أنه بعد فتح فحل سار أبو عبيدة وخالد نحو حمص — وبلغ هرقل فبعث جيشا نزل غربي دمشق بمرج الروم ، وسارت سرية من لدنه تطلب دمشق فاستقبلها يزيد ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم فلم يفلت منهم الا الشريد ، أما أبو عبيدة فقتل من بقي بالمرج قتلا ذريعا ، وفر من فر منهم الى حمص وتبعهم المسلمون ، فلما علم هرقل بمسيرهم سار الى الرها ، ثم سلك أبو عبيدة طريق بعلبك فحاصر أهلها حتى طلبوا الأمان ، فسار عنهم الى حمص ومعه خالد فحاربه أهلها وما زال يقاتلهم ويشدد عليهم حتى خرجوا فطلبوا الصلح على مثل صلح دمشق فاجابهم .

ثم استخلف على حمص عبادة بن الصامت وسار الى حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية لرؤسهم والخراج على أرضهم ، ثم سار الى شيزر والمعرة فاذعن أهلها له بالصلح أيضا — وسار نحو اللاذقية فقاتله أهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس ، فعسكر المسلمون على بعد منها ، ثم حفروا حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ، فلما جن الليل استتروا فيها ، وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا المسلمون يصيحون بهم فدخلوا معهم المدينة

وملكوها عنوة

ثم أرسل أبو عبيدة خالدا الى قنسرين فزحف اليه ميناس (اعظم عظماء الروم بعد هرقل) فقُتل ، وسار خالد الى هذه المدينة فتحصنوا منه ، ثم نظروا في أمرهم ورأوا مالقى أهل حمص فطلبوا الصلح فأبى خالد الا على اخراب المدينة فأخربها .

ولما سمع هرقل أدرب نحو القسطنطينية وعلا على نشر ثم التفت الى الشام وقال سلام عليك ياسورية سلاما لااجتماع بعده ثم سار فدخل القسطنطينية .

ولما فرغ أبو عبيدة من أمر قنسرين سار الى حلب فصالح فى طريقه أصنافا للعرب على الجزية ثم وصل الى حلب فتحصن أهلها وحاصرهم المسلمون فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم فأعطوا ذلك .

ثم سار الى انطاكية فحاصرها من جميع نواحيها حتى صالحوا على الجلاء أو الجزية فجلا بعض وأقام بعض فأمنهم .

ثم سار أبو عبيدة الى منبج وعلى مقدمته عياض فلحقه وقد صالحه أهلها علي مثل صلح انطاكية ، وسير عياضا الى دلوك ومابليها فصالح أهلها على مثل صلح منبج واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم .

وهكذا تم للمسلمين الاستيلاء على الشام من هذه الناحية الى الفرات سنة ١٥ الى جبال طوروس ، وعاد أبو عبيدة الى فلسطين .

وفي هذه السنة أرسل يزيد أخاه معاوية الى قيسارية بأمر الخليفة

فاستمات أهلها فى الدفاع عنها حتي قتل منهم مائة الف ولكنه فتحها وكان عمرو وشرحبيل قد نزلا علي أهل بيسان فافتتحاها

وقعة أجنادين

نزل الارطبون ومن معه (وكان أدهى الروم وأبعدها غورا) أجنادين ووضع بالرملة وباليلياء جندا عظيما ، فسار اليه عمرو وشرحبيل وكتب عمرو الى عمر بالخبر فقال :قد رمينا أرطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عم تنفرج ، وكان من تدبير عمرو أن شغل أهل ايلياء وشغل من بالرملة بجند ، وشغل معاوية أهل قيسارية بجند ، فاصبح أهل أجنادين لامدد لهم ، وأقام عمرو على أجنادين لايقدر منها علي شيء ، ثم حاول حتى دخل على الارطبون كرسول ليتعرف أحواله ، فعرفه الارطبون ولكنه تخلص منه بخدعة ، ثم اقتتلوا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم وفر أرطبون الى ايلياء ونزل عمرو أجنادين .

(فتح بيت المقدس)

لما دخل ارطبون ايلياء فتح عمرو نابلس ويافا وغزة وبيت جبرين ، ثم أرسل اليه ارطبون يهدده بانه لن يفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ونصح له بأن يرجع ولايغتر لئلا يهزم ثم تقدم ابو عبيدة فحصر بيت المقدس فطلب اهله منه ان يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكان هذا سبب قدوم الخليفة الشام — ويقال ان عمرو بن العاص كتب اليه ، انى

أعالج عدوا شديدا وبلادا قد ادخرت الك فرأيك.

أما الخليفة فقد سار حتى قدم الجابية على فرس وكتب لامراء الاجناد أن يوافوه بها، فكان أول من لقيه يزيد وأبو عبيدة، ثم خالد، على الخيول وعليهم الديباج والحرير، فنزل فأخذ الحجارة ورماهم بها وقال أياى تستقبلون بهذا الزى؟ فقالوا له انها يلامقة (أقبية) وان علينا السلاح، قال فنعم اذن، وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل كأنهما لم يتحركا من مكانهما وفى الجابية وافاه أهل أيلياء وخيراها فصالحهم على الجزية وفتحوها له، أما أرطبون فقد فر الى مصر هو ومن أبى الصلح من الروم، ثم سار عمر من الجابية الى بيت المقدس فركب فرسه فرأي به عرجا فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب وجهه وقال لاأعلم من علمك هذه الخيلاء، ثم لم يركب برذونا بعده ودخل أيليا وتم فتحها على يديه.

فتح الجزيرة وأرمينية

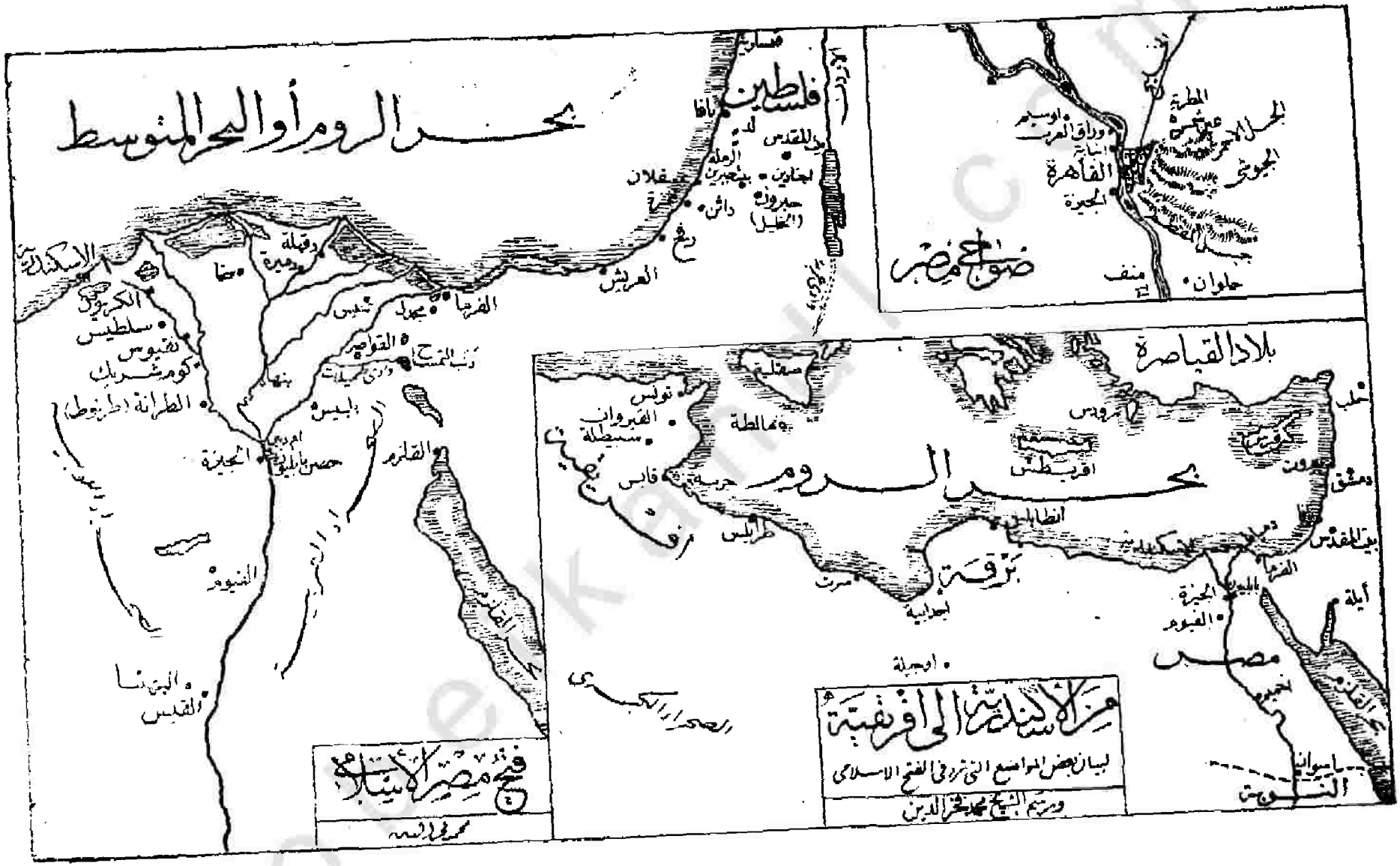
كان أهل الجزيرة قد راسلوا هرقل وأغروه بالشام وواعدوه المدد فاعتزم هرقل على قصد حمص، وعلم أبو عبيدة فضم اليه مسالحه وعسكر بفنائها، وأقبل اليه خالد من قيسرين وكتب الى عمر بخبر هرقل فكتب الى سعد أن أندب الناس مع القعقاع بن عمرو، وسرحهم من يومهم فان أبا عبيدة قد أحيط به، وسرح سهيل بن عدى الى الرقة فان أهل الجزيرة هم الذين استدعوا الروم الى حمص، وسرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين ثم بقصد حران والرها، وسرح الوليد بن عقبة الى عرب

الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وان يكون عياض بن غنم على أمراء الجزيرة هؤلاء ان كانت حرب — فمضى القعقاع الى حمص ، وسار عياض وامراء الجزيرة كل أمير الى كورة ، وخرج الخليفة من المدينة فأتى الجابية يريد حمص مغيثا لابى عبيدة.

فلما سمع أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم وكانوا معهم بحمص خبر الجنود الاسلامية ، فارقوا هرقل وتفرقوا الى بلادهم ، وزحف أبو عبيدة فهزم الروم ، وقدم القعقاع بعد ذلك بثلاث فكتبوا الى الخليفة بالفتح ووصول المدد فكتب اليهم أن اشركوهم فانهم نفروا اليكم.

وسار عياض الى الجزيرة وسير سهيلا الى الرقة فحاصرهم حتى صالحوا وصاروا ذمة وكذلك صنع أهل نصيبين مع ابن عتبان ، ثم ضمهما اليه وسار بالناس الى حران فاجابه أهلها الى الجزية وكذلك فعل أهل الرها وخرج الوليد فقدم على عرب الجزيرة فنهضوا معه الا أيادين فانهم دخلوا أرض الروم ، فكتب الخليفة الى هرقل: لتخرجنهم أو لتخرجن النصارى اليك فأخرجهم وكان فى تغلب عز وامتناع ولا يزالون ينازعون الوليد ولم يقبل منهم الا الاسلام فكتب اليه الخليفة : انما ذلك بجزيرة العرب ، فدعهم على الا ينصروا وليدا ولا يمنعوا احدا من الاسلام ثم عزل الوليد عنهم لسطوته.

هكذا كمل فتح الجزيرة وكانت أسهل البلدان فتحا — وقد ذكروا أن عياضا بعد أن فتح الرها دخل الدرب فاجازه الى بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقها وانتهى الى العين الحامضة من ارمينية ثم عاد الى الرقة ومضى الى حمص فمات بها.


بحر الروم أو البحر المتوسط
فلسطين
يافا
القدس
الرملة
بيت جبرين
عسقلان
غزة
داش
حبرون (الخليل)
العريش
الفرما
بحيرة المنزلة
دمياط
رشيد
القاهرة
الجيزة
منف
حلوان
المطرية
عين شمس
الجبل الأحمر
الجيوش
وراق العرب
اوسيم
ضواحي مصر
الاسكندرية
الكريون
سلطيس
نقيوس
كوم شريك
الطرانة (طرنوط)
بلبيس
القواصير
وادي التميلات
بحر القلزم
الفيوم
البرنسا
القدس
بلاد القياصرة
صقلية
تونس
القيروان
سبيطلة
مالطة
اقريطش
حلب
حمص
دمشق
بيت المقدس
الفرما
برقة
مرت
اجدابية
اوجيلة
الصحراء الكبرى
مصر
أيلة
البحيرة
النوبة
اسوان
مرّ الاسكندرية الى افريقية
لبيان بعض المواضع التي مرّ في الفتح الاسلامي
ورتبه الشيخ محمد بخر الدين
فتح مصر الاسلام
محمد فريد

﴿ فتح مصر ﴾

جاء في فتح مصر روايات شتى اخترت منها الرواية الآتية ملخصة:

لما قدم عمر بن الخطاب الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهي أكثر الارض أموالا وأعجزها عن القتال والحرب ـ فتخوف عمر على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عنده ، ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن اليه عمر ، وعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ، وقال له سر وأنا مستخير الله في مسيرك ، وسيأتيك كتابي سريعا فان أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من ارضها فانصرف ، وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستغفره . فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد

واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين في وجهه ذلك فكتب الى عمرو يأمره أن ينصرف بمن معه من المسلمين فادركه الكتاب وهو برفح ، فتخوف ان هو أخذه وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ، ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل لها من مصر ، فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين ، فقال عمرو لمن معه : ألستم تعلمون أن هذه القرية من أرض مصر ؟ قالوا بلى ، قال فان أمير المؤمنين

عهد الى وأمرنى ان لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع - ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا على بركة الله

وقيل أن عمرا سار من تلقاء نفسه وان عمر لما سمع أمره بالرجوع وخشن عليه فى القول ويقال ان الخليفة ماكتب هذا الكتاب الا بعد ان ذكر له عثمان انه اذن لعمرو ان يسير من الشام الى مصر فقال ياامير المؤمنين أن عمرا لجرئ وفيه اقدام وحب للامارة ، فاخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لايدرى تكون أم لا ، فندم عمر على كتابه الي عمرو اشفاقا على المسلمين ، ثم قال لعثمان فاكتب اليه أن ادركك كتابى هذا قبل أن تدخل مصر فارجع الى موضعك ، وان كنت دخلت فامض لوجهك .

ومهما كان من أمر هذا الكتاب فان عمرا سار الى مصر مجتازا شبه جزيرة الطور من الطريق المعتاد وهو طريق الساحل الذى توجد فيه العيون والمياه العذبة من مرحلة الى أخرى .

فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو وكان بالاسكندرية توجه الى موضع الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش - وكان على القصر قصر الشمع رجل من الروم يقال له الاعيرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس

وأقبل عمرو حتى اذا كان بالعريش فكان أول موضع قوتل فيه الفرما ، قاتلته الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله على يديه ومضى نحو مصر وكان بالاسكندرية اسقف للقبط يقال له أبوميامين فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى قبط مصر يعلمهم انه لايكون للروم دولة

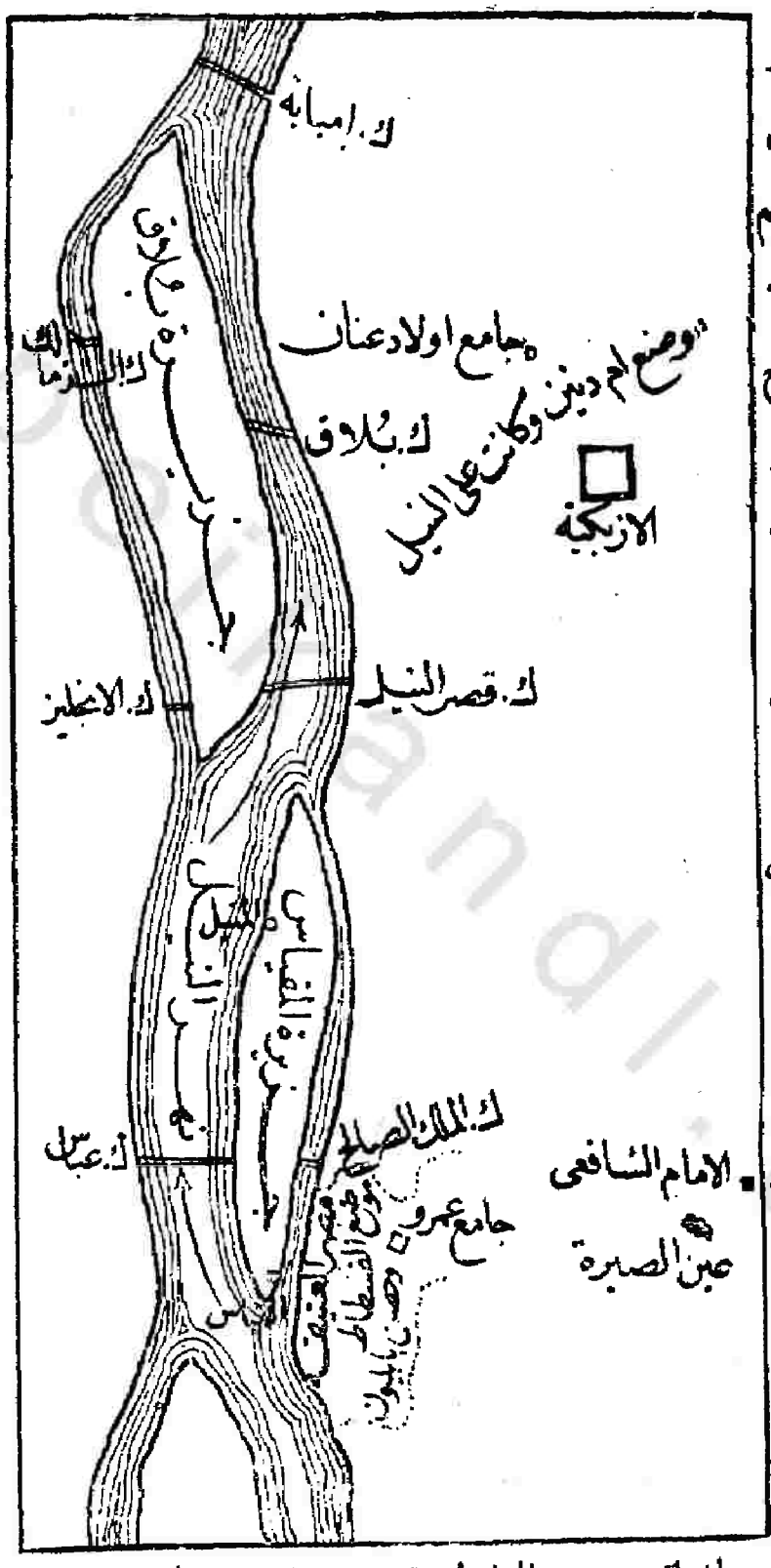
وان ملكهم قد انقطع ، وأمرهم بتلقى عمرو ، من أجل ذلك قبل أن قبط الفرما كانوا لعمرو أعوانا (ولا شك أن الاسقف كان مونورًا من الروم بسبب الاضطهاد الدينى المذهبي ، ولذا حرض القبط وهم أهل البلاد الموتورون أيضا على مساعدة عمرو ، وكان لما قدموه من المساعدة أثر عظيم فى سهولة الفتح على المسلمين ، اذ كانوا يمدونهم بالزاد ويدلونهم على الطرق المأمونة وغير ذلك بالضرورة)

ثم تقدم عمرو لايدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر (العواسجة) ثم مازال حتى أتى بلبيس فقاتل بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه .

وواضح أنه لم يسلك بعد الفرما طريق الساحل بل سار فى الصحراء الى جهات ودى الطميلات ، لان طريق الساحل كان مغمورا بالمياه ولانه لم يشأ أن يقتحم الاراضى المصرية الزراعية المكتظة بالناس لئلا يقطع عليه الطريق فى كل مرحلة مهما كان من اخلاص القبط اليه (ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم) أما الطريق الذى سلكه فلا يمكن قطعه ويمكن الارتداد والالتجاء اليه فى كل مرحلة مع السلامة .

ثم تقدم حتى أتى أم دنين فقاتل من بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده باربعة آلاف فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا

ثم أحاط المسلمون بالقصر وهو حصن بابليون وكان الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبثوا فى أفنيتها حسك الحديد فخرجت اليهم فصيلة من المسلمين وجاءت من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن



وأخذ عمرو يقاتل أهل الحصن يصبحهم ويمسيهم ولكنه أبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده ويعلمه بذلك فأمده بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام الالف. الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وخارجة ابن حذافة، وقال له اعلم أن معك اثنى عشر الفا ولن تغلب اثنا عشر الفا من قلة

أخذ عمرو بعد ذلك يرسم الخطط ثم ألح على القصر ووضع عليه

المنجنيق — فلما أبطأ على عمرو الفتح قال الزبير انى أهب نفسى لله ، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سلما الى جانب الحصن ثم صعد وأمرهم اذا سمعوا تكبيرة يجيبونه جميعا ، فما شعروا الا والزبير على الحصن يكبر ومعه السيف وتحامل الناس على السلم فنهاهم عمرو خوفا أن ينكسر السلم ، وكبر الزبير تكبيرة فاجابه المسلمون من الخارج ، فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا ، وعمد الزبير باصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن

فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم فاجابه عمرو الى ذلك

وكان مكثهم على القتال حتى فتح الله عليهم سبعة أشهر

ومن نيابة المقوقس عن القبط فى فرض الجزية اشارة الى أنه كان مع الأسقف المشار اليه فيما سبق فى الرأي ، فما سر هذا ؟ لقد قيل انه كان موتورا من قيصر الروم أيضا .

ولا بد من الاشارة هنا الى أنه جاء فى بعض الروايات الاخرى فى فتح مصر

(١) ان عمرو دخل الى الحصن وناظرهم فى شىء مما هم فيه فلم يجدوا عنده ما أحبوا فخرج وكادوا يغدرون به فنجا بحيلة أوسع من حيلتهم

(٢) وانه لما حصر المسلمون الحصن ورأى المقوقس واكابر القبط ومن به من الروم الجد من العرب على فتحه خافوا على أنفسهم فخرج المقوقس وجماعة من أكابر القبط من باب الحصن الجنوبى فلحقوا بالجزيرة

وقطعوا الجسر الذي كان بينها وبين البر وكان النيل في فيض ، ثم أخذوا يفاوضون عمرا مهددين أولا بالروم وقوتهم واحاطة المياه بهم . فرد عليهم عمرو بانه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال : اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا ، واما ان اعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون ، واما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(٠) وانه لما جاءت رسل المقوقس اليه سألهم عن القوم فقالوا : الموت أحب الى احدهم من الحياة فاشار على من معه بصلح المسلمين قبل أن يقووا على الخروج من مواضعهم وارسل الى عمرو يطلب رسلا يتداعى الى ماءساه يكون فيه صلاح الطرفين فارسل اليه عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت فانتهت المناقشة بينهما على تمسك المسلمين باحدى الثلاث المعروفة فالتفت المقوقس الى أصحابه وقال ماترون ؟ فرفضوا وقالوا الموت أيسر من ذلك ـ فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فماترى ، فقام عبادة واصحابه منصرفين ، فقال المقوقس لاصحابه أطيعوني وأجيبوا القوم الى واحدة من هذه الثلاث فوالله مالكم بهم طاقة فانتهوا الى قولهم الاول ، وقطعوا الجسر وألح المسلمون عندذلك بالقتال على من بالقصر حتي ظفروا وأذعن القوم للجزية علي صلح يكون بينهم يعرفونه

فارسل المقوقس الي عمرو بان يرسل رسلا من قبله يتداولون معهم شروط الصلح فاستشار عمرو اصحابه فقالوا لانجيبهم الى شيء من الصلح ولا الجزية حتي يفتح الله علينا وتصير الى الارض كلها فيئا وغنيمة

كما صار لنا القصر وما فيه ، فذكرهم عهد أمير المؤمنين فاقتنعوا ، وارسل رسله فاجتمعوا واصطلحوا .

(١) على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين دينارين على كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء

(٢) وعلى أن للمسلمين عليهم النُّزل حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت له ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم

(٣) وعلى ان لهم أرضهم واموالهم لايتعرض لهم فى شيء منها، شرط ذلك علي القبط خاصة ، ورفع ذلك عرفاءهم بالايمان المؤكدة

(٤) وشرط المقوقس للروم ان يخيروا فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام، ومن أراد الخروج منهم الى الروم خرج، وعلى أن للمقوقس الخيرة في الروم خاصة حتي يعلمه بما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ماكانوا عليه .

ثم كتب المقوقس الى قيصر الروم هرقل يعلمه بالامر كله فكتب اليه يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه مافعل، ويبين له أن المسلمين أضعف ناصرا وأقل عددا، والقبط أكثر مالا وأعز نفرا، فان كانوا كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة الف معهم العدة والقوة . فناهضهم القتال ولايكن لك رأى غير ذلك ، وكتب الى جماعة الروم بمثل ذلك .

فلما جاء المقوقس كتاب القيصر غضب وقال يامعشر الروم لأخرج مما دخلت فيه وصالحت العرب عليه ، واني لأعلم انكم سترجعون غدا الى رأيي ، وبحكم أمابرضي أحدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة !

وأقبل على عمرو فقال ان القيصر قد كره مافعلت وكتب الى والى الروم بقتالك ولم أكن لاخرج مما دخلت فيه — وانما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم الصلح فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وانا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وطلب من عمرو (١) الاينقض بالقبط وأن يدخله معهم (٢) والا يصالح الروم بعد اليوم حتى يجعلهم فيئا وعبيدا فانهم أهل لذلك (٣) وان يدفن اذا مات بناحية في الاسكندرية عينها — فانعم له عمرو على أن يضمنوا له الجسرين جميعا ، ويقيموا له الانزال والضيافة والاسواق والجسور مابين الفسطاط الى الاسكندرية ، ففعلوا وصار القبط أعوانا للمسلمين .

هذا ويقال أن هذا الصلح لم يك الا بعد ان فتح المسلمون الاسكندرية

﴿ فتح الاسكندرية ﴾

أما الروم بالاسكندرية استعدت وجاشت وقدم عليهم من أرض الروم جمع عظيم فتحركوا من الاسكندرية وتحرك اليهم الجيش الاسلامي والتقى الجمعان بسلطيس ثم بالكريون فهزم الروم حتى وصلوا الى الاسكندرية والمسلمون يتبعونهم وكانت الاسكندرية حصينة ، فنازلوها

والقبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة ، وسفن ملك الروم ورسله تختلف الى الاسكندرية ، واستعد القيصر لغزو العرب بنفسه ؛ ولكنه ماكاد يفرغ من الجهاز حتى صرعه الله سنة ٢٠ فكسر الله بموته شوكة الروم بالاسكندرية ، وفر منهم عدد كثير ، فوهنوا لما أصابهم ، وألح المسلمون على المدينة وحصونها وحاصروها حتى فتحوها بعد حصار تسعة أشهر قبل موت هرقل وخمسة أشهر بعد موته ، وهزم الروم في البر والبحر فخرج عمرو فى أثر الهاربين برا ، فتمكن الروم بالسفن من العودة الى الاسكندرية وقتلوا من المسلمين عددا وفيرا ، فكر عمرو وأعاد فتحها ثم كتب الى الخليفة بكل ما أحدث ـ وأراد أن يقيم بالاسكندرية لأنها مشيدة ، واستأذن الخليفة فلم يوافقه وقال لاتجعلوا بينى وبينكم ماء فتحول عمرو الى الفسطاط فبنى وبنى الناس وصارت الفسطاط حاضرة للولاية المصرية الاسلامية . والعرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط

﴿فتح الفيوم﴾

لما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو جرائد خيل الى القرى المختلفة وأقام المسلمون سنة لايعرفون الفيوم ولامكانها حتى أتاهم آت فذكرها لهم ، فارسل عمرو معه أحد قواده ـ فلما سلكوا فى الجابة لم يروا شيئا فهموا بالانصراف فقال لاتعجلوا سيروا ، فان كذبا فما اقدركم على مالردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع سوار الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا مابأيديهم .

﴿ فتح برقة وطرابلس والنوبة ﴾

وفى سنة ٢٢ سار عمرو بن العاص الى برقة فصالحه أهلها على الجزية ، ثم صار الى طرابلس فحاصرها شهرا فلم يظفر حتى أعمل سيفه نفر من رجاله الحيلة فى اقتحامها فدخلوها وكبروا فظن أهلها ان المسلمين فتحوا المدينة فسارعوا الى السفن يرجون النجاة واقبل عمرو بالجيش فدخل المدينة وأعمل السيف في الروم حتى فتح المدينة وكتب الى عمر يستأذنه فى فتح باقي افريقية فكتب اليه انها مفرقة لاهلها فعاد ، وأرسل عقبة بن نافع الفهرى الى أرض النوبة فعاثت الخيل فيها ولكن أهلها لم يصالحوا الا فى سنة احدى وثلاثين فى خلافة عثمان . وبعد عودة عقبة اختط المسلمون الجيزة استحبتها همدان ، فبنى لهم هناك حصنا باشارة عمر ، وتم سنة ٢٢

هذا وقد ولى عمر بن العاص مصر بعد فتحها فهو أول من وليها من المسلمين وقد ظل عليها ثلاث سنين الي أن مات عمر ، وتولى عثمان فعزله وولى عبد الله بن أبى سرح

هذه فتوح عمر بن الخطاب فى بلاد الاكاسرة والقياصرة ، وترى أنها كادت تستوعب أرض فارس وشطرا كبيرا من أرض الروم بآسيا وافريقية

﴿ سر النجاح فى هذا الفتح ﴾

سار المسلمون فى بلاد الاكاسرة والقياصرة كالسيل الجارف مع أنهم كانوا أكثر من المسلمين عددا واقوي عدة وهم ايضا أقدر منهم

على التعبئه ، واعرف بنظم القتال وحصولهم على المؤن و الذخائر أيسر وطرق الامدات عليهم اسهل ، أذهم فى عقر ديارهم والمسلمون بينهم وبين مركز القيادة العامة مراحل كلها فى القفار الفقر والبراري المهلكه ولم تغن عن اعداء المسلمين قوتهم شيئا ولو كثرت ، ولا ذخائرهم و نهم اطعمتهم ونجدانهم وان عظمت .

والسر فى ذلك يرجع غالبا الى مايسمى الان بالقوة المعنوية اذ كانت عند المسلمين على اشدها ، وعند اعدائهم ضعيفة جدا . وذلك لان المسلمين كانوا كقلب رجل واحد يجاهدون الاعداء للحصول على غرض واحد وهو اعلاء كلمة الحق ونشر الاسلام الذى هو دين الله ، وقد خرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أما أعداؤهم فقد خرجوا اليهم لينصروا الباطل و يصدوا عن سبيل الله ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا

وهذا الى أن المسلمين فى دور نهوضهم واعداؤهم فى دور الهرم ، والى ان هؤلاء الاعداء استهتروا بالمسلمين ولم يفقهوا أن العرب الذين كانوا بالامس رعاة ابل وغنم اصبحوا اليوم (وقد وحد الاسلام وجهتهم قادة شعوب وامم وأن الذين كانوا فى جاهليتهم كلمهين المنغوش اصبحوا بعد اسلامهم كالبنيان المرصوص يقتدرون على الفتح و يقوون على الغلب - جهل الفرس والروم ما صارت اليه الامة العربية فأتوا من ناحيتها بما لم يك فى حسبانهم « ومن مأمنه يؤتى الحذر »

هذا ويضاف الى هذه الاسباب عوامل اخرى أهمها :

(١) ان الاحوال الدخلية فى بلاد الروم والفرس كانت سيئه سواء

كانت ذلك من الوجهة المـالية أم من الوجهة الدينية ام من الوجهة السياسية (ا) فقدت خزائن الدولة من طول الحرب بينها ب) وفرق الروم دينهم وكانوا شيعاوقام هرقل فوضع حـدا للخلافات الدينية فكان رجال الدين فى مقدمةالمستائين من تحيز هرقل ولعلهم اعانوا على تسليم دمشق للعرب أو وقفواعلى الحياد ـ اما الفرس فقد فشت فيه تعاليم مزدك فتهتك الحياءوفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والكذب مع أن أصول دينهم كانت راقية جدا ، وكانوا اذا ألم الضعف ببساط نهم في زمن من الازمان بعثتهم تلك الاصول الغويمة الى تدارك أمرهم فخلصوا مما ألم بهم فى زمن يسير ورجعوا الى مكانتهم الاولى ، نعم أن أنوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه التعاليم الفاسدة بعد ماعلقت بالعقول فكان ذلك علة فى ضعفهم حتى اذا هاجمهم العرب لم تكن الاحملة واحدة وهى القادسية أو نهاوند وبعدها لم تقم للفرس قائمة، على حين ان الروم أقران الفرس ثبتوا في مجالدة العرب ومقاتلتهم أزمانا طويلة

حـ ـ وأما الحالة السياسية فان هرقل في الروم لم يك من البيت المالك بل وثب على عرش الروم وثوبا ، ولابد أن يكون لهذا الامر أثره فى سياسة الدولة الداخلية اذ ميدان الخلاف يكون مفتوحا باستمرار بين انصار هرقـل وبين الرجعيين من انصار القيصر السابق - وان يزدجرد فى الفرس أنما تولى النساء من قبله عرش الاكاسرة لفقدان الرجال ، وكان من التحاسد والتخاذل بين القواد ماكاد يفضى الى الحروب فشأن يزدجرد لايقل عن شأن هرقل .

« ٢ » ان العرب بقايا المناذرة والغسانيين انضموا او انضم فريق

منهم الى المسلمين حين زحفهم، فاما الذين اسلموا منهم ففيرة على المسلمين وأما الذين لم يسلموا فغلبتهم العاطفة الجنسية على الدينية او السياسية، فانحازوا الى اخوتهم وابناء عمومتهم المسلمين وصاروا لهم عونا يمدونهم بالرجال والذخيرة سرا وجهرا ويدلونهم على الطرق والمسالك وهورات الاعداء وينتظمون فى صفوفهم ضد تابعيهم من الاكاسرة والقياصرة .

٣ ـ اعتقاد المسلمين اعتقادا صادقا بالقضاء والقدر وهذا الاعتقاد يتبعه من الاخلاق الفاضلة والشجاعة والاقدام والبسالة والجرأة ، ويبعث على اقتحام المهالك التى توجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور . ويطبع الانفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال وبذل الارواح بله الاموال في سبيل الحق ، فان الذي يعتقد أن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء لا يرهب الموت فى الدفاع عن حقه واعلاء كلمة أمته أو ملته

وقد امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته بقوله (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)

بهذا الاعتقاد انقض المسلمون على الاكاسرة والقياصرة فاذلوهم وكدكوا بلادهم وأوقعوا فى قلوبهم الرعب ولمعت سيوفهم فى المشرق والمغرب وسهل عليهم حمل اولادهم ونسائهم الى ميادين القتال كأنهم يسيرون الى الحدائق والرياض وكأنهم اخذوا لأنفسهم أمانا من الله بالتوكل عليه يحوطهم من كل ما يكرهون

(٤) جرأة العرب على مهاجمة دولتى الارض فى ذلك العهد اعتقادا منهم بأن الله متم نوره ولو كره الكافرون ، وتصديقا بما كان رسول الله يكرره على مسامعهم من وقت الى آخر من أن الله سيملكهم كنوز الاكاسرة والقياصرة ، وهذا الى ماكان من خفة اثقالهم واجترائهم بالقليل كما هو الحال عند اعدائهم من تكلف انواع الطعام والشراب والانية والسلاح والدواب ، والى ماكان لديهم من الثروة الواسعة فى الرجال المهرة باساليب الحرب وفنونها ممن شبوا واكتهلوا وشابوا فى ميادينها كخالد بن الوليد وعمر بن العاص وسعد بن أبى وقاص وعبادة بن الصامت وغيرهم ممن أبلوا فى حرب الروم وفارس بلاء حسنا ـ والى ماكان من تشجيع النساء المسلمات واشتراكهن اشتراكا فعليا مع الرجال فى ميادين القتال وقيامهن بمواساة الجرحى ودفن القتلى ، ومنهن ام حكيم بنت الحرث بن هشام وهند بنت عتبة ام معاوية بن ابى سفيان (٥) ان جيش العرب كان من العرب فحسب ـ اما جيش الروم والفرس فكان من الامم الخاضعة اليهم كالارمن والسريان ومن على شاكلتهم ويستحيل ان يكون هؤلاء كقلب رجل واحد و يندفعون الى الحرب بمثل الدافع الذى كان لدى المسلمين ، وان تنس لاتنس أنه مع هذا كان التخاذل يسبق الى نفوسهم من قوادهم وأولى الرأى فيها بمصالحة العرب المسلمين واجابتهم الى مايطلبون كما حصل من هرقل بالشام ومن رستم بالقادسية ومن المقوقس بمصر ـ وفى هـذا كفاية

أما الاسبـاب التى أعانت على تأييد سلطانهم فى الناحيتين فهى

دائرة حول العدل والتسامح والوفاء — روي بعض المؤرخين ان هرقل لما جمع للمسلمين الجموع ثم بلغ المسلمين اقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل البلاد التي كانوا صالحوها ماقد أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل تلك البلاد . لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل مع عاملكم .

وقال جستاف لوبون : لما دخل العرب الشام كانت رومانية منذ سبعمائة سنة ، فأبانوا على تسامح مع كل مدن الشام ولذلك رضى الناس بسلطتهم مختارين وانتهت بهم الحال ان طرحوا النصرانية وقبلوا دين الفاتحين وتعلموا لسانهم — هذا شأن أهل الكتاب فما بالك بمن لا كتاب لهم ولادين كالفرس .

﴿ مقتل أمير المؤمنين عمر ﴾

بينما كنت الجيوش الاسلامية منتصرة في كل جهة من الجهات التي وجهت اليها بلاد الفرس والروم والغنائم والاسرى والاخبار السارة ترد اليه تباعا من القواد والولاة والعمال ، اذ قام على المنبر يوم جمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله وذكر أبا بكر ، ثم قال : رأيت رؤيا لا أراها الا لحضور أجلي ، وان الناس يأمرونني أن أستخلف ، وان الله عز وجل لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان تعجل بي أمر ، فان الشورى بين هؤلاء الستة الذين مات نبي الله وهو عنهم راض ، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وانى أعلم أن أناسا سيطعنون فى هذا الامر . أنا قاتلتهم بيدي هذه على

الاسلام . اولئك أعداء الله الضلال الكفار . وانى أشهد الله على أمراء الامصار انى انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم ويبينوا لهم سنة نبيهم ويرفعوا الى ماعمى عليهم - خطب بهذه الخطبة يوم الجمعة وأصيب يوم الاربعاء لأربع ليال من ذى الحجة سنة ٢٣ .

كان رضى الله عنه لا يأذن لسبى قد احتلم أن يدخل المدينة ، حتى كتب له المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صَنَعا ، ويستأذنه أن يدخل المدينه ويقول ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس . انه حداد نقاش نجار ، فأذن له أن يرسل به الى المدينة . وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر ، فجاء الى عمر يشتكي شدة الخراج . فقال له ماذا تحسن من العمل ، فذكر له الاعمال التي يحسنها .فقال له عمر : ماخراجك بكثير في كنه عملك . فانصرف ساخطا يتذمر . ثم أن العبد مر به فدعاه فقال له ألم أحدث أنك تقول . لو اشاء لصنعت رحا تطحن بالريح ؟ فالتفت العبد ساخطا عابسا الى عمر (ومع عمر رهط) فقال . لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ، فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم . أوعدنى العبد آنفا ثم لبث ليالى وبعد قليل اشتمل العبد أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه . فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى خلس السحر ، فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ للصلاة صلاة الفجر . فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهي التى قتلته ثم انحاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن احد عشر رجلا او ثلاثة عشر مات منهم سبعة فأقبل رجل من بنى تميم بقال له حطان فالقى كساء

عليه ثم احتضنه ، فلما علم العلج انه مأخوذ طعن نفسه

أما الخليفة فقد احتمله ابن عباس في رهط حتى ادخله بيته ثم اجتمع عليه البدريون المهاجرون والأنصار فقال لابن عباس اخرج عليهم فسلهم . عن ملأ منكم ومشورة كان هـذا أصابني ؟ فخرج ابن عباس فسألهم ، فقال القوم لا والله . ولو ددنا ان الله زاد في عمرك من أعمارنا — وكان يفيق مرة ويغيب أخري . وكان يقول لابنه عبد الله ضع خـدى بالارض . فهل خدى والارض الا سواء . وقد سمعه الحاضرون وهو يلفظ النفس الأخير يقول : ويلى وويل أمى ان لم يغفر الله لى . وقد دفن يوم الاحد صباح هلال المحرم سنة ٢٤ . وكانت خلافته نحو عشر سنين ونصف سنة وعمره ثلاث وستون أو ست وستون سنة . ودفن مع الرسول وصاحبه فى بيت عائشة رضى الله عنها

نظرة فى أسباب قتل الخليفة عمر

لا ينبغى أن تمضى حادثة من هذه الحوادث الكبرى كقتل الخليفة من غير أن نحيط علما بالأسباب التى جرت اليها ولو على سبيل الاستنباط

ان مجرد ألم أبى لؤلؤة من عمر لأنه لم ينصفه فى الفريضة التي فرضها عليه سيده لا يبعثه على ارتكاب جرم فظيع كهذا ، وبخاصة إذا علمت انه من المدينة غريب لا جاه له ، بل ان الذي دعاه الى قتـل الخليفة أوسع دائرة من هذا ، ونحن نبينه على الصورة الآتية

علمت مما مضى ان أبى موسى الأشعرى فتح تستر وأنه أسر الهرمزان وأرسله الى الخليفة ليحكم فيه حكمه ، فلما جاء قال له تكلم ، فقال يا عمر أكلام

حي أم كلام ميت ، فقال تكلم لابأس ، فقال الهرمزان كنا معشر العجم (ماخلى الله بيننا وبينكم نقصيكم ونقتلكم)فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم يدان ، قال عمر ماتقول ياأنس ، قلت تركت خلفي شوكة شديدة وعدوا كلباً فان قتلته يئس قومه من الحياة فكان أشد لشوكتهم وان استحييته طمع القوم في الحياة فقال عمر ياأنس سبحان الله ، قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور ؟ قلت فليس لك الى قتله سبيل ، قال وكم اعطاك ؟ اصبت منه ؟ قلت لا ولكنك قلت له لابأس ، فقال متى ؟ لتجيئن معك بمن شهدت والا بدأت بعقوبتك ، قال أنس فخرجت من عنده فاذا الزبير بن العوام قد حفظ الذى حفظت ، فشهد لى ، فخلى سبيل الهرمزان فأسلم ، وفرض له عمر — وكان الهرمزان ألد أعداء المسلمين في فارس وهو من أهل مهرجانقذق وقد حضر وقعة غلوالاء مع الاعاجم وكان ملكا فى ناحية ثم أضاع ملكه وتاجه ولكنه كان داهية في الغدر والدهاء وقد عرف المسلمون منه الخبث والخنث فى الايمان — فلما أنزله عمر المدينة رأى نفسه كافراد الجمهور ، وكانت كل حين تأتى أخبار هزيمة الفرس وما غنمه المسلمون من فتح بلدانهم فكان يحرق الأرم ويتميز من الغيظ ، وزاد في أمره ما كان يراه من وفود أبناء فارس من الأسرى وما كان من أن العرب أصبحوا يتخذونهم موالى وخدما. وكان أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة من هؤلاء الاسرى وكان مجوسيا يحقد على المسلمين ويتربص بهم الدوائر ، ولما وفد سبى جلولاء كان يمسح رءوسهم ويقول أكل كبدى عمر — ولما توعد أبو لؤلؤة الخليفة جاءه من الغد من يسمى كعب الاحبار اليهودي فقال يا أمير المؤمنين اعهد

فانك ميت قال وما يدريك؟ قال أجده فى التوراة ، فاستحلفه أتجد عمر فى التوراة ،قال لا ولكن أجد صفته ، وكعب الاحبار انما أسلم لما رأى اليهودية فى جزيرة العرب اضمحلت ، والنصرانية فى الشام كاد يقضى عليها ولانه ان تظاهر بالاسلام عزعزا لايجده بين قومه ، ولانه كان من أهل الكتاب وكان ذا بصيرة بتاريخ الاولين فكان القوم يميلون اليه يستبصرون بعلمه فلما رأي ذلك انتهزها فرصة وأسلم حتى يزيد الاقبال عليه وقد صح له ذلك وبخاصة بعد أن تحققت حادثة الخليفة وظنوا أن فى التوراة التى بيده علم كل شيء .

وكان بالمدينة من نصارى الانبار أرسله سعدا ليعلم أبناء المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة واسمه جفينة ،والانبار للفرس والجفينة بهم صلة

وكان يجتمع بالهرمزان وابى لؤلؤة ، وقد رآهم عبد الرحمن بن أبى بكر مجتمعين يتناجون فاذا رأوه قاموا

من هذه القرائن نتبين ان قتل الخليفة كان عن مؤامرة من هؤلاء الاعداء دبروها واغتالوا عمر اطفاء لما فى صدرهم من سورة الغضب والحقد على عمر الذى يرسل الجيوش تباعا الى بلادهم فتفتحها وتستصفى اموال أهلها وتسبي ذراريهم وتستنزلهم من سلطان كان لهم - ولم يك قول أبى لؤلؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها - الا بادرة من بوادر اما أجمعوا عليه ، غلبته فلم يستطع كتمانها ، ولذلك فطن الخليفة لها وقال توعدنى العبد ، أما كعب الاحبار فكان على بينة من أمرهم بلا شك اذ لا يعقل أنه جاء بشيء من هذا عن توراته ،لكن وقد علم أن قتل

الخليفة أمر فرغ منه أراد أن يجعل لنفسه مكانة ولعلمه مصدقين فاخبر بما أخبر وكان من جراء ذلك فيما بعدانه دس كثيرمن الاسرائيليات التى ابتدعها ولا اصل لهافى التوراة

﴿ أهم الحوادث فى عهد عمر ﴾

قدرأيت ما كان من الفتح الاسلامى في عهد عمرفى بلادالأكاسرة والقياصرة وما كان من انتصار المسلمين فى الوقائع التى كانت بينهم وبين أعدائهم ، وهنالك جملة حوادث هامة كانت فى عصره رأينا أن نقتصر منها على الامور الآتية : ومنها أن عمر رضى الله عنه ظل يقوم برعاية المصالح العامة للمسلمين حتى وهو يلفظ النفس الأخير

﴿ جمع القرآن الكريم ﴾

سأل عن آية من كتاب الله عز وجل فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة فقال انا لله وأمر بالقرآن فجمع، فكان أول من جمعه فى المصحف، قيل قام فى الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأتنا به ، وكانوا قد كتبوا ذلك فى الصحف والألواح والعُسُب، ولما أراد ان يكتب الأمام اقعد له نفرا من أصحابه وقال اذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل على رجل من مضر

وأراد ان يكتب السنن فاستخار شهرا ثم أصبح وقدعزم له ، فقال ذكرت قوما كتبوا كتابا فاقبلوا عليه وتركوا كتاب الله عز وجل

﴿ استحداث التأريخ ﴾

ورفع اليه صك محله فى شعبان فقال أى شعبان هو : الذي مضى أو الذى هو آت او الذى نحن فيه ثم جمع أصحاب النبى فقال لهم ضعوا شيئا للناس يعرفونه ، فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم وقال قائل اكتبوا تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ماكان قبله ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم اقام رسول الله بالمدينة فوجدوه انه قد أقام بها عشر سنين، فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله ، فكتب بذلك عمر لسنتين من خلافته

﴿ تقرير الخراج على أرض العراق ﴾

كان عمر قد جعل لجرير بن عبد الله وقومه من بجيلة ربع ماغلبوا عليه من السواد ، فلما جمعت غنائم جلولاء طلب ربعه ، فكتب سعد الى عمر يعلمه ذلك فكتب عمر :ان شاء جرير أن يكون انما قاتل وقومه على جعل كجعل المؤلفة قلوبهم فأعطوهم جعلهم وأن كانوا انما قاتلوا لله واحتسبوا ماعنده ، فهم من المسلمين لهم مالهم وعليهم ماعليهم فقال جرير صدق أمير المؤمنين وبر،لاحاجة لنا بالربع ثم أن عمر بعث عثمان بن حنيف الانصاري يمسح السواد فوجده ستة وثلاثين الف الف جريب فجعل على جريب النخل عشرة دراهم وعلى جريب الكرم عشرة دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب الشعير درهمين وكتب بذالك الى عمر فأجازه ، ويقال أن خراج السواد على عهد عمر بلغ مائة الف الف درهم ـ ويقال أن حد السواد الذى وقعت عليه

المساحة من لدن تخوم الموصل مارًا مع الماء الى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي رجلة هذا طوله ، وأما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان الى منتهى أطراف القادسة المتصل بالعذيب من أرض العرب

(تمصير الامصار)

(١) تمصير الكوفة — لما فتح المسلمون المدائن كتب أمير المؤمنين الى سعد يأمره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا ، والا يجعل بينه وبينهم بحرا ، فانى الانبار وأراد أن يتخذها منزلا فكثر على الناس الذباب فتحول الى موضع آخر فلم يصلح فتحول الى الكوفة فاختطها وانزل القبائل منازلهم وبني مسجدها وذلك سنة ١٧ ، وكانت خطط اليمن في الجانب الشرقي وكانوا اثنى عشر الفا وخطط نزار في الجانب الغربي وكانوا ثمانية آلاف ، واتخذ سعد بابا مبوبا من خشب وخص على قصره خصا من قصب فبعث الخليفة محمد بن مسلمة الانصارى حتى احرق الباب والخص واقام سعدا في مساجد الكوفة فلم يقل فيه الا خيرا

(٢) تمصير البصره — لما أرسل عمر الى ناحية البصرة عتبه بن غزوان حليف بنى نوفل بن عبد مناف ليشغل العجم عن امداد اخوانهم بعد فتح الحيرة وما يليها ، نزل بالخريبة وكانت مسلحة للاعاجم ، وكتب الى عمر يعلمه نزوله واصحابه بحيث نزلوا وانه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم ، فكتب اليه ان اجمع أصحابك فى موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الى بصفته فكتب اليه اني وجدت كثيرة القصبة فى طرف البر

الى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء . فلما قرأ الكتاب قال هذه أرض نصرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب وكتب اليه أن أنزلها الناس فأنزلهم اياها فبنى مساكن بالقصب وبنى عتبة مسجدا من قصب وذلك سنة ١٤ وبني دار الامارة دون المسجد فى الرحبة وكانت تسمى الدهناء وفيها السجن والديوان . فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا ، فاذا رجعوا أعادوا بناءه « فلم تزل الحال على ذلك ثم ان الناس اختطوا وبنوا المنازل وبنى ابو موسى الاشعرى في امارته المسجد ودار الامارة باللبن والطين وسقفها بالعشب وزاد فى المسجد واحتفر لاهل البصرة نهرا قاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة وصار طول نهر الابلة أربعة فراسخ .

(٣) الفسطاط : — كان المقوقس ملك مصر وصاحب القبط ينزل الاسكندرية في بعض فصول السنة وفي بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وقصر الشمع فى وسط مدينة الفسطاط ، والعرب تقول لكل مدينة فسطاط ، ولذلك قيل لمصر فسطاط — ولما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها ، هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى الخليفة يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ، قال نعم ياأمير المؤمنين اذا جرى النيل ، فكتب الى عمرو انى لاأحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولاصيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط سنة احدى وعشرين وتنافست القبائل بعضها مع بعض فى المواضع فولى عمرو على الخطط أربعة كانوا هم الذين نزّلوا الناس

وفصلوا بين القبائل، وتركوا بينهم وبين الحصن فضاء لتفريق دوابهم وتأديبها.

جامع عمرو. — ثم بنى المسجد وكان ماحوله حدائق وأعنابا، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين، ويقال انه وقف على اقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة، وكان للمسجد بابان يقابلان دار عمرو ابن العاص وبابان فى بحريه، وبابان فى غربيه، وكان طوله من القبلة الى البحرى مثل طول عمرو، وسقفه مطأطىء جداً ولاصحن له، وكان الناس يصطفون بفنائه، وكان بينه وبين دار عمرو سبعة أذرع وكان الطريق محيطا به من جميع جوانبه — وأول من زاد في المسجد المذكور مسلمة بن مخلد الانصارى أيام معاوية ثم استمرت الزيادة فيه حتى صار على صورته الحالية

وبنى عمرو بالفسطاط دارا لأمير المؤمنين وكتب له بذلك فكتب اليه: أنى لرجل بالحجاز يكون له دار بمصر وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين فجعلت سوقا كان يباع فيها الرقيق.

وبنى خارجة بن حذيفة غرفة فبلغ ذلك عمر فكتب الى عمرو سلام عليك أما بعد فانه بلغنى أن خارجة بنى غرفة وأراد أن يطلع على عورات جيرانه، فاذا أتاك كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله ففعل

خليج أمير المؤمنين: — روى أن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة عمر عام الرمادة فكتب الى عمرو وهو بمصر يستعينه فلباه بعير عظيمة فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا، فلما قدمت وسم بها الخليفة على الناس وكتب الى عمرو أن يقدم عليه وجماعة

من أهل مصر فقال له : ان الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام ، وقد أتى فى روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم أن أحتفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر ، فهو أسهل لما أريد من حمل الطعام الي المدينة ومكة ، فان حمله على الظهر يبعد ، ولا نبلغ معه ما نريد ، فانطلق انت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى تقولوا فيه رأيكم ، فانطلق عمرو الى أصحابه فثقل ذلك عليهم وتخوفوا أن يدخل من هذا ضرر على أهل مصر ، فلما رجع الى الخليفة عرف بالفراسة ان أصحابه لم يرضوا ، فقال له انطلق ياعمرو بعيزة منى ، ولايأتي عليك الحول حتي تفرغ منه ان شاء الله تعالى ، فانصرف وجمع من الفعله مابلغ منه ماأراد ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين (وهو الذى فى موضعه الآن شارع الخليج المصرى وقد ردم هذا الخليج حديثا وقد رأيته والماء يجرى فيه ايام الفيض وأوله فم الخليج المعروف) فساقه من النيل الى القلزم (وهو بعد غمرة تقريبا يكون فى موضعه ترعة الاسماعيلية فلم يأت الحول حتى فرغ وجرت فيه السفن فحمل فيه ماأراد من الطعام الى المدينة ومكة ، فنفع الله بذلك أهل الحرمين ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع وصار منتهاه الى ذنب التمساح (وهو بحيرة الاسمعيلية الآن) وليس بمصر خليج اسلامي غيره

﴿ تدوين الدواوين وفرض العطاء للمسلمين ﴾

كان المسلمون هم الجند ، وكان قتالهم للدين غالبا لا للدنيا ، ولم يفرض لهم النبي ولا أبو بكر عطاء مقررا ولكن كانوا اذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم ، واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد أحضر الى المسجد وفرق فيهم — فلما كانت خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالت ، وأن كنوز الاكاسرة قد ملكت ، وان الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت ؛ فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الاموال فيهم ، ولم يكن يعرف كيف يصنع ، وكيف يضبط ذلك ، وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له يا أمير المؤمنين ان للاكاسرة شيئا يسمونه ديوانا ، جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه شيء ، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق عليها خلل ، فتنبه عمر وقال صفه لى فوصفه المرزبان ففطن عمر لذلك ودون الدواوين وفرض العطاء ولما وضع عمر الديوان استشار الناس فقال بمن أبدأ فقالوا ابدأ بنفسك قال لا ولكنى ابدأ بالاقرب فالاقرب من رسول الله فبدأ بهم فوضع الديوان على ذلك : بدأ ببني هاشم والمطلب فاعطاهم جميعا ثم أعطى بني عبد شمس ثم بنى نوفل بن عبد مناف . وجعل لكل واحد من المسلمين نوعا مقررا وفرض لزوجات الرسول ولسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ولم يدخر فى بيت المال شيئا — فقام اليه رجل وقال يا أمير المؤمنين لو تركت فى بيوت الاموال شيئا يكون عدة

لحادث ان حدث، فزجره عمر وقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانا الله شرها وهى فتنة لمن بعدى ، انى لا أعد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، فهي عدتنا التى بها بلغنا مابلغنا فان كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم

﴿القحط وعام الرمادة﴾

من الحوادث التي تذكر في عهد عمر أن الناس اصابهم سنة ١٨ مجاعة وقحط وجدب قيل صارت الارض كلها سوداء تسعة أشهر، فشبهت بالرماد وقيل كانت الريح تسفى ترابا كالرمادة فهذه سبب التسمية بعام الرمادة وأقسم عمر ألا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يخصب الناس وكتب الى أمراء الامصار يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ويستمدهم. فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة باربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر، ويقال أن الخليفة صلى صلاة الاستسقاء فنشأت طريرة من سحاب ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت فاخصبت الارض وكثر الرعى وسرحت الماشية فى المرعى وأكلت كيف شاءت وشربت فدرت البانها وسمنت ونتجت وبذلك اخصب الناس

﴿طاعون عمواس﴾

وفى هذه السنة حصل طاعون عمواس (وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس) فمات فيه أبو عبيدة وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل

ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم وتفانى الناس منه ـ ويقال أن عمر بن الخطاب قدم الشام وهذا الوباء منتشر فلقيه أمراء الأجناد على الحدود ما بين الحجاز والشام وكان فيهم أبو عبيدة فأخبروه بالوباء وشدته وكان معه المهاجرون والانصار. خرج غازيا فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا. ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه، فقال لهم قوموا عني ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعودة، فنادي عمر في الناس اني مصبح على ظهر، فقال أبو عبيدة أفرارا من قدر الله؟ قال نعم، نفر من قدر الله الى قدر الله ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها وأصاب الناس من الموت مالم يروا مثله قط وطمع له العدو في المسلمين لطول مكثه، وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفا ـ وبعد ارتفاعه قال عمر ان مواريث أهل عمواس قد ضاعت وسار من المدينة الى الشام عن طريق أيلة فلما قدم الشام قسم الارزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها وقسم مواريث أهل عمواس ورجع الى المدينة في ذي القعدة سنة ١٨

اجلاء اليهود والنصارى

كان رسول الله قد أراد اجلاء أهل خيبر اليهود، فقالوا له دعنا نكن في هذه الارض نصلحها ونقوم عليها فأجابهم وأعطاهم اياها بالشطر كما سلف ـ فلما كانت أيام عمر عاثوا في المسلمين وغشوهم وتحدوهم

وأتاهم عبد الله بن عمر في حاجة فالقوه من فوق بيت وفدغوا يديه ، وذكر عمر أن الرسول قال لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب فأجلى يهود خيبر وأخرجهم منها وقسمها بين من حضرها من المسلمين وجعل لأزواج النبي فيها نصيبا ، ثم أجلى أهل فدك وكان نصفها خاصا لرسول الله فقوم الخليفة نصفها الآخر بقيمة عدل فدفعها الى أهلها وأجلاهم الى الشام ـ وأما وادى القرى وتيماء فقيل أن عمر أجلاهم ايضا وقسم الارض بين من قاتل عليها وقيل أنه لم يجلهم لانها خارجة من الحجاز

وأما نصارى نجران ويهودها فقد صالحهم الرسول وجعل لهم ذمة الله وعهده واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به ، فلما كانت أيام عمر أصابوا الربا وكثروا فخافهم على المسلمين فأجلاهم الى الشام والنجرانية بناحية الكوفة واشترى عقاراتهم وأموالهم وكتب الى الناس ليوسعوا اليهم فى الجهات التى ينزلون بها ويقال أنهم كانوا قد بلغوا أربعين ألفا فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر فقالوا أجلنا وكان قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم فندموا بعد ذلك وأتوه فقالوا أقلنا فأبى .

﴿أمر الشورى في الخلافة﴾

لما طعن عمر بن الخطاب قيل يا أمير المؤمنين لو استخلفت قال ان تركتكم فقد تركتكم من هو خير منى ، وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير منى ، ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته ، قيل فلو انك عهدت الى عبد الله فانه له أهل

فى دينه وفضله وقديم اسلامه ، قال بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولوددت انى نجوت من هذا الامر كفافا لالى ولا على ،ثم راحوا فقالوا ياأمير المؤمنين لو عهدت .فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتى لكم أن أولى رجلا أمركم أرجوان يحملكم على الحق (وأشار الى على) ثم رأيت ألا تحملها حياومياتاً فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال النبي انهم من اهل الجنة ،منهم سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل ولست مدخله فيهم، ولكن الستة على وعثمان ابناعبد مناف وسعد (بن ابى وقاص) وعبد الرحمن بن عوف خالا رسول الله والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى المخزومى) حوارى رسول الله (الحواري الناصر وناصر الانبياء) وابن عمته ، وطلحة الخير ، فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فأحسنوا موازرته ، فلما اصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا والزبير وعبد الرحمن ثم قال انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولايكون هذا الامر الا فيكم وانى لاخاف الناس عليكم ولكنى أخافكم على الناس وقد قبض رسول الله وهو عنكم راض فاجتمعوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلا، وليصل بالناس صهيب ثلاثة أيام ولا يأتى اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ، ويحضركم عبدالله (بن عمر) مشيرا ولاشيء له من الامر ، وطليحة شريككم فى الامر فان قدم فى الثلاثة فاحضروه أمركم وان مضت قبل قدومه فامضوا أمركم ، ومن لى بطلحة فقال سعد أنا لك به ان شاء الله

ثم قال لابى طلحة الانصارى ان الله قد أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا

منهم ، وقال للمقدارين الاسود اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجالا منهم . . . . فان اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة فرضوا وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبدالله ابن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس

فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلى عليه فقال عبد الرحمن كلاكما يحب الامرة ، لستما من هذا فى شىء ، هذا صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام ـ فلما دفن عمر جمع المقداد وأهل الشورى فى بيت عائشة باذنها وتشاوروا على سيجىء فى كيفية انتخاب عثمان خليفه

ومما تقدم ترى ان عمر رضى الله عنه لم يشأ أن يترك الامة تتخبط فى اختيار الخليفة من بعده تخبطا ، ولم يرض ان يستخلف حتى لا يتحمل تبعتها حيا وميتا ، وانما ابتغى بين ذلك سبيلا ، ورسم للقوم طريقة العمل وحاطها بشىء كثير من التدبير رجاء الابضل الناس من بعده سواء السبيل

غير أن أمر الشورى وما أدت اليه أتاح الفرصة لاحياء ما كان بين بنى هاشم وبنى أمية من الخلاف فى الجاهلية

وقد روى عن معاوية قال انه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشورى التى جعلها عمر الى ستة نفر . . . . فلم يكن منهم رجل الا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت الى ذلك نفسه ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختلاف

كما روى ان عمر قال في شأن على للمغيرة بن شعبة أنا والله لولا دعابة فيه ماشككت فى ولايته وان نزلت على رغم أنف قريش ويظهر ان هذه العقيدة هى التى صرفت عمر عن استخلاف على

وروي عن عبد الله بن عباس انه قال : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لى يا ابن عباس مايمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة ، قال لا أدرى ، قال لكننى أدرى ، انكم فضلتموهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيئا ، وان أفضل النصيبين بأيديكم بل ماأخالها الا مجتمعة لكم وان نزلت على رغم أنف قريش ، وربما كان هذا الاعتقاد أيضا مما صرف عمر عن استخلاف على مجاراة للرأى العام فى آل البيت .

وبعد فهذه جملة صالحة من الحوادث التي كانت على عهد عمر بن الخطاب ـ أما أخباره فى عدة فطنته وقوة ذكائه وفراسته واهتمامه برعيته وحسه بالمدينة وعدله وحذره من الابتداع وتمسكه بالسنة وشدة هيبته فى القلوب وزهده وتواضعه وروعه وخوفه من الله عز وجل وطلبه الموت خوف العجز عن الرعية وغير ذلك فقد وردت فيه قصص وحكايات ليس هذا موضع بسطها أو استقصائها فهى أشهر من أن تذكر .

ولقد حضر بأمور في خلافته لم يسبق اليها ، فهو أول من وضع التاريخ الهجري وأول من سمى بأمير المؤمنين ، وأول من جمع القرآن فى الصحف ، وأول من سره قيام رمضان وجمع الناس عليه وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من عس فى عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدب

بها ، وقيل بعده . لدرة عمر أهيب من سيفكم ، وأول من مسح السواد وأرض الجبل ووضع الخراج على الارض والجزية على جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان على اعتبار الغنى منهم والوسط والفقير ، وأول من مصر الامصار وانزلها العرب واستقضى القضاة فيها ، وأول من دون الدواوين وفرض الاعطية وأول من قاسم العمال اذا عزلهم

وكان رضى الله عنه يستعمل قوما ويدع أفضل منهم ليبصرهم بالعمال ، وكان أزهد الصحابة فى الدنيا وأشدهم فى امر الله هدا وقد ولى الخلافة لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢ وطعن لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ وكان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة

خلافة عثمان

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان أبيض مشربا صفرة كانها فضة وذهب حسن الساعدين سبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس اذا أعتم .

وكان واسع الثروة حسن السيرة محببا فى قومه عفيفا امينا ، وقد أصهر اليه الرسول بعد اسلامه بابنته رقية فماتت بالمدينة يوم بدر فزوجه من ابنته الاخرى وهى ام كلثوم وكان من مهاجرة الحبشة كما كان سفير رسول الله الى قريش يوم الحديبية وكان يكتب الوحى لرسول الله كما كان لكل من ابى بكر وعمر كاتبا ومستشاراً .

ولى الخلافة اثنتى عشرة سنة وستة عشر يوما ، وهو أول من اتخذ الشرطة وكان كاتبه مروان بن الحكم وحاجبه حمران مولاه

كيفية انتخابه خليفة

لما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت عائشة بأذنها وهم خمسة ، معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا فروة فحجبهم ، وجاء عمرو ابن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحضهما سعد وأقامهما وقال تريد أن نقول حضرنا وكنا في الشورى

تنافس القوم في الامر وكثر بينهم الكلام كل يرى أنه أحق بالامر فقال أبو طلحة لا تدافعوا فاني أخاف أن تنافسوها ، لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الثلاثة الايام التي أمر بها عمر او أجلس في بيتي ـ فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد ، فقال أنا انخلع منها ـ قال عثمان أنا أول من رضي وقال القوم رضينا وعلي ساكت ، فقال عبد الرحمن ما تقول يا أبا الحسن قال ان أعطيتني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا قال عبد الرحمن اعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من نكل وان ترضوا بما أخذت لكم فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها الى عبد الرحمن

خلا عن الرحمن بعلي فقال انك أحق بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك ولم تبعد ، فمن أحق بها بعدك من هؤلاء قال عثمان ـ وخلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك فقال على وخلا بالزبير فقال عثمان

ولما خاف على أن يكون عبد الرحمن والزبير وسعد مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسن والحسين فقال له اتقوا الله الذي تسائلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا أسألك برحم ابني هذين من رسول الله وبرحم

عمى حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على لعثمان فانى أدلى بما لايدلى به عثمان

ثم دار عبد الرحمن لياليه كلها على مشايخ قريش يشاورهم فكلهم يشير بعثمان ، حتى اذا كان فى الليلة التى استكمل فى صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعد هجعة من الليل فأيقظه فقال ألا أراك الا نائما ولم أذق فى هذه الليالى نوما — فانطلق فادع لى الزبير وسعدا فدعاهما وتشاوروا ، ثم أرسل المسور الى على فناجاه طويلا وهو لايشك أنه صاحب الامر ثم أرسل المسور الى عثمان فناجاه طويلا حتى فرق بينهما أذان الصبح

فلما صلوا الصبح جمع اليه الرهط وبعث الى من حضر من المهاجرين والانصار والى أمراء الاجناد حتى ارتج المسجد باهله فقال أيها الناس أن الناس قد أحبوا أن تلحق أهل الامصار بامصارهم وقد علموا من أميرهم ، فجبر عمار والمقداد بانتخاب على ، وجبر ابن أبى سرح باختيار عثمان ، فشتم عمار بن أبى سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين وتكلم بنو هاشم وبنو أمية فخطب فيهم عمار وقال : أنى تصرفون هذا الامر عن بيت نبيكم ؟ فقال له رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك يابن سمية ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ؟ فنادى سعد ياعبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس — فدعا عبد الرحمن عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده قال اعمل بمبلغ علمى وطاقتى — ودعا عثمان فقال له مثل ماقال لعلى فقال نعم ، فبايعه ، فقال على جبونه محاباة ، ليس

ذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا أم والله ماوليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو في شأن ، فقال عبد الرحمن ياعلي لاتجعل على نفسك سبيلا فاني قد نظرت وشاورت الناس فاذاهم لا يعدلون بعثمان أحدا فخرج على وهو يقول :سيبلغ الكتاب أجله ـ وقال المقداد أم والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يامقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين ، قال لئن كنت أردت بذلك الله فاثابك الله ثواب المحسنين ثم قال المقداد مارأيت مثل ماأوتى أهل هذا البيت بعد نبيهم ولا أقضى منهم بالعدل ولا أعرف منهم بالحق أم والله لو أجد أعوانا ، فقال له عبدالرحمن يامقداد اتق الله فاني اخشى عليك الفتنة

وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوا به ؟ قالوا نعم ، وأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك ، قال طلحة فان أبيت أتردها ؟ قال نعم ، قال أكل الناس بايعوك قال نعم ، قال قد رضيت ، لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه .

﴿ نظرة في هذا الانتخاب ﴾

قد تم انتخاب عثمان على الصورة التي وصفت ، وقد صارت على سنن واضح لاسبيل الى نقده في أي ناحية من نواحيه الا ان أسيىء الظن أولا بالخليفة عمر وثانيا بخيار الصحابة ، وينبغي أن يسند وجه اختيار عثمان والعدول عن علي الى ما كان من موافقة الرأي العام في ذلك الوقت من أنه لا ينبغي ان يجمع بنو هاشم بين جاه النسب وجاه

الخلافة ثم الى ماكان من ظهور على حتى فى آخر لحظة بالتجديد مجتهدا ، والامة لاتزال حريصة على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ومارسم الشيخان

وقد غالى بعض الباحثين فى التاريخ وجعل أمر اختيار عثمان نتيجة تدبير قام باحكامه بنو أمية وكانوا حزبا قويا فى المدينة ولم يدخلوا فى الاسلام الا رجاء ان يستعيدوا ما كان لهم فى الجاهلية من ملك، وقد نجحوا بدسائسهم فى اقصاء الخلافة عن على واسنادها الى عثمان ومعنى ذلك انتصار بنى أمية على بنى هاشم .

وهذه المغالات نتيجة جهل بأحوال الصحابة وأخلاقهم ، واذا لم تطلب الاخلاق الفاضلة من الامانة والصدق والعدل وصيانة الحق بين كبار الصحابة فأين تطلب ؟ ومن الذى يكون المثل الاعلى فى تحرى الحق والعمل على مقتضاه ان لم نجده فى أصحاب رسول الله الذين مات وهو راض عنهم ـ أما اولئك الباحثين فان جهلهم آت من أنهم يقيسون أصحاب رسول الله هؤلاء برجال السياسة فى العصر الحاضر الذين يضحون بالمصالح العامة في سبيل الحصول على المصالح الخاصة ، وهو قياس مع الفارق .

﴿ أول مانظر فيه ﴾

وبعد أن تمت البيعة جلس عثمان فى جانب المسجد ودعا عبيد الله ابن عمر بن الخطاب وكان قد قتل أبا لؤلؤة قاتل أبيه ، وقتل جفينة وهو رجل نصرانى من أهل الحيرة وقتل الهرمزان وانما قتل هؤلاء النفر لان عبد الرحمن بن أبى بكر قال غداة قتل عمر : رأيت عشية أمس الهرمزان

وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون ، فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر ، فلما قتلهم عبيدالله أخذه سعد بن أبى وقاص فحبسه فى داره وأخذ سيفه واحضره عند عثمان ، وكان عبيد الله يقول والله لاقتلن رجالا ممن شرك في دم أبى ، يعرض بالمهاجرين والانصار ، فلما أحضره عثمان قال أشيروا على في هذا الرجل الذي فتق فى الاسلام مافتق ، فقال على أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ، وقال عمرو بن العاص ياأمير المؤمنين ان الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، فقال عثمان أنا وليه وقد جعلتها دية واحتملتها في مالى — بذلك وجد مخرجا من هذا المأزق ولكن الناس أكثروا فى دم الهرمزان فبين لهم وجهة نظره ، ثم رأى ان ينفى عبيد الله حسما للنزاع وقطعا للكلام فاخرجه من المدينة وأنزله دارا فى الكوفة

هذا ومن براجع أخبار هؤلاء القتلى يستنبط أن طعن عمر لم يك أمرا فرديا فعله أبو لؤلؤة لان عمر لم ينصفه من المغيرة ، بل انه مؤامرة سياسية دبرها هؤلاء انتقاما من المسلمين (الذين هدموا بناء النصرانية والمجوسية) وشخص خليفتهم وولى أمرهم عمر

أما جفينة فرجل من نصارى الانبار أرسله سعد الى المدينة ليقوم بتعليم صبيانها القراءة والكتابة ، وأما الهرمزان فقد عرفت من خبره فى أسره انه لايقيم للايمان والعهود وزنا ، واما أبو لؤلؤة فمن سبى الفرس ، فكلهم حينئذ من العجم الحاقدين على المسلمين وهم فى كل يوم يسمعون بالفتح فى بلادهم ويرون الاسرى من الفرس يفدون تباعا ويقتسمون

اقتسام العبيد وكان أبو لؤلؤة كلما وفد منهم وفد مسح على رءوسهم وقال أكل كبدي عمر ، وكانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض ويجتمعون عند الهرمزان، ولا بد أنهم كانوا يتداولون في أمورهم ويذكرون ما هم فيه ويرجعون بالتبعة على عمر خليفة المسلمين ، ويظهر أن كعب الاحبار كان يطلع على تدبيرهم وهو يهودي أسلم حينما رأى أن النصرانية واليهودية في اضمحلال باستمرار أمام الاسلام في بلاد العرب والشام وأن اسلامه يجعله في عز لم يحلم به بين قومه وبخاصة لانه كان عنده علم من الكتاب ومعرفة بأخبار العرب في جاهليتهم وقد جاء الى عمر فقال له اعهد فانك ميت في ثلاثة أيام فلما قتل عمر ظن المسلمون أن كعبا يجد في أخبار التوراة مالا يعلمه العرب فكان له بهذا الخبر وأمثاله منزلة سامية بينهم ، ولو كان التحقيق في قتل عمر قد سار على المنوال الحاضر لاتخذت النيابة مثلا من أخبار كعب قرينه لاشراكه مع هؤلاء في جريمة قتل عمر — هذا ولاشك ان عبيد الله بن عمر انما قتل من قتل على اعتقاد انهم اشتركوا في هذه الجناية (ويقال انه قتل ابنة أبي لؤلؤة أيضا) ولكنه أخطأ مرتين : لانه قتل غير القاتل ، ولأنه تولى القصاص بنفسه من غير ان ينتظر حكم ولي الامر ، فهو قد اقترف جريمة القتل عمدا ، ولذلك لما تولى على الخلافة أراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ، ولكن عثمان استند في اعفائه من القتل على رأي اقتنع بوجاهته فقضى بما تقدم في شأن عبيد الله ، ثم قام وصعد المنبر وبايعه الناس كافة ، وولى لوقته سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبة وذلك بوصية

عمر لانه أوصى بتولية سعد وقال لم أعزله عن سوء ولا خيانة منه ، وأقر لأول مرة عمال عمر كلهم .

﴿ الفتوح فى عهد عثمان ﴾

من الفتوح التى كانت فى عهد عثمان ماسبق فتحه أيام عمر ؛ لان أهلها نقضوا ماعاهدوا المسلمين عليه ولذلك يكون جهاد المسلمين لردهم الى الطاعة فتحا جديدا .

﴿ (١) فتح الاسكندرية ﴾

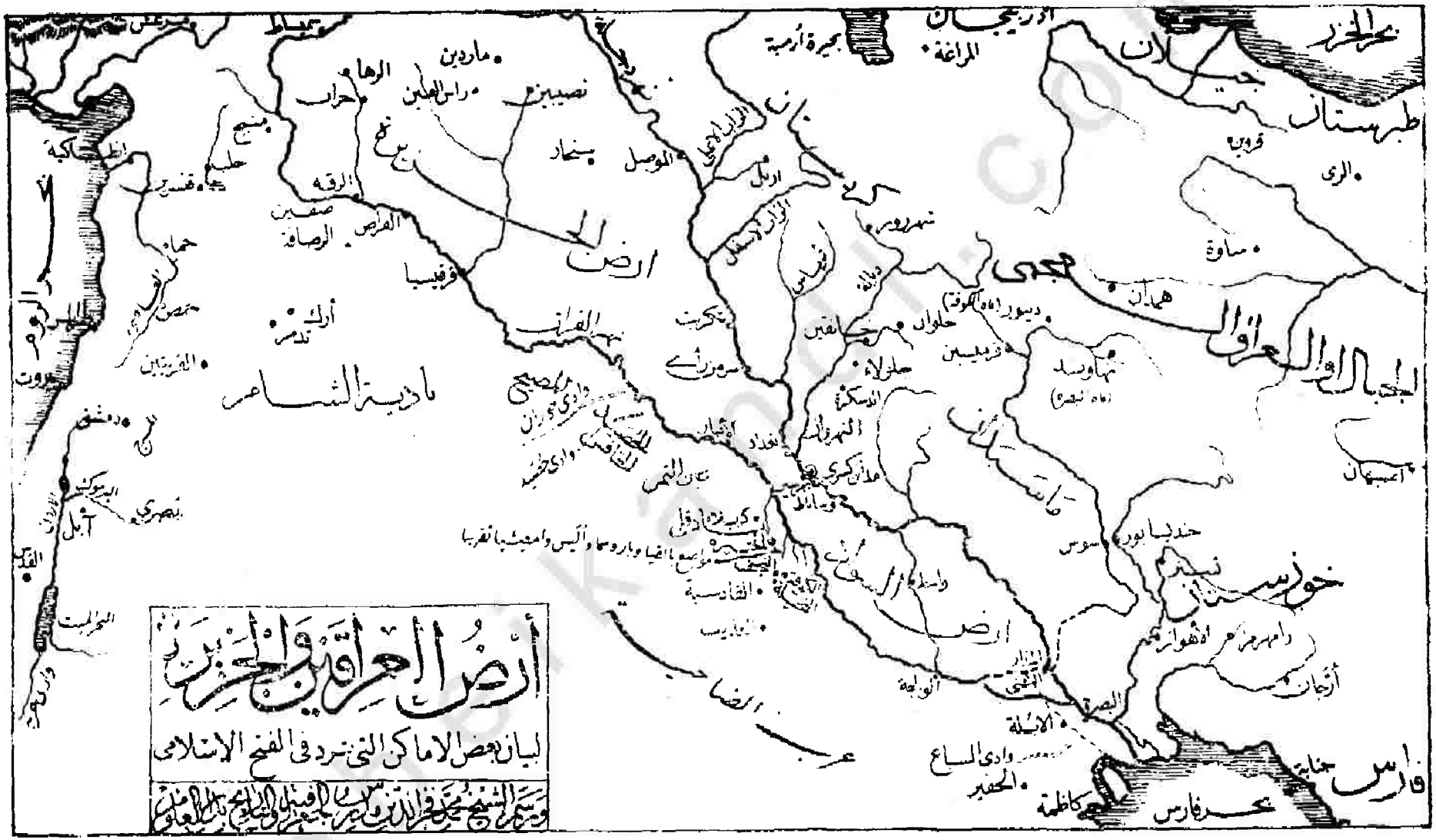
لما سار هرقل الى القسطنطينية وفارق الشام واستولى المسلمون على الاسكندرية ، بقى الروم بها تحت أيديهم ، فكاتبوا هرقل وأخبروه بقلة من عندهم من المسلمين ، وما هم فيه من الذلة وأداء الجزية واستنجدوه فأنجدهم وأرسل اليهم عسكرا مع منويل الخصى فى ثلثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فدخل منويل الاسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين ، وخرج بريد عمرا بالفسطاط ـ فلما علم عمرو سار اليه بالمسلمين ولما التقى الجمعان انهزم الروم وولوا مدبرين الى الاسكندرية اذ لم يكن لهم على غيرها طريق ، فدخلوها وتحصنوا بها فألح عليهم عمرو حتى دخلها بالسيف عنوة وقتل الروم وقائدهم وكان الروم قد أخذوا فى خروجهم الى عمرو اموال اهل القرى فردها عليهم بالبينة ثم هدم سور الاسكندرية (وكان قد نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك) ثم رجع الى مصر واستخلف على الاسكندرية وردان مولاه فلم يلبث الا قليلا حتى أتاه عزله اذ ولى عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكان أخاه من الرضاع وكان عبد الله

على خراج مصر من قبل عثمان فجرى بينه وبين عمرو كلام فكتب عبد الله يشكو عمرا فعزله عثمان وجمع العملين لعبد الله بن سعد . ويقال ان عزل عمرو جاءه وقد نزلت الروم الاسكندرية فسأل أهل مصر الخليفه أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم لان له معرفة بالحرب وهيبة في أنفس العدو ففعل حتى هزمهم فأراد عثمان ان يجعل عمرا على الحرب وعبد الله على الخراج فابى عمرو وقال أنا كما سك قرنى البقرة والامير يحلبها فولى عثمان بن سعد مصر .

﴿ فتح أرمينية و أذربيجان ﴾

اشرنا فى خلافة عمر الى أن المسلمين وصلوا فى الفتح بهذه النواحى الى ماوراء الباب ثم أنهم نقضوا فغزاهم الوليد بن عقبه لما استعمله عثمان على الكوفة وفتح وغنم وسبى حتي طلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على الصلح السابق وهو ثمانمائة الف درهم وقبض المال، ثم بعث سلمان بن ربيعة الباهلى فى اثنى عشر ألفا الى أهل أرمينية فسار يقتل ويغنم ويسبى ثم عاد الى الوليد ظافرا

ويروى أن عثمان كتب الى معاوية يغزى حبيب بن مسلمة فى أهل الشام أرمينية فبعثه وحاصر قاليقلا حتى نزلوا على الجلاء أو الجزية ،فجلا كثير امنهم فلحقوا بارض الروم وأقام فيها فيمن معه أشهرا ثم بلغه أن بطريق أرمينا فنس وهى بلاد ملطية وسيواس وقونية الى خليج قسطنطينية قد زحف اليه فى ثمانين الفا فكتب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاصى وقد ولاه الكوفة وعزل الوليد) بامداد


أرض العراقين والجزيرة
لبيان بعض الاماكن التي ترد في الفتح الاسلامي
ورسم الشيخ محمد فريد الترك مدير الجغرافيا في المدارس العلوية
أرمينية
المراغة
بحيرة أرمية
آذربيجان
طبرستان
الري
قزوين
ساوة
همذان
الجبال أو العراق العجمي
أصبهان
خوزستان
فارس
بحر فارس
كاظمة
الأبلة
البصرة
واسط
الكوفة
الحيرة
القادسية
بغداد
دجلة
الفرات
الموصل
نصيبين
ماردين
الرها
حران
الرقة
صفين
الرصافة
الفرات
تدمر
أرك
حمص
قنسرين
حلب
منبج
الرقة
الفرات
بحر الروم
أنطاكية
اللاذقية
طرابلس
بيروت
صيدا
دمشق
البحيرة
طبرية
عكا
حيفا
قيسارية
الرملة
عسقلان
غزة
بيسان
عجلون
الأردن
البلقاء
عمان
مادبا
الكرك
الشوبك
وادي الحسا
وادي عربة
البحر الميت
العقبة
تبوك
تيماء
وادي القرى
مدائن صالح
الحجر
العلا
خيبر
المدينة
ينبع
الجار
بدر
الصفراء
وادي الصفراء
رابغ
الجحفة
قديد
عسفان
مكة
جدة
الطائف
وادي نخلة
وادي تربة
وادي بيشة
وادي رنية
وادي تثليث
وادي بارق
وادي أبها
وادي سراة
وادي الدواسر
وادي الساع
وادي الحمض
وادي الحمر
وادي الحمراء
وادي الحمراء
وادي الحمراء

حبيب فامده بسلمان بن ربيعة فى ستة آلاف فبيت الروم وهزمهم وعاد الى قاليقلا ، ثم سار فى البلاد فمر بخلاط ثم أتى سمشاط فحاربوه فهزمهم وغلب على حصونهم ثم سار الى تفليس فصالحه أهلها

وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى اران فصالحه أهلها على الخراج وكذلك صنع أهل شروان وملوك الجبال الى الباب

﴿ (٢) الفتح في فارس وخراسان ﴾

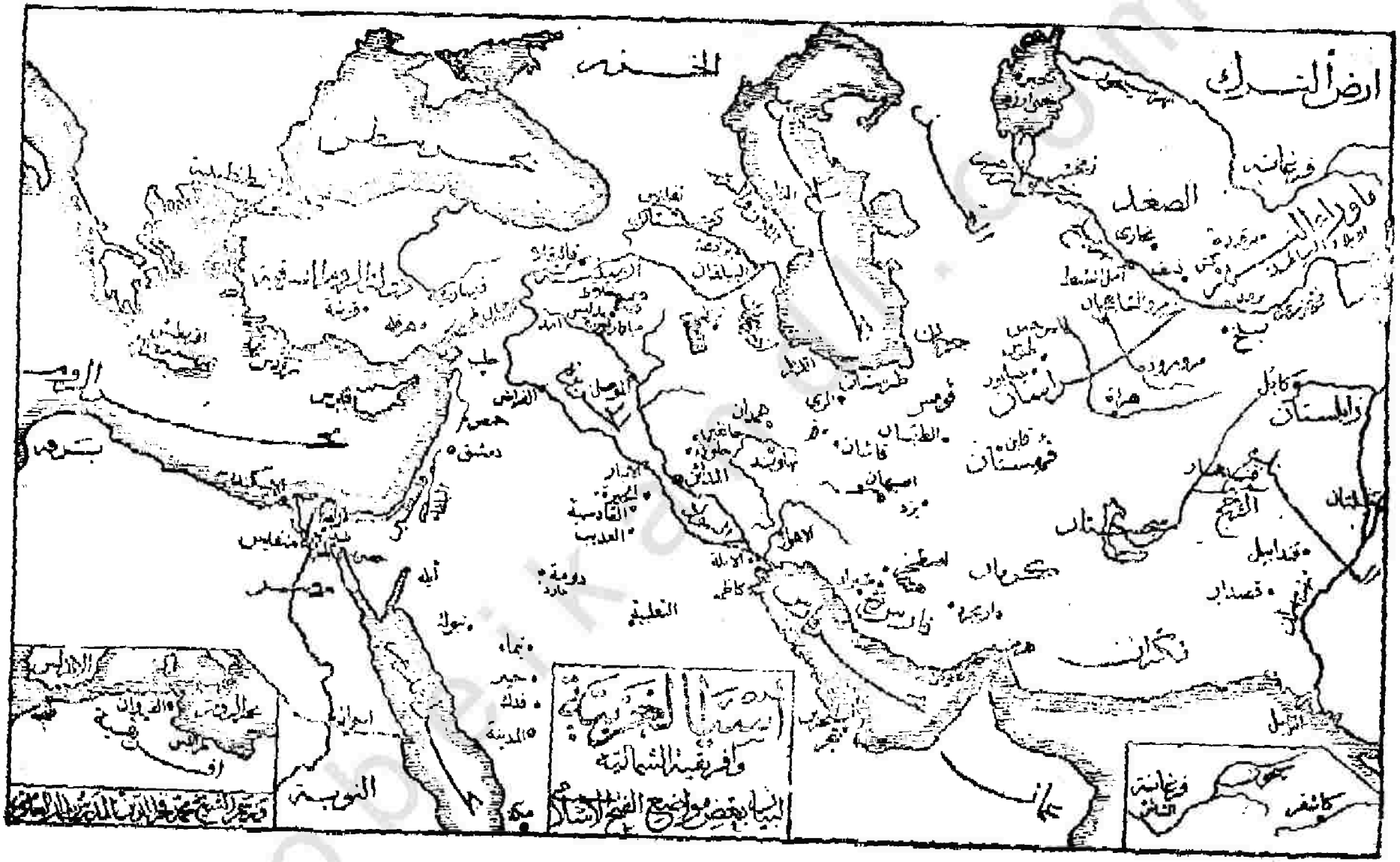
عزل عثمان أباموسى الاشعرى عن البصرة وولى مكانه عبد الله ابن عامر وهو ابن خال عثمان وكان ابن خمس وعشرين سنة ، فصرف عبيد الله بن معمر عن خراسان وبعثه الى فارس وولى على خراسان عمير بن عثمان بن سعد فاثخن فيها حتى وصل الى فرغانة ولم يدع كورة الا اصلحها ، ثم جاشت فارس وانتقضت بعاملها واجتمعوا له فلقيهم باصطخر فهزموا جنده وقتلوه فعلم ابن عامر فاستنفر أهل البصرة ولقى الخارجين باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة ، ثم سار الى غيرها فنقضت ثانية فعادوحاصرها طويلا ورماها بالمجانيق واقتحمها عنوة وقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وأفنى اكثر أهل البيوتات ووجوه الاساورة لانهم كانوا قد لجئوا اليها ووطىء أهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل وكتب الى عثمان بالفتح فأمره ان يولى العمال على كور فارس

ولما افتتح ابن عامر فارس أشار عليه الناس بقصد خراسان وكانوا قد انتقضوا فسار اليها ويقال انه عاد اولا الى البصرة ومنها سار الى خراسان واستخلف على البصرة زياد ابن أبيه وسار الى كرمان وقد

نكثوا فسير لحربهم فصيلة ولحرب سجستان فصيلة أخري وسار هو الى نيسابور وتقدمه الاحنف بن قيس الى الطبسين حصنين هما بابا خراسان فصالحه أهلها وسار الى قوهستان فقتل أهلها حتي أحجزهم فى حصنهم ولحقهم ابن عامر فصالحوه على ستمائه الف درهم ثم بعث ابن عامر السرايا الى أعمال نيسابور فاستولى عليها وعلى المدينة بعد ان حاصرها أشهرا وكان بها أربعة مرازبة من فارس فسأل أحدهم الامان على ان يدخلهم ليلا وفتح لهم الباب وتحصن الاكبر منهم فى حصنها فحاصروه حتى صالح على ألف الف درهم

ثم أرسل السرايا الى نساوا بيوردوسرخس وطوس ومرو ففتحت كلها صلحا أو عنوة وأرسل الاحنف الى طخارستان فصالح فى طريقه أهل مرو الروز بعد أن هزمهم وحاصرهم فيها ثم اجتمع اليه أهل تلك النواحي فهزمهم ورجع الى مرو ثم ذهب الى بلخ وهى مدينة طخارستان فصالحوه ثم سار الى خوارزم على نهر جيحون فامتنعت عليه فرجع الى بلخ ـ ثم ان ابن عامر استعمل على سجستان عبد الرحمن بن سمرة فسار اليها وحاصر زرنج حتى صالحوه ، ثم غلب على ماحولها وفتح كابل وزابلستان صلحا ثم عاد الى زرنج ـ ولما كان هذا الفتح العظيم على يد ابن عامر قيل له لم يفتتح لأحد مافتح عليك فقال لاجرم ، لأجعلن شكرى لله على ذلك ان أخرج محرما من موقفى هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار في أرض طخارستان ودوخها

وبالتأمل ترى أن فتوح فارس وخراسان من فتوح أهل


ارض الترك
الصغد
ماوراء النهر
فرغانة
بخارى
سمرقند
بلخ
طخارستان
غزنة
كابل
زابلستان
هراة
بوشنج
قهستان
طبسين
قومس
الري
همذان
اصبهان
نهاوند
الدينور
ماسبذان
الجبل
الكوفة
البصرة
واسط
الاهواز
فارس
كرمان
مكران
قندابيل
قصدار
الديبل
الموصل
الشام
دمشق
حلب
بغداد
الفرات
الرقة
الانبار
القادسية
العذيب
العقبة
تبوك
تيماء
حبر
فدك
المدينة
مكة
النوبة
اليمن
عمان
البحرين
الاحساء
الاندلس
افريقية
مراكش
الجزائر
طرابلس
مصر
الاسكندرية
الفسطاط
منف
برقة
الخليج
البحر الرومي
البحر المحيط
البحر الهندي
البحر الحبشي
البحر الشامي
البحر المغربي
البحر المصري
البحر الفارسي
البحر اليمني
البحر الحجازي
البحر العراقي
البحر الخزري
البحر الاسود
البحر الابيض
البحر الاحمر
البحر الهندي
البحر الحبشي
البحر الشامي
البحر المغربي
البحر المصري
البحر الفارسي
البحر اليمني
البحر الحجازي
البحر العراقي
البحر الخزري
البحر الاسود
البحر الابيض
البحر الاحمر

البصرة كما أن فتوح أرمينية وأذربيجان من فتوح أهل الكوفة وكذلك جهات طبرستان وقومس وجرجان فان سعيد بن العاص غزا طبرستان ومعه ناس من أصحاب النبى منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وحذيفة بن اليمان ، ووافق ذلك خروج ابن عامر من البصرة فنزل نيسابور ونزل سعد قومس وهي صلح ، ثم أتى جرجان فصالحوه

(٤) فتح قبرص

كان معاوية بن أبي سفيان قد جعله عمر مكان أخيه يزيد على دمشق والأردن فلما تولى عثمان جمع له حمص وقنسرين ثم فلسطين فاجتمع الشام كله لمعاوية لسنتين من امارة عثمان وكان يلح على عمر فى غزو البحر وهو بحمص وكان كتب اليه فى شأن قبرس أن قرية من قرى حمص يسمع أهلها بنباح كلاب قبرس وصياح دجاجهم ـ فكتب الى عمرو ابن العاص أن صف لى البحر وراكبه فكتب اليه كتابه المعروف فكتب الى معاوية والذى بعث محمدا بالحق لأحمل فيه مسلما أبدا ـ ثم ألح على عثمان بعده فى غزو البحر فأجابه على خيار الناس وطوعهم ففعل وسار المسلمون الى قبرس من الشام ، وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من سواهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم وكان ذلك سنة ٢٨ أو ٢٩ أو ٣٣

﴿ (٥) الفتح فى أفريقية ﴾

أمر عثمان عبد الله بن أبى سرح بغزو أفريقية سنة خمس وعشرين وقال له ان فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم ، فأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس على جند ، وعبد الله بن نافع بن الحرث على آخر وسرحهما فخرجا فى عشرة آلاف الى افريقية فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة أهلها — ثم ان ابن أبى سرح استأذن عثمان في ذلك فاستشار الصحابة فاشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة فساروا مع عبد الله سنة ست وعشرين ولقيهم عقبة بمن معه ببرقة ثم ساروا الى طرابلس فنهبوا الروم عندها ثم ساروا الى أفريقية وبثوا السرايا فى كل ناحية ، وكان ملكهم جرجير يملك مابين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل اليه الخراج ، فلما بلغه الخبر جمع مائة وعشرين الفا ولقي المسلمين على يوم وليلة من سبيطلة دار ملكهم ، فدعوه الى الاسلام أو الجزية فاستكبر ، ولحقهم عبد الرحمن بن الزبير مددا بعثه عثمان ، ولما سمع جرجير بالمدد فت فى عضده ثم أن المسلمين حملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل جرجير عبد الله بن الزبير وأخذت ابنته ، ثم حاصر ابن أبى سرح سبيطلة حتى فتحها ومازال يوغل ويفتح الله عليه حتى صالحه أهل افريقية على ألفى ألف وخمسمائة دينار ، فارسل ابن الزبير والخمس فاشتراه مروان بخمسمائة الف دينار ثم رجع ابن أبى سرح الى مصر بعد مقامه سنة وثلاثة أشهر .

ولما بلغ هرقل أن أهل أفريقية صالحوا غضب عليهم وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك المال فأبوا وقالوا كان ينبغي أن يساعدنا فيما نزل بنا فحاربهم البطريق وطرد ملكهم الذى ولوه بعد جرجير ففر الي الشام .

ثم خرج قسطنطين بن هرقل غازيا الى الاسكندرية فى ستمائة مركب وركب المسلمين البحر مع ابن أبى سرح ومعه معاوية فى أهل الشام ولما التقي الجمعان استحر القتل فانهزم قسطنطين وجرح وسار الى صقلية فاخبرهم بالهزيمة وعاد ابن ابى سرح ظافرا ، وتسمى هذه الغزوة (ذات الصواري) وكان سنة ٣٤ وسميت بذلك لكثرة صوارى المراكب واجتماعها

(مقتل يزدجرد)

لما خرج ابن عامر من البصرة الى فارس فافتتحها هرب يزدجرد فبعث ابن عامر في أثره من اتبعه الى كرمان فهرب منها الى خراسان ولحق بمرو فسأل ماهويه (وهو مرزبانها) فى المال فمنعه وخافه على نفسه وخافه أهل مرو على أنفسهم ، فاستنصروا الترك فاتوه فبيتوه فقتلوا اصحابه ، فهرب يزدجرد ماشيا الي شط المرغاب فاوى الي بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله . وقيل أن أهل مرو هم الذين بيتوه وقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره الى بيت الذى ينقر الارحاء فاخذوه وضربوه فاقر بقتله فقتلوه واهله وقد جاء في قصة يزدجرد وقتله روايات كثيرة تنتهى كلها الى ان النقار قتله بعد أن ظل فى محاربة العرب ست عشرة سنة وبموته انقرض ملك الساسانية

﴿أمر المصاحف﴾

كان سعيد بن العاصى ردءا لحذيفة بن اليمان بأذربيجان حينما سار لغزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة ، فلما عاد حذيفة اخبره بما رأى من اختلاف أهل البلد ان في القرآن ، وان أهل حمص يقولون قراءتنا خير من قراءة غيرنا أخذناها عن المقداد ، وأهل دمشق يقولون كذلك، وأهل البصرة عن أبى موسى ، وأهل الكوفة عن ابن مسعود ، فانكر ذلك سعيد واستعظمه وحذر من الاختلاف فى القرآن ، ووافقه من حضر من الصحابة والتابعين ، وأنكر عليه أصحاب ابن مسعود وأغلظ عليهم وخطأهم فاغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وافترق المجلس ، ثم سار حذيفة الى عثمان فأخبره وقال : أنا النذير العريان فادرك الأمة ، فجمع عثمان الصحابة فرأوا مارآه حذيفة ، فارسل عثمان الى حفصة أن ابعثى الينا بالصحف ننسخها ، وكانت هذه الصحف هى التي كتبت أيام أبى بكر (فان القتل لما استحر فى القراء يوم اليمامة قال عمر لأبى بكر أرى ان تأمر بجمع القرآن لئلا يذهب الكثير منه لفناء القراء فأبى وقال ان رسول الله لم يفعله ، ثم استبصر ورجع الى رأى عمر ، وأمر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال ، وكتب فى الصحف فكانت عند أبى بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة) وارسل عثمان فأخذها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف وقال : اذا اختلفتم فى كلمة فاكتبوها بلغة قريش ففعلوا ونسخوا المصاحف فبعث الى كل افق

بمصحف يعتمد عليه وحرق ماسوى ذلك فى سائر الامصار فكل الناس عرف فضل هذا الفعل الاماكان من اهل الكوفة فان المصحف لما قدم عليهم فرح به أصحاب النبي أما أصحاب ابن مسعود ومن وافقهم فامتنعوا عن ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود حتى نحاهم عن ذلك وحملهم عليه

﴿ بدء الانتقاض على عثمان ﴾

مقدمة — لما استكمل الفتح على مارأيت ونزل العرب الامصار وكان المختصون بصحبة الرسول والمتأدبون بآدابه والمقتدون بهدية هم المهاجرون والانصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم — وأما سائر العرب من بكر وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وقضاعة وتميم ،فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان الا قليلا منهم ،وكان لهم فى الفتح الاسلامى فضل يعترفون لانفسهم به ، ولا ينكر فضلاؤهم فضل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بل يدينون بمعرفة حقهم ،وكانوا في أيام الرسول وما بعده بقليل قد شغلوا بامر النبوة وترددالوحى وتنزل الملائكة فلما مضت تلك الايام تنوسى الحال بعض الشيء واستفحل الملك وذل العدو ونبضت فيهم عروق الجاهلية واستيقظوا فاذا الرياسة عليهم للمهاجرين والانصار من قريش، عند هذا أنفت نفوسهم ورأوا أنه لاينبغى أن يخضعوا لغيرهم وقد كانوا سادة ليس لاحد عليهم سبيل ، ووافق ذلك أيام عثمان فأرادوا أن يصطادوا فى الماء العكر فكانوا يظهرون الطعن فى ولاته بالأمصار ومؤاخذتهم

ونقدهم والابطاء فى طاعتهم والتجني عليهم وسؤال الاستبدال والعزل ، ويفيضون فى النكير على عثمان — وفشت المقالة بذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الامراء فى جهاتهم ، وانتهت الاخبار بذلك الى الصحابة بالمدينة فارتابوا لها وافاضوا فى عزل عثمان وحمله على عزل احرائه

فلما أحس عثمان الامر بعث الى الامصار من يأتيه بصحيح الخبر فرجعوا اليه وقالوا ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعيان المسلمين — الاعمار ابن ياسر فقد اغتاله قوم من الاشرار بمصر وانقطعوا اليه فلم يرجع ، وكان ممن لازمه عبد الله بن سبأ ويعرف بابن السوداء وكان يهوديا وهاجر أيام عثمان فلم يحسن اسلامه وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو فى السر لآل البيت ويقول أن محمدا يرجع كما يرجع عيسى مستدلا بقوله تعالى « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » وان عليا وصى النبى وقد ظلم حيث لم تجز وصيته ، وان عثمان اخذ الأمر بغير حق ، وكان يحرض الناس على القيام فى ذلك والطعن على الأمراء فاستمال الناس بذلك فى الامصار وكاتب به بعضهم بعضا وكان معه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فثبطوا عمارا عن المسير الى المدينة

وبعد فقد حجر عمر على أعلام قريش الا باذن والى أجل ، وكان يقول لهم ان أخوف ما أخافه على هذه الامة انتشاركم فى البلاد ، ولقد كان لرجل منهم يستأذنه فى الغزو فيقول له قد كان لك فى غزوك مع رسول الله ما يبلغك ، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك كل ذلك خشية أن تمتلئ أيديهم بالاموال وينقطع اليهم الناس فى البلاد

التي يذهبون اليها فيكون سمرهم فى نقد أولى الامر من الخليفة وعماله ومن هنا يكونون مصدرا لمتاعب الخليفة ومبعثا للفتنة .

أما عثمان فقد خلى عنهم فانساحوا فى البلاد فرأوها ورأوا الدنيا فيها فلم تمض سنة من امارة عثمان حتى اتخذ من قريش رجال أموالا في الامصار وانقطع الناس اليهم فنهضوا ونهض الناس معهم لمناقشة عثمان الحساب حينما ظهر لهم انه آثر أقاربه من بنى أمية بالمال والاعمال فكأن عمر حجر عليهم حتى لاتغرهم الحياة الدنيا فيكونون خطرا على الامة ، وعثمان فتح لهم أبواب الغنى (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) نعم انه كان لعثمان وجهة نظر لا يستهان بها فى حضهم على نزول الامصار واتخاذ الاموال بها وهي انه حسب انهم سيكونون له أعوانا وعيونا ، وأنهم هم أهل السابقة والفضل سيصبحون سادة الناس وقادتهم وبهم تنقطع اطماع غيرهم في الرياسة ولو أنه اصاب الى ذلك مايشغلهم بانفسهم عنه وعن التحدث فى مجالسهم ومنتدياتهم بنقد اعماله العامة والخاصة ، كالجهاد مثلا ، لسلم من نتيجة اذنه اليهم الذى كان مجرد اجتهاد منه وحسن ظن ، وقد يجنى على المرء اجتهاده ـ وبعد فهل تراه أساء اليهم أو جاءته الاساءة من طريق الاحسان وانطبق عليه الأثر المشهور وهو (اتق شر من أحسنت اليه) ! !

فى هذه المقدمة الطويلة بينا ما كان من نفسية العرب عامة وقريش خاصة أيام عثمان

أما الأمصار فقد كانت الكوفة أول مصر فرق الشيطان بين

أهله فى الاسلام ولقد بدأ الشر بالنزاع بين سعد الامير ، وابن مسعود أمين بيت المال ، اقترض الاول من الثانى ثم عجز عن الوفاء فتلاحيا واستعان كل منهما على صاحبه بقوم فبعثا بذلك العصبية من بعد موتها — وثنى بأن الوليد بن عقبة استفتى عثمان بقتل شباب من أبناء الكوفة عاثوا في الارض فسادا ، فأضمر آباؤهم الشر للوليد وتحينوا الفرص للايقاع به حتى لفقوا عليه تهمة المعاقرة عند عثمان فأحضره وجلده مع أن الوليد حلف وأخبره خبرهم وأنهم موتورون لقتل أبنائهم ، فقال عثمان نقيم الحدود وبيوء شاهد الزور بالنار

ولما ولى سعيد بن العاص بعد الوليد رجع معه أولئك الذين أتهموا الوليد ولفقوا عليه مالفقوا ، وهم يعتقدون أن لهم يدا على سعيد فلن يبرم أمرا الا بمشورتهم واذنهم غير أن ظنهم خاب فعادوا الى الشغب والكيد لسعيد أيضا وكان منهم الاشتر النخعي — وأحس سعيد بنواياهم فحرمهم أن يسمروا عنده فانقطعوا الى اذاعة أخبار السوء عن عثمان وسعيد حتى اضطر الاخير الى استئذان الخليفة فى نفيهم الى الشام فنفاهم وأوصى معاوية بهم ، فنصح اليهم فلم ير فيهم مايحب فكتب الى الخليفة أنه قدم على قوم ليست لهم عقول ولا أديان ، وقال لهم اذهبوا حيث شئتم فأووا الى الجزيرة فهددهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى تابوا ، وسرح الاشتر الى عثمان بتوبتهم جميعاً فظلوا بالجزيرة الى أن فرق سعيد الامراء لغزو فارس وخرج الى عثمان فعادوا الى الكوفة ، فلما أراد سعيد العودة منعوه فعاد الى عثمان فاضطر الى أن ينزل على

ارادتهم وهى أن يولى عليهم أبا موسى الاشعرى ، وبذلك صار الامر اليهم وضعف سلطان الخليفة عليهم

وأما البصرة فلم تك أقل اضطرابا من الكوفة ، وقد ظهر فيها عبد الله بن سبأ وبث دعوته سرا وجهرا . وجاء القوم بكلام يقبلونه بسهولة ، وهو تعظيم النبي وآله فقبله الجهال والسوقة ومن لم تثبت له قدم فى الاسلام ، والتفوا حوله ، ولكن ابن عامر أخرجه فاستقر أخيرا بمصر التى لم يك الامر فيها أقل منه فى أمصار العراق . فان ابن سبأ لما جاءها وأسمع الناس دعوته ووجد منهم أذنا واعية ، قال لهم انهضوا في هذا الامر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وادعوا غيركم الى هذا الامر ، ثم كاتب من أفسد بالشام والعراق وكاتبوه حتى بلغت الدعوة أهل المدينة فحركهم ذلك الى مخاطبة عثمان بما دخل على الناس من عماله ، فاستشارهم فأشاروا عليه بارسال من أرسلهم الى الامصار فرجعوا اليه ولم ينكروا شيئا كما سلف ، واستبطأ الناس عمارا فلم يفجأهم الا كتاب ابن سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر وانقطعوا اليه منهم ابن سبأ — وكان فى نفس عمار من عثمان موجدة لانه ضربه مرة في القذف — واتفق أن اجتمع بمصر محمد بن أبى حذيفة على محمد بن أبى بكر ، ألف بينهما بغض عثمان لانه لم يولهما وولى ابن عامر — هؤلاء الثلاثة كانوا بمصر يؤلبون الناس على عثمان ولهم منازلهم في نفوس الناس

وأما الشام فقد قبض عليها معاوية بيد من حديد ولهذا لم تجد دعوة الداعين فيها ما وجدته فى مصر والعراق ، غير أن أبا ذر لما ظهر بالمدينة ثم بالشام وجاهر بأنه لا ينبغى لاحد أن يكون عنده أكثر من

قوت يومه ؛ ويأخذ بالظاهر في ذم الادخار بكنز الذهب والفضة ، كان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله المال مال الله فما زال به حتى عتب معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين ، وجاء ابن سبأ الى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ما أتى به أبا ذر فدفعاه ، وجاء به عبادة الى معاوية وقال هذا الذى بعث عليك أبا ذر فأخرجه من الشام ولما أكثر أبو ذر شكاة معاوية الى عثمان استقدمه وقال له يا أبا ذر لايمكن حمل الناس على الزهد ولكن على أن أقضى بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد ، فلم يرض واستأذن عثمان فى الخروج من المدينة فأذن له ونزل الربذة وبنى مسجداً وأقطعه عثمان عددا من الابل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا فعد أولئك الناس خروج أبى ذر نفيا وجعلوه فى أسباب الطعن على عثمان . هذا وأما مابروي من أن عثمان قال لمعاوية احمله الى المدينة بغير وطاء وأن عثمان نفاه الى الربذة على وجه شنيع فمن أوضاع الناقمين على عثمان ولا أصل له

وبعد فقد رأيت أن البلاد الاسلامية عامة قد فشت فيها فاشية السوء بين الحكام والمحكومين وما زالت تنمو حتى سئل المسلمون سيوفهم على أنفسهم وحدثت أشأم ثورة فى الاسلام

حصار عثمان ومقتله

قد رأيت أن أجزأ هذا الموضوع على النحو الآتى :

(١) لما كثرت الاشاعة في الامصار بالطعن على عثمان وعماله كتب اليهم : انه قد رفع الى أهل المدينة أن عمالى وقع منهم أضرار بالناس،

وقد أخذتهم بأن يوافوني في كل موسم ، فمن كان له حق فليحضر يأخذ حقه مني أو من عمالي أو تصدقوا فان الله يجزى المتصدقين فبكي الناس عند قراءة كتابه عليهم ودعوا له ـ ثم بعث الى عمال الامصار فقدموا عليه بالموسم فقال ويحكم ماهذه الشكاية والاذاعة ! فقالوا له ألم يخبرك رسلك بأن أحدا لم يشافههم بشيء وانما هذه اشاعة لا يحل الاخذ بها ـ فقال لهم سكنوا الناس وبينوا لهم ، ورجع الى المدينة فدعا عليا وطلحة والزبير ومعاوية حاضر فقال أنتم ولاة هذا الامر واختر تم صاحبكم (يعنى عثمان) وقد كبر وأشرف ، وفشت مقالة خفتها عليكم فاتتهره على ، وقال عثمان: اللذان قبلي منعا قرابتهما احتسابا لله ، ورسول الله كان يعطى قرابته ، وان قرابتى أهل عيلة فأعطيتهم ، فان رأيتم ذلك خطأ فردوه ، قالوا أعطيت عبد الله بن خالد خمسين ألفا ومروان خمسة عشر الفا ، قال آخذ ذلك منهما ، فانصرفوا راضين ـ ثم قال معاوية : اخرج معى الى الشام قبل أن يهجم عليك مالا تطيقه قال لا أبتغي بجوار رسول الله بدلا ، قال فابعث اليك جندا يقيمون معك ، قال لا أضيق على جيران رسول الله ، فقال لتُغنا لَنَّ ولتغزيَن ، قال حسبى الله ونعم الوكيل ـ ثم مر على على وطلحة والزبير فوصاهم بعثمان وودعهم

(٢) وكان المنحرفون عن عثمان بالامصار قد تواعدوا عند مسير الامراء اليه أن يثبوا عليه فى مغيبهم فرجع الامراء ولم يتهيأ لهم ذلك ، ثم جاءتهم كتب من المدينة ممن صار الى مذهبهم في الانحراف : أن اقدموا علينا فان الجهاد عندنا فكاتبوا من أمصارهم فى القدوم الى

المدينة (ا) فخرج المصريون فى خمسمائة أو الف وعليهم الغافقى بن حرب العكى (ب) وخرج أهل الكوفة وعليهم الاشتر (ج) وخرج أهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير السعدى وكلهم فى عدد أهل مصر - خرجوا جميعا في شوال مظهرين للحج - فلما كانوا على ثلاث مراحل من المدينة تقدم ناس من أهل البصرة (وكان هواهم في طلحة) الى ذي خشب - وتقدم ناس من أهل الكوفة (وكان هواهم فى الزبير) فنزلوا الاعوص - ونزل معهم ناس من أهل مصر (وكان هواهم فى على) وتركوا عامتهم بذى المروة - ثم دخل فريق منهم المدينة والقوا عليا وطلحة والزبير وعائشة وأمهات المؤمنين وأخبروهم انهم انما أتوا الى الحج وأن يستعفوا من بعض العمال واستأذنوا فى الدخول فمنعوهم فرجعوا الى أصحابهم وتشاوروا فى أن يذهب كل فريق الى صاحبه فأتى المصريون عليا فصاح بهم وطردهم وكذلك صنع طلحة والزبير بمن جاءهما فانصرفوا جميعا الى عسكرهم وتفرقوا، ثم لم يشعر أهل المدينة والتكبير في نواحيها وقد هجموا وأحاطوا بثمان ونادوا بأمان من كف يده.

وغدا عليهم علىّ فقال ماردكم بعد ذهابكم وقالوا أخذنا كتابا مع بريد بقتلنا، وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل ذلك وانهم جاءوا لينصروا أهل مصر فقال لهم على كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلمكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا، هذا أمر أبرم بليل، فقالوا اجعلوه كيف شئتم لاحاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا - كل

ذلك وهم يصلون خلفه وهم أدق فى عينه من التراب وكانوا قد منعوا الناس من الاجتماع

(٣) وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجد بهم فخرجوا على الصعب والذلول وأقام نفر في الامصار يحضون على اعانة أهل المدينة ثم خرج عثمان فصلى بالناس الجمعة فنصح للثائرين فلم يلبثوا أن ثاروا بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان فارسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا ،وأقبل على وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون وكان عنده نفر من بنى أمية فيهم مروان فقالوا كلهم لعلى أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع فقام علي مغضبا وعاد هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالناس ثلاثين يوما بعد ذلك ثم منعوه وصلي الغافقى بن حرب وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لايجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليمتنع به ، وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض للثائرين وضعوا فيه السلاح فلما مضت ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار فاخبروا الثوار بخبر من تهيأ اليهم من الجنود فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شيء حتى الماء فارسل الى على وطلحة والزبير وازواج النبي فغضب على غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان واشرف عليهم عثمان وقرر حقوقه وسوابقه فقال بعضهم مهلا عن أمير المؤمنين فجاء الاشتر وقال لايمكربكم ، ثم خرجت عائشة الى الحج ودعت أخاها محمد بن ابى بكر وقد قدم مع

المصريين) فأبى - وكان ابن عباس ممن لزم بيت عثمان للمدافعة فاشرف عليه عثمان وأمره أن يحج بالناس فقال جهاد هؤلاء أحب الى ، فاقسم عليه فانطلق .

(٤) ولما رأى أهل مصر أن أهل الموسم يريدون قصدهم وأن يجمعوا ذلك الى حجهم مع مابلغهم من مسير أهل الامصار قالوا لا يخرجنا من هذا الامر الذى وقعنا فيه الا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك فقاموا الى الباب ليفتحوه فمنعهم الحسين بن على وابن الزبير وابن طلحة ومروان وسعيد بن العاصى ومن معهم من أبناء الصحابة وقاتلوهم وغلبوهم دون الباب ؛ فزجرهم عثمان وقال أنتم فى حل من نصرتى وحلف ليدخلن فدخلوا وأغلق الباب فجاء الثائرون بالنار وأحرقوه ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وخشى محمد بن أبى بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فاخذ بيدى رجلين فقال لهما اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ماتريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد ، فتسور محمد بن ابى بكر وصاحباه من دار محمد بن حزم الانصارى فدخلوا عليه وليس معه الا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف فى حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا على البيوت - فتقدم اليه محمد بن أبى بكر وأخذ بلحيته فقال له عثمان أرسل لحيتى يابن أخى فلو رآك أبوك لساءه مكانك ، وغمز الرجلين فوجأاه بمشاقص معهما حتى قالا وخرجوا ثلاثتهم هاربين من حيث أتوا وخرجت امرأته فقالت ان أمير المؤمنين

قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا فاكبوا عليه يبكون. وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينه فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا ولطم على وجه الحسن وضرب صدر الحسين وشتم ابن طلحة ولعن ابن الزبير وخرج وهو غضبان يرى أن طلحة قد أعان عليه .

ويقال ان نائلة أكتبت على عثمان تتقى الضرب بيدها فنفحها احدهم بالسيف فى أصابعها فقطعها ثم قتلوا عثمان وسال دمه على المصحف . أما الثائرون فانتهبوا الدار وما على النساء حتى ماكان على نائله ودار القتال بينهم وبين غلمان عثمان وأرادوا قطع رأس عثمان فمنعهم النساء حتى قال قائل منهم اتركوه ثم خرجوا الى بيت المال فانتهبوه

وكان قتل الخليفة عثمان لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ويقال انه بقى فى بيته ثلاثة أيام ثم دفن ليلا رضى الله عنه

وهنالك رواية أخري يرويها الزهري عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعيد هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ماكان شأن الناس وشأنه ، ولم خذله أصحاب محمد ؟ فقال : قتل عثمان مظلوما ، ومن قتله كان ظالما ، ومن خذله كان معذورا ، قلت وكيف ذلك ؟ قال : ان عثمان ولى كره ولايته نفر من أصحاب الرسول لأن عثمان كان يحب قومه ، فولى الناس اثنى عشرة سنة وكان كثيرا مايولى بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله صحبة ، وكان يجيء من أمرائه مايكره اصحاب محمد فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم ، . . . وولى عبد الله بن ابى سرح مصر فمكث عليها

سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، ومن قبل ذلك كانت من عثمان هنات الى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر ، فكانت هذيل وبنو زهرة قلوبهم مافيها لابن مسعود ، وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم مافيها ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بحال عمار بن ياسر ، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح ، فكتب اليه عثمان يتهدده فابى ابن أبي سرح أن يقبل مانهاه عثمان عنه وضرب رجلا ممن اتى عثمان فقتله ، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل الى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا الى اصحاب رسول الله في مواقيت الصلاة ماصنع ابن أبي سرح ، فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد ، وارسلت اليه عائشة : قد تقدم اليك أصحاب الرسول وسألوك عزل هذا الرجل فابيت ان تعزله ، فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال . انا سألوك رجلا فكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم ، وان وجب عليه حق فانصفهم منه ، فقال لهم اختاروا رجلا أوله عليكم مكانه فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه واخرج معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الارض خبطا كانه رجل يطلب أو يُطلب ، فقال له اصحاب محمد ماقصتك كانك هارب او طالب ، فقال أنا غلام امير المؤمنين وجهني الى عامل مصر ، فقالوا هذا عامل مصر معنا ، قال ليس هذا أريد ، وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في

طلبه فأتى به ، فقال له غلام من انت ؟ فاقبل مرة يقول غلام أمير المؤمنين ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم انه لعثمان ، فقال محمد الى من أرسلت ، قال الى عامل مصر ، قال قال بماذا ؟ قال برسالة قال معك كتاب ؟ قال لا ففتشوه فلم يجد معه شيء الا اداوة قد يبست فيها شيء يتقاقل فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح : فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه . اذا جاءك فلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي وأحتبس من جاء يتظلم منك . . . . فلما قرءوا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من اصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرءوهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة الا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضبا لابن مسعود وأبي ذر وعمار غضبا وحنقا ، وقام أصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم ، ما منهم احد الا وهو مغتم بما قرءوا في الكتاب ، وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن ابي بكر بني تميم وغيرهم وأعانه طلحة على ذلك وكانت عائشة تقرضه كثيرا فلما رأى ذلك علي بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب الرسول كلهم بدري ، ثم دخل على علي عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير وقال له علي : هذا الغلام غلامك ؟ قال نعم ، والبعير بعيرك قال نعم ، والخاتم خاتمك قال نعم ، قال فأنت كتبت

الكتاب ؟ قال لا ، وحلف بالله ما كتب الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام الى مصر قط ، واما الخط فعرفوه أنه خط مروان

وسألوه أن يدفع اليهم مروان فأبى وكان مروان عنده فى الدار ، فخرج أصحاب محمد عليه السلام من عنده غضابا وشكوا فى أمر عثمان وعلموا انه لا يحلف باطلا الا أن قوما قالوا لا نبرىء عثمان الا أن يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف امر هذا الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق ، فان يك عثمان كتبه عزلناه ، وان يك مروان كتبه على لسانه نظرنا فى أمره ، ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج اليهم مروان وخشى عليه القتل ، فحاصر الناس عثمان ومنعوا عنه الماء الى أن تسوروا عليه داره وقتلوه كما سلف

ويروى أن أهل مصر لما قدموا دخلوا على عثمان فقالوا كتبت فينا كذا وكذا فقال انما هما اثنتان . أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذى لا اله الا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم ، قالوا قد أحل الله دمك وحصروه فى الدار ، فارسل عثمان الى الاشتر فقال ما يريد الناس منى قال واحدة من ثلاث ليس عنها بد قال وما هى قال يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فاصنعوه من شئتم ، وأما أن تقتص من نفسك فان أبيت فالقوم قاتلوك فقال . اما أن أخلع لهم أمرهم ، فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله تعالى فتكون سنة من بعدى كلما كره القوم أمامهم خلعوه ، وأما أن اقتص من نفسى فوالله لقد

علمت أن صاحبيّ بين يدى قد كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص ، واما تقتلونى فلئن قتلتمونى لاتتحابون بعدى أبدا ثم لزم داره وأقسم على أهل المدينة فرجعوا الا من ذكرنا من أبناء الصحابة فحاصره الثوار الى أن قتلوه قبل أن تجيئه النجدات فلما رأى عثمان ماقد نزل به كتب الى معاوية أن أبعث الى من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول فتربص به معاوية وكره مخالفة أصحاب النبى وقد علم اجتماعهم فلما أبطأ معاوية كتب الى يزيد بن أسد بن كرز البجلى والى أهل الشام يستنفرهم ويذكر حقه عليهم ، ويقول ان كان عندكم غياث فالعجل العجل فان القوم معاجلى ، فعجل يزيد وتبعه الناس حتى اذا كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا ، وكتب عثمان الى ابن عامر بالبصرة فاجاب الناس وساروا حتى اذا كانوا بالربذة ونزلت مقدمتهم احدى نواحى المدينة أتاهم قتل عثمان . وبمناسبة الكتاب الذى وجدوه مع غلام عثمان فرجعوا من الطريق ودخلوا المدينة وحاصروا عثمان تقول ان هذا الكتاب لايبعد أنه مفتعل وأنه لامن عثمان ولا من مروان وأن فريقا من أهل المدينة ممن حقدوا على عثمان قد لعب دورا في هذا الشأن فكتب كتبا من هذا القبيل ليزيد الطين بلة فقد جاء الثوار كتاب من علي أيضا يدعوهم الى العودة بعد أن فارقوا المدينة فلما دخلوا عليه قالوا قم معنا الى هذا الرجل قال لا والله لاأقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال والله ماكتبت اليكم فنظر القوم بعضهم الى بعض - وليس ببعيد أن يكون هؤلاء الكتاب كتبوا الى أهل مصر بان عليا معهم فى الرأى مثلا .

وجاء الثوار كتاب من عائشة تدعوهم الى الخروج على عثمان

حتى لقد قال لها مروان هذا عملك فقالت والله ما كتبت اليهم السواد فى بياض فكان الثوار يرون أنه كتب على لسان على وعلى لسانها كما كتب على لسان عثمان الى اهل مصر ، فكان اختلاق هذه الكتب كلها سببا للفتنة التي أدت الى قتل عثمان :

وواضح أنه كان ينبغي على عثمان أن يضاعف اقناع الناس باجراء تحقيق سريع فى أمر الغلام ومن سلم اليه الكتاب ومن الذى أمره أن يخرج وفى أمر الجمال وكيف ان القيم على ابل الصدقة تصرف فيه هذ التصرف ، فعند ذلك كانت تنجلى الحقيقة ويقع العقاب على الجانى وتنطفيء الثورة ، لكن عثمان لم يفعل ، بل قال لهم (حينما سألوه ماهذا الكتاب الذى وجدناه مع رسولك وكتبت به الى عاملك) ماقمت ولا علم لي بما تقولون ، قالوا يريدك على جملك وكتاب كتبك ، عليه خاتمك ، قال اما الجمل فمسروق وقد يشبه الخط الخط واما الخاتم فانتقش عليه . قالوا فانا لانعجل عليك وان كنا قد اتهمناك : اعزل عنا عمالك الفساق واستعمل علينا من لايتهم علي دمائنا واموالنا واردد علينا مظالمنا قال عثمان ماأرانى اذاً في شيء ان كنت استعمل من هويتم وأعزل من كرهتم ، الامر اذاً امركم ، قالوا والله لتفعلن أو لتعزلن او لتقتلن فانظر لنفسك او دع ، فأبى عليهم وقال . لم اكن لاخلع سربالا سربلنيه الله ، فحصروه أربعين ليلة وطلحة يصلى بالناس .

وبعد فلقائل أن يقول أين أهل المدينة وقد حاصر الثائرون عثمان وقتلوه مع طول أمد الحصار واتساع الزمن لاجراء كل مايمكن من

التدبير ، وهل عجزوا عن نصرته وهم الذين قاتلوا أعداء الاسلام جميعا حتى انتصروا عليهم ؟

والجواب عن ذلك بسيط جدا وهو أن أهل المدينة من الانصار والمهاجرين لم يكونوا راضين عن عثمان لانه جرأ الناس عليه وأطمعهم فى جانبه من رقته ولينه ، ولان منهم من كان يريد الامر لنفسه وأحب شيء اليه أن تثور الفتن فيتمكن من الوثوب ، ولأن عثمان لم يستن بسنة صاحبيه فى استشارة أعلام المهاجرين ، كما كان يفعل عمر فى كل دقيق وجليل من أمور المسلمين العامة بل كان يفضى بكل ذلك الى قرابته من بني أمية ولا سابقة لهم ، فلما رأى السابقون الاولون انه أخرهم وقدم المسبوقين ضعف روح التعاون بينه وبينهم فلم يدفعوا عنه طعنا ولم يخذلوا عنه الناس وتراخوا في نصرته حتى تمكن منه الثائرون وقتلوه

وكان عثمان رحمه الله بين عوامل قاسية كلها تتنازعه منها

(١) بنو أمية الذين غلبوه على أمره وكلما رأى طريقة لمعالجة الخطر لايحبونها حملوه على تركها .

(٢) أهل المدينة الذين كانوا بين خاذل له وساكت عن رضا ومؤاب عليه ، أما المعينون فقليل ماهم

(٣) الثائرون الذين رأوا أن تنازلهم ولو عن شيء مما رسموه لأنفسهم هو منتهي خذلانهم .

(٤) تمسك الخليفة بالخلافة وإباؤه أن ينزل عن الأمر الى رجال الامة يدبرونه على حسب مايريدون .

ولقد لقيه المغيرة بن شعبة وهو محصور فقال له ياأمير المؤمنين انك

امام العامة وقد نزل بك ماترى وأنى اعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احداهن : اما ان تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة ، وانت على الحق وهم على الباطل ، واما ان تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وانت بها ؛ واما ان تلحق بالشام فانهم اهل الشام وفيهم معاوية ، فقال له : اما ان أخرج فأقاتل ، فلن اكون اول من خلف رسول الله فى امته بسفك الدماء ، واما ان اخرج الى مكة فانهم لن يستحلونى بها فانى سمعت رسول الله يقول . يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم ؛ فلن اكون انا ، واما ان الحق بالشام فانهم اهل الشام وفيهم معاوية ، فلن افارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا وقد لبس عبد الله بن عمر درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم عليه أن يخرج ويضع سلاحه ويكف يده ، ففعل

ودخل يزيد بن ثابت عليه فقال ان هذه الانصار بالباب وتقول . ان شئت كنا أنصار الله مرتين ، قل لاحاجة لى فى ذلك ، كفوا

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة كنت مع عثمان يوم الدار فقال أقسم على كل من رأى لى عليه سمعا وطاعة أن يكف يده ويلقى سلاحه فالقى القوم أسلحتهم .

وقال ابن عوف كان ممن نصر عثمان سبعمائة فيهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ولو تركهم عثمان لضربوهم حتى يخرجوهم من أقطارها

ومن هذا ترى أن عثمان رضى الله عنه لم يعمل على اجابة الثوار الى مطالبهم ، ولاخلى بين الثوار وبين من تعرض الى نصرته من أبناء

الصحابة بل أقسم عليهم أن لا يعجلوا فما الذى ينتظر من الثوار وقد أمكنتهم الفرصة ، وعلى من تكون التبعة ؟

ان الباحث المنصف لايخلى عثمان من تبعة قتل عثمان ولامن تبعة الثورة عليه بل ويلتمس العذر حتى لمن قعد عن نصرته .

هذا وقد أكثر بعض الباحثين فى التاريخ التنديد بعلى بن أبى طالب وقال انه أسلم عثمان الى الثوار وكأن عليا كان الأمة بأسرها ، أو أنه ان شاء اطال عمر عثمان وان شاء قضى عليه وارجعوا ذلك كله الى انه كان بين عثمان وعلى عداوة هى التى كانت بين بنى هاشم وبين أمية فى الجاهلية يضم اليها ما كان من تحاسد كل منهما على منزلة صاحبه من رسول الله وكل منها زوج ابنته غير ان رسول الله كان يقدم فاطمة وعليا ، ثم ما كان من اسراف على ايام الغزوات فى قتل رجال من بنى أمية ، وما كان من أن عثمان لم يحضر فى دار فاطمة مع المتخلفين عن بيعة أبى بكر اى ان عليا كان في نفسه من عثمان شىء كثير وقد ظهر حينما عدل عنه عبدالرحمن بن عوف الى عثمان ـ ولذلك كله لم يبادر على الى انقاذ عثمان من الموقف الحرج الذي وقف فيه

والحق ان هذا كله ظلم لعلى فمحال انه بعد أن آخى رسول الله بين الناس وبعد قول الله تعالى (اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) ان نعتقد ان هذا نوع من التحليل الصحيح لحوادث التاريخ

والمتتبع الروايات التى جاءت فى ثورة الناس على عثمان يجد ان عليا كان قد جعل نفسه وسيطا بين عثمان وبينهم وان عثمان كان يقول اليوم ما ينقضه غدا حتى اقسم لا يعود الى عثمان في شىء وكان كلما اشتكى الناس

اليه عثمان أرسل الحسن ابنه اليه فلما أكثر عليه قال ان أباك يرى أن احدا لا يعلم مايعلم ،ونحن اعلم بما نفعل فكف عنا ، فلم يبعث على ابنه الحسن فى شيء بعد ذلك

وأرسل عثمان الى ابن عباس ان أكفنى ابن عمك فقال: ان ابن عمى ليس بالرجل يرى له ،ولكنه يرى لنفسه فارسلنى اليه بما أحببت قال : قل له فليخرج الى ماله بينبع فلا أغتم به ولا يغتم بى ، فأتى عليا فاخبره ، فقال ماانخذنى عثمان الا ناصحا .ام والله انه ليختبر القوم فخرج على الى ينبع فما زال هنالك فلما اشتد الامر برجوع الثوار ومحاصرتهم عثمان كتب اليه :

اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وطمع فيمن كان يضعف عن نفسه ، فاقبل الى على أي امريك أحببت وكن لى أوعلى صديقا كنت أم عدوا

فأن كنت مأكولا فكن خير آكل والافأدركنى ولما أمزق

فبادر اليه على ولكنه لم يدارك من أمره شيئا

وبعد فما ذنب على ان كان الثوار يلوذون به يجعلونه وسيطا أو يسترشدون برأيه باعتبار أنه رجل ذو عقل راجح أوكلمة مسموعة عند عثمان وغيره

﴿ مانقم الناس من عثمان وما رد به عليهم ﴾

لما توافى اهل الامصار الى المدينة أرسل عثمان الى الكوفيين والبصريين ونادى الصلاة جامعة وهم عنده فى اصل المنبر فأقبل أصحاب رسول الله

فأحاطوابهم ، فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم خبر القوم ثم قال أن هؤلاء ذكروا أمورا قد علموا منها مثل الذي علمتم الا أنهم زعموا أنهم بذا كرونيها ايوجبوها على عند من لا يعلم ، وسأذكر هذه الامور بتصرف واختصار)

(١ قالوا أتم الصلاة فى السفر وكانت لاتتم ، الا وانى قدمت بلدا فيه أهلى ولى مال بالطائف) فأتممت لهذين .

(٢) وقالوا وحميت حمى وأنى والله ماحميت حمى ؛ قبلى والله ماحموا لاحد شيئا ، ماحموا الاماغلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من رعيه احدا الا من ساق درهما ومالى من بعير غير راحلتين ، ومالى ناغبة ولاراغبة ، وانى قد وليت وأنا أكثر العرب بعيرا وشاه فالى اليوم شاه ولا بعير ، غير بعيرين لحجى

(٣ وقالوا كان القرآن كتبا فتركتها الا واحدا ـ الا وان القرآن واحد جاء من عند واحد ، وانما أنا فى ذلك تابع لهؤلاء

(٤) قالوا أنى رددت الحكم وقد سيره رسول الله ـ والحكم مكى سيره رسول الله من مكة الى الطائف (٢ ثم رده رسول الله ، فى رسول الله سيره ورسول الله رده

(٥) وقالوا استعملت الاحداث ـ ولم استعمل الا مجتمعا محتملا مرضيا ، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنهم ، ولقد ولى من قبلى أحدث منهم ، وقيل فى ذلك لرسول الله أشد مما قيل لى فى استعماله اسامة

(١) وقالوا انى اعطيت ابن أبى سرح مافاء الله عليه ـ وانى انما نفلته ماأفاء الله عليه من الخمس فكان مائة الف ، وقد أنفذ قبل ذلك أبو بكر وعمر فزعم الجند انهم يكرهون ذلك فردوه عليهم وليس

ذالك لهم (٧) وقالوا اني أحب أهل بيتي وأعظمهم — فاما حبى فانه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم وأما اعطاؤهم فانى انما أعطيهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لاحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالى اذ مارسول الله وأبى بكر وعمر وأنا يومئذ شحيح حريص، افحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفى عمري وودعت الذى لى فى أهل قال الملحدون ماقالوا

(٨) وقالو اعطيت الارض رجالا — وان هذه الارضين شاركهم فيها المهاجرون والانصار أيام فتحت، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن رجع الى أهله لم يذهب ذلك ماحوى الله له، فنظرت فى الذى يصيبهم مما افاء الله عليهم فبعثه لهم بامرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت اليهم نصيبهم فهو فى أيديهم دونى (يشير الى مااشتراه من بعض أعلام الصحابة حين أراد أن يخرجوا الى الامصار)

هذا وقد جاء عنه فى مسألة الحمى: أرأيت ماحميت من الحمى، آلله اذن لك أم على الله تفتري فقال وأما الحمى فان عمر حمى الحمى قبلى لأبل الصدقة، فلما وليت زادت ابل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد فى ابل الصدقة.

وقد لانت حاشية عثمان لاولئك الطوائف الذين خرجوا للكيد له وأبى بقية المسلمين الاقتلهم وأبى هو الا العفو والصفح فرجعوا الى بلادهم على الامر الذى خرجوا به وظن عثمان بصنيعه معهم أنه عفوه قد أطفأ ثائرة نفوسهم ولكن حسن ظنه بهم كان فى غير موضعه، فانهم

تعاهدوا واتعدوا انفاذ ما اعتزموا عليه من محاصرة الخليفة وخلعه أوقتله ان أبى على مامضى ،

ويضاف الى ماأنكره الناس عليه هذه الاشياء نلحقها بسوابقها على هذا النحو .

(٩) اخراج أبى ذر الى الزبدة وقد علمت أنه هو الذى استأذن فى الخروج من المدينة .

(١٠) تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة لازواجه وبناته وأهله .

(١١) ضربه عبد الله بن مسعود حتى كسر ضلعا من أضلاعه

أما مجمل الاسباب التي أدت الى قتل الخليفة عثمان فيمكن اجمالها على النحو الا تى

(١) اختلاف أعلام الصحابة فيما بينهم وتطلع بقية أهل الشورى لى الخلافة ، كل يريدها لنفسه ، وهذا جعل الناس كأنهم فرقوا دينهم وصاروا شيعا ، وضعف روح التعاون بينهم وبين الخليفة فلم يجدوا فى الدفاع عنه وبذلك اتسع المجال أمام الثائرين واستطار الشر وكثر قول السوء واستحدثت الكتب المزورة المفتراة وكفر الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد وأصحاب النبي ليس منهم أحد ينهى ولايذب .

(٢) لين عثمان وحياؤه واشفاقه وحرصه على الدماء ان تراق وكراهيته الفتنة وتوقية أسبابها وعمله على اغلاق ماقد يكون من أبوابها وقد اتخذت بطانته اللين منه والحياء وسيلة الى الاستئثار بالسلطة

دونه حتى لقد قال القائلون ان الخلافة بالاسم لعثمان وبالفعل لمروان ، ولقد تعرض اليه على وقال له فى شأن ابنه على ولاته ان عمر بن الخطاب كان كل من ولى فانما يطأ على صماخه ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى الغاية ، وانك لا تفعل ، ضعفت ورفقت على أقربائك انشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من برفأ غلام عمر منه قال نعم قال فان معاوية يقتطع الامور دونك وانت تعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان ، فيبلغك ولا تغير على معاوية وواضح انه كان ينبغى على عثمان وقد تولى أمر المسلمين أن يكون لينا من غير ضعف قويا من غير عنف

(٣) ماكان من اذنه لاعلام الصحابة بالانسياح الى الامصار وحضهم على ذلك ومشترى ماكان لهم من ضياع وغيرها لينساحوا فى البلاد ، وقد شرحنا وجهة نظره ونظر عمر فى هذا الموضوع — فلما انساحوا انقطع اليهم بعض الناس وصاروا اوزاعا اليهم واملكوهم وقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا اليهم فى التقرب فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت فى العامة ليس الا ذلك وسمعت تعاليم ابن سبأ مثلا بمصر ، وحطبوا فى حبل على ، كما حطب أهل البصرة فى حبل طلحة ، وأهل الكوفه فى حبل الزبير ، كل قوم يحبون ان يلى صاحبهم هذا ولن يفوتنا قبل ان ننتهى من هذا الموضوع ان نذكر

(١) ان محمد بن حذيفة مادعاه الى الخروج على عثمان مع أنه تربى يتيما فى حجره الا أنه سأل عثمان العمل حين ولى فقال له يابنى لو كنت رضائم سألتنى العمل لاستعملتك ، ولكن لست هناك ، قال فأذن لى فلأخرج فلأطلب مايقوتنى ، قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده

وحمله وأعطاه ، فلما وقع الى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية.

(ب) وان عمار بن ياسر كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام ، فضربهما عثمان فأورث ذلك بين آل عمار وآل عتبة

(ج) وان محمد بن أبي بكر قد دعاه الى ركوب عثمان الغضب والطمع ، فأنه كان من الأسلام بالمكان الذى هو به ، وغره اقوام فطمع ، وكانت له دالة فلزمه حق ، فأخذه عثمان من ظهره ولم يدهن فأجتمع هذا الى هذا فصار مذمما بعد أن كان محمدا

هذا وقد سئل سعد بن أبي وقاص عن عثمان فقال : أم والله لقد كان أحسننا وضوءا واطولنا صلاة وأتلانا لكتاب الله وأعظمنا نفقة فى سبيل الله ، ثم ولى فانكروا عليه شيئا فأتوا اليه أعظم مما انكروا ، وسئل: من قتل عثمان فقال قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة ، وسمه على ، قيل فما حال الزبير ؟ قال أشار بيده وصمت بلسانه وفي هذا كفاية

خلافة على

هو على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف — ولى الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥ وقتل يوم الجمعة بالكوفة لسبع بقين من رمضان سنة ٤٠ فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر

كيفية بيعته

لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله من الأنصار والمهاجرين

وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا انه لابد للناس من أمام ، قال لاحاجة لى فى أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك ، وترددوا اليه مرارا فقالوا له فى آخر ذلك : انا لانعلم أحدا أحق به منك ، لاأقدم سابقة ولاأقرب قرابة من رسول الله ، فقال لاتفعلوا فأنى أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا ، فقالوا والله مانحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففى المسجد ، فأن بيعتى لاتكون خفية ولاتكون الا فى المسجد ؛ فخرج الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامه خز ونعلاه فى يده متوكئا على قوس فبايعه الناس وكان أول من بايعه من الناس طلحة ، فنظر اليه بعضهم وقال : انا لله ، أول من بدأ بالبيعة يد شلاء ، لاتتم هذا الامر ، وبايعه الزبير وقال لهما على ان أجبتما أن تبايعانى وأن أجبتما بايعتكما فقالا : لا ، بل نبايعك فبايعاه وبايع الناس

المتخلفون عن بيعة على

وتخلف عن بيعة على سعد فجاءوا به فقال له على بايع فقال لاحتى يبايع الناس والله ماعليك منى بأس ، فقال خلوا سبيله ، وجاءوا بابن عمر فقالوا له بايع فقال حتى يبايع الناس فأمر باخلاء سبيله أيضا .

وبايعه الانصار الا نفيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وابا سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت وكانوا عثمانية - وهرب النعمان بن بشير فاخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التى قطعت وقميص عثمان الذي قتل فيه ولحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الاصابع فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدوا فى

أمرهم ، ثم يرفعه فاذا أحس منهم فتورا يقول له عمرو بن العاص (حرك لها حوارها نحن) فيعلقه .

﴿ أول التحدى ﴾

ولما عاد على الى بيته بعد البيعة جاءه طلحة والزبير وقالا قد اشترطنا اقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل (يريد الثوار ورؤساءهم) فقال لاقدرة لى على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الامور فتؤخذ الحقوق ، فأفترقوا عنه ، وأكثر بعضهم المقالة فى قتلة عثمان ، وبلغ عليا ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم ثم هرب بنو أمية ولحقوا بالشام واختفي مروان فلم يظهر الا بالعراق فى وقعة الجمل على ماسيجيء ، وعند ذلك اشتد على على قريش فمنهم من الخروج ، ونادى فى اليوم الثالث برجوع الاعراب الى بلادهم فأبوا وتذامرت معهم السبئية ، ثم جاءه طلحة والزبير فقالا دعنا نأتى البصرة والكوفة فنستنفر الناس فامهلهما ، وجاء المغيرة بن شعبة فأشار عليه باستبقاء العمال حتى يستقر الأمر وتستبدلوا بمن شاء فامهله فرجع من الغد فأشار عليه بعاجلة الاستبدال وجاءه بن عباس فأخبره بخبر المغيرة فقال نصحك أمس وغشك اليوم ، قال فما الرأى قال كان ان تخرج عند قتل الرجل الى مكة ، وأما اليوم فان بنى أمية يشبهون على الناس بان يلجموك طرفا من هذا الأمر ويطلبون ماطلب أهل المدينة فلا تقدر عليهم مع أنى لآمن طلحة والزبير أن يكرا عليك وانا أشير عليك أن تقر معاوية ، فان بايعك فعلى أن أقلعه من منزله ، فقال علي والله لاعطيه الا السيف

فقال له أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب ، أما سمعت قول رسول الله الحرب خدعة ؟ قال بلي ، قال ابن عباس أم والله لئن أطعتني لاتركنهم ينظرون في دبر الأمور ولا يعرفون ماكان من وجهها من غير نقصان عليك ولا اثم لك ، فقال يابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء ، فقال ابن عباس اطعني والحق بمالك بينبع واغلق بابك دونك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله ان نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبي علي وقال أشر علي وأرى ، فاذا خالفتك فاطعني قال ايسر مالك عندي الطاعة قال تسير الى الشام فقد وليتكها ، قال اذن يقتلني معاوية بعثمان أو يحبسني فيتحكم علي لقرابتي منك ، ولكن أكتب اليه فمنه وعده فقال لا والله لا كان هذا أبدا ـ وكان المغيرة يقول نصحته فلما لم يقتل عششته وخرج فلحق بمكة — وقد فسر ابن عباس نصحه وعلله بان معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى ثبتهم على لاينالون من ولى هذا الامر ومتي عزلهم يقولون أخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون الناس عليه فتنتقض عليه الشام وكان المغيرة يقول له في شأن معاوية وهو ينصح له : ان في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يستمع منه ولك حجة في اثبانه هي أن عمر ولاه الشام. فقال علي والله لا استعمل معاوية يومين

وترى من كل ماسبق أن عليا كان يرى الرأى لنفسه ولا يراه لغيره من أجل ذلك اتهم بأنه يمالىء الثوار ويعتمد عليهم .

﴿ ارسال العمال ﴾

ثم فرق على العمال على الامصار فبعث على البصرة عثمان بن حنيف وعلى الكوفة عمارة بن شهاب من المهاجرين ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر وسهل بن حنيف على الشام :

فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيه خيل فقال لهم أنا أمير على الشام ، قالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع فرجع.

واما قيس فلقيه بابلة خيالة من أهل مصر فقالوا من أنت قال قيس بن سعد من قتلة عثمان أو من قتلته فانا أطلب من آوي اليه فأنتصر به ومضى حتى دخل مصر وأظهر أمره فافترقوا عليه فرقة كانت معه وأخري تربصوا واعتزلو بخربتا وقالوا لاخوانهم ان قتل قتلة عثمان فنحن على جدبلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة ثالثة قالوا نحن مع على مالم يقد من اخواننا :

وبهذه المناسبة نقول انا تركنا عبد الله بن سعد واليا على مصر بعد عمرو بن العاص من قبل عثمان ونقول انه فى السنة الحادية عشرة من ولاية عبد الله خرج وراء المنحرفين عن عثمان واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى ، فخرج عليه محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس وملك مصر من غير ولاية من خليفة وأخرج عقبة من الفسطاط ودعا الناس الى خلع عثمان فاعتزله شيعة عثمان ومنهم مسلمة بن مخلد وكتبوا الى عثمان فحضر سعد بن أبى وقاص من قبل الخليفة ليصلح

الامر فخرج عليه جماعة من أصحاب ابن حذيفة فعاد راجعا وجاء عبد الله بن سعد فنعوه أن يدخل فكر راجعا الى عسقلان ثم قتل بفلسطين سنة ٢٦

وأراد ابن حذيفة ان ينجد عثمان بجيش فقدم عليهم الخبر بقتل عثمان فثارت سبعة وعقدت لمعاوية بن حديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان فقاتلهم ابن حذيفة ولكنهم هزموه وظلوا يحربنا الى أن قدم معاويه بن أبى سفيان من الشام الى مصر فخرج اليه ابن حذيفة ومنعه من الدخول الى الفسطاط ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن حذيفة على مصر وخرج في الرهن هو وعدة من قتلة عثمان ، فلما وصلوا الى معاوية قبض عليهم وحبسهم وسار الى دمشق فهربوا من السجن فتبعهم أمير فلسطين حتي ظفر بهم وقتلهم فلما بلغ أمير المؤمنين على بن أبى طالب مصاب محمد بن أبى حذيفة ولى على مصر قيس بن عبادة فكان من شأنه ماقصصناه حتى دخل مصر

عود : - وأما عبيدالله بن عباس فدخل الى اليمن فجمع يعلى بن منبة مال الجباية وخرج به الى مكة - وأما عمارة فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد فقال له ارجع فان القوم لايستبدلون بأبي موسى والا ضربت عنقك

وأما عثمان بن حنيف فمضى الى البصرة واختلفوا عليه فاطاعته فرقة وقالت فرقة تنظر مايصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا ، ولم يجد عثمان بن حنيف لابن عامر فى ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب

﴿ اضطراب الامر على الامام ﴾

هكذا كانت أحوال ولاة على فلما رجع من رجع وجاءت أخبار الآخرين بما رأيت اضطرعلى الى طلحة والزبير فقال لهما قد وقع ما كنت أحذركم والذى وقع لاتدارك الا بأمانته وانها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستثارت ، فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكاثر واما أن تدعنا ، فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكى :

وكتب على الى أبى موسى فكتب اليه بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ومن الكاره منهم ومن الراضى حتى كأنه يشاهدهم

وكتب الى معاوية فلم يجبه الى ثلاثة أشهر من قتل عثمان ثم دعا رجلا من بنى عبس وأعطاه كتابا مختوما عنوانه : من معاوية الى على وأوصاه بما يقول وسيره مع رسول علي فدخلا المدينة ودفع العبسى الكتاب الى الامام ففض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ماورائك؟ قال آمن أنا ؟ قال نعم ، قال تركت قوما لا يرضون الا بالقود ، قال ممن ؟ قال منك ، تركت ستين الف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم على منبر دمشق ، فقال أمني يطلبون دم عثمان ؟ ألست موتورا كترة عثمان ... قال العبسى وانى آمن ؟ قال نعم فصاحت السبئية اقتلوا هذا الكلب وافد الكلاب ، فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل ، فمنعته مضر ودس أهل المدينة على على من يأتيهم برأيه فى القتال

فجالسه ساعة فقال له على سيروا لغزو الشام فقال لعلى : الاناة والرفق أمثل وتمثل .

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل على :

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

فعلم أن رأيه القتال ، فعند ذلك استأذنه طلحة والزبير في العمرة ولحقا بمكة ، أما هو فاعتزم الخروج الى الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وأمر الناس بالتجهز ودفع اللواء لابنه محمد بن الحنفية وولى عبدالله بن عباس ميمنته وآخر ميسرته وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ولم يول أحدا ممن خرج على عثمان ثم استخلف على المدينة ومكة ، وكتب الى قيس بمصر وابن حنيف بالبصرة وأبى موسى بالكوفة أن يندبوا الناس الى الشام وبينما هم على التجهز للشام اذ أتاه الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وأنهم على الخلاف فانتقض من الشام

ابتداء وقعة الجمل

ولما جاء خبر مكة الى على قام فى الناس وقال : الا ان طلحة والزبير وعائشة قد تمالئوا على نقض امارتى ودعوا الناس الى الاصلاح ، وسأصبر مالم اخف على جماعتكم ، واكف ان كفوا واقتصد نحوهم ؛ وندب أهل المدينة فتثاقلوا ؛ وبعث الى عبد الله بن عمر فقال أنا من أهل المدينة أفعل مايفعلون ، قال فاعطنى كفيلا بانك لاتخرج ، قال ولا هذه فتركه ثم خرج ابن عمر الى مكة وقيل لعلى انه خرج الى الشام فصدق

حتى ركبت اليه ابنته (زوجة عمر أم كلثوم) فاخبرته أنه خرج معتمرا وانه على طاعته الا فى النهوض فوثق به فيما قال ورجع الى أهل المدينة فخاطبهم وحرضهم فرجعوا الى اجابته

وكانت عائشة خرجت الى مكة وعثمان محصور ففضت نسكها وانقلبت تريد المدينة فلقيت فى طريقها أحد بني ليث اخوالها فأخبرها بقتل عثمان وبيعة على فقالت قتل عثمان والله ظلما ولأطلبن بدمه فقال لها ولم ، والله ان أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر فقالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الاخير خير من قولى الاول

وهنا نشير الى ان عائشة كانت تحقد على عثمان انه لما تولى نقصها من عطائها الذى فضلها عمر بن الخطاب وتربصت به وهو يخطب يوما بالمسجد ودلت قميص رسول الله ونادت يامعشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته — ولها بقية قصص فى حق عثمان تدل على أنها ما خرجت حاجة ولا معتمرة وانما خرجت لتؤلب على عثمان

وكانت تحقد على على منذ حديث الافك ولذلك لم تقم للطلب بدم عثمان الا للتأليب على على لتنقض بيعته — ولو بويع لطلحة وهو تيمى من قوم أبيها أو بويع الزبير وهو زوج أختها اسماء كانت تطلب بدم عثمان أيضا؟ اللهم لا ، ولها أحاديث فى شأن علي تدل على أنها كانت تضمر اليه شيئا

أما طلحة والزبير فقد أخطأتهما الخلافة بعد ان تعبا فى الحصول عليها ، فلما صارت الى علي تمنيا لو أنها أصابا منه حظا فطلبا منه البصرة

والكوفة غير أنه أمهلهما فعلما أنه لن يبلغهما ماأرادا فخرجا عليه ويقال أنهما ماخرجا الا بعد أن مالأ معاوية فحرضهما على طلب البيعة لانفسهما الواحد تلو الآخر وقد أثرت الكتب التي تبودلت بين معاوية وبينهما وأن صحت روايتها فانني أرى أن معاوية انما اتخذها وسيلة للوصول الى غرضه على حسابهما .وقد تم له ذلك فقد أيقظا فتنة لقي كل منها حتفه فيها وظفر في النهاية معاوية

عود — ورجعت عائشة من الطريق الى مكة وجاءها الناس فاخبرتهم أن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما ونقموا منه أمورا نزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الأرض امثالهم ولو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه او الثوب من درنه ، فقال عبد الله بن الحضرمي (كان عامل عثمان على مكة أنا أول طالب وتبعه بنو أمية ممن كانوا قد هربوا الى مكة بعد قتل عثمان ومنهم سعيد بن العاص والوليد ابن عقبة — وقدم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير وقدم يعلى بن منبه من اليمن بمال وفير — ثم قدم طلحة والزبير من المدينة .فقالت لها ماوراء كما فقالا تحملنا من المدينة هرابا من غواغاء واعراب غلبوا على خيارهم فلم يمنعوا انفسهم ،ولا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا فقالت انهضوا بنا اليهم ، وقال آخرون نأتي الشام فقال ابن عامر ان معاوية كفاكم الشام فأتوا البصرة فاني بها صنائع ولهم في طلحة هوى

فنكروا عليه مجيئه من البصرة وقالوا هلا اقمت كما أقام معاوية فنكفي لك ثم نأتي الكوفة نفسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا واستقام رأيهم على رأيه وقالوا لها نترك المدينة فان الذين معنا لا يطيقون من المدينة ويحتمون ببيعة علي واذا أتينا البصرة أنهضنا كما أنهضنا أهل مكة وجاهدنا — فاتفقوا ودعوا عبد الله بن عمر فأبى وقال أنا من أهل المدينة أفعل مايفعلون ، وكان أمهات المؤمنين مع عائشة على قصد المدينة ، فلما نهضت الى البصرة قعدوا عنها وأجابتها حفصة فمنعها أخوها عبد الله وجهزهم ابن عامر بما معه من الاموال والظهر ونادوا في الناس بالحملان فحملوا على ستمائة بعير وساروا في الف من أهل مكة ومن أهل المدينة وتلاحق بهم الناس فكانوا ثلاثة آلاف ، وبعثت أم الفضل أم عبد الله بن العباس من أبلغ عليا الخبر — ونهضت عائشة ومن معها وجاء مروان بن الحكم الى طلحة والزبير فقال على أيكما اسلم بالأمره وأؤذن للصلاة (مما يدل على أن بني أمية كانت تعمل في الخفاء) فبعثت اليه عائشة : أتريد أن تفرق أمرنا ليصل بالناس ابن أختي تعني عبد الله بن الزبير وودع أمهات المؤمنين عائشة وأشار سعيد بن العاص على مروان وأصحابه بادراك ثأرهم من عائشة وطلحة والزبير فقالوا نسير اعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا ثم جاء الى طلحة والزبير فقال : لمن تجعلان الأمر ان ظفرتما ؟ قالا لأحدنا الذي تختاره الناس ، فقال بل اجعلوه لولد عثمان لانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا وكيف ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم ، قال فلا أراني أسعى الا لاخراجها من بني عبد مناف ورجع فرجع برجوعه جماعة ومضى

القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان وأركب يعلى عائشة جملا اشتراه بمائة دينار ، وساروا ودلهم الدليل على طريق الحوأب أحد المياه فنبحهم الكلاب فقالوا أى ماء هذا فقيل الحوأب فصرخت عائشة وقالت ردونى سمعت رسول الله يقول وعنده نساؤه : أيتكن تنبحها كلاب الحوأب وأناخت بعيرها وأقامت بهم يوما وليلة الي ان قيل النجاء النجاء فقد أدركم على فارتحلوا نحو البصرة

فلما كانوا بفنائها قدمت عبد الله بن عامر وكنبت معه الى رجال البصرة كالاحنف بن قيس وأقامت بالحفير تنتظر الجواب ، فلما بلغ أهل البصرة ذلك دعا عثمان بن حنيف رجالا وقال انطلقوا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من جاء معها ، فقالت ان الغوغاء ونزاع القبائل قد قتلوا ما فعلوا فخرجت فى المسلمين أعلمهم بذلك وبالذي فيه الناس وراءنا وما ينبغى من اصلاح هذا الامر وقال طلحة لما قالوا ما أقدمك: الطلب بدم عثمان فقالا ألم تبايع عليا ؟ قال بلى والسيف على رأسى وما استقيل عليا البيعة ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان ، وقال الزبير كما قال طلحة فرجعوا الى ابن حنيف فاسترجع وقال دارت رحا الاسلام ورب الكعبة واستشار الناس فقال قوم اعتزل فقال بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين ، فجاءه من أشار عليه بالمسالمة حتى يأتى أمر علي فأبى ونادى فى الناس بحمل السلاح ودس من يتعرف نوايا أهل البصرة حتى علم أن لهم بالبصرة ناصراً فكسره ذلك وتقدمت عائشة ومن معها الى المربد وخرج ابن حنيف فيمن معه وحضر أهل البصرة وتكلم طلحة من اليمنة فذكر عثمان وفضله ودعا

الى الطلب بدمه وكذلك الزبير ثم تكلمت عائشة فاختلف أصحاب ابن حنيف عليه ومال بعضهم الى عائشة ثم افترق الناس وتحاصبوا، وجاءها رجل فقال لها والله قتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ثم نشب القتال حتى حجز الليل فباتوا يتأهبون فلما أصبحوا اقتتلوا الى أن زال النهار وقتل من أصحاب ابن حنيف فتنادوا الى الصلح وتوادعوا على أن يبعثوا الى المدينة فان كان طلحه والزبير أكرهاسلم لهم ابن حنيف والا رجع عنه فلما جاء الرسول المدينة سأل الناس فلم يجبه بأنهما أكرها الا أسامة بن زيد فضربه الناس حتى كاد يقتل — ولما علم بالخبر كتب الى ابن حنيف يعجزه ويقول والله ما اكرها على فرقة، ولقد أكرها على جماعة — ولما عاد الرسول الى البصرة بقول أسامة بعث طلحة والزبير الى ابن حنيف ليجتمع بهما فامتنع واحتج وقال هذا غير ما كنا فيه، فجمعا الناس وجاء المسجد في ليلة شاتية فأبطأ عثمان فانشب بعض اتباعهم القتال واقتحموا على ابن حنيف داره فاخرجوه وقد نتفوا شعر وجهه كله وبعثا الى عائشة فقالت خلوا سبيله ثم حصل الخلاف بينهم وبين أهل البصرة واشتعلت نار الحرب من أجل ابن حنيف ولكن طلحة والزبير انتصرا وكتبا الى أهل الشام بما صنعا وكتبت عائشة الى أهل الكوفة بالخبر وامرتهم ان ثبطوا الناس عن علي وبعثل ذلك الى اليمامة والى أهل المدينة وبايع أهل البصرة طلحة والزبير

(مسير علي الى البصرة)

تركنا عليا يستعد الى مكة ، ثم جاءه الخبر بأن المتجمعين اليه بمكة قصدوا البصرة وفيهم طلحة والزبير فاتخذ التدبير ليقطع الطريق عليهما ويردهما قبل وصولهما أو يوقع بهما ، فسار على تعبئته التى كان يقصد بها الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى تسعمائة وذلك فى ربيع الآخر سنة ٣٦

ولقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال ياأمير المؤمنين لاتخرج منها فوالله ان خرجت منها لايعود اليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبوه فقال لهم دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد ، وسار فانتهى الى الربذة ، وهناك جاءه خبر سبقهم فاقام يأتمر مايفعل ، ولحقه ابنه الحسن وعذله فى خروجه وما كان من عصيانه اياه ، فقال ما الذى عصيتك فيه حين أمرتني ؟ قال أمرتك عند حصار عثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل الاتبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة الامصار ، وأمرتك عند خروج هؤلاء أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد ، كان على يد غيرك ، فقال أما الخروج من المدينة فلم يكن اليه سبيل وقد كان أحيط بنا كما احيط بعثمان ، وأما البيعة فخفنا ضياع الامر ، والحل والعقد لأهل المدينة لا للعرب ولا للامصار . وسار الناس الى عثمان فقتلوه وبايعونى طائعين غير مكرهين ، فانا أقاتل من خالف بمن أطاع الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين . وأما القعود عن طلحة والزبير ، فاذا لم أنظر فيما يلزمنى من هذا الامر فمن ينظر فيه . —


بين علي والخارجين عليه
في موقعتي الجمل وصفين
درسم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم
بحر الروم
بادية الشام
العراق
بحر فارس
فارس
نجد
الحجاز
مصر
الجزيرة العربية
بنو كلب
بنو تميم
بنو طيئ
بنو أسد
بنو عقيل
بنو بهراء
بنو إياد
بنو ربيعة
بنو تغلب
بنو عبد القيس
بنو شيبان
بنو أسد
بنو عقيل
بنو تميم
بنو طيئ
بنو كلب
بنو بهراء
بنو إياد
بنو ربيعة
بنو تغلب
بنو عبد القيس
بنو شيبان

ثم أرسل الى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس وأقام بالربذة يحرض ، وأرسل الى المدينة فأتاه مايريده من دابة وسلاح وقال له بعض من معه عرفنا بقصدك من القوم ؛ قال الاصلاح ان قبلوه ، والانتظارهم ، وان بادرونا امتنعنا منهم ، وجاءه جماعة من طيىء نافرين معه فقبلهم وأثنى عليهم ثم سار من الربذة الى فيد فأتته أسد وطيىء فعرضوا عليه النفير معه فقال الزموا قراركم ففى المهاجرين الكفاية، وجاءه رجل من أهل الكوفة فسأله على عن أبى موسى فقال ان أردت الصلح فهو صاحبه وان أردت القتال فليس بصاحبه فقال والله ماأريد الا الصلح حتى برد علينا ثم انتهى الى الثعلبية فبلغه مالقى عثمان بن حنيف ومن ناصره وأتى ذى قار فجاءه فيها ابن حنيف وأراه مابوجهه فدعا له بخير ودعا على طلحة والزبير واقام ينتظر محمدا ومحمدا وإذاهما فدرفعا كتاب على الى ابى موسى وأقاما فى الناس بأمره فلم يجبهما أحد وشاورا أبا موسى فى الخروج الى على فقال : الخروج : سبيل الدنيا والقعود سبيل الاخرة فقعدوا كلهم وغضب محمد ومحمد وأغلظا لأبى موسى فقال والله ان بيعة عثمان لفى عنقى وعنق على ، وان كان لابد من القتال ، فحتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا — فرجعوا الى على بالخبر فرجم على باللائمة على الاشتر وقال أنت صاحبنا فى أبى موسى فاذهب أنت وابن العباس واصلح ماأفسدت فقدما على أبى موسى فاذا هو لا يرى الا القعود ، فارسل اليه ابنه الحسن وعمار بن ياسر فانطلقا حتى دخلا المجلس وخرج أبو موسى فلحق الحسن فضمه اليه وقال لعمار : أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا ؟ فقال لم افعل فاقبل الحسين على أبى موسى فقال : لم تثبط الناس

عنا وما أردنا الا الاصلاح ،فذكره بقول النبى : ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب والمسلمو اخوان ودماؤهم حرام فغضب عمار وسبه فسبه آخر وتثاور الناس فكفهم أبوموسى، ثم جاء كتاب عائشة فقرأه على الناس منكرا عليها فثار الناس أيضا ونصحهم أبو موسى وقال لهم أطيعونى واخلوا قريشا اذأبوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق اهل العلم حتي ينجلى الامر ، فخالفه كثير من الناس وحرضوه على اجابة على وطاعته وحرض عدى بن حاتم قومه وحجر بن عدى فنفر مع الحسن تسعة آلاف من أهل الكوفة سارت منها ستة فى البر وثلاثة فى البحر وأرسل على الأشتر الى الكوفة فدخلها والناس فى المسجد وأبوموسى والحسن وعمار فى منازعة معه ، فجعل الأشتر يمر بالقبائل ويدعوهم الى قصر الأمارة حتى انتهى اليه فدخله وأبو موسى بالمسجد يخطبهم ويثبطهم ودخل الاشتر القصر واخرج غلمان أبى موسى وصاح به أبو موسى اخرج لاأم لك وأجله تلك العشية ودخل الناس لينهبوا متاعه فمنعهم الأشتر ونفر الناس مع الحسن فقدموا على علىّ بذى قار فركب اليهم ورحب بهم ثم دعا القعقاع فأرسله الى أهل البصرة وقال : الق هذين الرجلين فأدعهما الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ـ فخرج وبدأ بعائشة وقال لها : أى أمّة ماأشخصك ؟ قالت : أريد الاصلاح بين الناس . فقال ابعثى الى طلحة والزبير نسمع منى ومنهما فلما جاءا قال لهما سألت أم المؤمنين فقالت الاصلاح فوافقاها فقال فأخبرانى ماهو ؟ قالا لة عثمان فان تركهم ترك القرآن ، قال فقد قتلتم منه ستمائة من أهل البصرة

وغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم ... فأين الاصلاح فقالت عائشة فما تقول أنت؟ فقال هذا الامر دواؤه التسكين وأخذ ينصح اليهم فقالوا أصبت وأحسنت فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر فرجع وأخبر عليا فاعجبه وأشرف القوم على الصلح

ثم أمر الناس بالرحيل من الغد والا يرحل معه أحد ممن أعان على عثمان واجتمع نفر من أهل مصر وتشاوروا فيما قال على وقالوا هو أبصر بكتاب الله وأقرب الى العمل به وهو يقول مايقول وانما معه الذين أعانو على عثمان فكيف اذا اجتمعوا ورأوا قلتنا فى كثرتهم ومازالوا يتداولون حتى انتهوا الى أن عزمهم فى خلطة الناس

وأصبح على راحلا وانضم اليه كثير من عبد القيس وسار طلحة والزبير وعائشة والتقى الجمعان منتصف جمادي الآخرة، وأشار على الزبير بعض أصحابه ان يناجز القتال فاعتذر . وطلب اصحاب على منه مثل ذلك فابى ونهى عن قتالهم وأرسل اليهم ان يكفوا وجاءه الاحنف ابن قيس وكان قيس قد اعتزل فطلب الى على أن ينضم اليه فى القتال أو يكف عنه ستة آلاف سيف فاختار الكف واعتزل الاحنف بمن معه حتى انتصر على فانضم اليه

ولما التقى الجمعان خرج طلحة والزبير وجاءهم على حتى اختلفت أعناق دوابهم ،فقال على لقد اعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ، الم أكن أخا كما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما ، فهل من حدث أحل لكما دمى ؟ قال طلحة ألبت على عثمان ، قال على يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، يا طلحة ، تطلب بدم عثمان العن الله

قتله عثمان ياطلحة جئت بعروس رسول الله تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت ؟ اما بايعتني ؟ قال بايعتك والسيف على عنقي ، ثم قال للزبير تذكر يوم قال رسول الله لتقاتلنه وأنت له ظالم ، قال اللهم نعم ولو ذكرت قبل مسيري ماسرت ،ووالله لاأقاتلك ابدا وافترقوا : فقال علي لاصحابه : ان الزبير قد عهد ألا يقاتلكم

رجع الزبير الى عائشة وقال لها ماكنت في موطن مذ عقلت الا وانا اعرف فيه أمري غير موطني هذا ، قالت فما تريدان تصنع ؟ قال اريد أن ادعهم واذهب ، فقال له ابنه عبد الله . خشيت رايات ابن ابي طالب وعملت أنها تحملها فتية انجاد وان تحتها الموت الاحمر فجبنت ، فاحفظه ذلك وقال حلفت فقال كفر عن يمينك فاعتق غلامه ،وقيل انما رجع حين سمع ان عمار بن ياسر مع علي فخاف ان يقتل عمارا وقد قال النبي ياعمار تقتلك الفئة الباغية فرده ابنه عبد الله والتف الناس على عائشة واستعد الفريقان فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الي اليمن ومع ذلك كانوا لايذكرون الا الصلح وخرج علي وطلحة والزبير فتوافوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب ثم افترقوا على ذلك وتبادل علي ورؤساء من معه الرسل مع طلحة والزبير ورؤساء من معهما بذلك وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح — وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة يتشاورون ، خافوا أن تجتمع كلمة الناس ويصطلحوا فلا يكون الصلح الا عليهم ولهذا اتفقوا على انشاب الحرب بين الناس فغلسوا وما يشعر بهم أحد فقصد مضرهم الى مضر وربيعتهم الى ربيعة واليمن الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح ،فثار أهل البصرة وثار

كل قوم فى وجوه أصحابهم - وسأل طلحة والزبير الناس ماهذا فقالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقالا ان عليا لاينتهى حتى يسفك الدماء ثم دفعوا اولئك المقاتلين الى عسكرهم فسمع على واصحابه الصيحة فقال على ماهذا ؟ فقيل ماشعرنا الا وقوم منهم بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رحل فركبونا وثار الناس وركب على وقال ان طلحة والزبير لاينتهيان حتى تسفك الدماء ونادى في الناس كفوا ، وكان رأيهم جميعا في تلك الفتنة الايقاتلوا حتى يبدءوا يطلبون بذلك الحجة ، ولايقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا — وأقبل رجل الى عائشة وقال قد أبى القوم الا القتال فما ترين الله يصلح بك ، فاركبها والبسوا هودجها الادراع وأوقفوها بحيث تسمع الغوغاء ، وأقتتل الناس حتى انهزم أصحاب الجمل ، وأصيب طلحة بسهم فى رجله فدخل البصرة ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى الى أن مات ، وذهب الزبير الى وادي السباع وانما فارق المعركة لانه قاتل تعذيرا لما ذكر له على) فمر بمعسكر الاحنف بن قيس (وهو على الحياد كما سلف) فاتبعه عمرو بن الجرموز وكان يسائله حتى اذا قام الى الصلاة قتله ورجع بفرسه وسلاحه وخاتمه الى الاحنف فقال والله ما أدري أحسنت أم أسأت ، فجاء ابن الجرموز الى على وقال للحاجب استأذن لقاتل الزبير فقال ائذن له وبشره بالنار ثم رمى القوم عائشة حتى جأرت بالاستغاثة ثم بالدعاء على قتله عثمان وضج الناس بالدعاء وحرضتهم على القتال وتقدم مضر الكوفة ومضر البصرة فاجتلدوا أمام الجمل حتى ضرسوا واشتد الامر وتنادى الشجعان من الجانبين بالصبر واستحر القتل حول الجمل حتى قتل على

الخطام سبعون كلهم من قريش وجرح عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم ونادى على اعقروا الجمل يتفرقوا فضربه رجل فسقط واجتلد الناس وحمل القعقاع والخطام بيد زفر بن الحرث وقال اعقروا الجمل قبل أن تصاب أم المؤمنين فضرب الجمل على ساقه فوقع على شقه وأمن القعقاع من بايه واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وهو كالقنفذ بالسهام وفر من وراءه ، ونادي علي لاتتبعوا مدبرا ولاتجهزوا على جريح ولاتدخلوا الدور وأمر بحمل الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن ابى بكر أن يضرب عليها قبة وأن ينظر هل بها جراحة ، فجاء يسألها ثم جاءها على فقال كيف أنت ياأمة ؟ قالت بخير ، قال يغفر الله لك قالت ولك ، وجاء وجوه الناس فسلموا عليها ، ولما كان الليل ادخلها ابن أخيها البصرة فاقرها في دار عبد الله بن خلف الخزاعى وكان قد قتل فى الموقعة ، وأذن على فى دفن القتلى وصلى عليهم ، وجمع ماكان فى العسكر من كل شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه الا سلاحا عليه سمة السلطان وأحصى القتلى من الجانبين فكانوا عشرة آلاف وانتهت الوقعة بانتصار على وشيعته فجاءه الأحنف ابن قيس فى بنى سعد فانضم الى على ، ودخل البصرة فبايعه أهلها ، وقبل عذر زياد ابن أبيه لأنه اعتزل وزعم أنه مريض فأراد على أن يوليه البصرة فأمتنع وقال ولها رجلا من أهلك تسكن اليه الناس وسأشير عليه . وأشار بابن عباس فولاه وجعل زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس بموافقته فيما يراه

ثم ذهب على الى عائشة في دار ابن خلف فصاحت به النساء فلم يلتفت اليهن وجيء بالذين عرضوا لعائشة بالقول والاساءة فأوجعهم ضربا وجهز عائشة الى المدينة بما احتاجت اليه وبعثها مع أخيها في أربعين من نسوة البصرة اختارهن لمرافقتها

ثم جاء يوم ارتحالها فودعها واستعتبت له واستعتب لها ومشى معها أميالا وشيعها بنوه مسافة يوم وذلك في أول رجب فذهبت الى مكة فقضت الحج وعادت الى المدينة وعاد الناجون من بني أمية الى الشام

وبعد فقد رأيت أنه لولا السبئية الذين ثاروا بعثمان ماوقعت وقعة الجمل وان طلحة والزبير قتلا ، فأما طلحة فكان أول مصروع قيل أتاه سهم غرب فأصاب ركبته فلما رآه مروان قال لاأنتظر بعد اليوم بثأري في عثمان فاما الزبير فقد قتل غيلة وهو منصرف عن القتال . وأما عائشة فانه لما ظفر علي اتي حتى دنا من هودجها فكلمها بكلام فاجابته: ملكت فاسجح فجهزها كما سلف وقد بقيت الى أيام معاوية وماتت وقد قاربت السبعين وقيل لها تدفنين مع رسول الله فقالت لا. أني أحدثت بعده حدثا ، فادفنوني مع اخوتي بالبقيع

هذا وان تعجب فعجب ان تسمع ان من علماء المسلمين من برر ماكان من خروج عائشة وطلحة والزبير وقال لم يكن خرجوها وخروجهما خروجا عليه وانما كان للمطالبة بدم عثمان وقتل قتلته اذ عجز على عن هذا وهو فتق في الاسلام يجب رتقه وليس في ذلك ابطال لامامة على ولا طعن فيها ولا طلب احداث امام آخر — ويظهر ان ذلك مبالغة في المجاملة صيانة لاصحاب رسول الله ان ينسب اليهم مالا ينبغي سهل

وأغرب منه ان يقال ان السيدة عائشة حملت على مافعلت غير ان سياق القصة يؤيد انها حملت الناس على الخروج ايضا فكانت زعيمة هذا الامر قبل ان يفد عليها طلحة والزبير ، وربما كان الالبق بالباحث المدقق المتدين ان يقول قامت لدى الجميع شبهة فى أحقية على أو أهليته للخلافة فاجتهدوا وأداهم اجتهادهم الى مناوأته ولذلك لما بان لهم وجه الرأى فى الامر تابوا وهم كما نعلم ليسوا معصومين

وقد رأيت ان حركتهما مع عائشة قضى عليها بالفشل ويظهر ان السر فى ذلك يرجع اليهما اولا اذا كان كل منهما يريد الخلافة لنفسه اي انهما لم يخلصا فى اعمالهما على ان الذين رافقوهما من بنى أمية ومن لف لفهم كانوا يتربصون بهم الدوائر وينتهزون الفرص للايقاع بهما ، وينتظرون غرة منهما أو من احدهما للاخذ بتأثيرهم منهما ولذا يقال أن مروان هو الذى قتل الزبير

﴿مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية﴾

أشرنا فيما مضي الى ان عمر بن العاص لما أحيط بعثمان مضى الى فلسطين فكان يؤلب عليه الناس حتي بلغه انه قتل فارتحل الى دمشق فبلغه بيعة على فاشتد عليه الامر وأقام ينتظر مايصنعه الناس ، ثم بلغه مسير عائشة وطلحة والزبير فأمل فرجا من أمره ثم جاءه الخبر بوقعة الجمل فارتاب فى أمره ، وسمع ان معاوية بالشام لايبايع عليا وأنه يعظم قتل عثمان ، فاستشار ابنيه فى المسير اليه فقال له ابنه عبد الله توفى النبى والشيخان بعده وهم راضون عنك ، فأري ان تكف يدك وتجلس فى بيتك

حتى يجتمع الناس ،وقال له محمد انت ناب من أنياب العرب ، وكيف يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صيت ،فقال ياعبدالله أمرتنى بما هو خير لى له دينى وياعمد أمرتنى بما هو خير لى فى دنياى ،ويروي انه قال انى أن أتيت عليا قال انما انت رجل من المسلمين ، وان اتيت معاوية يخاطنى بنفسه ويشركنى فى أمره فأتى معاوية فما زال معه حتى حضر امر الحكمين ورجع الى مصر فى ولايته الثانية عليها

لقد كان عمرو بن العاص يحقد على عثمان انه عزله عن مصر بعبد الله ابن سعد كما علمت ثم اعتزل أهل المدينة الى فلسطين يؤلب الناس على عثمان ،فمن عجب انه ينضم الى معاوية ويصبح مطالبا بدم عثمان وقد علل عمرو بن العاص سبب انضمامه الى معاوية تعليلا واضحا

﴿ ولاية سعد بن قيس على مصر ﴾

بلغ أمير المؤمنين الخبر بمصاب محمد بن حذيفة فولى مصر قيس ابن عبادة الانصارى فلبث عليها نحو أربعة أشهر ومهد أمورها واستمال الخارجية بخربتا من شيعة عثمان ورد عليهم أرزاقهم وقدموا عليه بمصر فاكرمهم وأنعم عليهم وكان عنده رأى ومعرفة ودهاء فعظم على معاوية ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص ولايته لمصر فانه كان من حزب على واجتهدا كثيرا ليخرجاه منها فلم يقدرا على ذلك حتى عمل معاوية على قيس من قبل على وأشاع أن قيسا من شيعته ومن حزبه وانه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرا ، ولازال يظهر ذلك حتى بلغ عليا وساعده فى ذلك محمد بن أبى بكر لحبه مصر وأمرتها ، وعبد الله بن جعفر فما زالا

بعلى حتى كتب لقيس فامره بالقدوم عليه ، وعزله عن مصر ، وولى عليها الاشتر النخعى أومحمد بن أبى بكر ، فقعد على بذلك أعظم قوة كانت له فى المغرب ولو أنه أبقى قيسا لاوقع معاوية وعمرا بين نارين ولحصرهما بين جند العراق وجند مصر وشغلهما فى وقت واحد بالدفاع من ناحيتين مختلفتين ، كان قيس أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام وبخاصة بعد انتصار علي فى وقعة الجمل وفراغه فكان يخشى أن يقفل عليه من العراق ويقبل اليه قيس بأهل مصر فيقع بينهما فاخذ يخادعه .

كتب اليه كتابا جاء فيه فتب الى الله ياقيس بن سعد فانك ممن أعان على قتل عثمان ان كانت التوبه تغني شيئا . وأما صاحبك فقد تيقنا انه الذى أغرى به وحملهم على قتله حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فان بايعتنا على هذا الامر فلك سلطان العراقين ولمن شئت من أهل سلطان الحجاز مادام لى سلطان .

وأحب سعد أن يدافعه ولايتعجل حربه فكتب اليه يستنظره وقال له لن يبدولك من قبلى شيء مما تكره — فعرف معاوية أنه لايزال مباعدا مفارقا فكتب اليه : أما بعد فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولم أرك مباعدا فاعدك حربا وليس مثلى من يخدع وبيده أعنة الخيل ومعه أعداد الرجال فكتب اليه سعد : أما بعد فالعجب من اغترارك بى يامعاوية وطمعك فى تسومنى الخروج عن طاعة أولى الناس بالامرة وأقربهم بالخلافة وأقولهم بالحق ... وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا .

فلما رأى معاوية أن قيسا لا يلين له كاده من قبل على فاظهر للناس أن قيسا قد بايعه واختلق معاوية كتابا زعم أنه من قيس وفيه . أما بعد فلما نظرت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا امامهم محرما مسلما برا تقيا مستغفرا وانى معكم على قتلته بما أحببتم من الاموال والرجال متى شئتم عجلت اليكم .

فشاع فى أهل الشام أن قيسا بايع معاوية ، وبلغ عليا الامر فأكبره وأعظمه فقال له عبد الله بن جعفر دع ما يريبك الى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر فقال والله ما أصدق هذا على قيس ، غير انه عزله وولى الاشتر أو محمد بن أبى بكر لكن الاشتر مات قبل دخول مصر بمسيرة من معاوية اذ بلغه أن عليا ولاه فعلم أن الاشتر متى قدمها كان أشد عليه فكتب الى دهقان القلزم ان الاشتر واصل الى مصر قد وليها فان أنت كفيتنى اياه لم آخذ منك خراجا ما بقيت ، فلما لقى الاشتر قال له انزل فانى رجل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندي فنزل الاشتر فأتاه بطعام وعلف وسقاه شربة من عسل جعل فيها سما فلما شربه مات وبعث الدهقان من أخبر بموته فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الاشتر قال ثنيها أن لله جنودا من عسل « وقيل فى موته غير ذلك »

ولما مات الاشتر ولى على مصر محمد بن أبى بكر فتلقاه قيس بن سعد وقال انك جئت من عند أمير لا رأى له وليس عزله اياى بنا عى ان انصح لك وله وانا من أمركم هذا على بصيرة وأنى أدلك على ما كنت أكيد به معاوية وعمرا وأهل حربتا فكايدهم به ووصف له المكايد فاستغشه محمد وخالفه فى كل شىء أمر به وفتك فى المصريين وهدم دور شيعة عثمان

فنصبوا اليه الحرب ثم صالحهم على ان يسير هم الى معاوية فالحقوا به في الشام وبقيت منهم بقية ظلت تناوىء محمدا الى ان انتقضت عليه الامور وقتل سنه سبع وثلاثين وهي التي كانت فيها وقعة صفين

أمر صفين

لما رجع علي بعد وقعة الجمل الى الكوفة مجمعا على قصد الشام بعث الى جرير بن عبد الله البجلي ، وكان عاملا على همذان لعثمان ، والى الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان لعثمان ايضا ، بأن يأخذا له البيعة ويحضرا عنده ، فلما حضر بعث جرير الى معاوية يطلبه وكتب معه كتابا يعلمه فيه باجماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما ، ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، فسار الى معاوية فطاوله الجواب واستشار بن العاص فأشار عليه بجمع أهل الشام وبلزم عليا دم عثمان وبقاتله بهم ففعل — وكان اهل الشام لما قدم عليهم النعمان ابن بشير بقميص عثمان الملوث بدمه كما قدمنا ، وضعه على المنبر وجمع الاجناد اليه فبكوا مدة واقسموا ألا يمسهم ماء الجنابة ولا ينامو احتى يثأروا من قتلة عثمان ومن حال دون ذلك قتلوه ، فرجع جرير بذلك كله الى علي غير مقضي الحاجة ، وعذله الاشتر في ارسال جرير وانه طال مقامه حتى تمكن أهل الشام من رأيهم ، فغضب لذلك جرير ولحق بقرقيسيا واستقدمه معاوية فقدم عليه

ثم خرج علي وعسكر بالنخيله . وقدم عليه عبد الله بن العباس في أهل البصرة ، وتجهز معاوية واغراه عمرو بقلة جند علي وقال

ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وفلوا حدهم ، وأهل البصرة مخالفون لعلي بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وانما سار علي في شرذمة قليلة...)

وعبى معاوية أهل الشام وعقد لعمرو ولابنيه ولغلامه وردان الالوية، وبعث علي في مقدمته زياد بن النضر في ثمانية آلاف وشريح بن هانئ في أربعة آلاف ، وسار من النخيلة الى المدائن واستنفر من كان بها من المقاتلة وبعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ طريق الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة نصب له جسر فعبر ، ولما بلغ علياً الفرات دعا زياداً وشريحاً فجاءوا من ورائه فسرحهما أمامه في اثني عشر الفا نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة فلما أتيا سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمي في جند الشام فطاولاه وبعثا الى علي فسرح الاشتر وأمره ان يجعلهم على مجنبتيه وقال لا تقاتل حتى آتيك غير أن أبا الاعور حمل عليهم فقاتلوه ساعة وافترقوا ثم خرجوا من الغداة فاقتتلوا عامة يومهم حتى حجز بينهم الليل ووافاهم من الغد علي وعساكره فقدم الاشتر وانتهى الى معاوية فوافقه ولحقهم على فتوا قفوا طويلا

ثم ان عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا افيح وملك شريعة الفرات وليس في ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيزه وبعث اليها من يحميها ويمنعها فطلب اصحاب علي شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فاخبروه بفعل اصحاب معاوية وبعطش الناس فارسل علي الى معاوية انا سرنا ونحن عازمون على الكف عنكم حتى نعذر اليكم فسابقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا

الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وقد منعتم الماء والناس غير منتهين، فابعث الى اصحابك يخلون عن الماء للورد وليكفو لنظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمناله وان اردت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا، فاشار عمر بن العاص بتخلية الماء لهم واشار ابن ابى سرح والوليد بن عقبة بمنعهم الماء كما منعوا عثمان فجاز الاشعث بن قيس جاء الى الماء فقاتلهم عليه بأمر علي فاقتتلوا ساعة وارسل معاوية جندا وعلى جندا واشتد القتال حتى ظفر أصحاب على بالماء وقالوا والله لا نسقيه اهل الشام .فنهاهم عن ذلك على وأقام يومين

ثم بعث الى معاوية يدعوه الى الطاعة وذلك اول ذى الحجة سنة ٣٦ فقال معاوية ونترك دم عثمان ؟لا والله لا افعله أبدا وتشدد وقال للرسل انصرفوا فليس بينى وبينكم الا السيف. فلما رجعوا الى على بالخبر اقام الفريقان أيام ذي الحجة فى قتال : عسكر من هؤلاء وعسكر من هؤلاء ، كرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع اهل الشام حذرا من الاستئصال والهلاك

﴿ الهدنة وتبادل الرسل ﴾

ثم جاء المحرم فذهبوا الى الموادعة حتى ينقضى طمعا فى الصلح واختلفت الرسل بين على ومعاوية ، فبعث علي عدى بن حاتم فى نفر فجاءوا معاوية ودعاه الى الدخول فى طاعة على وحذره أن يصيبه ماأصاب أصحاب الجمل ، فقال له معاوية كانك انما جئت مهددا لم تأت مصلحا هيهات ياعدى انا ابن حرب لا يقعقع لي بالشنان وانك من قتلة عثمان وارجوان يقتلك به — وانتهى امر معاوية بقوله .ونحن مع ذلك

نجيبكم الى الطاعة والجماعة اذا دفع الينا قتلة عثمان ،فقال له أحدهم أسرك أن نقل عمارا ؟ قال نعم بمولاه و افترقوا غير ان معاوية خلا بأحدهم وسأله النصر بعشيرته على أن يوليه أحد المصرين فأبى وقال أنى على بينة من ربى ولن أكون ظهير اللمجرمين وقام عنه فقال معاوية لعمرو : كأن قلوبهم قلب رجل واحد

وبعث معاوية الى على حبيب بن مسلمة فى نفر فقال حبيب لعلى فى آخر حديثه : ثم أعتزل أمر الناس فيولوا من أجمعوا عليه فرده على ردا قبيحا ، وخطب فيهم خطبة جاء في آخرها : والعجب من انقيادكم له (لمعاوية) دون بيت نبيكم ولا ينبغى لكم ذلك، وأنا أدعوكم الى الكتاب والسنة ومعالم الدين وأمانة الباطل واحقاق الحق فقالوا نشهد أن عثمان قتل مظلوما ، قال لا أقول مظلوما ولا ظالما ، قالوا فمن لم يقل ذلك فنحن منه براء وانصرفوا فقال على لأصحابه لايكن هؤلاء في ضلالهم أجد منكم فى حقكم

﴿التعبئة والقتال﴾

ولما انسلخ المحرم نادى على فى الناس بالقتال وعبى الكتائب وقال لاتقاتلوهم حتى يقاتلوكم ، فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ،ولا تكشفوا عن عورة، ولا تمثلوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وان شتمنكم فانهن ضعاف الانفس والقوى ثم حرضهم ودعالهم وجعل الأشتر على خيل الكوفة، وسهل بن حنيف على خيل

البصرة وقيس بن سعد على رجالة البصرة ، وعمار بن ياسر على رجالة الكوفة. وعبى معاوية كتائبه فجعل على خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجالتها مسلم بن عقبة المرى - وتبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم فى خمسة صفوف فاقتتلوا عامة يومهم وتابعوا القتال خمسة أيام أخري ثم عبى علىٌ الناس عشية يومه وأمرهم بمناهضة القوم باجمعهم ، وأصبح وزحف وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها من الشام ومن ليس لهم احد بالشام يصرفهم الى من ليس لهم أحد بالعراق مثل بجيلة صرفهم الى لخم — وخرج معاوية في أهل الشام فاقتتل الناس عامة يومهم ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب ، فلما أصبحوا كان على فى القلب بين اهل البصرة والكوفة ، واقبل الناس الى الظهر وتبادلوا التقدم والتأخر الى ان كشف الاشتر اهل الشام وألحقهم بمعاوية عند الاصفرار ثم زحف مرة أخرى فازال أهل الشام عن مواقفهم حتى ألحقهم بالصفوف المعقلة بالعمائم ، وتقدم قيس بن المكشوح براية بجيلة وقاتل الناس قتالا شديدا وتبارز الشجعان من كل جانب - ثم خرج عمار بن ياسر ونادي من سعى الى رضوان ربه فلا يرجع الى مال ولا ولد ، وقال لها شم بن عتبة بن أبى وقاص تقدم ياهاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الأسل ، وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له ياعمرو بعت دينك بمصر تبالك ! فقال له لا ولكن أطلب بدم عثمان - ثم قاتل عمار فلم يرجع حتى قتل وقال اليوم ألقى الاحبة ، محمدا وحزبه

شدة الحرب وانتصار علي

ولما قتل عمار حمل على وحمل معه ربيعة ومضر وهمدان حملة منكرة فلم يبق لأهل الشام صف الا انتقض حتى بلغوا معاوية ، فناداه على علام يقتتل الناس بيننا ؟ هلم أحاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقام له الأمر ، فقال عمرو : انصفك ، فقال معاوية لكنك ماانصفت — ثم اقتتل الناس الى الصباح وهي ليلة الجمعة وتسمى ليلة الهرير حتى أصبح فركب الاشتر ودعا الناس الى الحملة على أهل الشام فحمل وأمده على بالرجال

حيلة عمرو بن العاص

فلما رأى عمرو شدة أهل العراق وخاف على أصحابه الهلاك قال لمعاوية مر الناس : يرفعون المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم ، فان قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال ، وان أبى بعضهم وجدنا فى افتراقهم راحة ، ففعلوا .

اختلاف أصحاب علي — فقال الناس من أصحاب على نجيب الى كتاب الله ، فقال لهم على : امضوا على حقكم وقتال عدوكم . . . لسوا باصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ، ويحكم ! والله مارفعوها الا مكيدة وخديعة ، فقالوا لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فلا نقبل ، فقال انما قتلناهم بكتاب الله وانهم نبذوه ، وقال بعض الذين صاروا خوارج فيما بعد ذلك . أجب الى كتاب الله والا دفعناك برمتك الى القوم أو فعلنا بك مافعلنا

بابن عفان فقال ان تطيعونى فقاتلوا وان تعصونى فافعلوا مابدالكم

الاشتر وايقاف الحرب. قالوا فابعث الى الاشتر وكفه عن القتال فبعث اليه يزيد بن هانىء بذلك فأبى ، وقال قد رجوت أن يفتح الله لى ، فلما جاء يزيد بذلك ارتج الموقف باللغط وقالوا لعلى مانراك الا أمرته بقتال ، فابعث اليه فليأتيك والا اعتزلناك ، فقال على ويحك يابزيد اقبل له أقبل الى فان الفتنة قد وقعت ، فقال ألرفع المصاحف ؟ قال نعم ، قال لقد ظننت أن ذلك يوقع فرقه ، أنها مشورة ابن العاهر ، الا ترى الى الفتح ، الا تري مايلقون ، الا ترى ماصنع الله لنا ؟ لن ينبغى أن أدع هؤلاء وانصرف عنهم ، فقال له يزيد أنحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم على عدوه أو يقتل ، قال لا والله ، فاعلمه بقولهم فاقبل اليهم الاشتر وأطال عتبهم وقال أمهلونى فواقا فقد أحسست بالفتح ، فقالوا لا دعنا ياأشتر ، قاتلناهم لله وندع قتالهم لله ، فقال . بل خدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم ، وسبهم وسبوه وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه فصاح به وبهم علي فكفوا .

﴿ التحكيم ﴾

وقال الناس قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما ، فجاء الاشعث بن قيس وقال ان الناس قد رضوا بما دعوا اليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاوية وسألته مايريد ، قال أفعل ، فأتاه وسأله لاي شيء رفعتم المصاحف ؟ فقال لنرجع نحن وأنتم الى ماأمر الله به فى كتابه تبعثون رجلا ترضونه ، ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما ان يعملا

بما في كتاب الله لايعدوانه ، ثم نتبع ماتفقا عليه ، فقال الاشعث هذا الحق ، ورجع الى علي والناس وأخبرهم فقالوا رضينا

﴿اختيار الحكمين﴾

ورضى أهل الشام عمرا وقال الاشعث والذين صاروا خوارج رضينا بابى موسى ، فقال على لاأرضاه ، فقال الاشعث ومن معه لانرضى الا به ، قال فانه ليس ثقة ، قد فارقني وخذل الناس عنى وهرب منى حتي أمنته بعد شهر ، قالوا لانريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، قال فالاشتر ، قالوا وهل سعر الارض غير الاشتر ، قال فاصنعوا مابدأ لكم ، فبعثوا الى أبى موسى فحضر ، وطلب الاحنف ابن قيس أن يكون مع أبى موسى فابى الناس.

كتاب الاتفاق وحضر عمرو بن العاص عند على لنكتب القضية بحضوره فكتبوا بعد البسملة هذا ماتقاضى عليه أمير المؤمنين ، فقال عمرو . ليس هو بأميرنا ، فقال الاحنف لاتمحها فانى أتطير بمحوها ، فمكث على مليا ، ثم قال الاشعث أمحها ، فقال على الله أكبر وذكر قصة الحديبية فقال عمرو سبحان الله ، نشبه بالكفار ونحن مؤمنون فقال على يابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وكيلا وللمؤمنين عدوا فقال عمرو والله لايجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم فقال على أرجو ان يطهر الله مجلسى منك ومن أشباهك وكتب الكتاب : هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، قاضى على على أهل الكوفة ومن معهم ، ومعاوية على اهل الشام ومن معهم ، انا ننزل عند حكم الله فى كتابه والايجمع بيننا غيره ، وان كتاب

الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله قيس وعمرو بن العاص ، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة ، وأخذ الحكمان من علي ومعاوية من العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما وأهليهما والامة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة ولا يوردا لها في حرب ولا فرقة حتى يقضيا ، وأجلا القضاء الى رمضان وان أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه ، وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة واهل الشام ، وشهد رجال من أهل العراق ورجال من أهل الشام ، وكتب الكتاب لثلاث عشر خلت من صفر سنة ٣٧ واتفقوا على ان يوافى على موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان وقيل لعلي أن الاشتر لا يقر بما في الصحيفة ولا يرى لا قتال القوم فقال علي وانا والله ما رضيت ولا احببت ان ترضوا ورجع الناس عن صفين

﴿ اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه ﴾

ولما رجع علي خالفت الحرورية وانكروا تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذي جاءوا منه حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة . ومر على بقبر خباب بن الارت فوقف واسترحم له ثم دخل الكوفة فلم تدخل الخوارج معه وأتوا حروراء فنزلوا بها في اثني عشر الفا ، وقالوا البيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامر شورى بعد الفتح ، فلما سمع علي ذلك واصحابه

له في أعناقنا بيعة ثانية ، نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت فقالت الخوارج . استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسي رهان بايعتم عليا انكم أولياء من والى واعداء من عادى ، وبايع اهل الشام معاوية على ماأحبوا أو كرهوا،فلستم جميعا من الحق في شيء

بعث اليهم علىّ عبد الله بن عباس وقال لاتراجعهم حتى آتيك فلم نصبر عن مكالمتهم فقال مانقمتم من الحكمين وقد امر الله بهما بين الزوجين فقال (أن يريد اصلاحا يوفق الله بينهما ؟ فكيف بالامة فقالوا اما ماجعل الله حكمه الى الناس وامرهم بالنظر فيه فهو لهم وماحكم فامضاه فليس للعباد ان ينظروا فيه قال ابن عباس فان الله يقول (يحكم به ذوا عدل منكم) ، قالوا أو تجعل الحكم في الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين ؟ — ثم قالوا له قد كنا بالامس نقاتل عمرو بن العاص فان كان عدلا فلم قاتلناه ؟ وأن لم يكن عدلا فكيف نسوغ تحكيمه ؟وأنتم قد حكمتم الرجال في امر معاوية واصحابه والله قد أمضى حكمه فيهم أن يقتلوا أو يرجعوا ، وجعلتم بينكم الموادعة في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين واهل الحرب منذ نزلت براءة — ثم خرج اليهم على وهم في مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم قالوا ابن الكواء ،قال فماهذا الخروج ؟ قالوا لحكومتكم يوم صفين ، قال أتعلمون انه لم يكن رأيي وانما كان رأيكم مخالفا مع اني اشترطت على الحكمين ان يحكما القرآن ، فان فعلا فلا ضير والا فنحن برآء من حكمهم ؟ قالوا فتحكم الرجال في الدماء عدل ؟ قانما حكمنا القرآن الا انه لاينطق وانما يتكلم به الرجال قالوا فلم جعلتم الاجل بينكم ؟ قال لعل الله يصلح في هذه الهدنة

هذه الأمة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم

كلمة — وبعد فانه بظهور هؤلاء الخوارج يتبين لك أن جيش على وان كان قاب قوسين أو أدنى من الانتصار ، قد عاد كالمخذول ، لأنه متفرق الكلمة مختلف الوجهة أصبح منقسما على نفسه ، وفرق بين اجتماع الجند حول الأمير وبين تفرقهم عنه. أما جيش معاوية فقد عاد كالظافر المنصور لاجتماع كلمتهم واتفاق وجهتهم ذلك لأنهم كانوا من أهل الشام ، وجيش على من الامصار المختلفة كالبصرة والكوفة وعرب البادية الذين لم يك لعلى فى نفوسهم المكانة التى كانت لمعاوية في نفوس أهل الشام لأنه طارىء جديد عليهم وربما عدوا الخروج عليه ضربا من ضروب الشجاعة ، أما معاويه فأمير منذ أزمان وقد ألف أهل الشام طاعته وكانوا يعدون أوامره كاوامر الدين

ومن هنا يتبين لك الفرق جليا بين جيش على و جيش معاوية فى القوة المعنوية

وقد اتخذ معاوية فوق ذلك من وسائل الترغيب في ناحيته ما تعف عن مثله على كبذل المال وماكان يمنى به أمراءه وبعدهم اذا قاموا معه ، وكالتحريض على على وحمله اهل الشام بالسياسة والدهاء علي اعتقادان عليا أجرم اذ انه قتل عثمان وان دمه فى عنقه ؛ وكان يثيرهم من وقت الى آخر بتعليق قميص عثمان على المنبر — ولم يك لعلى وسائل كهذه على أنه هد ركنا من أركان قواه بعزل قيس بن سعد الذى عرف له كل من معاوية وعمرو مكانته فى القيادة ومنزلته فى التدبير والسياسة

﴿ أمر الحكمين ﴾

ولما انقضى الاجل وحان وقت الحكمين، بعث على أباموسى فى أربعمائة رجل ومعهم عبدالله بن عباس يصلى بهم، وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشام، والتقوا باذرخ من دومة الجندل . فكان أصحاب عمرو اليه أطوع من أصحاب ابن عباس لابن عباس حتى لم يكووا يسألوه عن كتاب معاوية اذا جاءه منه كتاب، ويسأل أهل العراق ابن عباس عن كل كتاب يجيئه من على، فان كتمهم ظنوا به الظنون — وحضر مع الحكمين عبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبى بكر، وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص على خلاف فيه

ولما اجتمع الحكمان قال عمرو لابى موسى ألتعلم أن عثمان قتل مظلوما وأن معاوية وقومه أولياؤه ؟ قال بلى، قال فما يمنعك منه وهو فى قريش كما علمت، وأن قصرت به السابقة قدمه حسن السياسة وأنه صهر رسول الله وكاتبه وصاحبه والمطالب بدم عثمان ثم عرض له بسلطان فقال له ياعمرو اتق الله واعلم ان هذا الامر ليس بالشرف والالكان لآل أبرهة، وانما هو بالدين والفضل، مع أنه لو كان بشرف قريش لكان لعلى بن ابى طالب، وما كنت لأرى لمعاوية طلبه دم عثمان وأولية وأدع المهاجرين الاولين واما تعرضك لى بالسلطان فلو خرج لى معاوية عن سلطانه ماوليته وما أرتشى فى حكم الله . ولكنك ان شئت أن تحيى اسم عمر بن الخطاب فقال له عمرو فما يمنعك من ابنى وهو من علمت ؟ فقال له هو رجل صدق، ولكنك غمسته فى الفتنة، فقال عمرو: وان هذا الامر لا يصلح

الا بالرجل يأكل ويطعم وكانت فى ابن عمر غفلة .فقال له ابن الزبير أفطن وكان بازائه فنهيه لما قال .فقال ابن عمر والله لاأرشو عليها ابدا قال ابو موسى يابن العاص ان العرب اسندت امرها اليك بعد المقارعة بالسيوف فلا تردهم فى فتنة فلما اراده عمر وعلى ابنه او علي معاوية فابى وارادابو موسى ابن عمر فابى عمرو ، قال عمرو خبرنى مارأيك ؟ قال أرى أن نخلع الرجلين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون لانفسهم من أحبوا ، فقال عمرو الرأى مارأيت ،ثم أقبلا على الناس وهم ينتظرونهم ، وكان عمرو قد عود ابا موسى أن يقدمه فى الكلام لما له من الصحبة والسن فقال يابا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق فقال أنارأينا أمرا نرجو الله أن يصلح به هذه الامة، فقال ابن عباس ويحك اظنه خدعك! فاجعل له الكلام قبلك ثم تكلم بعده فانه رجل غادر ولآمن ان يكون قد أعطاك الرضافيمابينكما ، فاذا قمت فى الناس خالفك ، فأبى ، وكان رجلا مغفلا فقال انا قد اتفقنا، وقال أيها الناس انا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لامرها ولاألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأى عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويولى الناس أمرهم من أحبوا ، وأنى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا ، ثم تنحى واقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال ماسمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية فانه ولى ابن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه

عند ذلك قال سعد ما أضعفك يأبا موسى عن عمرو ومكايده فقال

ما أصنع ، وافقنى على أمر ثم نزع عنه ، فقال ابن عباس لاذنب لك ، انما الذنب لمن قدمك فى هذا المقام ، وقال ابن عمر ، انظروا الام صار أمر هذه الأمة : صار الى رجل مايبالى ماصنع والى آخر ضعيف ، وقال أبو موسى لعمرو : لاوفقك الله غدرت وفجرت ، وانما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، قال عمرو : وان مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، فحمل شريح بن هانىء على عمرو فضربه بالسوط ، وحمل ابن عمرو على هانىء فضربه بالسوط وحجز الناس بينهم ولحق أبو موسى بمكة ، وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى على بالخبر فكان يقنت اذا صلى الغداة ويقول اللهم العن معاوية وعمرا وفلانا وفلانا — فلما بلغ ذلك معاوية كان اذا قنت يلعن عليا وابن عباس والحسن والحسين ، هكذا روى ولعل كلا منهما كان يدعو على صاحبه بغير اللعن

انتهى أمر الحكمين بما رأيت ، ويقال انهما كتبا صحيفة بما اتفقا عليه ولكن ذلك لايعقل ، اذ لو صح أنهما فعلا ذلك ماتسنى لعمرو أن ينقض مافيها ويعدل عن خلع معاوية بل وتثبيته فى الخلافة جهارا نهارا من غير أن يتعرض الناس وفى مقدمتهم أبو موسى ويستمسكون بالصحيفة ويدعون القوم الى تنفيذ ماجاء فيها

وبعد فهل ذكر عمرو ان ماقاله كان باتفاق بينه وبين زميله أو يستند على أساس صحيح ؟ وهل ماقاله يعتبر حجة لاهل الشام حتى يذهبوا ويسلموا على معاوية بالخلافة ؟ لا ، ولكن المجاهرة بقول الزور فيمن لاخلاق لهم تؤدى الى أكثر من هذا

واذانظرنا فى أصل ما اتفقا عليه وجدنا ان أبا موسى فى اقتراحه أو الرضا به قد سلب من على حقا اكتسبه ولم يسلب معاوية شيئا ، وسوى بينه وبين معاوية فى هذا الشأن فجعلهما كرعيمين مع ان عليا قد اعترف بخلافته أهل الحجاز واليمن ومصر وخراسان ولم ينكر الا أهل الشام الذين لم يقوموا مع معاوية الا للانتقام من قتلة عثمان لا للمطالبة لمعاوية بالخلافة ، فابو موسى بخلعه عليا ومعاوية قد رفع منزلة معاوية الى مستوى الخلافة بقدر ماحط من شأن على من غير ان يشعر وكان ابن عباس يقول : لحى الله أبا موسى لقد نبهته فما تنبه ، وكان أبوموسى يقول . حذرنى ابن عباس غدر عمرو فاطمأننت اليه ولم أظن انه يؤثر شيئا على نصيحة المسلمين ، والحق ان اختيار ابى موسى كان من سوء حظ على وصحبه اذا كيف يعقل أن الذي كان يثبط الناس عن على امس ينتصر له اليوم ،هذا — اما على فلم يرض بهذه النتيجة ورأى أن الحكم مخالف للكتاب والسنة ، وأمامعاوية فرضى ورأى ان أقل مافى هذا الحكم سلب على الامامة وارجاع الامر الى الناس يختارون من يولونه أمرهم وهو في هذا واثق بان اهل الشام لن يفضلوا عليه أحدا ابدا

﴿ أمر الخوارج ﴾

لم يك تدبير عمرو بن العاص وغدره بأبى موسى وخلعه عليا هو السبب الوحيد فى تثبيت ملك معاوية وزعزعة سلطان علي ، بل هنالك أسباب أخرى اهمها اضطراب جند على وتخاذلهم عن نصرته وخروج

الخوارج عليه وانكارهم امر التحكيم الذى دعوا اليه بالامس ، واشتغاله بحربهم —

وقد علمنا ان الخوارج بعد ان اعتزلوه عادوا الى الانضمام فى صفوفه ودخلوا الكوفة ، غير انه لما اعتزم على ان يبعث أبا موسى للحكومة أتاه نفر ان من الخوارج وقالا له تب عن خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم ، فقال على قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وعاهدناهم ، فقال له احدهما : ذلك ذنب تنبغى التوبة منه ، فقال على ليس بذنب ولكنه عجز عن الرأى وقد نهيتكم ، فقال الثاني : لئن لم تدع تحكيم الرجال لاقاتلنك اطلب وجه الله فانتهره على ، ثم خرجا ينادیان : لاحكم الا لله وخطب على يوما فتنادوا بهذه الكلمة من جوانب المسجد ، فقال على : الله اكبر كلمة حق أريد بها باطل ، ثم خطب ثانية فقالوها فقال اما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا . لانمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسمه ، ولا الفيء ما دمتم معنا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا وننتظر فيكم امر الله — .

ثم اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبى فنصح اليهم وحرضهم على الخروج الى بعض النواحى لانكار هذه البدع وتبعه حرقوص بن زهير السعدى فى المقالة ، فقال بعضهم لابد لكم من أمير وراية فعرضوها على نفر فأبوا ، وعرضوها على ابن وهب فأجاب فبايعوه ، وكتب الى أهل البصرة من الخوارج يستحثهم على اللحاق بهم فاجابوه وساروا وسار معهم طرفة بن عدى بن حاتم فاتبعه أبوه الى المدائن فلم يقدر عليه فرجع وكتب على الى سعد بن مسعود عامله

بالمدائن فسار فى طلبهم ومعه خمسمائة فارس فغير الخوارج طريقهم وساروا على بغداد فلحقهم بالكرخ مساء فاقتتلوا ساعة ، وقيل لسعد ماتريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر ، خلهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعهم وان كفاكهم غيرك كان فى ذلك عافية لك ، فأبى ، فلما جن عليهم الليل غير ابن وهب دجلة وسار الى النهروان ولحقه بقية خوارج البصرة

ولما خرجت الخوارج بايع عليا أصحابه على قتالهم وانكر شأن الحكمين وقال انهما اختلفا فى حكمهما وكلاهما لم يرشد فاستعدوا للسير الى الشام

وكتب الى الخوارج بالنهروان فاستحثهم للمسير الى العدو وقال نحن على الامر الاول الذى كنا عليه فكتبوا اليه انك غضبت لنفسك ولم تغضب لربك ، فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت نظرنا فيما بيننا وبينك ، والافقد نابذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين ، فيئس على منهم ورأى ان يمضى الى الشام ويدعهم وقام فى الناس يحرضهم على ذلك — وكتب الى ابن عباس بالبصرة من معسكره بالنخيلة يأمره باشخاص الناس الى أن يأتيه أمره ، فاشخص ابن عباس الاحنف بن قيس فى الف وخمسمائة وخطبهم ابن عباس ثانية وقال كيف ينفر هذا العدد القليل وانتم ستون ألف مقاتل ، ثم تهددهم وأمرهم بالنفير مع ابن قدامة السعدى فخرج معه ألف وستمائة ووافوا عليا ثلاثة آلاف أو يزيدون فجمع أهل الكوفة ولاطفهم بالقول وحرضهم وأخبرهم بما فعل أهل البصرة وقال ليكتب الى رئيس كل قبيلة ممن عشيرته

من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال ،وعبدان عشيرته وموالیهم فاجابه نفر منهم عدى بن حاتم وحجر بن عدي وغيرهما من اشراف الناس بالسمع والطاعة وأمروا ذويهم الا يختلف منهم احد،فكانوا أربعين ألف مقاتل،وسبعة عشر الفا من الابناء ممن أدرك وثمانية آلاف من موالیهم وعبدهم فكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين الفا سوى أهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل

وبلغه ان الناس يريدون تقديم الخوارج فقال لهم ان قتال أهل الشام أهم علينا لانهم يقاتلونكم ليكونوا ملوكا جبارين ويتخذوا عباد الله خولا فرجعوا الى رأيه وقالوا سر بنا الى حيث شئت

(قتال الخوارج)

وبينا هو على ذلك قداعتزم السير الى الشام بلغه أن خوارج أهل البصرة لقوا عبد الله بن خباب من الصحابة قريبا من النهروان فعرفهم بنفسه فسألوه عن أبى بكر وعمر فأثنى خيرا ثم عن عثمان فى أول خلافته وآخرها فقال كان محقا فى أول خلافته وآخرها فسألوه عن على قبل التحكيم وبعده فقال هو أعلم بالله وأشد توقيا على دينه،فقالوا انك توالى الرجال على أسمائها ثم ذبحوه وبقروا بطن امرأته وهى حامل ثم قتلوا ثلاث نساوة من طيىء فآسف عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم على الناس فبعث الحرث بن مرة العبدي لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه فقال لعلى أصحابه كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم فى اموالنا وعيالنا انما نقدم أمرهم على الشام وقام الاشعث بن قيس بمثل ذلك فوافقهم علي وسار الى الخوارج وبعث من يقول لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم فنكف عنكم حتى

ألقي أهل المغرب (يعني أهل الشام) لعل الله يردكم الى خير ، فقالوا كلنا قتلهم وكانا مستحل دماءكم ودماءهم ، ثم جاءهم قيس بن سعد وعظهم وكذلك ابو أيوب الانصاري ثم جاءهم علي فهددهم وسفه رأيهم وقال نحن على الامر الاول فقالوا أنا كفرنا بالتحكيم وقد تبنا فان تبت أنت فنحن معك وان أبيت فقد نابذناك ، فقال كيف أحكم علي نفسي بالكفر بعد ايماني وهجرتي وجهادي ثم أنصرف عنهم ثم تأهب الفريقان للقتال واجتمعوا وتقدم اليهم على فرآهم عند جسر النهروان لم يعبروا . فعبي اصحابه وعبوا أصحابهم ودفع على الى أبي أيوب راية لهم كأمان لمن جاءها ومن لم يقتل ولم يستعرض فناداهم اليها وقال من انصرف الى الكوفة أو إلى المدائن فهو آمن — فاعتزل منهم فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة وقال اعتزل حتى يتضح لي امرفي قتال على ، فنزل الدسكرة ، وخرج آخرون الى الكوفة ورجع آخرون الى علي ، وكانوا أربعة آلاف وبقي منهم الف وثمانمائة فزحفوا الى على فجعل عليهم هو والناس ، وفرقهم على الميمنة والميسرة وعطفت عليهم الخيل من المجنبتين ومضى اليهم الرجال بالسلاح والدواب فهلكوا كلهم في ساعة واحدة وكانما قيل لهم موتوا فماتوا ، وقتل ابن وهب ونفر من رؤسائهم وأخذ مافي عسكرهم من السلاح والدواب فقسمه بين المسلمين ، وطاف عدي بين حاتم على ابنه طرفة بين القتلى فدفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فنهى على عن ذلك وقال أتقتلونهم وتدفنونهم ونادى بالرحيل فارتحل الناس ولم يفقد منهم الا سبعة ، وكانت الوقعة في شعبان سنة ٣٨ هـ

لعمرى هل حصل بين معاوية وأصحابه شيء من هذا - على أنه لما فرغ من النهر وان وقال لهم توجهوا من فوركم إلى عدوكم شكوا اليه الكلال ونفاذ السهام والرماح وطلبوا الرجوع الى الكوفة ليستعدوا فانه أقوى على القتال فأبى واقبل فنزل ومنعهم من دخول منازلهم حتى يسيروا الى عدوهم فتسللوا اليها وتركوا المعسكر خاليا — فهل بمثل هؤلاء العصاة ينتظر الانتصار على جند معاوية وهم أطوع اليه من بنانه ؟

ولما رأي على خلو المعسكر دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه فى المسير ثم ندبهم ثانيا فلم ينفروا فاقام أياما ثم كلم رؤساءهم حينما يئس فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطيء بهم ، فمنهم المعتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط ، فخطبهم وأغلظ فى عتابهم وأعلمهم بما له عليهم من الطاعة فى الحق والنصح فاثاقلوا وسكتوا

وبينا أمر على على هذا النحو من الانتقاض والانشقاق ، إذا أمر معاوية وأصحابه على انتظام والتئام على ماسترى

(ملك عمرو بن العاص مصر)

تركنا محمد بن أبى بكر على مصر من قبل على بعد قيس بن سعد ابن عبادة والاشتر ففتك محمد فى المصريين كما سبقت الاشارة الى ذلك

فلما اختلف الناس بالعراق على على طمع معاوية فى مصر وقصد أن يستعين بأخذها على حرب على ، فجمع أصحابه وخواصه ومنهم عمرو وقال هل تدرون مادعوتكم اليه؟ قالوا لا يعلم الغيب الا الله فقال عمرو نعم

أهمك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها، فتدعونا لنشير عليك فيها فاعزم وأنهض، في افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت عدوك، فقال له يابن العاص انما أهمك الذي كان بينا (يعني أنه جعل له مصر اذا اجتمع معه علي فقال علي) وقال معاوية للقوم ماترون، قالوا مانرى الا رأى عمرو، قال فكيف اصنع فقال عمرو أبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صارم تثق اليه فيأتي الي مصر فانه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فتظاهره علي من كان بها من أعدائنا، قال معاوية أو غير ذلك؟ قال وما هو، قال تكاتب من بها من شيعتنا تؤمرهم على أمرهم وتمنيهم قدومنا عليهم فتقوي قلوبهم ونعلم صديقنا من عدونا، وانك يابن العاص بورك لك في العجلة، قال عمرو فاعمل برأيك، فوالله ما أرى امرك الا صائرا للحرب، فكتب معاوية اليهم كتابا يثني عليهم قال في آخره فاثبتوا فان الجيش واصل اليكم، فلما وصل الكتاب الى مسلمة بين مخلد ومعاوية بن حديج كتبا اليه. اما بعد فعجل الينا بخيلك ورجلك فان عدونا أصبحوا لنا هائبين: وكان ابن مخلد وصاحبه يقيمان بخربتا في عشرة آلاف وقد بايعوا محمد بن أبي بكر ولم يحسن تدبيرهم كما كان يفعل قيس بن سعد بن عبادة أيام ولايته على مصر فلذلك انتقضت على محمد الأمور فدالت دولته

ولما وقف معاوية على كتبهما وكان يومئذ بفلسطين جهز عمرو ابن العاص في ستة آلاف وخرج يودعه وأوصاه بما يفعل، فسار عمرو حتى وصل الى مصر واجتمعت العثمانية عليه فكتب الى محمد. أما بعد فتح عني بدمك فأني لا احب أن يصيبك مني قلامة ظفر، والناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فأخرج منها أني لك من الناصحين

وأرسل اليه كتاب معاوية الذى جاء فى بعض عباراته. وانا لا نعلم أحدا كان على عثمان أشد منك فسميت عليه مع الساعين وسفكت دمه مع السافكين ... ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت .

طوى محمد الكتابين واستنجد عليا فورد عليه الكتاب بالوصية والشدة ولم يعده بأحد — ثم كتب الى عمرو ومعاوية كتابا خشن لهما فيه القول وخطب فى الناس ان انتدبوا مع كنانة بن بشر فانتدب مع كنانة نحوا من الفى رجل وخرج محمد فى الفين آخرين واستقبل عمرو كنانة وهو على مقدمة محمد فسرح عمرو اليه الكتائب من أهل الشام كتيبة بعد كتيبة وهو يهزمها ، فاستنجد عمرو بمعاوية بن حديج فسار فى اصحابه وحاطوا بكنانة ، فلما رأى كنانة ذلك ترجل عن فرسه وترجل اصحابه فقاتل حتى قتل بعدان قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة

﴿ مقتل محمد بن أبى بكر ﴾

ولما رآى أصحاب محمد ذلك تفرقوا عنه فنزل عن فرسه ومشى حتى انتهى الى خربة فأوى اليها ، وجاء عمرو بن العاص ودخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد فسأل قوما كانوا على الطريق هل رأيتم رجلا من صفته كذا وكذا ، فقال واحد منهم : قد دخل تلك الخربة ، فدخلوها فاذا برجل جالس فقال ابن حديج هو ورب الكعبة فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا فاقبلوا به على الفسطاط ووثب اخوه عبد الرحمن الى عمرو بن العاص وكان فى جنده فقال أيقتل اخى صبرا؟ فارسل عمرو الى ابن حديج يأمره ان يأتيه بمحمد كرامة لاخيه فقال ابن حديج : ايقتل كنانة بن بشر واخلى انا محمدا

هيهات هيهات، وقال محمد اسقوني فقال ابن حديج لاسقاني الله أن سقيتك قطرة أنكم منعتم عثمان الماء ثم قتلتموه صائما . والله لأقتلنك يابن ابي بكر فليسقك الله من الحميم ، فقال يابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليك ام والله لو كان سيفي بيدي مابلغتم بي هذا فقال له ابن حديج أتدري ماأصنع بك ، ادخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار ، ثم أنفذ فيه ماقال ؛ وقيل انه قطع رأسه وأرسل الى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وطيف به

ولما بلغ عائشة قتله وجدت عليه وجدا عظيما وأخذت اولاده وعياله وتولت تربيتهم —

(أمر علي بعد ذلك)

ولما بلغ عليا مقتله وما كان من الامر بمصر وتملك عمرو لها واجتماع الناس عليه وعلى معاوية ، قام في الناس خطيبا فحثهم على الجهاد والصبر والسير الى اعدائهم من الشاميين والمصريين وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة — فلما كان من الغد خرج يمشي اليها حتى نزلها فلم يخرج اليه أحد من الجيش - فلما كان العشي بعث الى أشراف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيبا يعجب من جماعة معاوية كيف يجيبه وفي السنة المرة والمرتين الى أي وجه شاء ويقول وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهى وبقية الناس على معاوية فتتفرقون عني وتعصونني وتختلفون علي ، فقام مالك بن كعب الأرحبي فندب الناس الى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له ، فانتدب الفان أمر عليهم مالكا هذا فسار بهم ، ثم قدم على

جماعة ممن كان مع محمد بمصر فأخبروه كيف وقع الامر وكيف قتل محمد وكيف استقر أمر عمرو فيها . فبعث الى مالك فرده من الطريق ذلك لانه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم الى مصر .

واستقر أمر العراقيين على خلاف على فيما يأمرهم به وينهاهم عنه والخروج عليه والتنقد على أحكامه وأقواله وأفعاله فكتب الى ابن عباس وهو نائبه يشكو اليه مايلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة فرد عليه يسليه فى ذلك ويعزيه فى ابن أبى بكر ويحثه على تلافى الناس وتداركهم والصبر على مسيئهم ثم ركب اليه واستخلف على البصرة .

(أمر الخوارج بعد النهروان)

لما قتل على أهل النهروان خرج عليه سنة ٣٨ جملة خوارج بالدسكرة وما سيذان وضواحى المدائن فانتصر عليهم قوادعلى — وكان أشد من خرج عليه :

(١) أبو مريم السعدى التميمى : أتى شهر زور وأكثر من معه من الموالى وكانو نحو أربعمائة فسار بهم حتى نزلوا علي خمسة فراسخ من الكوفة ، فأرسل اليه على يدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه على شريح بن هانى فحمل عليه الخوارج وكشفوه فخرج على بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدى فدعاهم الى طاعة على وحذرهم القتل فلم يجيبوا ، ولحقهم على فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين استأمنوا فأمنهم ، وأمر بادخال جرحاهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا

وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج — ولجرأتهم قاربوا الكوفة

(٢) الخريت بن راشد في بني ناجية وكانوا ثلثمائة رجل مقيمين بالكوفة مع علي ، قدموا معه من البصرة وكانو قد خرجوا اليه يوم الجمل وشهدوا معه صفين والنهروان ، فجاء الخريت الى علي في ثلاثين راكبا من أصحابه فقال له والله ياعلي لاأطيع أمرك ولاأصلي خلفك وأني غدا لمفارقك ؟ (وذلك بعد تحكيم الحكمين) ، فقال له علي ثكلتك أمك ؛ اذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولاتضر الانفسك ، خبرني لم تفعل ذلك ؛ فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق اذا جد الجد وركنت الى القوم الذين ظلموا انفسهم ، فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين ، فدعاه علي الى مدارسة الكتاب والسنة ووعظه فقال أني عائد اليك غدا ورجع الى أصحابه فقال لهم اني فارقت عليا على أن أعود اليه ولا أراني الا مفارقه غدا ، فأشاروا اليه بأن يتريث غير أنه سار هو وأصحابه من ليلتهم فلما سمع بهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ، فقال له زياد البكري نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك من أهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك فأذن له ، فجمع أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا وأدركوهم بالمذار (عند ملتقى دجلة بالفرات) وهم متبعون فلما رأوا زيادا وأصحابه قال الخريت ماتريدون ، فقال له زياد نخلوا فنتذاكر أمرنا فرضي ونزل زياد وأصحابه على ماء هنالك فأكلوا واستراحوا وخرج زياد الى الخريت وقال له ماالذي نقمت على أمير المؤمنين وعلينا فقال لم أرض صاحبكم أماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت

أن أعتزل وأكون مع من يدعوا الى الشورى ، فقال زياد وهل يجتمع الناس على رجل يدانى صاحبك الذى فارقته علما بالله وكتابه وسنة رسوله مع قرابته من الرسول وسابقته فى الاسلام ؟ فقال له ذلك ما أقول لك ، ثم سأله شيئا آخر فأبى ، فدعى كل أصحابه وأقتتلوا وتطاعنوا وتضاربوا بالسيف حتى حجز الليل بينهم ولم يقتل من جيش زياد غير رجلين ولكن زياد اجرح ، وخرج الخريت ليلا الى الاهواز وتلاحق به هنالك أصحابه ، فكتب زياد الى على يخبره وانه مقيم بالبصرة يداوي الجرحى فارسل على معقل بن قيس فى الفين من أهل الكوفة وكتب الى ابن عباس بان يمده بالفين وكتب الى زياد بالعود مع الشكر — واجتمع على زياد علوج من أهل الاهواز وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه ، فسار معقل اليهم فلحقهم باحد جبال رامهرمز وأصطف الفريقان واشتبك القتال فقتل أصحاب الخريت وانهزم الى أسياف البحر فكتب معقل الى على فامره باتباعه وقتله أو نفيه فسار اليه فاذا هو قد رد قومه عن طاعة على وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وهذا العام ، فلما سمع الخريت بمسير معقل ازداد فى افساد أصحابه وأرضى كل صنف منهم وخدعهم جميعاً وحرضهم على القتال فلما جاءه معقل نصب راية أمان فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه وعند ذلك عبى معقل أصحاب نحو أصحاب الخريت ودارت رحا القتال فقتل الخريت ومائة وسبعون رجلا من أصحابه وفر الباقون يمينا وشمالا وسبى معقل من أدرك من حريمهم وذرياتهم وأخذ رجالا كثيرا فاما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك

عياله ، وأما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم ، وجمع من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين — وكتب الى على بالفتح

نعم ان عليا انتصر على هؤلاء الخوارج ولكنهم شغلوه عن معاوية الذى كان فى أمن داخلى عظيم يستعد للغزو والفتح وهو مطمئن هادىء وجنده حوله لا يفكرون الا فى الخضوع اليه واجابة دعوته — وكان قثم ابن العباس عامل على على مكة ، وعبيدالله أخوه على اليمن وعبد الله على البصرة واحد بنى ربوع على خراسان ، وأما الشام ومصر فانه كان بها معاوية وعماله

﴿ ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمى الى البصرة ﴾

بعد مقتل محمد بن أبى بكر ، واستيلاء بن العاص على مصر سير معاوية عبد الله بن الحضرمى الى البصرة وقال ان جل اهلها يرون رأينا فى عثمان وقد قتلوا فى الطلب بدمه ، فهم لذلك حنقون يودون ان يجيشهم من يجمعهم وينهض بهم فى الطلب بثأرهم ودم أمامهم ، فانزل فى مضر وتودد الازد وربيعة فانه لن ينحرف عنك أحد سوامهم فسار ابن الحضرمى حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى على بالكوفة واستخلف زياد بن أبيه

فلما وصل بن الحضرمى الى البصرة نزل فى بنى تميم فأتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم ، فخطبهم مذكرا بعثمان وان عليا قتله وأنهم طالبوا بدمه وضراهم الخبر

فقال الضحاك بن قيس وكان على شرطة بن عباس قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا اليه ، أتيتنا والله بمثل ما أتانا طلحة والزبير ـ أتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت الأمور ، تحملا باعلى الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء افتأمرنا ان ننتضى أسيافنا ليكون معاوية أميرا فقام عبد الله بن خازم السلمى فقال للضحاك اسكت واقبل على ابن الحضرمى وقال نحن انصارك ويدك فاخرج كتاب معاوية اليهم يدعوهم الى الطلب بدم عثمان ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاء بن فى السنة — فقام الأحنف بن قيس فاعتزل القوم ـ وقام غيره فهدد ابن الحضرمى فاستنصر ببعضهم وخاف زياد فاستدعى رجلين من بكر بن وائل وقال امنعونى حتى يأتى أمر أمير المؤمنين فرضى أحدهما وامتنع الآخر لميله الى بنى أمية فطلب زياد الى أحد الازدان يجيره وبيت مال المسلمين فقال له تعال الى دارى واحمله ففعل وكتب الى على بالخبر اليه أحد بنى تميم ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه وكتب الى زياد بذلك فجاء الى زياد وجمع رجالا واتى قومه ونهض الى ابن الحضرمى ومن معه فدعاهم فشتموه وقتلوه غيلة فاراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الازد انا لم نعرض لجاركم فما تريدون الى جارنا فكرهت الازد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناهم وان يكفوا عنه كففنا ، فكتب زياد الى على فارسل جارية بن قدامة السعدى فى خمسمائة من تميم وكتب الى زياد بمعونة جارية ، فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما أصاب غيره ،

فقام جارية في الأزد فجزاهم خيرا وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم فأجابه أكثرهم فسار الى ابن الحضرمي واقتتلوا فانهزم بن الحضرمى ولجأ الى دار فاحرقها عليه وعلى من معه فتفرق الناس ورجع زياد الى دار الامارة

وهنا انتصر على أيضـا ولكن أين انتصر ؟ الا ترى أنه هوجم فى عقر داره ؟

﴿ توجيه زياد بن أبيه الى فارس ﴾

لما قتل ابن الحضرمى واختلف الناس على على طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج فغلب أهل كل ناحية على مابليهم وأخرجوا عمالهم ، فاستشار على الناس فى رجل يوليه فارس فقال له جارية بن قدامة السعدى الا أدلك ياأمير المؤمنين على رجل صليب الرأى عالم بالسياسة كاف لما ولى ؟ قال من هو ؟ قال زياد ، قال هو لها فولاه فارس وكرمان ووجهه فى أربعة آلاف فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا وأدوا الخراج وكان أهل فارس يقولون مارأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى انوشروان من سيرة هذا العربى فى اللين والمداراة والعلم بما يأتى

ويقال انه لما جاء فارس بعث الى رؤسائها فوعد من نصره ومناه وخوف قوما وتوعدهم ، وضرب بعضهم ببعض ، ودل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس فلم يلق بها جمعا ولا حربا ، وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع الى فارس فسار فى كورها ومناهم فسكن الناس واستقامت له البلاد وأتى اصطخر فنزلها وحصن قلعتها فكانت تسمى قلعة زياد

﴿ سرايا معاوية الي بلاد علي ﴾

لم يقف معاوية عند هذا الحد ، بل انه في سنة ٣٩ وما بعدها فرق الجيوش في أطراف علي

(١) فوجه النعمان بن بشير للاغارة على عين التمر ، وبلغ عليا فخطب على الناس وأمرهم بالخروج فثاقلوا ولولا أن صاحب هذه المسلحة استغاث بأحد جيرانه فأغاثه فتداركه وأعانه على أهل الشام حتى انهزموا لملكوا عين التمر

(٢) ووجه سفيان بن عوف الى هيت ليغير عليها ويأتى الانبار والمدائن فيوقع بأهلها ، فلما وصل الى هيت لم يجد بها أحدا فسار الى الانبار وقاتل مسالحها وقتل صاحبها واحتمل الشاميون ماكان فيها من الاموال وأموال أهلها ورجعوا الى معاوية ، وعلم على فخرج الى النخيلة فقال له الناس نحن نكفيك فقال ماتكفونني ولا أنفسكم وسرح فى أثر القوم من خرج في طلبهم حتى هيت فلم يلحقهم فرجع

(٣) ووجه عبدالله بن مسعدة الفزاري فى ألف وسبعمائة الى تيماء وأمره أن يأخذ الصدقة من أهل البوادى وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة له ، ثم يأتى مكة والمدينة والحجاز يفعل ذلك ، فوجه علي المسيب بن نجبة الفزاري فقاتل مسعدة بتيماء وحمل عليه وضربه وهو لايلتمس قتله ويقول له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وفريق ممن معه الحصن وهرب الباقون الى الشام وانتهب الأعراب ابل الصدقة لما المسيب فوضع الخطب على باب الحصن وألقى النيران فيه حتى احترق ، فأشرف عليه اصحاب ابن مسعدة

وقالوا يامسيب قومك، فرق لهم وكره هلاكهم وأمر باطفاء النار، فخرج ابن مسعدة ليلا فى اصحابه وفر الى الشام ولم يتبعه المسيب ولو شاء لأهلكه - ولكنه من قواد على لا من قواد معاوية، داهن قومه وغش خليفته

(٤) وجه الضحاك بن قيس الى واقصة من بلاد طيء وأمره ان يغير على الاعراب الذين فى طاعة على فسار وأخذ أموال الناس وقتل من لقى من الاعراب ومر بالثعلبية ثم بالقطقطانة، وبلغ أمره عليا فارسل حجر بن عدى الكندى فلحق الضحاك بتدمر فاقتتلوا وحجز الليل بينهما فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه

(٥) سار معاوية بنفسه الى دجلة ثم عاد، وأرسل يزيد بن شجرة الرهاوى الى مكة ليقيم للناس الحج سنة ٣٩ فعزم عاملها وهو قثم ابن العباس على مفارقة مكة فنهاه أبو سعيد الخدرى، ثم تنازع قثم ويزيد حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبى طلحة العبدرى حاجب الكعبة فصلى بالناس وأقام الموسم

(٦) وسير عبد الرحمن بن قباث الى بلاد الجزيرة لكن شبيب بن عاصر جد الكرمانى اتفق هو وصاحب هيت فرد السامريين وتبعوهم حتى وصل الى بعلبك ورجع ظافرا فاغار على الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية الا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا الا أخذه وعاد الى نصيبين فقال على : رحم الله سيبيا لقد أبعد الغارة وعجل النصر

(٧) وفى سنة ٤٠ بعث بسر بن ارطاة فى ثلاثة آلاف الى الحجاز فقدم المدينة وعليها أبو أيوب الانصارى عاملا لعلى فهرب فأتى عليا بالكوفة أما بسر فهدد أهل المدينة ان لم يبايعوا لمعاوية فبايعوا ثم هدم

دورابها وسار فلحق بمكة فخافه أبو موسى ان يقتله فأمنه بسر وكان أبو موسى قد كتب الى أهل اليمن قبل ذلك أن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس ، تقتل من أبى أن يقرا لحكومة — فلما أتم بسر أخذ البيعة من أهل مكة بالاكراه سار الى اليمن ، وكان عليها عبيدالله ابن عباس ففر الى الكوفة وأتى عليا ، فأتى بسر فقتل من استخلفه وقتل ابنه ، ولقى ثقل عبيد الله وفيه ابنان له صغيران فذبحهما ، وقتل جماعة كثيرة من شيعة على باليمن ورجع بسر الى الشام

وبعد فانما سردنا هذه الوقائع لنبين أن معاوية لم يقنع بما كان فى يده من الشام ومصر بل أراد أن يجمع اليه البلاد الاسلامية كلها انتزاعا من يد على منتهزا فرصة ضعفه وتثاقل جنده وخروج الخوارج عليه ومفارقة بعض أنصاره له واعتزالهم حتى يتبين لهم الامر جليا

﴿ خروج عبد الله بن العباس ﴾

وفى سنة ٤٠ خرج عبد الله بن العباس من البصرة ولحق بمكة وسبب ذلك أن أبا الاسود الدؤلى وكان على قضاء البصرة كتب الى على فى حق ابن عباس فكتب اليه على : أما بعد فاعلمنى ما أخذت من الجزية ومن أين أخذت وفيم وضعت ، فكتب اليه أما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أنى رزأته من مال أهل هذا البلد ، فابعث الى عملك من أحببت فانى ظاعن والسلام ، ثم دعا ابن عباس اخوانه بنى هلال بن عامر ومن انضم اليهم ومضى ومعه نحو عشرين رجلا حتى قدم مكة ومعه ما كان فى بيت مال البصرة وهو ستة آلاف الف

فكتب اليه على : أما بعد فانى كنت أشركتك فى أمانتى ولم يكن من أهل بيتى رجل أوثق عندي منك بمواساتي وموازرتى بأداء الامانة فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرد ، وأمانة الناس قد خربت ، وهذه الأمة قد فتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته أسوأ خذلان وخنته مع من خان ، فلا ابن عمك آسيت ، ولا الامانة اليه أديت ، كانك لم تكن على بينة من ربك وانما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم في فيئهم ، فلما أمكنتك الفرصة فى خيانة الأمة . أسرعت النهزة ، وعاجلت الوثبة ، فاختطفت ماقدرت عليه من أموالهم وانقلبت بها الى الحجاز كانما انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأمك .. وتواترت الكتب بينهما الى ان كتب اليه ابن عباس والله لئن لم تدعنى من أساطيرك لأحملنه الى معاوية يقاتلك به ، فكف عنه على .

﴿ المهادنة بين على ومعاوية ﴾

وفى هذه السنة وهي سنة ٤٠ جرت بين على ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما (لم تقف عليها فى كتاب من كتب التاريخ بعد) على وضع الحرب بينهما ويكون لعلى العراق ، ولمعاوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو ، ويقال انه لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة ، كتب معاوية الى على أما اذا شئت فلك العراق ولى الشام ، وتكف السيف عن هذه الامة ولا تهريق دماء المسلمين ، ففعل ذلك وتراضيا فاقام معاوية بالشام

بجنوده يجبيها وما حولها ، وعلى بالعراق يجبيها ويقسمها بين جنوده

﴿ موقف معاوية من على ﴾

يقال بالاختصار أنه كان موقفا عدائيا وقد استنبط الباحثون في التاريخ ماقد يكون من أسباب المشادة والحرب بينهما ومن ذلك

(١) العداء الذى كان بين بنى هاشم وبنى أمية فى الجاهلية وهو معروف ، ثم في الاسلام لما كان من غزو النبي اياهم وافراط على فى قتلهم حتي كان فتح مكة وأسر أبى سفيان وماكان من اسلام قريش وبعد ذلك علا كعب بنى هاشم لانهم كانوا السابقين الاولين من المهاجرين وانحط شأن بنى أمية حتى شكوا الى أبى بكر مايجدونه من التخلف عن رتب المهاجرين فقال ادركوا اخوانكم بالجهاد فاجابوه فى حروب المرتدين ، ثم جاء عمر فرمي بهم الروم فكان معظمهم بالشام مع يزيد ثم مع معاوية الذى سنحت له الفرصة باستعادة الرياسة فى بنى أمية لتتصل رياستهم في الاسلام بما كان من رياستهم في الجاهلية وكان يقول لازلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامعاوية اذا ملكت فاحسن

(٢) قتل عثمان فان معاوية جعله سهما مصوبا الى بنى أمية لهدم كيانهم وان عليا ومعه بنو هاشم لم يمنعوه بل اسلموه فضلا عن أن عليا آوى الثوار واتخذ بعضهم قوادا وولاه كمحمد بن أبى بكر

(٣) ان عليا لم يستشر معاوية في أمر البيعة له ، مع أنه من كبار قريش وأكبر ولاتها ، وظن أن بيعة أهل المدينة كافية كما كان الشأن فى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ولم يعبأ بولاة الامصار اذ ليس عليهم الا

المصادقة على ماعمله أهل المدينة ـ وفاته رضى الله عنه ان الزمن غير الزمن والحال غير الحال .

(٤) أنه بادر بعزل معاوية ولم يقبل نصيحة ناصح في شأنه خاصة وقال لاأدهن فى دينى ، وليس له عندى الا السيف وماأشبه ذلك .

(٥) ان كثيراً من أعيان الصحابة لم يبايع عليا كما سبق فرأى معاوية الا يشذ عنهم لحاجة فى نفسه وبخاصة حينماوصل الى علمه أن الذى بايع عليا أو عقد له البيعة باكراه أهل المدينة عليها هم الثوار

(٦) وأخيرا أن عليا لم يجب طلحة والزبير الى مقاصة قتلة عثمان حينما طلبا اليه ذلك بل تريث فعده معاوية تهاونا فى أمر عثمان كله ومجامله للثوار .

وربما كانت هذه الاسباب وجيهة الى حد ما ـ وقد أفرغ على قصارى جهده فى اقناع معاوية فلم يقتنع ، معتزا بالتفاف قومه حوله وحبهم له) وتداولا الكتب والرسل فكان معاوية يطاول ويماطل حتى أنذره على بحرب معضلة وقال له ان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على مابويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار ، فاذا اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضا وان خرج عن أمرهم خارج ردوه الى ماخرج عنه فان أبى قاتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين ... وكتب اليه معاوية لعمرى لو بايعك الذين ذكرت وأنت برىء من دم عثمان لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت بدم عثمان وخذلت الأنصار

فاطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الاقتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شوري بين المسلمين وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم، فلما فارقوه كان لحكام على الناس أهل الشام .

فرد عليه على وجاء في رده واما قولك ادفع الى قتلة عثمان فما أنت وذاك وهنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك ، فان زعمت أنك أقوي على طلب دم عثمان منهم فارجع الى البيعة التى لزمتك وحاكم القوم الى . . . فرد عليه معاوية أنك قتلت ناصرك واستنصرت واترك فاوأسم الله لارمينك بشهاب تذكيه الريح ولا يطفئه الماء ...

فرد عليه على والله ماقتل بن عمك غيرك وانى أرجوا أن الحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته وأن السيف الذى ضربت به أباك وأهلك لمى دائم .

وهكذا كانت تدور المكاتبات بينهما على هذا النحو حتي وقعت حرب صفين ولقد جعل بعض المؤرخين خلافة على رضى الله عنه سلسلة اخطاء وجعل منها

(١) اكتفاؤه ببيعة أهل المدينة في ظروف كان الثوار بها يرهبون الناس ولا يخشون أحداً أبدا

(٢) خروجه من بيت الخلافة المهيب وهو المدينة المنورة الى العراق ثم خروجه من الكوفة بنفسه الى الحرب فى صفين ، ولو أحسن صنعا لبقي فى المدينة وأرسل الجيش تلو الجيش الى الجهات المخالفة . ثم استنفر الناس ووجههم مددا كما كان يفعل الخلفاء من قبله — ثم اعتمد على

أهل العراق واتخذ أنصاره منهم وكان يدعوهم بنفسه ويخرج فيهم ، فلم تك هيبته في نفوسهم هيبة معاوية في نفوس أهل الشام ، ولذلك كانوا يستخفون بأوامره، فإن دعاهم لا يسمعوا دعاءه، ولو سمعوا ما استجابوا له.

(٣) انه لم يكتم من أمره شيئا بل كانت ثقته بنفسه وشجاعته وصراحته تحول بينه وبين اظهار ما يراه حقا وعدلا ، وقد جاهر بعدم صلاحية العمال فاعدوا له ما استطاعوا من قوة — وكان معاوية يقول: أعنت على علي باربعة : كتم أكتم سري وكان رجلا يظهره ، وكنت في أصانع جند وأطوعه، وكان في أخبث جند وأعصاه ، وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون علي منه ، وان ظفر بهم اغتربهم عنه ، وكنت أحب الى قريش منه

(٤) انه عجل بعزل قيس عن مصر وولى محمد بن أبي بكر فلم يحسن سياستها واعتزله العثمانية فكانوا من أهم الاسباب التي ساعدت عمرو بن العاص على فتحها وكانت لعلى قوة لا يستهان بها

من أجل هذه الاخطاء استيقظت العصبية القبلية وحمست الحروب الداخلية وطمع في المسلمين أعداؤهم وفرق المسلمون دينهم وكانوا شيعا ، وقتل من شجعانهم في صفين نحو تسعين الفا ، وهو عدد لم يقتل مثله في جميع الوقائع الاسلامية الماضية التي كان الغرض منها اعلاء كلمة الله تعالى ولولا ان الفريقين عضتهم الحرب وجنحوا الى التحكيم لهلكت البقية الباقية من الطرفين ، ولضاعت الثغور وأغارت الروم

ويكفي انه كان من نتائج صفين السيئة : ظهور الخوارج وهم أول الثوريون المتقلبون الذين كانوا أصحاب علي وأنصاره في الجمل وصفين

قبل التحكيم ثم كانوا سبب الفتن الداخلية المتوالية بين المسلمين ق
عصرى بنى أمية وبنى العباس وبعبارة أخرى سبب طمع أعداء المسلمين
فيهم ووقوف الفتح الاسلامى

ولو ان معاوية لم يشغل جنده بمحاربة على لقضى على الدولة البيزنطية برمتها ، ولو ان عليا تفرغ الى الفتح ولم تشغله هذه الحروب المتوالية لرفرفت رايات الاسلام على شواطيء الهادى شرقا وبحر الظلمات غربا ولكانت بلاد الترك والسند والهند والصين والروم والصقالبة من الممالات الاسلامية

﴿ اغتيال على ﴾

قتل رضى الله عنه سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان ،

وكان سبب قتله : ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى ، والبرك بن عبد الله التميمى وعمرو بن بكر التميمى السعدي ، ثلاثتهم من الخوارج لقوا من قبلهم بالحجاز واجتمعوا فتذاكروا مافيه الناس وعابوا الولاة وترحموا على قتلى النهروان وقالوا مانصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال وارحنا الناس منهم ، فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال البرك أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو أنا أكفيكم ابن العاص واتعدوا يوما وتعاهدوا الا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت

فاما البرك فقصد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح ضربه في اليته بالسيف ولم يفلح وأخذ فقتل وعند ذلك اتخذ معاوية المقصورة والحرس وقيام الشرط على رأسه اذا سجد

وأما عمرو فجلس لابن العاص فلم يخرج لصلاة الصبح وكان اشتكى ،

فأمر صاحب شرطته خارجة أن يصلي بالناس فشد عليه فضربه فقتله وهو يرى انه ابن العاص ، فلما أخذ وأدخلوه على ان العاص قال فمن قتلت اذا ؟ قالوا خارجة ، فقال له والله ماظننته غيرك ، فقال ابن العاص: أردت عمرا وأراد الله خارجة وأمر بقتله

وأما ابن ملجم فقد جلس لعلى مقابل البوابة التى يخرج منها الى الصلاة فلما خرج الى صلاة الصبح شد عليه فضربه بسكين كانت معه أو بسيف في جبهته وفي رأسه فحمل من وقته وقبض على ابن ملجم ، فقال على اطعموه واسقوه فان عشت فانا ولى دمى ان شئت قتلت وان شئت عفوت ، وان مت فاقتلوه قتلي ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين وكان ابن ملجم قد سم سيفه ، فتم على جرحه يوم الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد ، ولما دفن أحضر بن ملجم فاجتمع الناس وجاءوا بالنفط والنوارى ، فقال محمد بن الحنفية والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب دعونا نشتف منه ، فقطع عبد الله يديه ورجليه وقطع لسانه ثم أخرجوه فى قوصرة وأحرقوه بالنار

ولما بلغ عائشة قتل على قالت

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وبقتل علي ختمت تلك المأساة التى قامت بين المسلمين مدة خلافته وهى خمس سنين الا ثلاثة أشهر وانتهت فصول تلك الرواية المحزنة التى انفطر لها قلب الاسلام والمسلمين

وقال الحسن فى صبيحة الليلة التى قتل فيها أبوه : أيها الناس انه قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله يبعثه فيكفه جبريل عن

يمينه وميكائيل عن يساره فلا ينثني حتى يفتح الله له ماترك الا ثلثمائة درهم

﴿ خلافة الحسن ﴾

بويع للحسن فى رمضان سنة ٤٠ فكتب اليه ابن عباس : ان الناس قد ولوك أمرهم بعد علي فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك واستتر من الضنين ذنبه بما لم يثلم دينك واستعمل أهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم

وأول من بايع الحسن قيس بن سعد وقال أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين ثم بايعه الناس فكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ، فارتابوا وقالوا ماهذا لكم بصاحب وما يريد القتال

ولما بلغ عليا قتل معاوية بويع بالخلافة ودعي بامير المؤمنين وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين

ولما بويع الحسن رجف معاوية في أهل الشام الى الكوفة فسار الحسن فى أربعين الفا كانوا قد بايعوا أباه قبل قتله على الموت ، وعلى مقدمه قيس بن سعد أو عبد الله بن العباس ـ فلما نزل الحسن المدائن شاع فى العسكر ان قيس بن سعد قتل فانفروا واهتاج الناس وماج بعضهم فى بعض وجاءوا الى سرادق الحسن ونهبوا ماحوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذه وحمل الى المدائن جريحا وكاد أمره ينحل فكتب الى معاوية يذكر له التزول عن الأمر على ان يعطيه مافى بيت مال الكوفة وخمسة آلاف الف، ويعطيه

خراج دار بجرد من فارس والا يشتم عليا وهو يسمع ، وأخبر بذلك أخوه الحسين وابن عمه عبد الله بن جعفر فعذلاه فلم يرجع اليهما، وبلغت صحيفة معاوية فأمسكها ـ وكان قد سارع فارسل الى الحسن عبد الله ابن عامر وعبد الله بن سمرة ومعه صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب اليه أن أشترط في هذه الصحيفة ماشئت فهو لك ، فاشترط فيها أضعاف ماكان في الصحيفة فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الاولى وقال هو الذي طلبت

ثم نادى في أهل العراق : ان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلنا وأخذنا لكم الرضا ، فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية ، فامضى الصلح وبايع لمعاوية ، ستة أشهر من بيعته فدخل معاوية الكوفة وبايع له الناس، وكتب الحسن الى قيس بن سعد . يأمره بطاعة معاوية . فقام قيس في أصحابه فقال : نحن بين القتال مع غير امام أو طاعة امام ضلالة فمال الناس طاعة الامام أولى وانصرفوا الى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف

وارتحل الحسن الى المدينة فاقام بها الى أن مات سنة ٤٩ - وما ينقل من ان معاوية دس اليه السم فهو من أحاديث الشيعة ، وعلام يسمه معاوية ولا حول للحسن ولا قوة ثم حصل خلاف بين معاوية وعبد الله ابن العباس وقيس بن سعد وغيرهما فما زال معاوية حتى سوى الخلاف بينهم جميعا وجاء سعد بن أبي وقاص فبايع واستقر الامر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة ٤١ وسمي العام من أجل ذلك عام الجماعة وانتهت مدة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم

الاحوال الاجتماعيه

(١) شكل الحكومة : كان أول مظهر من مظاهر مدنية الاسلام تأسيس الخلافة الاسلامية ـ فكان الذي يختار لها يسمى خليفة رسول الله غير انه لم يخاطب بها الا أبو بكر وحده حتى تولي عمر فأطلق عليه اسم أمير المؤمنين كما أطلق على الخلفاء الراشدين من بعده ـ والخلافة كما رأيت رياسة أساسها الدين ، وغايتها حمل الكافة على مافيه صالحهم ، يقوم بذلك الخليفة أو الامير متبعا كتاب الله أو سنة رسوله الا اذا عرض ماليس فيهما فان المسائل العارضة تقاس بنظائرها ولم يك الخليفة أو الامير في هذا الشأن الا كواحد من الصحابة فاذا جرم اجتهادهم الى حكم من الاحكام كان سلطانه الدينى فى تنفيذ هذا الحكم فقط

ولم تك الخلافة فى أسرة بعينها كبني هاشم مثلا بل كانت شائعة فى بيت قريش ، ينتخب الرجل للقيام باعبائها انتخابا ، ويسير فى حكم الناس بما أنزل الله أو جاء عن رسوله أو أدي اليه اجماع الصحابه ، ومن أجل ذلك تجد حكومة الخلافة أقرب أنواع الحكومات الى الجمهورية الديمقراطية من طريق انها انتخابية لاوراثية ولا من أسرة بعينها ، ومن طريق ان القائم فيها مقيد بنوع من الاحكام لابتعداه

وكان للخليفة أو أمير المؤمنين مجلس للشورى مؤلف من أعلام الصحابة وشيوخهم من الانصار والمهاجرين وأولى الرأى من غيرهم ـ وكان هنالك شورى عامة تتألف من كل من له رأى من المسلمين ، يجتمعون فى المسجد وتعرض عليهم الجلائل من الامور فيقلبونها على وجوهها حتى يتبين لهم الحق فيها

وكان الخليفة كآحاد الناس ، فلاشارة له ولا حاجب ولا حارس ولا قصر ولا خدم ولا شيء مطلقا من أبهة الرياسة

(٢) القضاء : — وكان الخلفاء يفصلون بين الناس بأنفسهم فيما يحصل بينهم من المنازعات فلما كثرت الاعمال واتسعت الفتوح ، فوضوا هذا الامر الى غيرهم — كذلك فعل أبو بكر فولي عمر القضاء فهو أول قاض فى الاسلام ولكنه لم يسم قاضيا ، فلما تولى الخلافة بعث القضاة الى الامصار ورسم لهم الطرق التى يسلكونها في تحرى العدل والحق ، فكان سواء عندهم الخليفة وآحاد الرعية والشريف والوضيع ، وكان لهم راتب من بيت المال ولا سلطان لامراء الامصار عليهم ، على أن تعيين القضاة لم يك مانعا من أن يزاول الخليفة أو الأمير نظر ما يعرض عليه من الخصومات ، وكان عمر يقضى حيث يدركه الخصوم — والغالب أن القاضى هو الذي كان يباشر تنفيذ ما يصدره من الاحكام الا فى القصاص واقامة الحدود فان ذلك كان للخليفة أو أمراء الامصار

(٣) الجند — كان الرسول يقود الجند بنفسه أو يرسل السرايا ويؤمر عليها من يشاء ولكن لما تعددت الجهات التي يراد غزوها وتباعدت اقتصر الخليفة على عقد الألوية لأمراء المسلمين وقادتهم ولم يك للجند ديوان الا من عهد عمر ، وكان رزقهم فى بيت المال — وكانت حروبهم أولا بالكر والفر ثم أتبعوا طريق الصفوف والمقدمة والساقة ، والقلب والمجنبتين أو الجناحين

(٤) الخراج ، ماكان يفرض على الارض التى ملكها المسلمون عنوة ثم تركوها فى أيدى أهلها فهو كالاجارة ، وكان له عمال مستقلون

يجمعونه ثم ينفقون منه ما يأمر به الخليفة من أرزاق الجند والمقاتلة والباقى يرسل الى دار الخلافة — وكان الخراج أحيانا يعين تعيينا وأحيانا يكون حصة شائعة فيما تخرجه الارض — والعشور ما يؤخذ على الارض التى غنمها المسلمون وقسمت بينهم ، أو الأرض التى أسلم اهلها عليها أو ملكها المسلمون عنوة وأهلها لا تقبل منهم الجزية كعبدة الاوثان من العرب — والصدقات : هى ما يؤخذ من المسلمين على أموالهم من الحرث والانعام والدراهم والدنانير وهى الزكاة :

﴿ دولة بنى أمية ﴾

٤١ — ١٣٢

ملكت هذه الدولة تسعين سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وذلك الف شهر منها أيام الحسن بن على وهى خمسة أشهر وعشرة أيام ، وأيام ابن الزبير وهى سبع سنين وعشرة اشهر وثلاثة أيام ، فيكون صافى أيامها ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر

ويرجع الى بنى أمية الفضل فى جمع كلمة المسلمين بعد تفرقها واتفاق الجماعة على بيعة معاوية فى منتصف سنة احدي واربعين بعد أن خلع الحسن نفسه ، وعندما نسى الناس شأن النبوة والخوارق والوحي ونزل الملائكة وذكروا العصبية رجعوا الى التغالب ، وحينما تعين بنو أمية للغلب اذ كانت جنود معاوية من قريش شوكة مضر وكان معاوية حينئذ كبيرهم وعصبيته أشد وأمضي شوكة فلم تتعده الخلافة

ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه واستفحل شأنه واستحكمت فى أرض مصر رياسته وتوثق عقده وتغلب بنى أمية على مضر وسائر العرب ، واسس لقومه ملكا أقام فى بنائه عشرين سنة وهو أمير ومثلها وهو سلطان وخليفة ، واستعمل فى تسيير أموره ضروب سياسته التى لم يك أحد يدانيه في شيء منها ، — لامن العرب عامة ولامن أهل الترشيح الى الخلافة من قومه خاصة كبنى على من فاطمة وغيرها وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم ، اذ كان مصانع رءوس العرب وقروم مضر بالاغضاء والصبر على الاذى ، واحتمال المكاره ، وكانت غايته فى الحلم لاتدرك وعصابته لاتنزع مرقاته تزل عنها أثبت الاقدام وكان عمرو بن العاص يقول فى حقه احذروا ذم قريش وابن كريمها من يضحك عند الغضب ولا ينام الاعلى الرضا ويتناول مافوقه من تحته ،وكان معاوية يقول : لو ان بينى وبين الناس شعرة ماانقطعت أبدا قيل له وكيف ذلك قال : كنت اذا مدوها أرخيتها واذا أرخوها مددتها

نعم مهد معاوية للامويين السلطان بالشام وبجند من أهله قاتل حتى ظفر،وجند الشام كما علمت قد اشتهروا بالطاعة يدل على ذلك ماورد عن على فى بعض خطبه اذ يقول لاهل العراق (لوددت ان معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم ، فاخذ منى عشرة منكم واعطانى رجلا منهم) وكان بما وفق اليه فى الجملة انه ألم بطبائع أهل الشام وخصائصهم وخواص بقاعهم وأثرها فى أخلاقهم ، تعرف ذلك من أبيه وأهله ، اذ كانت لهم بالشام تجارة واسعة اختلفوا من أجلها الى هذه البلاد

كثيرا، ثم ضم اليه ما درسه بنفسه منذ بعثت البعوث الى فتح الشام فكان من أجل ذلك على بصيرة تامة بجنوده وميولهم وما تكنه ضمائرهم وهذا الى ما كان يعمله معاوية من الاخذ بآراء الاشراف والنزول على حكم النواب اذ كان له مجلس يعقد فى المسجد للبحث فى سياسة الدولة وقال زياد ما غلبنى أمير المؤمنين معاوية قط الا فى أمر واحد، طلبت رجلا من عمالى كسر على الخراج فلجا اليه فكتبت اليه ان هذا فساد عملى وعملك، فكتب الى : انه لا ينبغى لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة لانا نين جميعا فيمرح الناس فى المعصية، ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة — هذا — وقد ولى الخلافة الاموية : معاوية بن أبى سفيان ثم يزيد ابنه فمعاوية الثانى وهو بن يزيد، وبه ينتهى ورثة الملك من بنى سفيان ويبتدىء تلك سادة أخر من بنى أمية وهم مروان بن الحكم، فابنه عبد الملك، فالوليد ابن عبد الملك فسليمان أخوه فعمر بن عبد العزيز بن مروان ثم يعود الى يزيد بن عبد الملك فهشام أخوه فالوليد بن يزيد بن عبد الملك فيزيد ابن الوليد بن عبد الملك فأخوه ابراهيم ثم آخرهم مروان بن محمد بن مروان وبه انتهى ملك بنى أمية وعادت الدولة الى بنى هاشم بقيام بنى العباس

معاوية بن أبى سفيان

وهو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أسلم قبل أبيه فى عمرة القضاء وبقى يخاف من أبيه الخروج الى النبى

صلى الله عليه وسلم واظهر الاسلام يوم الفتح ، وقد ولى امرة الشام لعمر ثم لعثمان ثم نازع عليا الخلافة حتى وليها من بعده فى سنة ٤٠ من الهجرة بعد موت على وبعد ان أسلم اليه الحسن بن على الامر بعد الامور وقعت بينه وبين على والحسن ، وهو كاتب النبى وأخو زوجته ام حبيبة — وتوفى فى رجب سنة ٦٠

بيعته وأمره مع الحسن

روى أنه بويع بالخلافة ببيت المقدس سنة ٤٠ وكان قبل ذلك يدعى الامير فى بلاد الشام ، فلما قتل على دعى بامير المؤمنين والارجح أنه بويع بها بعد اجتماع الحكمين وما كان من أمرهما سنة ٣٧ ثم توكدت خلافته بتنازل الحسن اليه واجتماع الناس عليه عام ٤١ وهو عام الجماعة الذى كتب فيه الحسن الى معاوية حينما رأى تفرق الامر عنه وذكر شروطا وقال له ان انت أعطيتنى هذا فانا سميع مطيع وعليك ان تفى لى ، وقال لاخيه الحسين وعبد الله بن جعفر انى قد ارسلت لمعاوية في الصلح فقال له الحسين انشدك الله الا تصدق احدوثه معاويه وتكذب أحدوثه أبيك ، فقال له الحسن اسكت أنا أعلم بالامر منك ، فلما اصطلحا قام فى اهل العراق فقال يا أهل العراق أنه قد سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى — ثم ان معاويه لم يف له بشىء من الشروط بل انه لم يجبه الى الكف عن شتم على ، فلما خراج دار بجرد فان اهل البصرة منعوه منه وقالوا هذا فيؤنا لانعطيه أحدا وهذا بالبداهة بأمر معاوية — ثم

دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن فبايعه الناس وكان عمرو بن العاص حاضرا فاوعز الى معاوية أن يأمر الحسن بالخطابة ليظهر لهم عيه ، فقام فحمد الله بديهة ثم قال : أيها الناس ، ان الله هداكم بأولنا وحقن دمائكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول ، وان الله عز وجل قال لنبيه (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) فحقدها معاوية على عمرو وقال هذا من رأيك - وقيل للحسن ماحملك على مافعلت قال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لايثق بهم أحدا أبدا الاغلب ، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأى ولا هوى ، مختلفين لانية لهم فى خير ولا شر ، لقد لقي أبى منهم أمورا عظاما فليت شعرى لمن يصلحون بعدى ، - ودخل عليه سفيان أحد أصحابه فقال السلام عليك يامذل المؤمنين فقال لاتقل ذلك ، انى كرهت أن أقتلكم فى طلب الملك - ثم رحل الى المدينة كما سلف ، ووفد على معاوية بعد عام الجماعة فقال له معاوية والله لا حبونك بجائزة ماأجزت بها أحدا قبلك ولا أجيز بها أحدا بعدك وأمر له بمائة الف

أما كيفية بيعة معاوية بالكوفة فانه لما دخلها بعد مصالحة الحسن أحضر الناس ، وكان الرجل يحضر ويقول والله يامعاوية انى لأبايعك وانى لكاره لك ، فكان يقول بايع فان الله قد يجعل فى المكروه خيرا كثيرا ، ويأبى الآخر فيقول أعوذ بالله من شر نفسك ، وأتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال بايع قيس ، قال ان كنت لاكره مثل هذا اليوم يامعاوية ، فقال له مه رحمك الله ، فقال لقد حرصت أن أفرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يابن أبي سفيان الا ماأحب ،

قال فلا يرد أمر الله ، فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال يامعشر الناس لقد اعتضتم الشر من الخير واستبدلتم الذل من العز والكفر من الايمان فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول رب العالمين وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف ويسير فيكم بالعسف ، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لاتعقلون ، فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال أقسمت عليك ثم صفق على كفه ونادى الناس بايع قيس فقال كذبتم والله مابايعت

ولم يبايع لمعاوية أحد الا أخذ عليه الايمان فكان أول من استحلف على بيعته

ودخل اليه سعد بن مالك فقال السلام عليك أيها الملك ، فغضب معاوية فقال الا قلت السلام عليك بأمير المؤمنين ، قال ذاك ان كنا أمّرناك ، انما أنت متغلب

واعمل فيما مضى صورة تعطيك كيف بويع بالكوفة ، وماذا كان رأى القوم فيه وفى خلافته ، أما بالشام قد بايع الناس ذلك وسمعوا له وأطاعوا وفرحوا بعودة الملك فيهم لانهم عصبيته وقد اتخذ دمشق مركزا للخلافة من جراء ذلك ومن أجل ان مركزها (وقد اتسعت المملكة الاسلامية) أنسب من المدينة والكوفة وبخاصة اذا روعى انه كان يريد القضاء على الدولة البيزنطية وضم أملاكها الى دولته

قال ابن خلدون فى تاريخه وقد كان ينبغى أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة . وانما أخره المؤرخون في التأليف عنهم لامرين :

(١) ان الخلافة لعهده كانت مغالبة لاجل ماقدمنا من العصبية التي حدثت لعصره ، وأما قبل ذلك فكانت اختيارا واجتماعا ، فميزوا بين الحالين ، فكان معاوية أول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الاهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض ، وحاشا لله أن يشبه معاوية بأحد من بعده ، فهو من الخلفاء الراشدين ... وأعلم ان الملك الذى يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التى أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها (فى الجابيه) وأما الملك الذى هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة ، فلا ينافى الخلافة ولا النبوة ، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين كانا على غايه الاستقامة فى دنياهما وعلى طاعة ربهما عز وجل ، ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا وانما ساقه أمر العصبية بطبعها ...

(٢) فى ذكر معاوية مع خلفاء بنى أمية دون الخلفاء الأربعة انهم كانوا أهل نسب واحد ، وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه ، والخلفاء الاولون مختلفو الانساب فجعلوا فى نمط واحد ، وألحق بهم عثمان وان كان من أهل هذا النسب للحوقة بهم قريبا فى الفضل

أخبار معاوية

لما استقل معاوية بالخلافة بعث العمال الى الامصار

(١) فبعث على الكوفة المغيرة بن شعبة ، ويقال أنه ولى عليها أولا عبد الله بن عمر بن العاص فأتاه المغيرة وقال : عمرو بمصر وابنه بالكوفة

فانت بين نابى أسد ، فعزله وولى المغيرة وبلغ ذلك عمرا فقال لمعاوية يخان المال فلا تقدر على رده ، فعد فاستعمل من يخافك فنصب المغيرة على الصلاة وولى على الخراج غيره

(٢) وبعث على البصرة بسر بن ارطاة وكان على فارس من أعمال البصرة زياد بن أبيه ، فبعث اليه معاوية بطلب المال فقال صرفت بعضه فى وجهه واستودعت بعضه للحاجة اليه وحملت مافضل الى امير المؤمنين رحمه الله فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر فى ذلك فامتنع فجمع بسر أولاد زياد وكتب اليه لتقدمن او لاقتلن بنيك فامتنع واعتزم بسر قتلهم ، فاتاه أبو بكرة (وكان أخا زياد لامه) فقال أخذتهم بلا ذنب وقد صالح الحسن على أصحاب على حيث كانوا فامهله بسر الى ان يأتى كتاب معاوية ثم قدم أبو بكرة على معاوية وقال ان الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال ، وان بسرا يريد قتل بنى زياد فكتب اليه بتخليتهم وعاد أبو بكرة الى البصرة فادركهم واطلقهم وكانوا موثقين للقتل ولم يبق على قتلهم الا ساعة — ثم عزل معاويه بسرا وولى البصرة عبد الله بن عامر فولى على خراسان من قبله قيس بن الهيثم السلمى وكان أهل بعض هذه النواحى قد نكثوا ، فذهب الى بلخ وأخرب نوبهارها (وهو بيت النار) فسألوا الصلح فصالحهم وتابعهم أهل تلك الاطراف من الناكثين

(٣) وولى على المدينة مروان بن الحكم وعلى مكة خالد بن العاص ابن هشام وكان على مصر عمرو بن العاص حتى توفى سنة ٤٣ فولى معاوية عبد الله بن عمرو مكان أبيه وقيل انه ولى عليها أخاه لابيه ، عتبه بن

أبي سفيان بعد موت ابن العاص ثم ولى بعده عقبة بن عامر الجهنى وقبره يزار بالقرافة ولاهل مصر فيه اعتقاد عظيم ، وليس فى الجبانة قبر صحابى مقطوع به الاقبر عقبة

(صلح معاوية وقيس)

كان قيس بن سعد بن عبادة قد امتنع من بيعة معاوية وتعاقد هو ومن تحت امرته من الجند على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا فى الفتنة ، فراسله معاوية يدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على أسفله وقال له أكتب فى هذا ماشئت فهو لك فلما وصل السجل اشترط قيس له ولشيعته الامان على ماأصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل مالا ، فأعطاه معاوية ماسأل ودخل قيس ومن معه في طاعته

(قدوم زياد)

وكان زياد بن أبيه قد امتنع بفارس كما قدمنا وكان يلى أمواله بالبصرة ابن أخيه عبد الرحمن بن أبى بكرة فكتب معاوية الى المغيرة بالكوفة أن ينظر فى ذلك فراعى حق زياد وحسن العذر عن عبد الرحمن عند معاوية ثم أقبل المغيرة على معاوية فذكر له ماعنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال له المغيرة مازياد هناك ، فقال معاوية : داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ، مايؤمننى أن يبايع لرجل من أهل هذا

البيت فاذا هو قد أعاد الحرب جذعة ـ ماستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ، ثم أتاه وقال ان معاوية بعثني اليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره ، فخذ لنفسك قبل أن يستغني معاوية عنك ، قال أشر على والمستشار مؤتمن ، فقال أرى أن تشخص اليه وتصل حبلك بحبله وترجع عنه ، وكتب اليه معاوية بأمانه بعد عود المغيرة عنه . فخرج زياد من فارس نحو معاوية فسأله عن الاموال فأخبره وصدقه معاوية وأذن له أن ينزل الكوفة فكان المغيرة يكرمه ويعظمه . غير ان معاوية كتب اليه أن يلزم زيادا وحجر بن عدى وجماعة آخرين بالصلاة مع الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات ، وذلك لانهم كانوا من شيعة على

﴿ الخوارج ﴾

كان معاوية في نظر الخوارج أولى بالقتل من على لانه وصل الى مقام الخلافه الاسلامية بالقهر والدهاء والاستبداد لا بالشورى وابداء الآراء الحرة ، وهذا يضاد نظريتهم فى أمر الخلافة ـ ومن أجل ذلك ثاروا على معاوية وناصبو الامويين العداء رجاء أن ينتزعوا هذا الامر من مغتصبيه ثم يكون الامر شورى بين المسلمين يولون عليهم بالانتخاب وبمحض اختيارهم من شاءوا من عامة المسلمين اذ لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وقد خرجوا على على فتمكن من الفتك بهم فى أقصر وقت مع تمرد أهل العراق عليه ، ولا شك ان أمرهم على معاوية يكون أهون واخضاعهم بل افنؤهم عليه أيسر ، لانه فى جند أطوع وقد فرغ من بنى هاشم ، فروة بن نوفل الاشجعى

— كان قد ترك قتال علي والحسن واعتزل في خمسمائة في شهر زور ، فلما تسلم معاوية الامر من الحسن قالوا قد جاء الآن مالا شك فيه وساروا حتى حلوا بالنخيلة وكان معاوية بالكوفة فكتب الى الحسن (وقد سار يريد المدينة) يدعوه الى قتال فروة فلم يرجع وكتب الى معاوية : لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فانى تركتك اصلاح الامة وحقن دمائها ، فأرسل معاوية لى الخوارج جمعا من أهل الشام فقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لاهل الكوفة والله لاأمان لكم عندى حتى تكفوهم فقاتلوهم ، فقالت الخوارج أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله ، فان أصبناه كنا قد كفينا كم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا — فقالوا لابد لنا من قتالكم ، فوعظ فروة قومه فلم يرجع فأخذ قهرا وأدخل الكوفة فاستعمل بقية الخوارج عليهم رجلا من طيء فقاتلهم أهل الكوفة فقاتلوهم حتى انهزموا وقتل أميرهم ثم لم اشعتهم وولوا عليهم رجلا من بنى أسد فقدم بهم الى النخيلة وانضم اليهم من انضم ، فسير اليهم معاوية عبد الله بن عوف الاحمر في الفين فقتلهم جميعا الا خمسين دخلوا الكوفة — ثم عاد معاوية الى دمشق وخلف المغيرة بن شعبة فعاد فروة الى الخروج فبعث اليه المغيرة من قتله بشهر زور

المستورد الخارجى — اجتمع الخوارج بالكوفة على المستورد بن علفة التيمى (تيم الرباب) وعلى ثلاثة آخرين وكلهم من فل النهروان ودخلوا الكوفة بعد مقتل على ودخلوا منزل حيان بن طبيان السلمى وتشاوروا فيمن يولون عليهم فكلهم دفع الامارة عن نفسه ثم اتفقوا

وولوا المستورد وبايعوه وخاطبوه بأمير المؤمنين فكبسهم المغيرة في منزلهم فاستسلموا وأخذهم المغيرة فحبسهم وقررهم فلم يقروا بشيء وذكروا انهم اجتمعوا لقراءة القرآن ـ فلبثوا في السجن نحو سنة ثم فر المستورد الى الحيرة واختلفت اليه الخوارج وبلغ المغيرة خبرهم فخطب الناس وتهدد الخوارج فقام اليه معقل بن قيس فقال ليكفك كل رئيس قومه فاستحسن المغيرة هذا الرأى ودعا الرؤساء وقال ليكفني كل رجل منكم قومه وشدد عليهم وتوعدهم فقام صعصعة بن صوحان وخطب في عبد القيس مهددا فقال كل قوم لئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم وأحس المستورد بما صنع المغيرة في الناس وبما قام به رءوسهم فيهم فقال نحن مرتحلون وساروا الى الصراة فاستشار المغيرة الناس فيمن يرسله اليهم فقال عدى ابن حاتم كنا لهم عدو فابنا شئت سار اليهم، وقال معقل بن قيس أرسلني اليهم فأرسله في ثلاثة آلاف وجعل معظمهم من شيعة علي وسار الخوارج الى بهرسير ليعبروا الى المدائن فمنعهم عاملها، ودعاهم الى الطاعة على الامان فابوا وساروا الى المذار وبلغ بن عامر بالبصرة خبرهم وما صنع المغيرة فأرسل اليهم شريكا الحارثي ، وكان من شيعة علي أيضا) في ثلاثة آلاف، وأدركهم مقدمة معقل فهزمهم الخوارج ، وعلم معقل فاسرع باهل القوة ممن معه وحمل على الخوارج فلم يظفر ولم يظفروا وباتوا جميعا على تعبئة ، وبياتهم كذلك اذ بلغ الخوارج نهوض شريك فرجعوا من حيث أتوا وخاف معقل أن تكون مكيدة فاحتاط ولما أصبح اجتمع بشريك وأرسل فصيلة فقاتلتهم حتى هزمتهم غير فلولهم رجعت الى معقل وأصحابه فقاتلوهم حتى كادوا يفنوهم فرجعت

تلك الفصيلة وراءهم وشدوا جميعا على الخوارج شدة منكرة وظل القتال الى أن نادى المستورد معقلا للبراز فاقبل معقل فطعنه المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره ، وفى الوقت ضربه معقل بسيفه والرمح فيه فخالط دماغه وماتا معا وحمل اصحاب معقل على الخوارج فقتلوهم جميعا .

ونكتفى بما ذكرناه هنا من أمر الخوارج ليكون نموذجا لبقية ما كان منهم على عهد معاوية

﴿ استلحاق معاوية زيادا ﴾

في سنة ٤٤ استلحق معاوية زياد بن سمية وكانت سمية مولاة للحرث بن كندة الطبيب وولدت عنده ابا بكرة ثم زوجها بمولى له وولدت زيادا وكان أبو سفيان ذهب الى الطائف فى بعض حاجاته فأصابها بنوع من أنكحة الجاهلية وولدت زيادا هذا ونسبته الى أبى سفيان فأقر لها به الا انه كان يخفيه — ولما شب زياد سمت به النجابة واستكتبه أبو موسى الاشعرى وهو على البصرة ثم استعمله على على فارس فضبطها وحمي قلاعها .

وبلغ معاوية خبره فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده فقام زياد فى الناس يقول العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق ، يخوفنى بقصده اياى ، وبينى وبينه ابن عم رسول الله فى المهاجرين والانصار وبلغ ذلك عليا فكتب اليه اني وليتك وانا اراك اهلا ، وقد كان من أبى سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس لاتوجب

ميراثا ولا نسبا ، ومعاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام ولما قتل على وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية ماذكرنا أرسل زياد من يعرض الى معاوية بنسب أبى سفيان وراى معاوية ان يستميله باستلحاقه ، فالتمس الشهادة بذلك ممن علم لحوق نسبه بأبى سفيان فشهد له رجال من أهل البصرة والحقه وكان استلحاقه أول ماردت به أحكام الشريعة علانية ، فان رسول الله قضى بالولد للفراش وللعاهر بالحجر ، وكتب زياد الى عائشة : من زياد بن أبى سفيان ، وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبى سفيان فيحتج بذلك فكتبت : من عائشة أم المؤمنين الى أبنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بنى أمية خاصة ـ أما معاوية فلم يأبه بشىء من هذا كله واعتبر استلحاقه زياد فرصة لاتعوض ، واما زياد فانه لما راي وسمع قال : ان كان ماقالوا (الشهود حقا فالحمد لله الذى حفظ منى ماضيع الناس ورفع منى ماوضعوا ، وان كان باطلا فمعاوية والشهود أعلم

ثم ولى زياد البصرة وأضاف له خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ، فقدم البصرة سنة ٤٥ والفسق ظاهر فاش فخطبهم خطبته البتراء وكان زياد أول من شدد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية فجرد السيف أخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه السفهاء والدعار ، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم حتى كان الشىء يسقط من يد الانسان فلا يتعرض له أحد حتى يأتى صاحبه فيأخذه ولا يغلق أحد بابه

وقد أدر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف ،

وسئل فى اصلاح السابلة فقال حتى اصلح المصر ، فلما ضبطه اصلح ماوراءه

وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين ولاه قضاء البصرة فاستعفي فولى مكانه عبد الله بن فضالة الليثى .

ويقال أن زيادا أول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحراس رابطة فكان خمسمائة منهم لايفارقون المسجد

وقسم ولاية خراسان على أربعة كان منهم الحكم بن عمر الغفاري على هراة وباذغيس وبوشنج ، ففزا طخارستان وغنم غنائم كثيرة ثم سار الى جبال الفور وكانوا قد ارتدوا ففتح وغنم وسبى ثم عبر النهر الى ماوراءه فملأه غارة

ولما مات المغيرة بن شعبة عامل الكوفة سنة خمسين ولى الكوفة معاوية مكانه زيادا وجمع له المصرين ، فسار اليها فلما وصل الكوفة حصبوه على المنبر فلما نزل جاس على كرسى وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك ومن لم يحلف حبسه فبلغو ثمانين فعاقبهم عقابا شديدا قيل أنه قطع أيديهم .

قضية حجر بن عدى

كان المغيرة أيام ولايته كثيرا مايتعرض لعلى فى مجالسه وخطبه ويترحم على عثمان ويدعوا له ، فكان حجر بن عدى يقول أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أحق بالذم فبعث اليه المغيرة

يقول: يا حجر اتق غضب السلطان وسطوته فانها تهلك امثالك، لا يزيده على ذلك - فلما كان آخر امارة المغيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول فصاح به حجر ثم قال له مرلنا بارزاقنا فقد حبستها منا واصبحت مولعا بذم المؤمنين، فصاح الناس من جوانب المسجد: صدق حجر - فدخل المغيرة بيته وعزله قومه في جراءة حجر عليه لان ذلك يوهن من سلطانه ويغضب معاوية عليه فاعتذر اليهم ثم مات

فلما تولى زياد خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه، فقال حجر ما كان يقول فسكت عنه ورجع الى البصرة ثم بلغه عنه ان الشيعة يجتمعون عليه ويعلنون لعن معاوية والبراءة منه، فشخص الى الكوفة وخطب الناس وحجر جالس يسمع، فتهدده ثم بعث اليه فامتنع، فبعث زياد الى أهل الكوفة وتهددهم فتبرءوا فقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر، ففعلوا حتى اذا لم يبق معه الا قومه أرسل اليه صاحب شرطته فامتنع فحمل عليهم وخرج حجر الى دور قومه واجتمع اليه الناس، فارسل زياد مذحج وهمدان ليأتوه به فلما علم تنقل في دور القبائل حتى أعياهم طلبه، فدعا حجر محمد بن الاشعث ليأخذ له الامان من زياد حتى يبعث به الى معاوية فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله وغيره فاستأمنوا له زيادا فأجابهم ثم أحضروا حجرا فحبسه وطلب أصحابه فتفرق رؤساؤهم وتواروا وجد زياد في طلبهم وأخذ زياد عدي بن حاتم وهو في المسجد وقال له ائتني بعبد الله بن خليفة الطائي فقال له: اتيك بابن عمي لتقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فحبسه فنكر الناس ذلك وكلموه وقالوا تفعل هذا بصاحب رسول الله

وكبير طي ، فقال اخرجه على ان يخرج ابن عمه عني فأجابه الى هذا الطلب .

ثم ان زيادا دعا رؤوس بعض القبائل فشهدوا أن حجرا جمع الجموع وأظهر شتم معاوية ودعا الى حربه وزعم أن الأمر لايصلح الا في الطالبيين وان النفر الذين معه وهم رءوس اصحابه على مقدم رأيه واستكثر من الشهود في هذا الموضوع ، ثم ارسل حجرا واصحابه (وهم أحد عشر رجلا وأتبعهم برجلين آخرين) الى معاوية فلما انتهوا الى مرج عذراء قرب دمشق حبسهم معاوية هنالك فاستشفع في نفر منهم رجال فاطلقهم معاوية الا حجرا فانه ارسل اليه ومن معه رجالا ليقتلوا منهم من أمر بقتله فأتوهم وعرضوا عليهم البراءة من على فأبوا وصلوا عامة ليلتهم ثم قدموا من الغد الى القتل فقتل حجر وستة معه وصلى عليهم ودفنوا

ولما بلغ عائشة خبر حجر واصحابه ارسلت من يشفع فيهم لدي معاوية فلم يدركهم وقال رسولها ان غاب عنك حلم أبي سفيان فقال حيث غاب على مثلك من حلماء قومي . وحملني ابن سمية فاحتملت وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تثني عليه

هذا وقد توفى زياد سنة ٥٣ بطاعون بعد ان كتب الى معاويه انى ضبطت العراق بشمالى، ويمينى فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده بذلك ـ فكان زياد حاكما على القسم الشرقى من دولة معاوية تقريبا ولما توفي دفن على مقربة من الكوفه وكان يلبس القميص ويرقعه

(العهد ليزيد)

كان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة، أراد معاوية أن يعزله عن الكوفة فقال الرأى ان اشخص الى معاوية فاستعفيه ليظهر للناس كراهتى للولاية فسار الى معاوية فى جمع ودخل على يزيد وقال له انه قد ذهب أصحاب النبى وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وانما بقى أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة، قال او ترى ذلك يتم؟ قال نعم، فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال ما يقول يزيد؟ قال يا أمير المؤمنين قد رأيت من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى زيد منك خلف، فاعقد له، فان حدث بك حدث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة، قال معاوية ومن لى بهذا؟ قال أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك - قال فارجع الى عملك وتحدث مع من تثق اليه فى ذلك وترى ونرى - ورجع الى أصحابه فقال لقد وضعت رجل معاوية فى غرز (أمر) بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق أبدا - وسار الى المغيرة فذاكر من يثق اليه فاجابوا الى بيعته فاوفد منهم عشرة الى معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها فقال لا تعجلوا باظهارها وكونوا على رأيكم، وقال لموسى بن المغيرة: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم قال بثلاثين الفا قال لقد هان عليهم دينهم

وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد فكتب الى زياد يستشيره فاحضر

زياد أحد خواصه وقال له ان أمير المؤمنين يستشيرنى فى كذا وكذا وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو اطاعتهم ، وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ماقد اولع به من الصيد ، فالق أمير المؤمنين وأد اليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالامر ، فاحرى لك أن تتم لك لاتعجل فان دركا فى تأخير ، خير من فوات فى عجلة — ويقال ان معاوية كتب الى زياد بالبصرة : ان المغيرة قد دعا أهل الكوفة الى البيعة ليزيد ولاية العهد بعدى وليس المغيرة أحق بابن أخيك منك فاذا وصل اليك كتابى فادع الناس قبلك الى مثل ماد عام اليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد ، فلما قرأ زياد الكتاب على الناس دعا بثقة وكتب معه كتابا الى معاوية بالنزيث فغضب معاوية وحلف ليردنه الى أمه سمية وأبيه عبيد ثم مات زياد قبل البيعة فاظهر معاوية عهدا مفتعلا فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده وانما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطى الأقارب ويدانى الأباعد حتى استوثق له من اكثر الناس واستشار ابن الزبير فنصح اليه بالتبصر ، والأحنف بن قيس فقال له نخافكم ان صدقناكم ونخاف الله ان كذبنا

فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية الى سائر الامصار ان يفدوا عليه فوفدوا وكان على وفد المدينة محمد بن عمرو بن حزم فعرض عليه امر يزيد فنصح اليه بتقوى الله فيمن يوليه امر أمة محمد ، فقال معاوية لم يبق الا ابنى وابناؤهم فابنى أحب الى من ابنائهم فاخرج عنى ثم جلس معاوية فى اصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه ، وتقدم الى اصحابه أن يقولوا فى يزيد فتكلم الضحاك بن قيس فذكر فضل يزيد وعقله

وطلب الى معاوية ان يعهد اليه بعده وتكلم الاحنف بن قيس فقال لمعاوية ان كنت تعلمه رضا لهذه الامة فلا تشاور الناس فيه ، وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة فبايع له وبايع الناس وهم كارهون — ثم كتب معاوية الى مروان بن الحكم عامله على المدينة ان ادع أهل المدينة الى بيعة يزيد فان أهل العراق والشام قد بايعوا ففعل وقال: سنة ابى بكر الهادية المهدية فقال له عبد الرحمن بن ابى بكر كذبت ان ابا بكر ترك الاهل والعشيرة وبايع لرجل من بنى عدى رضى دينه وأمانته واختاره لامة محمد وتكلم الحسين وابن الزبير وابن عمر وانكروا بيعة يزيد فكتب الى معاوية بذلك فخرج الى المدينة فى الف وتلقاه الناس فلما نظر الى الحسين قال مرحبا بسيد شباب المسلمين وكذلك صنع مع ابن الزبير وابن عمر ودعا لهم بدواب وحملهم عليها وخرج حتى اتى مكة فقضى حجة ، ثم امر بالمنبر فقرب من الكعبة ودعاهم فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير اكفنا كلامه ، قال على الا تخالفونى ، قالوا لك ذلك ، ثم اتو معاوية فرحب بهم وقال لهم يزيد اخوكم وابن عمكم وانما اردت ان اقدمه باسم الخلافة وتكونوا انتم تأمرون وتنهون فسكتوا وتكلم ابن الزبير فخيره بين ثلاث اما ان يترك كما ترك الرسول واما ان يختار اختيار أبى بكر واما تصنع ماصنع عمر فقال للاخرين مارايكما فقالوا نحن على ماقال ابن الزبير ، فقال معاوية انى اتقدم اليكم وقد أعذر من انذر انى قائل مقالة ، فاقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة فى مقامى هذا الا ترجم اليه كلمة حتى يضرب رأسه فلا ينظر كل رجل منكم الا الى نفسه ولا يبقى الا عليها وامر ان يقوم على رأس كل رجل

منهم رجلان بسيفهما فان تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه وخرج وأخرجهم معه ، وحف به أهل الشام واجتمع الناس فقال معاوية انا وجدنا احاديث الناس ذات عوار ، قالوا ان حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نبرم امرا دونهم ولا نقضي امرا الا عن مشورتهم ، وانى دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا واطاعوا فقال أهل الشام وما يعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب أعناقهم ، لا نرضى حتى يبايعوا علانية فقال معاوية سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم ، أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ، ودعا الناس الى البيعة فبايعوا ثم قربت رواحلهم فركب ومضى ، فقال الناس للحسين وأصحابه قلتم لا نبايع ولما دعيتم بايعتم ، قالوا لم نفعل ، قالوا بلى قد فعلتم وبايعتم أفلا أنكرتم قالوا خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم ومهما يكن من اختلاف الروايات فان معاوية قد رسم الى الخلافة طريقا غير الذى رسمه الخلفاء الراشدون من قبله اذ جعلها وراثية كما يفعل ذلك الاكاسرة والقياصرة وأخرجها من دائرة الشورى والانتخاب بالاختيار الى دائرة التعيين من الاولاد ، مستعملا فى ذلك أولا دهاءه ، وثانيا المخلصين اليه من ولاته وعماله ، وثالثا اكراه من يرفضون وبخاصة الرجال الذين لهم مكانة أو حرمة فى نفوس الناس — وقد دافع ابن خلدون عن معاوية مبينا وجهة نظره فيما صنع اذ قال فى مقدمته

« والذى دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه انما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس واتفاق أهوائهم ، باتفاق أهل الحل والعقد

عليه حينئذ من بني أمية ، اذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة وأهل الغلب منهم ، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن انه أولى بها ، وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذى شأنه أهم عند الشارع ، وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك ، وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه ، دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة ، وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق ، فانهم كلهم أجل من ذلك ، وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على تورعه من الدخول فى شىء من الامور مباحا كان أو محظورا كما هو معروف عنه ، ولم يبق فى المخالفة لهذا العهد الذى اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير ، وندور المخالف معروف »

وقال فى ناحية أخرى : « ولا يظن بمعاوية غيره (الخوف على افتراق الكلمة فلم يكن ليعهد اليه (الى يزيد وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق ، حاشا لله لمعاوية من ذلك »

وهذا الدفاع من نواح شتى غاية فى متانة الاسلوب ولكنه ليس نهاية فى الاقناع

(الغزو)

(١) سير معاوية سنة ٤٨ جيشا كثيفا مع سفيان بن عوف الى القسطنطينية فأوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يظفروا منها بطائل ، بل أتلفت نيران الروم أكثر السفن الاسلامية وتوفى فى مدة الحصار أبو أيوب الانصارى وكان فى الجيش هو وابن عباس

وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير .

(٢) وفى سنة ٥٠ ولى عقبة بن نافع الفهرى افريقية فوضع السيف فى أهلها لانهم كانوا يرتدون اذا فارقهم العسكر، فرأى أن يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقراً للعسكر واختار بقعة القيروان وكانت شجراء فقطع أشجارها وبنى فيها المدينة

(٣) وولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع نهر جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار ، وسار الى ترمذ ففتحها صلحا وقدمات فى هذه الغزوة قثم بن العباس ودفن بسمرقند

(٤ وفى سنة ٤٤ غزا المهلب بن أبى صفرة الهند ووصل الى قندابيل بالسند وكسر العدو وسلم وغنم وهى أول غزواته وفى سنة ٤٦ جمع ملك الترك كابلشاه الجموع وزحف على المسلمين فنزح المسلمون عن مدينة كابل ولكن الربيع بن زياد الحارثى والى سجستان لقيهم وقاتلهم فهزمهم وساق وراءهم المسلمين الى الرخج ففنموا منهم شيئا كثيرا

(٥) وفى سنة ٥٣ فتحت رودس فتحها جنادة بن أبى أمية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم ، وكانوا أشد شىء على الروم يعترضونهم فى البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم

وبعد فانا نريد من سرد هذه الحوادث بيان ان الامور توطدت الى معاوية أيام خلافته ولم تحدث ثورات داخلية أو فتن تحول بينه وبين الفتح والغزو فى البلاد التى تجاور أطراف دولته شرقا وغربا فى البر أو البحر

(معاوية وبنو هاشم)

قيل لمعاوية بعد مقتل أمير المؤمنين على: ان الخلافة قد استقرت لك، فلو قتلت الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير لاستراحت من الفكرة فى أمر الملك وتزعزعه، فقال: اذا قتلت هؤلاء فعلى من أنا أمر

والمتتبع سيرة معاوية مع الهاشميين يجد أنه التزم مجاستهم ومجاملتهم ومداراتهم وصبر على شىء كثير من مساوئهم وكان يغدق عليهم وقد لجأ اليه عقيل بن أبى طالب فأكرمه وقربه وقضى حوائجه وديونه، ثم قال له يوما أنا خير لك من أخيك على، قال صدقت، ان أخى آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لى من أخي وأخى خير لنفسه منك، وقال له يوما وقد كف بصره: أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم، وقال له فى بعض الايام والله ان عليا حافظ لك قطع قرابتك وماوصلك ولا اصطنعك، فقال عقيل والله لقد أجزل العطية وأعظمها ووصل القرابة وحفظها وحسن ظنه بالله اذ ساء به ظنك، وحفظ أمانته وأصلح رعيته اذ خنتم وأفسدتم وجرتم، فاكفف لا أبالك فإنه عما تقول بمعزل

واجتمع عنده بنو هاشم يوما فخطب فيهم يذكر فضله وحلمه عليهم فقال ابن عباس والله مامنحتنا شيئا حتى سألناه، ولافتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك، ولئن اغلقت دوننا بابك لنكفن انفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه الا ماللرجل من المسلمين، ولنا فى كتاب الله حقان حق فى التنيسة وحق

ل الفيء ... ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف أو حافر، أكفاك أم أزيدك، قال كفانى .

وهكذا كان يتسع حلمه فيسمع منهم مايكره ولا يحرك ساكنا للانتقام منهم مع قدرته عليهم ،ذلك لان معاوية كان عاقلا فى دنياه قويا فى ملكه جيد السياسة حسن التدبير حكيما بليغا يحلم فى مواضع الحلم ويشتد فى موضع الشدة وكان كريما باذلا للمال فلا يزال اشراف قريش كابن العباس وابن الزبير وابن جعفر وابن عمر وابن أبى بكر وابان بن عثمان وناس من آل طالب يفدون عليه بدمشق فيكرم مثواهم ويحسن قراهم ويقضى حوائجهم ولا يزالون يحدثونه اغلظ الحديث ويجبهونه اقبح التجبيه وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يعيدهم الا بالجوائز السنية والصلاة الجمة

ويظهر لى انه (وبيده الاموال والدنيا بأسرها) كان يمسك عنهم حتى تضطرهم الحال الى قصده فيعطيهم ماتجمع لهم من حقوقهم فى أموال المسلمين على رءوس الاشهاد كالمتفضل عليهم ، فيضطر مثل ابن عباس (دفاعا عن نفسه وقومه)أن يسمع معاوية مايكره حتى يكون الناس مع معاوية على بنى هاشم ويقولوا قد أعطاهم فلم يشكروا له بل شتموه واجترءوا عليه وان معاويه كما استخدم البذل فى فريق من الناس يستميلهم بذلك الى ناحيته ، قد استخدم المنع في فريق آخر ليستذلهم ، والنتيجة فى الحالين له وبيده الاعطاء والمنع

وما كان ابو اؤه عقيلا الا ليحسن الناس به الظن ويقولوا آوى

أخا على مع ما بينهما من الخلاف والعداء ، ويظهر ان عقيلا أحس ان معاوية في حاجة الى ايوائه واكرامه فكان من أجل ذلك شديد الجرأة عليه

ولم يجرؤ بنو هاشم وحدهم على معاوية بل تجرأ عليه الانصار وله مع أفراد منهم أحاديث تدل على شيء كثير من دهائه وسعة حلمه على بني هاشم ومن لف لفهم — ولقد دخل عليه ابنه يزيد غضبان وقال لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يعد ذلك منك ضعفا وجبنا فقال معاوية أي بني ، انه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة ، فامض لشأنك ودعني ورأيي ، وبمثل هذه السيرة صار خليفة العالم وخضع له من أبناء المهاجرين والانصار كل من يعتقد انه أولى منه بالخلافة وكان عقيل قد قدم على معاوية بالشام فامر له بثلثمائة الف دينار وقال له هذه مائة الف تقضي بها ديونك ، ومائة الف تصل بها رحمك ومائة الف توسع بها على نفسك — وكان قد قدم على أخيه في الكوفة فشكا اليه الضائقة فوعده أن يعطيه عطاءه اذا خرج ، فقال عقيل : وانما شخوصي من الحجاز اليك من أجل عطائك ؟ وماذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي وتركه وقصد معاوية (ولم يجرؤ)

﴿ اصلاحات معاوية ﴾

لقد ابتكر معاوية في دولة اشياء لم يسبق اليها ومن أهمها

(١) البريد — وهو ان يجعل خيل مضمرات في عدة اماكن ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، ركب غيره فرسا مستريحا ، وكذلك يفعل في المكان الاخر والآخر حتى يصل بسرعة

(٢) ديوان الخاتم وتتلخص اعمال هذا الديوان فى انه اذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الامور أحضر التوقيع الى ذلك الديوان وأثبتت نسخته فيه و خزم بخيط وختم بشمع

وكان الذى حمل معاوية على اختراع هذا الديوان انه أحال عمر بن الزبير على زياد بمائة الف درهم ففض عمر الكتاب وصير المائة مائتين (وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة) فلما رفع زياد حسابه الى معاوية انكر معاوية ذلك وقال ما أحلتك الا بمائة ألف واخذ عمر بردها وحبسه فأداها عنه آخوه عبدالله فاحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مختومة لايدرى أحد مافيها ولا يتمكن من تغييرها

٣)وقد استخدم المسيحيين فى مصالح الدولة ويقال انه عهد بامور المال الى منصور وسرجون من نصارى العرب السوريين

وفضائل معاوية اكثر من ان تستقصى فقد كان ينطق عن علم ويسكت عن حلم واذا أعطى أغنى واذا حارب أفنى وقد اذل العرب عزة ومنعه فكان العربى حيث نزل محترما مراعى الجانب آمنا على نفسه وحقه ولكنه كان مصروف الهمة الى تدبير الدنيا يهون عليه كل شيء اذا انتظم له امر الملك وقد عرف بالحرص على معرفة اخبار السابقين والجد في معرفة احوال ساستهم وقادتهم فضلا عن جده في طلب العلم وانصرافه عن اللهو واللعب يروي أنه كان يستمر حتى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسير ملوك الامم وحروبها ومكايدها .. ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم يقعد فيحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ،فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون

وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فتمر بسمعه كل ليلة جملة من الاخبار والسير والآثار وأنواع السياسات .

ولا شك فى ان معاوية وهو أمير بلاد الشام عشرين سنة وخليفة مثلها ، قد استفاد الشيء الكثير من نظم الحكم الرومانى فرق ماكان من تجاربه واختباراته طوال هذه المدة .

﴿ وفاة معاوية ﴾

وبعد هذا التاريخ المجيد المفعم بالحوادث السياسية العظمى مات معاوية سنة ٦٠ هـ ولما أدركته الوفاة أوصى ابنه يزيد وصية تدل على عقله وأدبه وخبرته بالامور ومعرفته بالرجال ، فلم يعمل يزيد بشيء منها — قيل انه دعاه وهو مريض فاوصاه بها وقيل انه تركها مع الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المرى اذ كان يزيد غائبا بحوارين ، وهى : يابنى انى قد كفيتك الشد والترحال ، ووطأت لك الامور ، وذللت لك الاعداء ، وأخضعت لك الرقاب ، وجمعت لك مالم يجمعه لك أحد ، فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك ، فاكرم من قدم عليك منهم ، وتعهد من غاب . — وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل كل يوم عاملا فافعل ، فان عزل عامل أيسر من أن يشهر مائة الف سيف — وانظر أهل الشام ، وليكونوا بطانتك ، فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم ، فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ، فانهم ان أقاموا بغيرها تغيرت أخلاقهم ، وانى لست أخاف أن ينازعك فى هذا الامر الا أربعة من قريش : الحسين ابن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن

أبي بكر فانما ابن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق غيره بايعك ، وأما الحسين فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فان خرج عليك وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسه وحقا عظيما وقرابة من محمد، وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله، وليس له همة الا في النساء، وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فان أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ؛ فان هو فعلها بك وقدرت عليه ، فقطعه اربا اربا واحقن دماء قومك ما استطعت

وفي هذه الوصية دليل على ماسبق من وفور رغبته في تدبير الملك وشدة كلفه بالرياسة

ويلحظ في رواية الوصية على هذا النحو انه ذكر فيها عبد الرحمن بن أبي بكر مع أنه مات قبل معاوية سنة ثلاث وخمسين في نومة نامها

وكان على حرسه قيس بن حمزة الهمداني وهو اول من أتخذ الحرس منذ الغاق الثلاثة الخوارج على قتله ـ وقتل على وابن العاص وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومي ، وكان على حجابه سعد مولاه وكان على قضائه فضالة بن عبيد الانصاري ثم ابو ادريس الخولاني وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميري ـ وهو اول خليفة بايع لولده في الاسلام واول من عمل المقصورة في المساجد واول من خطب جالسا

(يزيد الأول)

وهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ـ بويع له بالخلافة بعد موت

أبيه فى رجب سنة ٦٠ وتوفى فى النصف من ربيع الاول سنة ٦٤ ودفن بحوارين خارجا من المدينة ، فكانت ولايته اربع سنين وايامًا

ولم يك له همة حين ولى الامر الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الاجابة الى بيعة يزيد حين دعا الناس الى بيعته وانه ولى عهده بعده والفراغ من أمرهم

وكان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير ، وكان مروان بالمدينة بعد عزله عنها بالوليد — فكتب يزيد الى الوليد ينعى معاوية وكتب اليه فى صحيفة كأنها اذن فأمرة : اما بعد فخذ حسينا وابن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فبعث الى مروان فلما قرأ الكتاب علم ان معاوية استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى أن تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة وأن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وان ابوا ضربت اعناقهم ، قبل أن يعلموا بموت معاوية فانهم ان علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية واظهر الخلاف ودعا الى نفسه اما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب أن يلى على الناس الان يدفع اليه هذا الامر عفوا

فارسل الوليد الى الحسين وابن الزبير يدعوهما وكانا فى المسجد ، فقال لهما الرسول أجيبا الامير ، فقالا انصرف ، الآن نأتيه ، وقال ابن الزبير للحسين : ما تراه بعث الينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها للناس فقال الحسين أظن ان طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو فى الناس الخبر ، فقال وأنا ما أظن غيره فما تريد أن تصنع ؟ قال

الحسين أجمع فتيانى الساعة امشى اليه وأجابهم على الباب وأدخل عليه، قال انى أخافه عليك اذا دخلت ، قال لا آتيه الا وأنا قادر على الامتناع، ثم قام فجمع اليه أصحابه وأهل بيته وقال لهم انى داخل ، فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتى قد علا فادخلوا على باجمعكم والا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم — ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة ودعا لهما باصلاح ذات البين ، فاقرأه الوليد الكتاب ينعى معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع وترحم وقال مثلى لايبايع سرا ، ولا يكتفى بها منى ، فاذا ظهرت الى الناس ودعوتهم ودعوتنامعهم كان الامر واحدا وكنت أول مجيب ،وكان الوليد يحب المسالمة فقال للحسين انصرف ، فقال مروان لايقدر منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينك وبينهم ، الزم البيعة والا فاضرب عنقه ، فوثب الحسين وقال أأنت تقتلنى أم هو ؟ كذبت والله وانصرف الى منزله ، وأخذ مروان فى عذل الوليد فقال يامروان والله ماأحب ان لى ماطلعت عليه الشمس من مال الدنيا وملكها وانى قتلت الحسين ان قال لاأبايع

وأما ابن الزبير فاختفى في داره وجمع أصحابه ، وألح الوليد في طلبه وبعث مواليه فشتموا ابن الزبير وهددوه وأقاموا ببابه فى طلبه، فبعث ابن الزبير أخاه جعفرا يلاطف الوليد ويشكو ماأصابه من الذعر ويعده بالحضور من الغداة ، وأن يصرف رسله من بابه ، فبعث الوليد اليهم فانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما وأخذا طريق مكة ، فسرح الرجالة فى طلبهما فلم يدركوهما ورجعوا وتشاغلوا به عن الحسين سائر يومه

ثم أرسل الى الحسين يدعوه فقال للرسل أصبحوا وترون ونرى وكانوا يبقون عليه فكفوا عنه فسار من ليلته فرارا من البيعة ليزيد وأخذ معه بنيه واخوته وبني أخيه الا محمد بن الحنفية ، فانه قال له ياأخي أنت أحب الناس الى وأعزهم على ولست أدخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك ، تنح عن يزيد وعن الانصار ماستطعت ، وأبعث دعاتك الى الناس ، فان أجابوك فاحمد الله وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك ، وأنا أخاف أن تأتي مصرا أو قوما فيختلفون عليك فتكون الاول اساءة ، فيكون خير الامة نفسا وأبا ، أضيعها زمارا وأذلها ، فقال له الحسين فاني ذاهب قال أنزل مكة فان اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك ، وان نأت بك لحقت بالرمال وشعب الجبال وخرجت من بلد الى آخر حتى تنظر مصير أمر الناس وتعرف الرأى ، فقال ياأخي نصحت وأشفقت ، ولحق بمكة

وبعث الوليد الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا لايتخوفونه

ولما بلغ يزيد ماصنع الوليد عزله عن المدينة واستعمل عليها عمرو ابن سعيد الاشدق فجعل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء واستشاره فيمن يرسله الى أخيه فقال لاتجد رجلا أنكي له منى ، فجهز معه سبعمائة مقاتل فعذله مروان فى غزو مكة ، فقال والله لنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم وسار الجيش فنزل أنيس بن عمرو الاسلمى وهو على المقدمة بذى طوى ، ونزل عمرو بن الزبير بالابطح وأرسل الى أخيه : بريمين يزيد ، فانه

حلف ألا يقبل بيعته الا أن يؤتى به في جامعة ، وتعال حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لاتري ، ولا يضرب الناس بعضهم بعضا فانك في بلد حرام ، فارسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة فهزموا أنيسا بذي طوى وتخلف عن عمرو بن الزبير أصحابه فدخل دار بن علقمة وأجاره أخوه عبدة بن الزبير وقال لعبد الله قد أجرت عمرا فلم يجز جواره وأخذ عمرا فحبسه وضربه حتى مات تحت السياط

أمر الحسين

لما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أين تريد فقال مكة واستخير الله فيما بعد ، فنصحه ألا يقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لايفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ،فاقبل حتى نزل مكة واهلها يختلفون اليه ومن بها من المعتمرين ، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة يختلف الى الحسين فيمن يختلف اليه ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله عليه لانه يرى أن أهل الحجاز لايبايعونه مادام الحسين باقيا بالبلد.

﴿ مراسلة الكوفيين الحسين وقتل مسلم بن عقيل ﴾

لما بلغ أهل الكوفة موت معاوية ، وامتناع الحسين وابن عمر

وابن الزبير عن البيعة ، ارجفوا بيزيد ، واجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى فذكروا سير الحسين الى مكة وكتبوا اليه يستدعونه كتابين ثم أرسلوا اليه رسولا يستحثونه على المسير اليهم ثم كتبوا اليه كتابا رابعا فكتب اليهم الحسين عند اجتماع الكتب عنده قد فهمت ماقصصتم ، وقد بعثت اليكم ابن عمى وثقتى من أهل بيتي مسلم بن عقيل يكتب الى بامركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ماقدمت به رسلكم اقدم عليكم قريبا .

وسار مسلم من مكة الى الكوفة فاقبل الى المدينة وصلى فى مسجد الرسول واستأجر دليلين من قيس فاقبلا فضلا الطريق وعطشوا فماتا الدليلان وقالا لمسلم : هذا الطريق الى الماء فوصل اليه وكتب الى الحسين انى تطيرت فان رأيت اعفيتنى فكتب اليه خشيت الا يكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك،فسار مسلم حتى دخل الكوفة في ذي الحجة سنة ٦٠ واختلفت اليه الشيعة وقرءوا عليهم كتاب الحسين فبكوا ووعدوه النصر - وعلم النعمان بن بشير مكانه وهو أمير الكوفة وكان يجنح الى السلم فخطب فى الناس وحذرهم الفتنة وقال لاأقاتل من لا يقاتلنى ولا آخذ بالظنة والتهمة ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لاضربنكم بسيفى مائبت قائمة بيدي ولو لم يكن لى ناصر - فقام اليه بعض حلفاء بنى أمية وقال لا يصلح ماترى الا الغشم «الظلم» وهذا الذي أنت عليه مع عدوك رأي المستضعفين فقال أكون مع المستضعفين فى طاعة الله أحب الى من ان أكون من الاعزين في معصية الله ثم تركه فكتب جماعة الى

يزيد يا لخبر بقدوم مسلم ومبايعة الناس له يقولون ان النعمان رجل ضعيف او هو يتضعف فاستشار يزيد سرجون فاشار عليه ان يولى عبيد الله بن زياد الكوفه فاخذ برأيه وجمع الكوفه والبصرة لعبيد الله وامره بطلب مسلم وقتله او نفيه فلما وصل كتابه الى عبيد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد .

وكان الحسين قد كتب الى اشراف البصرة يدعوهم الى الكتاب والسنة فكلهم كتموا كتابه الا المنذر بن الجارود فانه خاف ان يكون دسيسا من ابن زياد فاتاه بالرسول والكتاب فضرب عنق الرسول وخطب الناس فحذرهم الخلاف وانذرهم وخرج من البصرة في جماعة فتساقطوا عنه رجاء أن يقف عليهم فيسبقه الحسين الى الكوفة ولكنه لم يقف حتى دخل الكوفة وحده فجعل يمر بالمجلس فلا يشكون انه الحسين فيقولون مرحبا بابن رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم فساءه ما رأى منهم وسمع النعمان فاغلق عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين، فانتهى اليه وقال له افتح لا فتحت فسمعها النعمان خلقه فرجع الى الناس وقال لهم انه ابن مرجانه ابن زياد فتفرق الناس وفتح له النعمان فدخل واغلقوا الباب ، فلما أصبح جلس على المنبر وبلغ الناس ان أمير المؤمنين ولاه هذا المصر ووعدهم واوعدهم وحذرهم وانذرهم ثم نزل واخذ العرفاء والناس أخذا شديدا ليرفعوا اليه من فيهم من طلبة أمير المؤمنين فلما سمع مسلم خرج الى دار هانيء ابن عروة المرادي وقال أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال لقد كلفتني شططا ، ادخل فآواه فاختلفت الشيعة اليه في دار هانيء واستعمل عبيد الله جواسيسه وامواله في طلب مسلم واصحابه

مرض هانئ وجاء عبيد الله ليعوده ثم مرض شريك بن الاعور وكان في دار هانئ فجاء ليعوده ايضا لانه كان كريما عليه ثم خرج على ان يعود لزيارته فاذا رشريك على مسلم بقوله اذا عاد (لان شريكا كان شديد التشيع) فلم يقبل هانئ ومات شريك بعد ثلاثة أيام ، وانتهى أمر الجواسيس بوصولهم الى مسلم بن عقيل وأخبار ابن زياد انه بدار هانئ ، وانقطع هانئ عن عبيد الله بعذر المرض فدعا ابن زياد محمد بن الاشعث وآخرين وسألهما عن سبب انقطاع هانئ فقالوا انه مريض وأتوا هانئا فقالوا ان الامير قد سأل عنك فلبس ثيابه وركب معهم فلما دنا من القصر أحس الشر ولكن الذي معه طمأنوه فلما دخل على ابن زياد مع القوم سأله ما هذه الامور التي تريس في دارك لامير المؤمنين والمسلمين ، جئت بمسلم فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت ان ذلك يخفى لك ما فعلت ، قال بلى وطال النزاع بينهما فدعا ابن زياد جاسوسه وقال لهانئ أتعرف هذا فلما رآه هانئ سقط في يده اذ علم ان هذا كان عينا عليهم ثم رجعت اليه نفسه فحلف ما دعوته ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالسا على بابي يسألني النزول علي ، فاستحييت من رده فان شئت أعطيتك الامان فمكثا نطمئن به حتى أخرجه من داري وأعود اليك فقال لا والله لا تفارقني أبدا حتى تأتيني به فقال لا آتيك بضيفي تقتله أبدا

فلما كثر الكلام قام رجل الى هانئ فنصح له بتسليم مسلم خشية أن يقتله بن زياد فأبى نهائيا فامر به ابن زياد ان يضرب ويحبس

وعلم عمرو بن الحجاج ان هانئا قتل فاقبل في مذحج فاحاط بقصر الامارة لكن شريحا القاضي اعلمه انه حي لم يقتل فانصرف بمن معه

وعلم مسلم فنادى في أصحابه بشعارهم وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا وحوله في الدور اربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثير وقصدوا ابن زياد فتحرز في القصر وأغلق الباب وليس معه الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون من الاشراف واهل بيته ومواليه غير انه اشار الى الاشراف بان يخرجوا فيمن يطيعهم من قومهم ويخلوا الناس عن مسلم ففعلوا وتفرق الناس عن مسلم حتى لم يبق معه الا ثلاثون رجلا فلما رأى ذلك خرج فمضى في ازقة الكوفة لا يدرى اين يذهب حتى لجأ الى باب امراة من كندة وطلب الماء فسقته وقالت له اذهب الى اهلك فلم يفعل فقالت له لا أحل لك الجلوس على بابي، فقال لها ليس له في هذا المصر منزل ولا عشيرة ثم عرفها بنفسه وقال لها كذبني هؤلاء القوم وغروني فقالت له ادخل فدخل

اما ابن زياد فانه لما رأى الاصوات خفتت نزل الى المسجد وخطب في الناس وامرهم بالطاعة وتفتيش الدور، ولما اصبح اتى ابن تلك المرأة واخبر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بموضع مسلم فجاء عبد الرحمن أباه وهو عند ابن زياد فاسره بذلك فاخبر محمد عبيد الله بن زياد فقال له قم فأتني به الساعة فخرج في سبعين حتى أتوا الدار فعرف مسلم انه قد اتى فخرج اليهم وقاتلهم بسيفه منفردا حتى اخرجهم من الدار مرارا حتى اشرفوا على سطح الدار وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه فخرج عليهم يقاتلهم فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فأبى وقاتلهم حتى كل وامنه ابن الاشعث فقال له اني أراك ستعجز عن أماني فهل تستطيع ان تبعث الى الحسين ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فقال له والله لافعلن ثم كتب

الى الحسين بما قال مسلم فلقيه الرسول بزيالة فاخبره فلم يرجع على ماسيجيء .

واما مسلم فان ابن الاشعث قدم به القصر واخبر ان زياد بامانه فلم يجزه ، وقال لمسلم بعد كلام لعمرى لتقتلن فقال لدعنى اوص الى بعض قومى فقال له لك ذلك — فاوصى الى أحد الناس ان يقضى عنه دينا وان يستوهب جثته فيواريها وان يبعث الى الحسين من يرده ثم عاد الى ابن زياد وحصلت بينهما مناقشة انتهت بأن ابن زياد قال له قتلنى الله ان لم اقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الاسلام وامر به فاصعد فوق القصر لنضرب عنقه ويتبعوا رأسه جسده فكان

ثم أمر بهانيء فاخرج الى السوق فضربت عنقه وبعث برأسيهما الى يزيد فكتب اليه يشكره ويقول له ان الحسين قد توجه نحو العراق فضم المراصد والمصالح واحترس واحبس على التهمة وخذ على الظنة غير الا تقتل الا من قاتلك .

وكان ممن خرج مع مسلم المختار بن ابي عبيد وعبد الله بن الحرث ابن نوفل فطلبهما زياد وحبسهما .

﴿ مسير الحسين الى الكوفة وقتله ﴾

لما اراد الحسين المسير الى الكوفة مغرورا بكتب اهل العراق اليه نصح له عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الا يخرج فشكره ثم قال مهما يقضى من أمر يكن ، اخذت برأيك أو تركته — وجاءه ابن عباس فقال له قد ارجف الناس أنك سائر الى العراق فبين لى ماأنت

صانع ، فقال له قد اجمعت السير فى احد يومى هذين ان شاء الله ، قال فانى اعيذك بالله من ذلك ، خبرني رحمك الله، اتسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا أمورهم ونفوا عدوهم ، فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم ، وان كانوا دعوك اليهم واميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخذلوك ويخالفوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين انى مستخير الله وانظر مايكون ـ واتاه ابن الزبير فحدثه ساعة فى الا يخرج فقال لقد كتبت الى شيعتى بها واشراف الناس واستخير الله فقال له أما لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها (تامل) ثم خشى ان يتهمه فقال له اما انك لو اقمت بالحجاز ثم اردت هذا الامر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحناك،ثم قال له وقم ان شئت وتولينى هذا الامر فتطاع ولا تعصي ، فقال له الحسين ولا اريد هذا ايضا، وخرج ابن الزبير والحسين يقول لاصحابه : ان هذا ليس شيء من الدنيا احب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لايعدلونه بى فود انى خرجت حتى يخلوا له

ثم جاءه ابن عباس من الغد فكرر عليه الا يخرج وذكر له أخلاق أهل العراق وغدرهم فابى فقال له ان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فاني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان،ونساؤه وولده ينظرون اليه ، ثم قال له لقد اقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لاينظر اليه أحد معك ، وخرج فمر بابن الزبير

فقال له قرت عينك يا ابن الزبير ، هذا الحسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز

ثم خرج الحسين يوم التروية فتعرض له رسل عمرو بن سعيد ابن العاص أمير الحجاز يمنعونه فابى عليهم ومضى فتلقيه الفرزدق فقال له بين لى خبر الناس خلفك ، قال الخبير سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل مايشاء فلم يتمالك وارسل اليه عبد الله بن جعفر يستحلفه ان يعود فلم يرجع وكان يعتذر بانه رأى رؤيا أمره رسول الله بامر ولا بد له أن يمضى فيه عليه كان أو له

وبلغ ابن زياد مسير الحسين فارسل اليه الحصين بن نمير التميمى فنزل القادسية ونظم الخيل مابينها وبين خفان والقطقطانة وجبل لعلع

اما الحسين فانه لما قرب من الكوفة وكان لا يعلم امر مسلم ، كتب الى أهل الكوفة يعرفهم قدومه ويامرهم بالجد فى امرهم فقبض على رسوله بالقادسية ومن هنالك ارسل الى ابن زياد فأمر به فالقى من فوق القصر فتقطع ومات ـ وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فالقيه عبد الله بن مطيع فانشده الله فى حرمة قريش وحرمة العرب ألا يأتى الكوفة ولا يعرض نفسه لبنى أمية فأبى الا ان يمضى واتاه خبر قتل مسلم وهو بالثعلبية فقال له بعض اصحابه ننشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لانبرح حتى ندرك ثارنا او نذوق كما ذاق مسلم فوافقهم الحسين ثم ارتحلوا حتى اتوا زبالة فاتاه خبر مسلم ورجال

آخر بن من صحبه فلما لهم ابن زياد فقال لمن معه قد خذلنا شيعتنا فمن احب ان ينصرف فلينصرف ليس علينا منا زم .. فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين خرجوا معه من مكة دون من انضموا اليه فساربهم فما يشعرون الا بالخيل قد طلعت عليهم مع الحر بن يزيد التميمي وهم الف فارس ارسلهم الحصين بن نمير التميمي ، فلم يزل الحر مراقبا الحسين وقال له قد أمرنا انا اذا نحن لقيناك الا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين : الموت أدنى اليك من ذلك . فقال الحر : خذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة حتى اكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد او الى ابنه زياد ، فلعل الله ان يرزقني العافية من ان ابتلى بشيء من امرك ، فاخذ الحسين على طريق العذيب والقادسية والحر يساير وهو يخطب في القوم يذكرهم كتبهم ورسله والحر يقول له لئن قاتلت لتقتلن وبيناهم على ذلك اذا باربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحلهم فقال الحسين هؤلاء انصاري وسألهم عن بعض رسله فاخبروه بقتله واشاروا عليه بالا يدخل الكوفة بل يقيم حيث هو ، ويدعوا الناس فلم يقبل وساير حتى اتيا (والحر يساير هم ايضا) الى مكان جاءهم فيه رسول من ابن زياد فسلم على الحر ولم يسلم على الحسين ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد بأمره فيه أن ينزل الحسين بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء فقرأ الكتاب عليهم ، واشار على الحسين احد اصحابه بمناجزة القوم فقال ما كنت لابدأهم بالقتال فلما كان الغد طلع عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص في اربعة آلاف فارس فارسل الى الحسين ما الذي جاء بك فقال كتب الى أهل مصركم هذا ان اقدم

عليهم فاما اذا كر هوى فانى انصرف عنهم فكتب الى ابن زياد بذلك فكتب اليه يامره أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا فعل ذلك رأينا رأينا وأن يمنعه ومن معه الماء فارسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة ايام فلما اشتد العطش على الحسين واصحابه امر اخاه لابيه العباس بن على فسار فى عشرين رجلا يحملون القرب وثلاثين فارسا فدنوا من الماء وجاهدوا حتى ملئوا القرب وعادوا .

ثم بعث الحسين الى عمرو بن سعد أن القنى الليلة بين عسكري وعسكرك وتحدثوا طويلا ثم رجع كل الى عسكره ثم التقوا سرارا كتب بعدها عمرو الى ابن زياد ان الحسين قد أعطانى أن يرجع الى المكان الذى أقبل منه أو أن نسيره الى أى ثغر من الثغور شئنا أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده ، وفى هذا لكم رضا وللامة صلاح ، فرضى ابن زياد فقام اليه شمر بن ذى الحوش وقال أتقبل منه هذا وقد نزل بأرضك والى جنبك والله لئن رحل من بلادك ليكونن أولى بالقوة والعزة وتكون أولى بالضعف ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فان عاقبت كنت ولى العقوبة ، وان عفوت كان ذلك لك ، فوافقه ابن زياد وأرسله الى عمرو بن سعد بذلك وأن يقاتل الحسين اذا لم يجب فلما وصل شتمه عمرو وقال انى لاظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كنت كتبت اليه به ، فقال له شمر ما أنت صانع ، قال أتولى ذلك ونهض اليه .

أما شمر فانه دعا العباس بن على واخوته عبد الله وجعفر وعثمان

وهم من أم البنين بنت خزام (وهي عمة شمر) فآمنهم فقالوا لعنك الله ولعن أمانك لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ، أما عمر فانه وصل الى الحسين . . . . وهو أمام بيته مختبيء بسيفه فايقظته أخته زينب وقال العباس ياأخي أتاك القوم فنهض وأرسله اليهم وقال انظرونا او انصرفوا عنا العشية حتى ننظر في هذا الامر فاذا أصبحنا التقينا فاما رضينا واما رددناه فقال عمرو بن سعد ماترى ياشمر ؟ قال أنت الامير ، واستشار الناس فقالوا أجبهم فاجابهم ورجع فجمع الحسين اصحابه وقال اني قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا في حل ليس عليكم مني زمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، فلم يقبلوا واستعدوا للموت

فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت أو يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه من الناس ، وعبى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا وأعطى رايته العباس أخاه واحتاطوا لئلا يؤتوا من خلفهم ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه ثم نادي في الناس ودعاهم الى يسمعوا قوله وينصفوه فما سمع أبلغ منه . وقال له قيس بن الاشعث أو لاتنزل على حكم ابن عمك (يعني ابن زياد) فانك إن ترى الا ماتحب ، فأبى وتقدم الحر الذي سايره في الطريق فانضم الى صفوفه معتذرا مواسيا وانضم غيره أيضا ثم نشبت الحرب بين الفريقين وقاتل أصحاب الحسين على قلتهم قتالا شديدا وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وأراد أن يحرقه على من فيه من أهله فناداه بعضهم فانتهى ، واشتد

عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه حصين بن نمير بسهم فوقع في فيه .

ثم ان شمر اقبل في نفر نحو عشرة نحو منزل الحسين فحالوا بينه وبين رحله وجعل شمر يحرضهم على الحسين حتى احاطوا به وقام غلام من أهله الى جنبه فضربوه بالسيف فقطع يده الى الجلد، وبقي الحسين في ثلاثة او اربعة فحمل على الناس من يمينه وشماله ففرقهم فنادى شمر في الناس ثكلتكم امهاتكم اتدرون بالرجل ، اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب وضربوه بالسيوف وبالرماح وهو يقوم ويكبو حتى وقع ونزل بعضهم فاحتز رأسه وسلب ماكان عليه ومال الناس على الفرش والحلل والابل فانتهبوها وانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة — وانتهوا الى علي بن الحسين فاراد شمر قتله فوبخه فرجع وكان عدة من قتل مع الحسين اثنين وسبعين رجلا وقتل من اصحاب سعد ثمانية وثمانون رجلا

ولما قتل الحسين أرسل رأسه ورؤس أصحابه الى بن زياد فجمع الناس وعرضها عليهم وأخذ ينكث بقضيب بين ثنيتي الحسين ساعة واقام عمرو بعد مقتله بيومين ثم رجع الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخوته ومن كان معه من الصبيان الى بن زياد فارسلهم جميعا الى الشام وارسل رأس الحسين معهم فلما سمع بهم يزيد دمعت عيناه وقال لمن جاء وبهم كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو اني صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين ، ولم يكافيء يزيد احدا ممن جاءه

كان ميدان القتال بين الحسين واعدائه بجهة كربلاء وكان قتله يوم عاشوراء سنة ٦٠

واذا كان أمر الحسين قد انتهى بقتله فانما تبعة قتله ترجع اليه وحده ، فانه لم يتئد ولم يتبصر في العواقب ولم يأبه لنصح الناصحين المخلصين اليه من أهله وغيرهم واغتر بكثرة الكتب التي وردت عليه من أهل العراق وهم أنفسهم الذين قتلوا أباه وكان خيرا منه وأكثر في نفوس الناس هيبة ، وهم الذين خذلوا أخاه وكادوا يقتلونه ، وكان لكل منهما بيعة في أعناقهم ، والحسين لم يبايعه أحد وربما كانت الكتب التي وصلت اليه او أكثرها من دعاة الفتن الذين يريدون الصيد في الماء العكر بدليل أن منهم من كان في الجيش الذي يقاتله مع ابن زياد

غير أن قتل الحسين أحدث رجة عظيمة في قلوب المسلمين عامة لافرق بين الشيعة وغيرهم لانه ابن بنت رسول الله وسيد شباب أهل الجنه في الجنة وابن الامام علي وكان من نتائج ذلك أن الناس أصبحوا يبغضون بني أمية ويتحفزون للثورة عليهم يريدون الانتقام منهم كقتله للحسين ـ أما الشيعة فقالوا : عند الشدائد تذهب الاحقاد وبعد ان فرقوا دينهم وكانوا شيعا انفقت كلمتهم وسووا صفوفهم واعتبروا أن أرض كربلاء ملطخة بالدم الطاهر الذى يلوح اليهم في كل وقت بوجوب القصاص ممن أراقه واعتقدوا أنه قتل مظلوما لأنه كان يطالب بحقه المشروع في الخلافة ـ ولم يك هذا في المتشيعة من العرب بل كان في الفرس الذين لايزالون يقيمون يوم عاشورا

من كل عام مناحة على الحسين فى كربلاء ومصر ، وقد كانوا يصفون للناس ذلك المشهد المؤلم رأس الحسين فى ناحية وجثمانه فى ناحية أخرى ونساؤه وأولاده وأولاد أخيه من حولها فى حر الظهيرة ولا حرمة ولا رحمة ولا مال ولا جاه ، فاوقدوا بذلك نار العداوة لبنى أمية - ولعل الذي بعث الفرس على ذلك أنهم أرادوا أن يخلصوا من بنى أمية (الذين احتقروا أمر الفرس وجهلوا تاريخهم وحرموهم العمل معهم على يد من يستثيرونهم من العرب عامة ومن بنى هاشم خاصة - وعند ذلك أحس الامويون أن الخطر محدق بهم في كل وقت وأن البناء الذى أسسه معاوية معرض الى الخطر ، وبخاصة حينما أخذ الشيعة يتلاومون على مافرطوا في جنب الحسين وما كان منهم من خذلانهم اياه بعد أن كاتبوه حتى تمكن منه بنو أمية وقد اجتمعوا بالكوفة وتابوا (فسموا التوابين) وتحالفوا على أن يضحوا بأموالهم وأولادهم وأنفسهم في سبيل الاخذ بثار الحسين وقتل من قتله وجعلوا عليهم سليمان بن حرد الخزاعي وقد عملوا على تشويه سمعة بنى أمية ووجدوا الجو مناسبا لاذاعة اخبار السوء عنهم فكانوا يلفقون عليهم من الاخبار ماشاءوا وكان الناس اذا سمعوها لم يشكوا فى صدقها وجاروا الشيعة في أن بنى أميه لايعملون بكتاب الله ولا بسنة رسوله ، واعتبروا أن الحسين قتل شهيدا وأن يزيد بن معاوية كان فاجرا سفاكا وأنه على الاقل لم يعمل بوصية أبيه ، وأن عماله مثله ينتهكون حرمات الدين ولايعملون على مقتضى قوانين الشرع - وأن بنى أمية عامة لايحبون الا الاستبداد

والارستقراطية فى الحكم قياسا على ماكان لهم فى الجاهلية ، وقد كان لهم سابقة فى محاربة رسول الله رجاء القضاء على دعوته ، وما دخلوا الاسلام الا كارهين وما صارت الخلافة اليهم بحق وانما أخذوها مغتصبين - كل هذا كان يجول فى نفوس الناس ضد القائمين بالامر من بنى أمية وعمالهم وما زال هذا الامر ينمو حتى جاءت ثمراته بعد حين بسقوط دولة بنى أميه وقيام دولة بنى العباس

بيعة ابن الزبير بمكة

بعد قتل الحسين اظهر عبد الله بن الزبير الخلاف على يزيد وبويع بمكة وكان قد قام فى الناس فعظم قتل الحسين وعاب أهل الكوفة خاصة واهل العراق عامة وقال . ان أهل العراق غدراء فجراء الا قليلا وان أهل الكوفة اشرار أهل العراق ، وقال فى حق الحسين : أما والله ماكان يبدل بالقرآن غيا ولا بالبكاء من خشية الله حدار نزقا) ولا بالصيام شرب الخمر ولا بالمجالس فى حق الذكر بكلاب الصيد يعرض بيزيد فسوف يلقون غيا — فثار اليه اصحابه وقالوا اظهر بيعتك فانه لم يبق احد اذهلك الحسين ينازعك هذا الامر وكان يبايع سرا ويظهر انه عائذ بالبيت ، فقال لهم لا تعجلون ، وكان عامل مكة وهو عمرو بن سعيد يرفعه ويداريه وعلم يزيد فعاهد الله ليوثقنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة من فضة مع جماعة ليأتوه به فيها ، وبعث معهم برنس خز ليلبسوه عليها لئلا تظهر للناس ، فامتنع ابن الزبير فقال الوليد بن عتبه وناس من بنى أمية ليزيد . لو شاء عمرو لاخذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزله يزيد

بالوليد هذا ـ فلما تولى اقام يزيد غرة بن الزبير فلا يجده الا محترزا ممتنعا

اما ابن الزبير فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلا اخرق لا يرعوى لعظة، فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت ان يسهل من الامور ما استوعر، وان يجتمع ما تفرق فعزله بمحمد بن ابى سفيان وكان حدثا غر الا تجربة له. فبعث الى يزيد وفدا من اهل المدينة فأغدق عليهم فرجعوا الى المدينة (الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على بن زياد) واظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحربى (اللصوص) وانا نشهدكم انا قد خلعناه — وكان منهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة فقال جئتكم من عند رجل لو لم اجد الا بنى هؤلاء لجاهدته بهم، وقد اعطانى واكرمنى، وما قبلت منه عطاءه الا لأتقوى به، فخلع الناس يزيد وبايعوا ابن حنظلة

ولما رجع المنذر بن الزبير الى المدينة اخبر الناس عن يزيد بمثل اخبار اصحابه وعابه بمثل ما عابوه به واشد

فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصارى الى المدينة فجاءهم وأمرهم بلزوم الطاعة وخوفهم الفتنة وانذرهم فعصاه الناس فانصرف وأخرجوا محمد ابن أبى سفيان وحصروا بنى أمية فاجتمعوا وموالهم ومن يرى رأيهم فى الف رجل ونزل دار مروان وكتبوا الى يزيد يستغيثونه فاستشار عمرو بن سعيد وأمره ان يسير اليهم فى الناس، فقال. قد كنت ضبطت لك الامور والبلاد، واما الان اذا صارت دماء قريش تهرق

بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك — فارسل الى ابن زياد يامره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فاعتذر (وقعة الحرة)

ثم أرسل يزيد الى مسلم بن عقبة المرى فامر الناس بالتجهز الى الحجاز فانتدب لذلك اثنا عشر الفا وقال يزيد لمسلم أدع القوم ثلاثا فان أجابوك والا فقاتلهم ، فاذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثا ، فكل مافيها من مال اودابة أو سلاح أو طعام فهو للجند ، فاذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس ، وانظر على بن الحسين واستوص به خيرا ، وسمع عبد الملك بن مروان بمسير الجيش الى المدينة فاستعظم الامر ولكنه وقع فيه أيام ولايته اذ وجه الحجاج فحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير على ماسيجيء

سار مسلم بن عقبة بالجيش وبلغ أهل المدينة خبره فشدوا حصار بنى أمية بدار مروان ثم استنزلوهم وعاهدوهم على الا يظاهروا عليهم عدواً وأخرجوهم من المدينة ، فساروا بأثقالهم حتى لقوا مسلما بوادى القرى فاشار عليه عبد الملك بن مروان أن يأتى المدينة من قبل الحرة أى من الشرق ففعل مسلم ودعا أهل المدينة ثلاثا فلم يستجيبوا له وقالوا نحارب فقال لاتفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجتمع على ابن الزبير فابوا ، وكانوا قد خندقوا عليهم واستعدوا ، فاقبل مسلم من ناحية الحرة وأمر بالقتال فانهزم جنده مرات حتى لقد بلغ الفضل بن عباس بن الحرث بن عبد المطلب أطناب مسلم وقتل وبينه وبينه نحو عشرة أذرع ، أقبلت خيل مسلم على ابن حنظلة واقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل ابن حنظلة وبنوه وجماعة معه فانهزم الناس وفيهم محمد بن سعد بن أبى وقاص بعد ما أبلى

وأباح مسلم المدينة ثلاثة ايام فافزع ذلك من بها من الصحابة، فخرج ابو سعيد الخدرى فأوى الى كهف الجبل فكاد يقتله رجل شامى لولا انه عرفه بنفسه

ودعا مسلم الناس الى البيعة على انهم عبيد وخول ليزيد يحكم فى دمائهم وموالهم واهليهم ماشاء. فمن امتنع من ذلك قتله الا على بن الحسين فانه لم يلزمه البيعة على ماشرط على أهل المدينة ،واحضر على ابن عبد الله بن عباس ليبايع وكانت أمه من كندة،فقال الحصين بن نمير السكونى . لايبايع ابن اختنا الا على بيعة على بن الحسين. وقامت كندة فتركه مسلم

وكانت وقعة الحرة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٦٣

حصار مكة وبدء المناوشة بين ابن الزبير وبنى أمية

لما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص بمن معه يريد مكة فمات في الطريق فلما حضره الموت احضر الحصين بن نمير واوصاه بالاسراع وتعجيل المناجزة والا يمكن قريشا من اذنه وكان يزيد قد أوصى مسلما بتأميره اذا هلك،فسار الحصين بالناس فقدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة ٦٤ وقد بايع اهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ـ ولحق به المنهزمون من أهل المدينة ، فخرج ابن الزبير للقائه ومعه اخوه المنذر،فبارز المنذر رجلا من أهل الشام فضرب كل منهما صاحبه ضربة مات منها ، ثم حمل اهل الشام حملة انكشف منها اصحاب عبد الله ولكنه ظل يقاتل الى ان انصرف عنه أهل الشام،ثم

تابعوا القتال بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الاول رموا البيت الحرام بالمجانيق من فوق جبل أبي قبيس وحرقوه بالنار وقد ترك ابن الزبير الكعبة تحترق ليشنع على بني أمية — فبينما هم كذلك اذ ورد على الحصين موت يزيد — فارسل الى ابن الزبير : ان الذى وجهنا لمحاربتك قد هلك فهل لك فى الموادعة وتفتح لنا الابواب فنطوف بالبيت ويختلط الناس بعضهم ببعض فكان ذلك فاتحة عصر جديد لابن الزبير ، وقد قبل الموادعة وأمر بابواب المسجد ففتحت فجعل الحصين واتباعه يطوفون بالبيت ثم استقبله ابن الزبير فاخذ بيده الحصين سرا وقال له: هل لك فى الخروج معى الى الشام فادعو الناس الى بيعتك فان أمرهم قد مرج ولا أرى أحدا أحق بها اليوم منك ولست أعصى هناك ، فاجتذب ابن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله :لابد أن أقتل بكل رجل من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام ، فقال له الحصين : لقد كذب من زعم انك من دهاة العرب ،أكلمك سرا وتكلمنى علانية، وأدعوك الى الخلافة وتدعونى الى الحرب ؟ ثم انصرف الى الشام فى أصحابه ، وهذه من أكبر غلطات ابن الزبير ، وكان يرى أن يعيد سلطة بلاد الحجاز على العالم الاسلامى كما كان الحال أيام أبى بكر وعمر وعثمان، ولو ذهب الى الشام لكان له شأن آخر

ولابن الزبير غلطات أخر ومنها انه كان يقبض يده كثيرا فى حين ان بنى أمية كانوا يستميلون الناس بالبذل وقد رسم لهم معاوية هذه الخطة لعلمه ان المال للانسان فتان فكان يعطى من وافقه ومن خالفه ، ولذا قل أنصار ابن الزبير تدريجا،وهذا الى ماكان من اعجابه واستغنائه

برأيه عن مشورة غيره ، وقلة الرجال اولى الدراية والمقدرة الحربية حوله لانهم ارتحلوا الى الشام والعراق ، ثم الى ظهور الاحزاب التى قامت ضده على ما سيجىء

وأعلم ان حركة ابن الزبير قديمة وربما رجع عهدها الى أيام أبيه وحزبه ، بدليل انه كان يحرضه على قتال على فى وقعة الجمل كما سلف ويقال أنه هو الذى أقنع السيدة عائشة بالعدول عما عزمت عليه عند الحوأب ـ ثم مضت فترة سكن فيها ابن الزبير يدبر أموره ويعمل على تحقيق اطماعه فى الخلافة فصدقت فراسة معاوية فيه ـ وقد طلب منه أن يبايع ليزيد بعد موت معاوية فابى وفر من المدينة الى مكة لائذا بالبيت ولحقه الحسين فما زال يحرضه على الخروج الى العراق حتى يصفو له الجو بمكة ، فلما قتل الحسين دعا لنفسه كما علمت .

وبعد فان ارسال الجيوش الى أهل الحرمين الشريفين وانتهاك حرمات الاماكن المقدسة ، واباحة حرم الرسول ومدينته مهبط الوحى وقتل أصحابه الذين عززوه ونصروه ، واكراههم على البيعة على أنهم عبيد ليزيد ثم احراق البيت الحرام أول بيت وضع للناس ومن دخله كان آمنا ، قد الهب قلوب المسلمين غيرة على دينهم وملاها حقدا على يزيد خاصة وبنى أمية عامة وبخاصة لان دم الحسين الذى أراقوه لايزال رطبا بلطخ أرض كربلاء

والمدافع عن يزيد يجنح الى أن هؤلاء قد خرجوا على الدولة وأهلها وخلعوا الحاكم وأعلنوا العصيان وبادروا او استعدوا

لمبادرته بالقتال وأخرجوا عماله وبايعوا غيره علانية وله فى أعناقهم بيعة .

والمدافعون عن أهل الحرمين يا هيبون الا ان يزيد قد جار وفجر وعم ظلمه وساءت سياسة عماله وقتلوا ابن بنت الرسول وانصاره ولم يراعوا حرمته ولا حقه فيجب على أهل الملة أن يستبدلوا دولة الظلم بدولة أخرى تقوم بالقسط وتعدل في الحكم

(الفتح فى عهد يزيد)

قد انقضت سنواته الثلاث فى حروب داخلية ، ومع هذا فان عمال الاطراف كانوا يغيرون على ما يجاورهم من البلدان ومن أخص ذلك .

(١) اغار سلمة بن زياد بن أبيه وهو والى على خراسان على ماوراء النهر ، اذ أرسل المهلب بن أبي صفرة فى أربعة آلاف أو ستة فعبر بهم النهر فما زال يحارب أهل تلك النواحى حتى صالحوه على نيف وعشرين الف الف ثم غزا سلم سمرقند .

(٢) وغزا عقبة بن نافع والى افريقية أرض الزاب وتاهرت وانتهى الى طنجة ثم سار نحو السوس فغزا البربر وانتصر عليهم فلما أشرف على البحر المحيط قال يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد الى القيروان وفى عودته لقيه كسيله النصرانى البربرى . فدافعه عقبة بمن معه فاستشهد عقبة وأبو المهاجر وعامة أصحابهما .

(وكان كسيلة قد أسلم أيام ولاية أبي المهاجر الانصاري افريقية ، فلما ولي عقبة عزله أبو المهاجر محل كسيلة وأمره بحفظه فلم يقبل واستخف به فاضمر كسيلة الغدر وكان في عسكر عقبة جماعة وافقوا كسيلة ثم راسلته الروم ، فاظهر كسيلة ما كان أضمر وجمع أهله وبني عمه وقصد عقبة فقال له أبو المهاجر عاجله قبل أن يقوى جمعه ، فحاربهم عقبة وأبو المهاجر ولكن المسلمين انهزموا وقصد كسيلة القيروان وأقام بها غير مدافع إلى أن قوى عبد الملك بن مروان فندب لقتاله زهير بن قيس البلوى فتوجه اليه فواقعه وقتله وهزم جنده وقتل منهم مقتلة عظيمة)

—«(معاوية الثاني)»—

كنيته أبو عبد الرحمن وهو معاوية بن يزيد بن معاوية — بويع بالخلافة بعد أن مات يزيد بعهد منه اليه ، وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين فلم تطل مدته في الخلافة ، ملك اربعين ليلة وقيل ثلاثة أشهر ثم خلع نفسه ، فانه كان رجلا صالحا — ولهذا يقال في حق أبيه : يزيد شر بين خيرين يعنون بذلك بين أبيه معاوية وابنه معاوية هذا .

ولما أراد خلع نفسه قال أيها الناس ضعفت عن أمركم فاختاروا من أحببتم ، فقالوا ول أخاك خالدا ، فقال والله ماذقت حلاوة خلافتكم فلا أتقلد وزرها ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس ان جدي معاوية نازع الامر اهله ومن هو احق به منه لقرابته من رسول الله وهو علي ابن ابي طالب وركب بكم ماتعلمون حتى انتهت منيته فصار في قبره رهينا

بذنوبه واسيرا بخطاياه ، ثم قلد ابي الامر فكان غير اهل لذلك وركب هواه واخلفه الامل وقصر عنه الاجل وصار فى قبره رهينا بذنوبه واسيرا بجرمه ، ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه ثم قال ان من اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله واباح الحرم وخرب الكعبة ؛ وما انا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم فشانكم امركم ، والله لئن كانت الدنيا خيرا فلقد نلنا منها حظا ولئن كان شرا فكفى ذرية أبى سفيان ما أصابوا منها ـ الا فليصل بالناس فلان وشاوروا فى خلافتكم رحمكم الله ثم دخل منزله وتغيب حتى مات فى سنته بعد ايام

ويقال انه قال للناس ايضا .انى ضعفت عن امركم فالتمست لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابوبكر فلم اجده ، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم اجدهم فانتم أولي بأمركم فاختاروا له من احببتم فانف الناس من قوله وخاف بنو أمية ان تزول الخلافة منهم وماج امرهم واختلفوا

لقد ذكر معاوية هذا تاريخ ابيه وأحصى ماكان من اسوأ سيئاته ونزل للناس عن خلافته لانه كان رجلا صالحا تقيا

ويظهر لى ان ذلك كله من وضع الشيعة لتكون حجتهم في محاربة بنى أمية والمطالبة بدم الحسين قوية ، ولهذا احكموا اطراف هذه الحجة بما اشيع من ان معاوية هذا قتل مسموما او طعن اى ان بنى أمية قتلوه لمجاهرته باخبار السوء عن معاوية ويزيد

هـذا وبموته انتهى ملك بنى أبى سفيان وانتقل الى مروان وبني مـروان

بيعة ابن زياد بالعراق وفراره

انتهز ابن زياد فرصة موت يزيد وقد اختلف الناس بالشام على من يلى الملك من بعده ودعا أهل العراق الى أن يختـاروا لانفسهم رجلا يرضونه فيرضاه، حتى اذا اجتمع أهل الشام على رجل يرضونه دخلوا فيما دخل فيه المسلمون، فقالوا له مانعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فتمنع ثلاثة أيام ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا أيظن ابن مرجانة اننا ننقاد له فى الجماعة والفرقة؟ وخلعوه

ثم أرسل الى أهل الكوفة يدعوهم الى الدخول فيما دخل فيه أهل البصرة فقالوا لا ولا كرامة، أيخلعه أهل الكوفة ونوليه نحن؟ فضعف سلطانه حتى كان لاينفذ له أمر ولا نهى،

ودعا سلمة بن ذؤيب التميمى فى البصرة الى ابن الزبير فجعلوا يصفقون على يديه يبايعونه، فبلغ ابن زياد الخبر فقام يعاتب الناس على نكثهم بيعته واتباع سلمة الذى جاء ليفرق جماعتهم فقال له الاحنف بن قيس نحن نأتيك بسلمة ولكنهم رأوا جمعه عظيما فقعدوا عن ابن زياد فدعا الناس الى معونته فابوا عليه فاستعان بالحرث بن قيس الازدى الجهضمى فاسرى به ليلا حتى أدخله داره فى الجماجم بعد أن فرق زياد ماكان فى بيت المال على مواليه وادخر شيئا منه لآل زياد ـ ثم اشار

على قيس ان ينزله دار مسعود بن عمرو فى دور الازد فقال له مسعود اتري لنا ان نعادي اهل مصرنا في عبيد الله ولم نجد من ابيه مكافأة ولا شكرا فقال له الحرث انه لا يعاديك احد على الوفاء على بيعتك حتى تبلغه مأمنه أفتخرجه من بيتك بعد ما دخل عليك؟ فامره ان يدخل بيت أخيه عبد الغافر ثم ركب الحرث ومسعود وجماعة من قومه فطافوا فى الازد وقالوا ان ابن زياد فقد ، وانا لا نأمن أن تلحظوا به فاصبحوا فى السلاح

ولما فقد بن زياد بقى اهل البصرة فى غير أمير واختلفوا فيمن يؤمرون عليهم فاختاروا رجلين كان أحدهما يميل الى بنى امية والاخر الى بنى هاشم فوقع الاختيار على عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب واقبل الناس به على دار الامارة فنزلها فى جمادى الآخرة سنة ٦٤

ثم اتفق الازد وربيعة على رد ابن زياد الى دار الامارة واتفق ابن زياد مالا كثيرا فيهم وجاء مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر وتقاتل الازد وبنو تميم على أبواب المسجد واستنزل التميميون مسعودا وقتلوه فلما قيل لابن زياد ان مسعودا قتل هرب الى الشام وتبعوه فاعجزهم فنهبوا ماله - ويقال أن الذى قتل مسعودا هم الخوارج في هذه الفرصة المناسبة وتقاتل الازد وبنو تميم من جراء قتله حتى تبرأت تميم من دمه وجاء الاحنف بن قيس فاعتذر الى الازد وسفر بينهم الناس فرضوا بعشرويات فاجابهم الاحنف الى ذلك واصطلحوا

عليه ، ولابن زياد بقية حديث

فاما عبد الله بن الحرث فانه أقام يصلى بهم حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل بن الزبير فبقى شهرا وخلفه فى الامارة عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى .

وأما أهل الكوفة فانتخبوا بعد حين عامر بن مسعود بن امية الجمحى وكتبوا الى ابن الزبير فاقره عليها فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد ثم تولى محمد بن الاشعث بن قيس الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة وأهل الجزيرة ومن بالقبالة من العرب ، وبلاد الشام الا الاردن ، وكان أمر خراسان مضطربا فولى عليها من قبله عبد الله بن خازم .

مروان بن الحكم

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الملك القرشى الاموى — ولد بمكة بعد ابن الزبير باربعة أشهر .

وهو بن عم عثمان بن عفان وكاتبه ومن أجله كان ابتداء فتنة عثمان وقتله ثم انضم الى ابن عمه معاوية بن ابى سفيان وتولى عدة أعمال الى ان وثب على الامر بعد اولاد يزيد بن معاوية

وكان الحكم قد اسلم عام الفتح ونفاه النبى الى الطائف لانه كان يتجسس عليه ، ولما مات الرسول كلم عثمان أبا بكر في رده لانه عمه فلم يفعل ثم كلم عمر فى ولايته فلم يفعل ، فلما ولي عثمان رده وقال ان رسول الله وعدني أن يرده الى المدينة فكان ذلك مما أنكر الناس على عثمان ، وقد رويت

أخبار كثيرة في لعنه ولعن من صلبه و كان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم والزرقاء جدة مروان بن الحكم لابيه و كانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها واصل هذا كان قبل ان يتزوجها أبو العاص فانه كان من اشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهي عنده

بيعة مروان

لما بويع الى ابن الزبير بالخلافة وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم وعبد الملك ابنه الى الشام قدم الحصين بن نمير من محاصرة ابن الزبير فاخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له ولبني أمية نراكم في اختلاط فاقيموا أميركم قبل أن يدخل عليكم شأنكم فتكون فتنة عمياء صماء

وكان من رأى مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فلما قدم ابن زياد الشام قال له قد استحييت لك من ذلك ، أنت كبير قريش وسيدها تمضي الى ابن أبي خبيث فتبايعه ؟ فقال مافات شيء بعد فقام اليه بنو أمية وموالیهم وتجمع اليمنية فسار الى دمشق وهو يقول مافات شيء بعد فقدم دمشق ضحاك بن قيس بها قد بايعه الناس على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا ـ وكان زفر بن الحرث الكلابي بقنسرين والنعمان بن بشير بحمص يبايعان له ايضا ـ وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية وابنه زيادا وهو يريد بني أمية فسار الى الاردن يدعوا الى بني امية واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامي فثار نائل بن قيس بروح فاخرجه وبايع لابن الزبير

وبايع أهل الاردن حسان على أن يجنبهم ابنى يزيد ، عبد الله وخالدا وقالوا انا نكره أن يأتينا الناس بشيخ وتأتينا بصبي

وكتب حسان الى الضحاك يعظم بنى أمية ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين ، فلما قرئ الكتاب على الناس فقام الامويون وشتموا ابن الزبير وثاروا حتى قام من سكنهم ، أما الضحاك فقد حبس جماعة من بنى أمية فجاء بنو كلب وبنو غسان فأخرجوهم - (وكلب أخوال يزيد وأخوال ابنيه خالد وعبد الله) ثم خرج الضحاك الى المسجد فسب يزيد بن معاوية فقام اليه شاب من كلب فضربه بعصا وثار الناس واقتتلوا ، وكان القيسيون أو المضريون يدعون الى ابن الزبير وكلب تدعو لبنى أمية ثم الى خالد - ثم اتفق الضحاك مع بنى أمية (بعد أن اعتذر اليهم وقبلوا عذره) أن يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليجتمعوا بالجابية ويبايعوا الرجل من بنى أمية — فقال له الناس دعوتنا الى ابن الزبير فبايعناك على ذلك ، وأنت تسير الى هذا الاعرابى من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد ؟ قال الضحاك فما الرأى قالوا نظهر ما كنا نكتم وتدعوا الى ابن الزبير ، فرجع الضحاك ومن معه من الناس فنزل بمرج راهط واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية - وكان مالك بن هبيرة السكونى يريد خالدا والحصين بن نمير يريد مروان - فقال مالك للحصين هل نبايع هذا الغلام فقال الحصين لا والله ، لا تأتينا العرب بشيخ وتأتيها بغلام ، فقال مالك ائن استخلفت مروان ليحسدك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ، ان مروان أبو عشيرة أو خو عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم ،

فقال الحصين والله لنستخلفنه ، وقام روح بن زنباغ فقال : تذكرون عبد الله بن عمر ولكنه ضعيف ، وتذكرون ابن الزبير ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد ومعاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وأما مروان فوالله ماكان في الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وانا نرى للناس أن يبايعوا الكبير (مروان) ويستشيروا الصغير (خالدا) فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص بعد خالد ، على ان امرة دمشق لعمر ، وامرة حمص لخالد — فدعا حسان خالدا فذكر له ماتم ثم بايعوا لمروان لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ٦٤

وقعة مرج راهط

لما بايع الناس مروان ساروا من الجابية الى مرج راهط والضحاك ابن قيس هناك ومعه الف فارس وكان قد استمد النعمان بن بشير فامده بشرحبيل بن ذى الكلاع — واستمد أيضا زفر بن الحرث فامده باهل قنسرين وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون — وكان يزيد بن أبى الغمس الغسانى مختفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق واخرج عامل الضحاك منها وحاز مافى الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح — فكان اول فتح على بنى أمية

ثم تحارب الضحاك ومروان بمرج راهط عشرين ليلة اقتتلوا فيها قتالا شديدا حتى قتل الضحاك ، قتله دحيه بن عبد الله ، وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف الشام وقتل من الفريقين عدد لم يقتل مثله في موطن

قط وكانت الموقعة سنة ٦٤ أو ٦٥ — ولما رأى مروان راس الضحاك ساءه ذلك وقال: حين كبرت سني ودق عظمي اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض

ولما انهزم الناس من المرج لحقوا باجنادهم : فانتهى أهل حمص اليها وعليها النعمان ابن بشير ،فهرب ومعه امراته وثقله واولاده،واصبح أهل حمص فطلبوه وقتلوه وردوا أهله ومعهم رأسه ـ ولما بلغت خبر الهزيمة زفر بن الحرث هرب من قنسرين ولحق بقرقيسا على الخابور واعتصم بها واجتمعت اليه القيسية فظل الى أن مات مروان فارسل اليه عبد الملك جيشا بقيادة ابن زياد فهزمه زفر، فسار عبد الملك بنفسه اليه فلم يتمكن منه ثم انتهى الامر بينهما على الصلح وامان من معه وصاهره عبد الملك فاخذ ابنته لابنه وبذلك صار القيسية واليمنية تحت لوائه مؤقتا وهرب ناتل من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة فاستعمل مروان روح بن زنباغ وبذلك استوثق الشام لمروان فاستعمل عماله عليها هـذا ومهما يكن من امر انتصار مروان فالملحوظ ان المرحلة التي قطعها معاوية بن أبي سفيان لاماتة العصبية القبيلية ومزج قبائل العرب مزجا تاما كانها لم تكن، اذ ان عرب الشام دبت فيهم تلك الروح ثانية ومال القيسيون الى ابن الزبير والكلبيون من اليمنيين الى بني أمية ، على ان الكلبيين كانوا فريقين ففريق يدعو الى خالد بن يزيد لانه ابن اختهم وفريق يدعو الى مروان ،لسنه، ولانه الذي يصلح ان يعادل ابن الزبير،و من اجل ذلك وقع التنافس بين افراد البيت المالك ،وامتدت اعناقهم جميعا

الى الوثوب على عرش الخلافة حتى كان مؤتمر الجابية الذي اتفقوا فيه على ارضائهم جميعا بالبيعة الى مروان ثم الى خالد بن يزيد ثم الى عمرو بن سعيد .

على ان ذلك لم يطفىء نار العصبية التي اشتعلت فالقيسيون لم ينسوا بعد قتلاهم في مرج راهطوهم يترقبون الفرصة للوثوب والفتك باليمنيين ويعرفون الارم ويتميزون غيظا مما اصابهم يدل على ذلك قول مزرد وهو بقر قيسيا من قصيده

فلا صلح على حتى تنحط الخيل بالقنا وتثأر من نسوان كلب نشائيا

والنحط صوت الخيل من الثقل والاعياء

والخلاصة ان وقعه مرج راهط (وان كانت سببا في رد الملك الى بني أمية بعد ان كاد يزول عنهم الى بني اسد بن عبد العزى اى الى عبد الله بن الزبير) جعلت العرب في الشام فريقين يمنية وقيسية وللمنية الغلب والفخار على القيسية بهذه الواقعة ولهم أيضا امتيازات ـ قالوا ان حسان بن مالك وكان رئيس القحطانية بالشام وسيدها اشترط على مروان ماكان لهم من الشروط على معاوية وأبنائه ، ومنها أن يفرض لهم لالفي رجل الفين الفين ، وان مات قام ابنه وابن عمه مكانه كوارث ، وأن يكون لهم الامر والنهى وصدر المجلس ، وكل ماكان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشورة ، فرضى مروان بذلك ، لانهم الذين أجلسوه على العرش ، ولذلك يقال ان مروان أول من أخذ الخلافة بحد السيف كرها بغير رضا من عصبة الناس

فتح مروان مصر

كان عبد الله بن الزبير حين بويع بالخلافة فى مكة توجه اليه جماعة من أهل مصر وبايعوه فارسل اليهم عبد الرحمن بن جحدم الفهرى اميرا فى شعبان سنة ٦٤ فدخل مصر ودخل معه جماعة كثيرة من الخوارج وأظهروا دعوة ابن الزبير بمصر ودعوا الناس لبيعته فتابعهم الناس والجند على ما فى قلوبهم من الحب فى الباطن لبنى أمية

وبينام على ذلك اذ وصل الخبر من الشام ببيعة مروان بن الحكم بالخلافة وان أمره تم ، فصارت مصر معه في الباطن ، وفى الظاهر لابن الزبير — حتى جهز مروان جيشا مع ابنه عبد العزيز الى ايلة ليدخل مصر من هناك ، وركب مروان فى جيوشه وجموعه وقصد مصر — فلما بلغ عبد الرحمن استعد لحربه وحفر خندقا فى نحو شهر وسار مروان حتى نزل عين شمس (المطرية) فخرج عبد الرحمن فتحاربوا يوما أو يومين فكان بين الفريقين مقتلة عظيمه ، ثم آل الامر بينهما الى الصلح على أن يقر مروان عبد الرحمن ويدفع اليه مالا وكسوة ، ودخل مروان مصر فى غرة جمادى الاولى سنة ٦٥ وبايعه الناس الا قليلا فضرب أعناقهم وكانوا ثمانين وكان في ذلك اليوم موت عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته الى المقبرة فدفنوه في داره)

ثم خرج مروان من مصر يريد الشام بعد أن ولى ابنه عبد العزيز على مصر وجمع الصلاة والخراج وأوصاه بالرفق على أهل مصر

ولما دنا مروان من دمشق بلغه ان ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا فى جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل أن يدخل الشام فقاتله

فانهزم مصعب ، وكان مصعب شجاعا ، ثم عاد مروان الى دمشق فاستقر بها هذا وقد لبث عبد العزيز بن مروان فى مصر عشرين سنة ومات . بها (قبل أخيه عبد الملك بسنة)

« بيعة مروان لولديه وموته »

أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز — وسبب ذلك أنه لما انتصر عمرو بن سعيد على مصعب بن الزبير بفلسطين بعد فتح مصر ، رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر ، ثم بلغ مروان ان عمرا يقول ان الامر لى بعد مروان فدعا مروان أحد خواصه فذكر له مايقول عمرو فقال له انا اكفيك عمرا ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام ذلك الرجل فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنون أمانى ، قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم ومات مروان بعد مدة يسيرة وفى سبب موته خلاف كثير

كان مروان قد أراد أن يعهد لخالد بن يزيد بن معاوية فانه كان قد خلعه من الخلافة وتزوج بأمه ثم بدأله ان يعهد لولديه (ففعل) ثم كفاه ذلك حتى أخذ يضع من خالد ويزهد الناس فيه ، وكان خالد يجلس معه فدخل يوما فانتهزه وقال تح يابن رطبة الاست والله ما لك عقل وبلغ أم خالد ذلك فاضمرت له السوء فدخل مروان عليها وقال لها : هل قال لك خالد شيئا فانكرت فنام عندها فوثبت هي وجواريها فعمدت الى وسادة فوضعتها على وجهه وغمرته هي والجوارى حتى مات ثم

صرخن وقلن مات فجأة —

ويقال انه مات مطعونا بدمشق

هذا وتعد البيعة لاثنين من أهم العوامل فى سقوط دولة بنى أمية

خلافة عبد الملك

هو عبدالملك بن مروان بن الحكم ، ويقال له ابو الاملاك، وذلك لانه ولى الخلافة اربعة من ولده : الوليد وسليمان ويزيد وهشام

بويع بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، ومات بها للنصف من شوال سنة ٨٦ وعمره ستون أو ثلاث وستون سنة ، ومدة خلافته منذ قتل بن الزبير ثلاثة عشر سنة واربعة أشهر ومنذ اجتمع عليه نحو ٢٢ سنة وكان عاقلا حازما اديبا فقيها ومن احسن الناس فى شبيبته دينا ،ولما سلم عليه بالخلافة أول تسليمة والمصحف في حجره أطبقه ، وقال هذا فراق بيني وبينك وكان يقول صرت اعمل الخير فلا اسر به وأصنع الشر فلا أساء به وكان اول من غدر من الخلفاء وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء وأول خليفة بخل وكان يقال له (رشح الحجارة) لبخله وأول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال فى خطبته بعد قتل ابن الزبير : ولا يأمرني أحد بتقوى الله الا ضربت عنقه — وأول من نقل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية ، حولها سليمان بن سعيد من الرومية ، وصالح بن عبد الرحمن من الفارسية وكان يقول ما أنا بالخليفة المستضعف يريد عثمان ، ولا بالخليفة المداهن ،

يريد معاوية ، ولا بالخليفة المأمون ، يريد يزيد ، فمن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا

وقد استقبل بخلافته مصاعب وصادفته متاعب غير انه تغلب عليها وكانت البلاد الاسلامية احزابا وشيعا وكل حزب بما لديهم فرحون

فابن الزبير خليفة بمكة والمختار بن أبي عبيدة مستبد بالعراق يدعو الى ابن الحنفية والخوارج لا تنتهي ثوراتهم بفارس و جزيرة العرب وهؤلاء جميعا من العوامل القوية التي تهدده ، على ان من افراد بيته من كان يتربص به الدوائر و يطلب غرته كعمرو بن سعيد كما سترى في حديثه ، ومن البقاع ما كان يتمخض بالثورة كجهات انطاكية وفيها الجراجمة (المردة) على ما سيأتي — فما زال عبد الملك يعمل حتى ذلل هذه الصعاب كلها وأصبح خليفة غير منازع في بلاد الاسلام عامة

خبر المختار الى قتله

كان المختار بن أبي عبيد الثقفي خارجيا مبغضا الى الشيعة لتقصيره في أمر الحسن بن علي ، فلما كانت أيام الحسين استعد لنصرة مسلم بن عقيل وتشيع فاخذه ابن زياد وضربه وحبسه حتى قتل الحسين ثم شفع فيه الى يزيد عبد الله بن عمر (لأنه كان قد تزوج اخته صفية بنت أبي عبيد) فكتب الى ابن زياد فاطلقه على ألا يقيم غير ثلاث ، فذهب الى الحجاز واتصل بابن الزبير فكتم عنه أمره ففارقه المختار سنة ثم عاد فاذا ابن الزبير يسأل عنه فاتصل به على ألا يقضي الامور دونه وأن يكون أول داخل وأن يولى أفضل الاعمال اذا ظهر ، فقال ابن

الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال المختار : شر غلماني تبايعه علي ذلك ، فاضطر ابن الزبير الى اجابته فبايعه وصار زبيريا ، وشهد معه قتال الحضين وأبلى بلاء حسنا وكان أشد الناس على أهل الشام .

« (مفارقته ابن الزبير الى الشيعة بالكوفة) »

ولما هلك يزيد بن معاوية واطاع أهل العراق ابن الزبير أقام المختار عنده خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه احد من أهل الكوفة الا سأله عن أحوال الناس ، حتى أخبر بأن طائفة من الناس هنالك ، لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم الارض فقال المختار أنا والله لهم أن اجمعهم علي الحق والفي بهم وكبان الباطل ، وأهلك بهم كل جبار عنيد ، وركب راحلته الي الكوفة وكان من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم تشيعا وحبا لعلي ، وكان لا يصبر علي الشراب ، ثم اتصل بالشيعة واتصلوا به فاخبروه خبر سليمان بن صرد فقال لهم ان سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالامور ، وان المهدي ابن الوصي (يريد محمد بن الحنفية) بعثني اليكم أميرا ووزيرا وامرني بقتال الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء ، فضربوا على يديه وبايعوه وما زال حتى استمال طائفة من الشيعة صاروا يختلفون اليه ويعظمونه وعظماؤهم مع سليمان لا يعدلون به احدا ، وهو أثقل خلق الله علي المختار ، ثم وشى بالمختار فاخذه عبد الله بن يزيد الخطمي عامل ابن الزبير على الكوفة وحبسه ثم خرج سليمان بن صرد في التوابين ثائرا مطالبا بدم الحسين فنصحه عمال ابن الزبير فلم يقبل ، فقالوا له أمهلنا حتى نمضي معكم فتلقوا عدوكم بجمع كثيف (وكان مروان قد أرسل اليهم عبيدالله بن زياد) فلم يقبل أيضا وساروا الى قبر الحسين وناحوا ثم ودعوه وقصدوا الى قرقيسيا وبها زفر بن الحرث معتصما فطلب

اليهم أن يقيموا فابوا فودعهم ورسم لهم خطة وأمرهم بالمسارعة الى رأس العين فاقاموا خمسا

واقبل أهل الشام فاشتبكوا مع مقدمتهم أولا فانهزمت فحمل عليهم الحضين بن نمير وبعث الرجالة ترميهم بالنبل فقتل سليمان ثم قتل كثير من رجاله وقادته وفر الباقون فى النهاية الى قرقيسيا واصبح الحضين فلم يجد لهم أثرا فاقاموا لدى زفر ثلاثا ثم زودهم الى الكوفه فعادوا

﴿ رياسته على الشيعة ووثوبه بالكوفة ﴾

فلما رجعوا اليها كان المختار محبوسا فكتب اليهم يرحب ويغرى بسليمان ويقول ليس سليمان صاحبكم الذى به تنتصرون اني أنا الامير المامور والامين المامون فاستعدوا وابشروا ، أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام

فلما قرءوا كتابه كتبوا اليه اننا بحيث نشرك فان شئت أن نخرجك من الحبس فعلنا وكان المختار قد كتب الى ابن عمر يستشفعه فشفع فيه فاخرج واخذلت اليه الشيعة ثم ولى ابن الزبير على الكوفة عبد الله بن مطيع فارسل الى المختار فتمارض . وجمع اصحابه وأراد الوثوب بالكوفة فرأوا ان يخرج جماعة منهم الي ابن الحنفية أولا ، فلما قدموا سالهم عن حال الناس فاخبروه واعلموه حال المختار وما يدعوا اليه واستاذنوه فى اتباعه فأذن لهم واستاء المختار من ذهابهم فلما دخلوا عليه قالوا قد أمرنا بنصرك فقال الله اكبر ودعا الشيعة وأخبرهم بما أمر به محمد بن الحنفية فاستجمعت له ورغبوا الى ابراهيم بن الاشتر أن ينضم اليهم فشرط أن يولوه الامر فاعتذروا وانصرفوا ثم رحل اليه المختار والشعبي وابراهيم ابنه وغيرهما فقال له هذا كتاب المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين يسألك أن تنصرنا قد كتبه بحضرة هؤلاء النفر الذين معى ، فقالوا جميعا

نشهد أن هذا كتابه رأيناه حين كتبه ، ودفعه الشعبي اليه فقرأه فاذا فيه من محمد المهدى الى ابراهيم بن الاشتر.... أما بعد فانى قد بعثت اليكم وزيري وأميني فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فانك ان تنصرنى كانت لك عندى فضيلة ولك أعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصي بلاد الشام .

فانتهي أمره بعد تردد بان بايع المختار ثم دعا عشيرته ومن أطاعه واجتمع رأيهم علي الخروج ليلة الخميس لاربع عشرة من ربيع الاول سنة ٦٦ .

وجاء بن مطيع الخبر فاستعد فخرج ابراهيم ذات ليلة يريد المختار فاعترضته المسلحة فقتل صاحبها غدرا ونفذ الى المختار وقال له لابد من الخروج الليله وأخبره بقتل صاحب المسلحة ففرح وقال هذا أول الفتح وخرجوا من ليلتهم ينادون بالثارات الحسين ووقع القتال الشديد بينهم وبين اصحاب ابن مطيع فانهزم أصحاب ابن مطيع فلما رجعوا اليه وبخهم وخرج فى الناس فانهزم وحصر فى القصر ومعه اشراف الناس وتولي حصر قصر الامارة ابراهيم بن الاشتر ثلاثا ثم فر بن مطيع من القصر ففتح اصحابه الباب لابن الاشتر فامنهم فخرجوا فبايعوا المختار فدخل وبات فى القصر فلما اصبح خطب فى الناس فدخلوا عليه جميعا وبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت ، واقبل المختار يمنى الناس ويستجر مودة الاشراف وبحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع فى دار أبي موسى فسكت وحفظ فيه قرابته من عمر بن الخطاب فلما أمسى بعث اليه بمائة الف درهم وقال له تجهز فقد علمت مكانك والك لم يمنعك من الخروج الا قلة النفقة وكان بينهما صداقة

وغلب المختار على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد الا الحجاز والشام ومصر فان عبد الملك قد كان حماها

ووجد المختار فى بيت المال تسعة آلاف الف فاعطى أصحابه واستمال الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وأخذ يبعث عماله وأقام شريحا يقضي بين الناس .

فتكه بقتلة الحسين

ثم وثب بمن بالكوفة من قتلة الحسين لان مروان ارسل ابن زياد الى الجزيرة والعراق ثم مات فلما تولى عبد الملك اقره وأمره بالجد فى أمر المختار فلما لم يمكنه فى زفر ومن معه من قيس أقبل الي الموصل فكتب عامل المختار الي المختار يخبره بدخول ابن زياد ارض الموصل وأنه قد تنحي له عن الموصل إلى تكريب فارسل اليه يزيد بن أنس الأسدي فى ثلاثة آلاف فارس فبلغ خبره ابن زياد فاستعد واقتتل الناس يوم عرفة فانهزم أهل الشام ثم اقتتلوا يوم عيد الاضحي فانهزموا أيضا ومات ابن انس عصر ذلك اليوم من مرضه وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الاسدى فبلغهم ان ابن زياد يزحف اليهم فى ثمانين الف فانصرفوا الي المختار فامر عليهم ابراهيم بن الاشتر فخرج وعسكر بحمام أعين — غير ان شبث ربعي اجتمع اليه اشراف الكوفة وقالوا له ان المختار تامر علينا بغير اذن منا فدخل عليه شبث فعرض عليه ما أنكروه فكان لا يذكر خصلة الا قال المختار انا ارضيهم أعنها فقال له اخرج الى اصحابي وخرج فلم يعد .

واجمع رايهم على قتال المختار فوثبوا به بعد خروج ابن الاشتر فارسل اليه المختار وارسل اليهم اني صانع كل ما أحببتم فقالوا نريد ان تعتزلنا فانك زعمت ان ابن الحنفية يبعثك ولم يبعثك فقال ابعثوا اليه وفدا وانا أبعث اليه وفدا ثم انظروا فى ذلك حتي يظهر لكم « يريد أن يريثهم حتى يقدم عليه ابن الاشتر »

وامر اصحابه فكفوا ايديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة السكك فلا يصل اليهم إلا القليل .

فلما عاد ابن الاشتر تعبى الفريقان واقتتلوا اشد قتال رآه الناس وجاءت الاخبار الى المختار بالانتصار ثم جاءوه بنحو خمسمائة اسير فقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية واربعين ثم اطلق الباقين على الايكونوا معادين له ونادي مناديه بالكف عن القتال وبعث غلاما له فى طلب شمر بن ذي الجوشن فقاله شمر وفر الى قرية فاستدل عليه المختار وارسل اليه خيالة احاطت بالقرية فتفرق عن شمر اصحابه فعاجله اصحاب المختار وقتلوه والقوا جثته للكلاب ، وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ٦٦

وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وبعث الى نفر منهم فى نواح مختلفة فقتل بهم أفظع تمثيل وأحرق صاحب رأس الحسين بالنار وأرسل الى محمد بن الحنفية بعض رءوس القتلى وكتب اليه يعلمه أنه قتل من قدر عليه وأنه فى طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين وكان فى تلك الرءوس رأس عمر بن سعد بن أبي وقاص ورأس ابنه

« (قتل ابن زياد) »

ثم خرج ابن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج معه المختار يشيعه ماشيا ، ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها ، وقال للناس ان استقمتم فنصر الله وان خصتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دون السحاب .

ثم وصل ابن الاشتر الى النقطة التي فيها ابن زياد وكان على ميمنته حضين ابن نمير وعلي ميسرته عمير بن الحباب فارس الاسلام الذي كان صديقا لابن الاشتر، فخرج اليه في الليلة التي اراد أن يواقعوه في صبيحتها فالتزمه من ورائه فقال ابن الاشتر من هذا فقال : عمير ، فقال مرحبا بابي المغلس ، كن بهذا الموضع حتي أعود اليك. فقال عمير لمن رافقه : أرأيت أشجع من هذا قط، يحتضنه رجل من عسكر عدوه ولا يدري من هو فلا يلتفت اليه — ثم عاد ابن الاشتر بعد أن فرغ من تعبئة أصحابه وقال لعمير ما الخبر ؟ فقال القوم كثيرا والرأى ان تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير. فقال نصبح ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظبات السيوف واطراف القنا فقال له : انا منخزل عنك ثلث الناس غدا فانا لا انحب ظهور بني مروان لسوء صنيعهم الينا معشر قيس وانا اليك لاميل ، قال ابراهيم وذاك (تأمل) فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم في أول النهار فارسل اصحاب المختار الحمام ، فتصايح الناس . الملائكة فتراجعوا ونكس عمير رايته ونادى يالثارات المرج (مرج راهط) وانخزل بميسرة ابن زياد كلها وفيها قيس فلم يعصوه بالضرورة واقتتل الناس حتى اختلط الظلام واسرع القتل في اصحاب ابن زياد فانكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطيء هذا النهر كان يقاتل في اوائلهم ويقول انا الغلام القرشي فرجع الي سيفي ومنه رائحة المسك ورأيت أقداما وجرأة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب ، فانظروه ، فاتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقتل في المعركة ايضا الحضين بن نمير قتله احد بني تغلب وهو يظنه ابن زياد ثم انهزم أصحاب ابن زياد في كل وجه وتبعهم اصحاب ابن الاشتر فكان من غرق منهم في الخابور اكثر ممن قتل في الميدان

ثم أرسلوا الى المختار (وهو بالمدائن) البشارة وانفذوا اليه رأس ابن زياد فوجه به الى محمد بن الحنفية ثم شرع بن الاشتر يولى العمال على تلك الاطراف فبعث أخاه عبد الرحمن الي نصيبين وولى زفر بن الحرث قرقيسيا وحاتم بن النعمان حران والرها وسميساط وولى عمير بن الحباب نواحي أخري وأقام ابن الاشتر بالموصل

مكر المختار بابن الزبير

لما اخرج المختار عبد الله بن مطيع عن الكوفة كره ان يأتى ابن الزبير مهزوما فسار الى البصرة فكتب المختار الى ابن الزبير يذكر له مناحته اياه واشتراكه معه فى جهاد العدد وانه لم يف بما عاهده عليه ثم قال له فان ترد مراجعتى ومناصحتي فعلت ، يريد بذلك ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره — فأراد ابن الزبير ان يعلم أسلم هو أم حرب فولي عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي علي الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فلما علم المختار أرسل اليه زائدة بن قدامة بمال وهدده ان لم يعد فرجع الى البصرة وأقام مع ابن مطيع فى امارة الحرث بعد ابن أبي ربيعة

ثم ان عبد الملك أرسل جيشا الى وادي القري فكتب المختار الى ابن الزبير ان احببت امددتك بمدد، فكتب اليه ان كنت على طاعتي فبايع لى الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الي من بوادى القوي من جند ابن مروان فليقاتلوهم، فارسل شرحبيل بن ورس الهمدانى فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وقال له سر حتى تدخل المدينة ، وخاف ابن الزبير ان تكون مكيدة فارسل احد قواده إلى المدينة وقال له ان رأيت القوم على طاعتى والا فكايدهم حتى تهلكهم، فكان من أمره بعد ذلك أنه

فاقتلهم وقتل ابن ورس وأمن من جاء اليه وافلت الباقون فمات أكثرهم في الطريق — وكتب الى ابن الحنفية يقول قد أرسلت اليك جيشا ليذلوا الاعداء ويحرزوا البلاد فلما قربوا طيبة قتلوه، فان رأيت أن ابعث الى المدينة جندا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا أني في طاعتك فافعل. فكتب اليه ابن الحنفية .... اني لو اردت القتال لوجدت الناس الى سراعا وأمره بالكف عن الدماء .

« ابن الزبير وابن الحنفية وعبد الملك »

كان ابن الزبير قد دعا ابن الحنفية ومن معه ليبايعوه فامتنعوا فاكثر الوقيعة في ابن الحنفية وذمه — فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعوا الى ابن الحنفية خاف ابن الزبير ان يتداعي الناس الى الرضا به فألح على ابن الحنفية وصحبه في البيعة له. وحبسهم وتوعدهم بالقتل والاحراق وضرب لهم أجلا ، فأشير على ابن الحنفية أن يستنجد المختار ففعل فارسل اليه المختار الرجال والاموال فساروا الى مكة ودخل نحو مائة وخمسين منهم المسجد وبيدهم الخشب كراهة أن يشهروا السيوف بالحرم ومعهم الرايات ونادوا بالثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وبقي من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية وقالوا له خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم اني لا استحل القتال في الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كأني أنا قتلته، والله لو قدرت على قتاله لقتلتهم ، ثم قال أتحسبون أني أخلي سبيلهم دون ان يبايع ويبايعون فقال له بعضهم لتخلين سبيله او لنجالدنك باسيافنا فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة

ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد وقالوا بالثارات الحسين

فخافهم ابن الزبير، وخرج ابن الحنفية ومن معه الي شعب على وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون ابن الحنفية فيه فابى عليهم واجتمع معه في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم المال بينهم وعزوا وامتنعوا الى أن قتل المختار فتضعضعوا واحتاجوا ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فالح على ابن الحنفية ان يبايع وهدده فاعلم أصحابه واذن لمن أحب ان ينصرف فاعلموه انهم غير مفارقيه .

وعلم عبد الملك خبر ابن الحنفية فكتب اليه بالقدوم الى الشام حتى يستقيم أمر الناس فسار بمن معه الى الشام فلما بلغ مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو ابن سعيد فندم ونزل ايلة وتحدث الناس بفضله فندم عبد الملك على استدعائه وكتب اليه بالرحيل اذ لم يبايعه فارتحل الى مكة ونزل فى شعب ابي طالب فامره ابن الزبير بالرحيل واستأذنه أصحابه فى قتال ابن الزبير فابى وسار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير واغلظ له وخرج فلحق بالطائف وتوفى بها وبقى ابن الحنفية بالطائف حتي حصر الحجاج ابن الزبير فعاد فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتي يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب الى عبد الملك يطلب الامان له ولمن معه فجاءه كتاب من عبد الملك بما طلب فحضر عند الحجاج وبايع عبد الملك وقدم عليه الشام وطلب الا يكون للحجاج عليه سبيلا فزال حكم الحجاج عنه

كرسى المختار

اتخذ المختار كرسيا وقال انه لم يكن فى الامم الخالية امر الا وهو كائن فى هذه الامة مثله وانه كان فى بنى اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فلما خرج ابن الاشتر لقتال ابن زياد اخرج المختار الكرسى حملة بعض اصحابه على بغل اشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه فلما انتصروا زادهم ذلك فتنة وتعاطوا الكفر

« ر قتل المختار »

غضب عبد الله بن الزبير على المختار لكونه انصر لمحمد ابن الحنفية وناب لقتاله أخاه مصعب بن الزبير فدخل عليه اشراف الكوفة وسألوه النصر على المختار وجاءه محمد بن الاشعث بن قيس الكندى صهر أبى بكر وحضه على المسير فقال لا أسير حتى يأتينى المهلب بن أبى صفرة وهو عامله على فارس فكتب اليه فابطأ فارسل اليه ابن الاشعث فاقبل باموال كثيرة وجموع عظيمة وأرسل مصعب الى الكوفة من يثبط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ثم سار فى الناس وبلغ ذلك المختار فاعلم اصحابه وندبهم الى الخروج ولما التقى الجمعان واقتتلوا ، قال المهلب لاصحابه كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة وسرح محمد بن الاشعث فى خيل عظيمة من أهل الكوفة وقال دونكم ثأركم فكانوا على المنهزمين أشد من أهل البصرة ولم ينج من جيش المختار الا الفرسان وأتي المختار خبر الهزيمة فقال مامن الموت بد وخرج يتلقي مصعبا ، فحول ماء الفرات الى الخلجان التى تأخذ منه فوقفت سفن البصريين على الطين فخرجوا وأعادوا الماء الى مجراه وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة واقبل مصعب والمهلب وابن الاشعث فاقتتلوا ساعة ثم تحاجزوا ثم حمل المهلب فى اصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة وكشفوهم وحمل ابن الاشعث فقتل ثم تفرق الناس عن المختار فدخل القصر فبات ليلته واصبح فقطع مصعب الماء عنه وعن اصحابه

فاشتد عليهم العطش ثم أن مصعبا امر اصحابه فاقتربوا من القصر وشدوا الحصار أربعين يوما فقال المختار انزلوا حتى نقتل كراما فوالله مالنا بأس ان

صدقتموهم فلم يجد عندهم مايحب فتطيب وتحنط وخرج من القصر فى تسعة عشر رجلا ثم تقدم فقاتل حتى قتل قتلة طريف وطراف رجلان من بنى حنيفة اخوان واحتل الجند القصر واخرجوا من كانوا فيه واراد مصعب قتلهم فاستشار الاحنف بن قيس فقال ارى ان تعفو فان العفو اقرب للتقوى ولكن أهل الكوفة ضجوا وقالوا اقتلهم فقتلهم ووجه مصعب رأس المختار الى أخيه فقال الرسول فما تريد ؟ قال جائزتى قال خذ الراس الذى جئت به بجائزتك فتركه وانصرف

وهذا من أمثلة بخل ابن الزبير التى كانت سببا فى انصراف كثير من رجاله الى عبد الملك

وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد وكتب الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويمنيه الشام وكتب عبد الملك اليه يدعوه الى طاعته وله العراق فاستشار اصحابه فاختلفوا فقال لو لم أكن اصبت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك وكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه ان اقبل فلما اقبل بعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وأرمينيه وأذربيجان

وبهذا تمت رواية المختار الذى كانت سنه يوم قتل سبعا وستين سنه وكان قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة ٦٧ فى خلافة عبد الملك وكان لا يوقف له على مذهب وانما كان يهمه ان يملك ويتكيء على اريكة الحكم ولو ولاه ابن الزبير أيام اتصاله به ماظهر له أمر

وقد تفهم مما ذكرنا فى اول الترجمة أنه كان خارجيا ثم تشيع ثم صار زبيريا ثم عاد فتشيع ثم صار رافضيا فى ظاهره وقوله ماتوحى الشياطين اذ كان يدعى انه يلهم ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل وكان يفتري على الله انه يأتيه جبريل

بالوحي فلذا قيل عنه المختار الكذاب وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الاديان وجنب الاوثان وكره العصيان لاقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النجيب ظبيان فكان ظبيان النجيب يقول: لم ازل في عمر المختار أتقلب آمنا

هذا وقد قتل في هذه الحروب الداخلية جمع كبير من المسلمين عظمت بهم المصيبة على أهل العراق غير ان عبد الملك كان يفرح لها جدا افرح (مصائب قوم عند قوم فوائد) لتقليلها أعداءه وتقريبها أمد انتصاره حيث لم يبق له من أعدائه الا عمرو بن سعيد بدمشق ومصعب بن الزبير بالعراق .

خبر عمرو بن سعيد الاشدق

عمرو هذا من عمراء البيت الاموي خرج على عبد الملك وغلب على دمشق فتوسط بينهما قومهما حتى صالحه عبد الملك

(١) على ان يكون شريكين في الملك

(٢) وان يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو .

(٣) وأن يكون اسم الخلافة لعبد الملك فان مات فعمرو الخليفة بعده وكتبا بذلك كتابا وأشهدا عليه أشراف أهل الشام، وكان عمرو معجبا بنفسه متهاونا في أمره وكان معه عند خروجه نصف أهل الشام ونصفهم مع عبد الملك ، ثم غدر به عبد الملك وقتله

وبيان قتله بالايجاز أن عبد الملك قصد الى زفر بن الحرث بنفسه وأخذ معه عمرا هذا واستخلف على دمشق وفي بعض الليالي انتهز عمرو

فرصة سنحت وهرب ولحق بدمشق وغلب عليها وعلى خزائن الاموال فلما أصبح عبد الملك وقد فقد عمرا سأل عنه فاخبر خبره فسارع الى دمشق وقاتل عمرا أياما ثم أصطلحا وكتبا بينهما كتابا وأمنه عبد الملك فدخل الخليفة دمشق وبعد اربعة ايام دخل عليه عمرو فرحب به وأجلسه على السرير معه وجعل يحادثه طويلا ثم قال ياغلام خذ السيف عنه فقال انا لله وانا اليه راجعون فطمأنه وعاوده الحديث ثم أمر فغلقت الابواب وقتله ذبحا والقي رأسه الى الناس ومعه الاموال فترك أصحابه الرأس ملقى وأخذوا الاموال وتفرقوا وارادان يقتل يحيى بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز بن مروان فتنازل عن قتله وأمر بحبسه وحبس جميع بنى عمرو ثم أخرجهم والحقهم بمصعب بن الزبير ـ فلما قتل عبد الملك مصعبا أحضرهم وتهددهم ثم رق لهم وأحسن جائزتهم وقربهم

وانما ذكرنا هذه الحادثة لنبين أن من أفراد البيت المالك من كان يطمع فى الخلافة ولا يعبأ بما كان من ولاية العهد ولا بما حصل من البيعة الى عبد الملك

﴿الجراجمة﴾

كان قياصرة الروم لايغفلون عن دس الدسائس للمسلمين بالشام وكانوا يلقبون انباط لبنان بالمردة او العصاة لعدم تعرضهم للعرب وكان المسلمون يسمونهم الجراجمة باسم مدينتهم جرجومة وهى على مقربة من انطاكية وقد صالحوا المسلمين على ان يكونوا لهم عيونا ومسالح وكانوا يستقيمون للولاة

أحيانا وينحرفون احيانا أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم على المسلمين وفى أيام حروب مصعب بن الزبير خرجوا على عبد الملك فاضطر الي صلحهم وصلح الروم على مال يؤديه كل جمعة خشية ان يخرجوا الى الشام ويغلبوا عليه مقتديا بمعاوية فيما صنعه مع الروم حينما شغل بحرب صفين - ثم اتفق أنه فى ايام خروج عمرو بن سعيد خرج قائد من قواد الضواحي فى جبال تلك الجهات فاتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم - فلما فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الي ذلك القائد فخدعه بالمال فركن ولم يفسد فى البلاد ثم قتله ومن أعانه من الروم وقتل نفرا من الجراجمة والانباط ونادى بالامان فيمن بقي فتفرقوا فى قراهم ورجع العبيد الى مواليهم وسد عبد الملك هذا الخلل .

وانما ذكرنا أمر الجراجمة لنبين ان بعض بقاع الشام على عهد عبد الملك كان يتمخض بالثورات ويهدد كيان الخلافة الاموية ولكن عبد الملك تمكن من حاسة ملكه وتثبيت قواعده وتدارك الثورات قبل استفحالها وتدبير الحيل للايقاع بمدبريها

﴿فتح العراق وقتل مصعب﴾

فى جمادى الاخرة سنة ٧١ قتل مصعب بن الزبير واستولى عبد الملك على العراق - وسبب ذلك أنه لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فيمن خالفه حتى استوعبهم وبذلك صفا له الشام ، فاجمع المسير الى العراق واستشار اخوته وعظماء أهل بيته فاشار عليه عمه يحيى

بان ينقم بالشام ويترك ابن الزبير والعراق فقال: الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب الى اشراف العراق يدعونني اليهم وقال اخوه محمد: الرأى أن تطلب حقك وتسير الى العراق، وقال اخوه بشر الرأى ان تقيم وتبعث بعض اهلك وتمده بالجند، فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا قريشي له رأى واما ابعث من لا شجاعة ولا رأى له وانى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجت اليه ومصعب من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب ومعه من يخالفه ومعى من ينصح لى، وسار عبد الملك الى العراق، فلما بلغ مصعبا مسيره ارسل الى المهلب (وهو يقاتل الخوارج بفارس) يستشيره وقيل بل احضره فقال له اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعدني عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد ابوا أن يسيروا حتى اجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا اكره اذ سار عبد الملك الى الا اسير اليه فاكفنى هذا الثغر فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف ابن قيس فمات بها واحضر مصعب ابرهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة، فجعله على مقدمته وسار حتى نزل باخمرا وسار عبد الملك حتى نزل بقرقيسيا وحضر زفر بن الحرث ثم صالحه كما سلف وسار حتى نزل بمسكن على فرسخين من معسكر مصعب فلما نظر اصحاب مصعب كثرة جموع عبد الملك تواكلوا وشملهم الرعب

ثم أن عبد الملك كتب الى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه يستميلهم اليهم ويعرض عليهم الدخول فى طاعته ويبذل لهم الاموال وقد جعل لجميعهم اصبهان طعمة، فكل منهم اخفى كتابه الا ابن الاشتر

فانه جاء به مصعبا فقال له ما يمنعك ياأبا النعمان، يدعوك الى نفسه ويجعل لك ولاية العراق ، فقال ماكنت لاتقلد الغدر والخيانة ،لو جعل لى مابين المشرق الى المغرب مالاعنت بنى أمية على ولد صفية فقال مصعب جزيت خيرا ، قال لست أشك أن عبد الملك قد كتب الى عظماء اصحابك بنحو مما كتب الى ،وانهم قد مالوا اليه فاذن لى فى ضرب عنق من أنهم منهم فقال اذا لاينا صحابنا عشائرهم ،قال ابن الاشتر فاذن لى فى حبسهم الى فراغك فان ظفرت مننت بهم على عشائرهم وان تكن الاخرى كنت قد أخذت بالحزم ، فقال أذن يحتجوا على عند أمير المؤمنين قال ابن الاشتر لاأمير المؤمنين والله لك اليوم وماهو الاالموت ،فمت كريما فقال ياابا النعمان انما هو انا او أنت فتقدم للموت قال ابن الاشعث اذا والله افعل ثم قال مصعب رحم الله ابا بحر (الاحنف) ان كان ليحذرنى أهل العراق ويقولهم كلمة مس تريد كل يوم بعلاوهم يريدون كل يوم اميرا ، ثم باتوا ليلتهم واصبحوا فاذا القوم الذين كان يتهمهم ابن الاشعث قد ساروا تلك الليلة فلحقوا بعبد الملك فقال لمصعب كيف رأيت رأيى ثم زحف بعضهم الى بعض فاعتزلت ربيعة ـ ولما تدانى العسكران ارسل عبد الملك الى مصعب رجلا من كلب (لان ام مصعب كلبية) وقال له قل له يدع دعائه لاخيه وادع دعائي لنفسى ويجعل الامر شورى فقال مصعب قل له السيف بيننا

فقدم اخاه محمد بن مروان وقدم مصعب ابرهيم بن الاشتر فازال محمدا عن موضعه ،ثم امد مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فقال ابرهيم انا لله وانا اليه راجعون ، فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك

وبايعه وصبر ابن الاشتر حتى قتل وحمل رأسه الى عبد الملك ـ وتقدم مصعب فقاتل أهل الشام مستميتا فدنا منه محمد بن مروان وناداه انا ابن عمك محمد بن مروان فاقبل امان أمير المؤمنين ،فقال أمير المؤمنين ممكة(يعني اخاه عبد الله .قال فأن القوم خاذلوك فلم يقبل ، فنادى محمد عيسى بن مصعب فقال له انى لك ولا بيك من الناصحين ولكما الامان فرجع الى ابيه فاخبره ،فقال ان أحببت ان تاتيهم فافعل فقال له بالبت الحق بالبصرة فانهم على الطاعة او الحق بامير المؤمنين ،فقال لاتحدث قريش انى فررت ،وقال لابنه عيسى تقدم اذن احتسبك فتقدم فقتل وحمل مصعب على الناس مرتين فانفرجوا له وبذل عبد الملك الامان له وقال يعز على ان تقتل فاقبل أماني ولك حكمك فى المال والعمل فابى ودخل سرادقه وتحنط وخرج فقاتل ودعاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان الى المبارزة فاستعظم وشتمه وحمل عليه وتضاربا حتى ضعف مصعب وحمل عليه بن ظبيان فضربه من ورائه بالسيف فخر صريعا فنزل واجهز عليه واحتز رأسه

واتى به عبد الملك فلما رآه سجد ولكنه حزن حزنا شديدا وقال: وددت أنه قبل الصلح وانى قاسمته مالى ،ثم أمر لابن ظبيان بألف دينار فقال لم اقتله على طاعتك وانما قتله على قتل أخى

بهذا انتهت حياة مصعب وكان قتله للنصف من جمادى الاولى سنة ٧٢ وبقتله أخذ أمر اخيه عبد الله فى ادباره ،وكان عمر مصعب يوم قتل ٣٦ سنة

وقد استأمن من بقي من جند مصعب الى عبد الملك فأمنهم

وبايعوه ثم سار حتى دخل الكوفة وأقام بالخيلة اربعين يوما وخطب فوعد المحسن وتوعد المسيء ودعا الناس الى البيعة فبايعوه ثم استعمل العمال ولم يقف لاحد شرط له اصبهان ، وسار الى الشام وحمل معه رأس مصعب وارسله الى أخيه بمصر فأعاده الى الشام فنصب بدمشق

بيعة المهلب - كان المهلب يحارب الازارقة بفارس كما تقدم من قواد ابن الزبير فبلغ الخوارج قتل مصعب فصاحوا باصحاب المهلب ماقولكم في مصعب فقالوا امير هدى ، قالوا فما قولكم في عبد الملك ، قالوا ذاك ابن الامين ، قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا وستجعلون غدا عبد الملك امامكم فلما كان الغد سمع المهلب واصحابه قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك ، فصاح بهم الخوارج ياأعداء الله ماتقولون في مصعب فقالوا لانخبركم قالوا وما قولكم في عبد الملك ، قالوا خليفتنا فشرع الخوارج يسلقونهم بالسنة حداد ويجبونهم ويعيبونهم على ذبذبتهم ونفاقهم وعدم ثباتهم على مبدأ — ولكن شيئا من ذلك لم يؤثر في نفوسهم ، بل انتهى الامر الى عبد الملك وبايعه أهل فارس كما بايعه أهل العراق

ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر أخيه خطب في الناس متجلدا مترحما ثم قال الا وان اهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فان يقتل فهو والله مانموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص

أمر بن خازم بخراسان

لما مات يزيد الثالث الناس بخراسان على سلم بن زياد كما التاثوا على اخيه عبيد الله بالبصرة، فشخص عن خراسان واتي عبد الله بن الزبير فاغرمه وحبسه، فلم يزل حتى حوصر ابن الزبير فنقب السجن وصار الى الحجاج ثم صار الى عبد الملك، فقالوا له لو اقمت بمكة ما كان لها والٍ غيرك، وولاه خراسان فلما قدم البصرة مات بها .

وكان سلم قد عهد الى عبد الله بن خازم السلمي بولاية خراسان واعانه بمال فارسل سليمان بن مرثد الى بن خازم: ان العهد الذي معك لو استطاع صاحبه ان يقيم بخراسان لم يخرج عنها ويوجهك، فاتفقا علي ان يكتبا لابن الزبير فايهما أمره فهو الامير فولى ابن الزبير عبد الله فابى سليمان ذلك وقال ان ابن الزبير ليس بخليفة وانما هو رجل عائذ بالبيت فحاربه ابن خازن وقتله وقتل كل من انتصر اليه بعد ذلك، غير ان الترك انتهزوا فرصة هذه الحروب الداخلية وأغاروا على تلك النواحي حتى بلغوا نيسابور، ثم ان بنى تميم هنالك اجتمعوا وخلعوا ابن خازم فوجه ثقله مع ابنه موسي الى الترمذ وبعد ذلك ورد كتاب عبد الملك بولاية ابن خازم على خراسان فاطلع رسوله الكتاب وقال ما كنت لاتى الله وقد نكثت بيعة ابن حواري رسول الله وبايعت ابن طريده، فكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح بولاية خراسان فخاف بن خازم أن يأتيه وهو في اهل مرو الذين بايعوا عبد الملك ومضى يريد ابنه في ترمذ فقتل وقتل معه ابناه وطهمان مولاه واتى برأسه الى بكير فارسله الى عبد الملك فنصبه بدمشق

وغضب قوم لابن خازم ووقع الاختلاف في خراسان فكتب خيارهم

ووجوههم الى عبد الملك فولي على خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فغضب بكير وانصرف الي مرو ودعا الناس الى خلع أمية فاجابوه فقصده أمية ثم صالحه ثم قتله حينما بلغه أنه يريد خلعه بعد ذلك

ولما تولي الحجاج العراقين ولي المهلب بن أبي صفرة الازدي كما سلف فغزا مغازي كثيرة وفتح الخزل وخجنده وادت الية السند الاثاره وغزا كسن ونسف ورجع فمات وكان قد استخلف ابنه يزيد كما سلف فاقره الحجاج ثم عزله وولى اخاه المفضل ففتح باذغيس وقد انتقضت

أما موسى بن خازم فاقام بترمذ فلم يزل بها حتى اتفق صاحبها مع الترك فاعانوه لكن موسى انتصر عليهم وظل صاحب الامر فى ترمذ وما وراء النهر مدة سنين وحارب العرب من هذه الجهة والترك من تلك الجهة

فلما تولي المفضل حاصر موسى فخرج من المدينة وعثر به فرسه فسقط فوثب عليه أحد عمال المفضل فقتله وقتل جماعة ممن معه سنه ٨٥ وتولى ترمذ مدرك بن المهلب ثم ولى الحجاج على خراسان قتيبة بن مسلم فكان بطل الفتح فى تلك النواحى ايام الوليد على ماسيجيء

(مقتل ابن الزبير)

لما قتل عبد الملك مصعبا واتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي فى ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير فسار في جمادي الاولى سنة ٧٢ ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير ايضا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير وتعود خيل الحجاج بالظفر — فكتب الى عبد الملك

يستأذنه فى دخول الحرم وحصر ابن الزبير ، ويخبره بضعفه وتفرق اصحابه، ويستمده، فكتب عبد الملك الى طارق يامره باللحاق بالحجاج فدخل المدينة واخرج عامل ابن الزبير منها ثم لحق بابن الزبير فى خمسة آلاف ودخل فى سلخ ذى الحجة وكان الحجاج قد سبقه اليها فى ذى القعدة ولما حضر ابن الزبير نصب المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة لان ابن الزبير تحصن بالمسجد الحرام ،وكان عبد الملك ينكر ذلك ايام يزيد ثم امر به، ونصح ابن عمر للحجاج بالكف حتى يؤدى الناس فريضة الله فكف حتى عاد الناس من عرفه وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعى، فلما فرغوا نادي منادى الحجاج انصرفوا الى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير

وجاء قوم من الاعراب فقالوا لابن الزبير قدمنا للقتال معك فقال لهم انكم لقتال في الجدب اعداء فى الخصب فتفرقوا عنه واستمر القتال واشتد الحصار فغلت الاسعار عند ابن الزبير واصحاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها فى اصحابه وان بيوته لمملوءة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه الا مايمسك الرمق ويقول انفس اصحابى قوية مالم يفن ،فتفرق الناس عنه وخرجوا الى الحجاج بالامان ،خرج من عنده عشرة آلاف فيهم ابناء حمزه وخبيب اخذا لانفسهما امانا فاشار على ابنه الزبيران يفعل مافعل اخواه فابى وقاتل أبيه حتى قتل

ولما تفرق اصحاب ابن الزبير عنه اعلم الحجاج اصحابه ماابن الزبير فيه من الضعف والجهد فتقدموا فملئوا مابين الحجون الى الابواء

وعند ذلك دخل ابن الزبير على أمه وقال قد خذلنى الناس ، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق والیه تدعو ، فامض له فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد أنت ، اهلكت نفسك ومن قتل معك ، وأن قلت كنت على حق فلما وهن اصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل الدين ، كم خلودك فى الدنيا ، القتل احسن — فقال يا اماه أخاف ان قتلنى اهل الشام ان يمثلوا بى ويصلبونى ، فقالت يابنى ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله — فقبل رأسها وقال هذا رأيى وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ثم ودعها وحمل على أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو واصحابه ودنا أهل الشام حتى امتلأت الابواب والحجاج بسوقهم فحملوا على صاحب راية ابن الزبير فقتلوه فحمل ابن الزبير فردهم الى الحجون وهنالك ضرب ضربة في وجهه ارعش لها ودمى وجهه وقاتلهم قتالا شديدا غير ان القوم تعاودوا عليه فقتلوه وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج — فسجد ، ولما قتل كبر أهل الشام فرحا بقتله ، فقال ابن عمر لقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله ، ثم ارسل الحجاج الرأس الى عبد الملك ومعه رءوس جماعة من أعوانه واخذ الجثة فنصبها على الثنية اليمنى بالحجون ثم اذن لامه فدفنته بعد حين — وبعد قتل ابن الزبير

(١) فرأخوه الى الشام هاربا من الحجاج فدخل على عبد الملك

وسلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام واجاره ورحب به وعانقه وأظهر اكرامه واجلسه معه على السرير فاقام عنده الى ان كتب الحجاج بأن أموال ابن الزبير عند اخيه عروة، فرده الى لاستخرجها منه فاراد عبد الملك ان يرسل به فقال عروة يابنى مروان ماذل من قتلتموه بل ذل من ملكتموه ؛فتذمم عبد الملك وخلى سبيل عروة ،وكتب الى الحجاج الهعن عروة فلن اسلطك عليه

(٢) كتب ابن عمر الى عبد الملك ببيعته

(٣ وكتب ابن الحنفية اليه بذلك ايضا فكتب الى الحجاج ينهاه عن التعرض له ثم اقام الحجاج بمكة حتى اقام للناس الحج ،وامر بالكعبة فنقضت واعاد بناءها ثم سار الى المدينة فاساء الى اهلها وختم ايدى جماعة من اصحابه بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة ثم عاد الى مكة فلم يزل بالحجاز الى ان ولاه عبد الملك العراقين حين اشتد امر الخوارج سنة ٧٥

هذا وبقتل ابن الزبير سنة ٧٢ اجمع المسلمون على عبد الملك وكانت خلافة ابن الزبير تسع سنين

ومهما يكن من ان الحجاج حقق رغبات عبد الملك في القضاء على منافسه فانه بالغ كثيرا فى القسوة على أهل الحرمين وبخاصة اهل المدينة لانهم أول من خرج على الامويه ، واستقل بالتصرف في جزيرة العرب على هذا النحو من العسف حتى انكسرت نفوس أهلها وعادت الى خمول الذكر وذهبت شهرة العرب وعاد سكان الحجاز ونجد الى ما كانوا عليه قبل الاسلام من العزلة والانقباض عن الانتظام فى الجيوش الاسلامية والانقطاع الى طلب العيش على نحو ما كانوا يكابدون أيام الجاهلية

امر الخوارج

لم تنقطع حركات الخوارج منذ ايام التحكيم فكلما لاحت لهم فرصة ثاروا وكانت ثورتهم تشتد او تخف بحسب احوال بني أمية، فلما حصلت الاضطرابات والفتن بموت يزيد طغى سيلهم الجارف على بلاد العراقين وفارس وبلاد العرب ماعدا الحجاز وتهددوا دولة عبد الملك في خلافته حتى قام الحجاج والمهلب من رجاله بالقضاء عليهم

هذا وقد كان لزياد مع الخوارج سياسة فانه حرض عليهم قبائلهم وانذرهم وقال الا ينهى كل قوم سفهاءهم فكانت القبائل اذا أحست بخارجي فيهم اوثقوه واتوا به زيادا فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله ولزياد أخرى في الخوارج أنه اتي بأمرأة منهم فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء الا بعد زياد، وكن اذا ارغمن على الخروج قلن لولا الضرورة لخرجنا، اما عبيد الله بن زياد فكان عليهم اشد من أبيه اذ كان يحبسهم ويقتلهم بالظنة، كان يقول اقمع النفاق قبل ان ينجم، لكلام هؤلاء اسرع الى القلوب من النار، وكان لا يدع بالبصرة احدا ممن يتهم برأي الخوارج الا قتله حتى قتل بالتهمة والظنة تسعمائة

وكان ابو بلال مرداس الحنظلي تعظمه الخوارج، شهد مع علي صفين ثم انكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا، ثم ظفر به ابن زياد فحبسه فلما اطلق عزم على الخروج وقال لاصحابه أما والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم فولوه امرهم وخرج الى جهات رامهرمز واربجان فربما لابن زياد فأخذ منه عطاءه واعطيات اصحابه فقط وترك الباقي فجهز اليه ابن زياد جيشا جالدهم حتى اذا كان يوم الجمعة طلب ابو بلال المواداعة حتى يصلوا فوادعوهم فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم وهو بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد وقتل ابو بلال وارسلت رأسه الى ابن زياد ثم كتب ابن زياد الى عامله بالبصرة الا يدع احدا يعرف بهذا الرأي الا حبسه، وجد في طلب من تغيب، ففعل وقدم ابن زياد فقتل من السجن جميعا وطلب الكفلاء بمن كملوا به منهم فكل من جاء بصاحبه اطلقه

وقتل الخارجي ، ومن لم يأت بمن يكفل به منهم قتله و كان لا يلبث الخوارج يحبسهم ثلثة ويقتلهم تارة ويمثل بهم أفظع تمثيل ولا يتغافل عن واحد منهم بذلك لانه كان قد اطلقهم من حبس أبية فخرجوا عليه ، فاما ابوه زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة

هذا وما زال الخوارج يخرجون على ولاة بني أمية جادين مثابرين مضحين بانفسهم في سبيل مبادئهم (لا حكم الا لله) حتى انتهى أمرهم الى الازارقة ، وكانوا على رأي واحد لا يختلفون الا في الشواذ ثم افترقوا فصاروا اباضية وصفرية وبيهسية. وازارقة . ولولا اختلافهم لنهضوا على دولة بني أمية

وكان اول امرهم قبل الاختلاف ان جماعة منهم ، وفيهم نجدة بن عامر الحنفي عزموا على قصد مكة (لما توجه مسلم بن عقبة المري يريد المدينة لوقعة الحرة) دفاعا عن حرم الله ورغبته في امتحان ابن الزبير فان كان على رأيهم بايعوه فلما جاءوه اظهر انه على رأيهم ، فأقاموا معه يقاتلون أهل الشام فلما جاء نعي يزيد انصرفت العساكر ، وكشفوا عن رأي ابن الزبير فصرح بمخالفتهم فبرئوا منه فبرئ منهم ففارقوه ، واقبل نافع بن الازرق الحنفي وعبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض وحنظلة بن بيهس وغيرهم وكلهم من تميم حتى اتوا البصرة وطاق ابو طالوت وابوا فديك وغيرهما الى اليمامة فوثبوا بها مع ابي طالوت ثم مالوا الى نجدة ابن عامر ، وبذلك صار الخوارج اربع فرق : ازارقة ، ونجدية واباضية وصفرية

فلما جاء نافع الى البصرة امروه عليهم ثم استقر رأيهم (حين مات يزيد وبايع اهل البصرة ابن زياد) ان يخرجوا الى الاهواز و كان في سجن ابن زياد اذ ذاك اربعمائة منهم فاطلقهم رجاء ان يكونوا من اعوانه على امره بعد ان بويع في العراق فكانوا عليه ، اذا فسدوا بيعته وفشوا في الناس يدعون الى محاربة السلطان ، فلما هرب ابن زياد الى الشام كما سلف اقام نافع بالاهواز يعترض الناس وطرد عمال السلطان وجبى الخراج وفشا عماله في السواد فارتاع لذلك اهل البصرة وفزعوا

الي الاحنف بن قيس و كتبوا الى ابن الزبير يعلمونه الامام لهم ويسئلونه ان يوجه اليهم رجلا من قبله يتولى الامر فوجه اليهم الحرث المخزومي

فاتى البصرة فجرد عليهم جيشا من اهلها فخرج اليهم نافع واقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل نافع أمير اهل البصرة وامر الفريقان واستمر القتال زهاء شهر وكلما قتل امير انتخب امير غيره وفي النهاية انهزم البصريون ورجعت فلولهم الي البصرة فذعر اهلها وخافوا الخوارج واضطروا الى ان يدفعوا اليهم الجباية ثلاثة أشهر ثم وجهوا جيوشهم الى البصرة ليفتحوها فاشار الاحنف علي الوالى بتولية المهلب بن ابى صفرة حربهم (وكان ابن الزبير قد ولاه خراسان) فلم يقبل الا على شروط اجابوه اليها وكتبوا الى ابن الزبير فاقرها — عندذلك اختار المهلب اثنى عشر الفا وقيل عشرين الفا منهم ثمانية آلاف من قومه الازد وسير على مقدمته ابنه فقاتل الخوارج وهم بنهر تستر حتي وفد المهلب فقاتلهم فانكشف فترك قتالهم من الغد وخندق وازكي العيون وأقام الحرس ثم بعض من الغد فى تعبئته وقاتل القوم فانهزم أيضا غير أنه كر كرة شديدة وحمل جنوده حملة صادقة أزالوا بها الخوارج عن مواقفهم وقتلوا رئيسهم وكثيرا منهم فانكفأ الباقون فارين الي كرمان وناحية اصبهان وهنالك استخلفوا عليهم أما المهلب فاقام بالاهواز حتى ولى ابن الزبير أخاه مصعبا على البصرة فولى المهلب عملا آخر وعزله عن حرب الخوارج .

« علاقة نجدة وابي فديك بعبد الملك »

رأى الخوارج باليمامة أن نجدة خيرا لهم من أبي طالوت فحالفوه وبايعوا نجدة فقادهم الى محاربة مخالفيهم من أهل البحرين ، وسار الى القطيف وهزم عبد القيس وسالمته الازد — فأرسل اليه مصعب جيشا فهزمه نجدة ، وعندئذ أغار على بنى تميم بكاظمة ، ثم سار الى اليمن فبايعه اهل صنعاء . وارسل أبا فديك الى حضرموت فاخذ صدقاتهم ثم سار نجدة الى مكة فادي الفريضة وقصد


أرض العراقين والجزيرة
لبيان بعض الاماكن التي ترد في الفتح الاسلامي
وتتمة الشيخ محمد الذي مدد الجمع الفاضل والعالم بدر العلوم
ارض
بحر فارس
خوزستان
فارس
الجبال والعراق
ماذية الشام
الجزيرة
الفرات
دجلة
بغداد
الكوفة
البصرة
القادسية
الحيرة
الانبار
الموصل
نصيبين
ماردين
الرها
حران
الرقة
حلب
منبج
حماه
حمص
دمشق
تدمر
الفرضين
بصرى
آمل
طبرستان
الري
قزوين
همذان
ساوة
اصبهان
سلوان
قرميسين
الدسكرة
النهروان
مدائن كسرى
سوس
جندي سابور
رامهرمز
الاهواز
أرجان
الاثلة
الحفير
كاظمة
الخليج
الفرات
دجلة

المدينة فذهب أهلها لقتاله فرجع الى الطائف فجاءه عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه وبعد ان ولى الولاة على تلك النواحي عاد الى البحرين وقطع الميرة عن الحرمين حتي كتب اليه ابن عباس فخلاها .

ثم كاتبه عبد الملك فى الطاعة على ان يوليه اليمامة ويهدر له ماأصاب من من الدماء فاتبعه أصحابه فى هذه المكاتبة وتقموا عليه أمثالها وانحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك . فاستخفى نجدة واجمع المسير الى عبد الملك وهرب الى اخواله من تميم، فألح أبو فديك فى طلبه حتي علم موضعه وأرسل اليه من قتله .

وكان من أمر فديك بعد قليل أن ارسل اليه عبد الملك جيشا بعد أن ملك العراق فقتلوه وحصروا أصحابه بالمشقر حتي نزلوا على الحكم فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك سنة ٧٣ .

عود ـ ولما تولى مصعب البصرة سنة ٦٨ كان المهلب في حرب الازارقة كما سلف فاراد ان يوليه الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك فاستقدمه وولى عمر بن عبد الله بن معمر حرب الخوارج الذين كانوا قد عادوا الى فارس ونزلوا اصطخر فحاربوا عمر وحاربهم وقتل منهم سبعين فانهزموا الى نيسابور فتبعهم عمر فعادوا الى اصبهان ثم فروا الي فارس وأتوا الاهواز فاصد بن العراق وعمر في أثرهم فاستعد مصعب لقائهم فحولوا وجهتهم الى المدائن . فاستعد لهم عمال تلك النواحي فلم يجدوا بدا من الفرار فارتدوا الى الري والجنود فى أثرهم ثم فروا الى اصبهان فقوتلوا حتى انهزموا وقتل رئيسهم قولوا قطرى بن الفجاءة المازنى فقادهم الى كرمان ثم عاد الى أصبهان فامتنعت عليه فقصد الاهواز وحط رحاله بها

وعند ذلك اضطر مصعب الى استدعاء المهلب لمقاتلتهم فتولي حربهم عمانية

أشهر متوالية حتى قتل مصعب واستولى عبد الملك على العراق فولى المهلب خراج الاهواز وقتال الخوارج وامده بالرجال فزحف اليهم فهال الخوارج كثرتهم غير ان اهل البصرة لم يلبثوا أن فروا الى مدينتهم وكذلك صنع أهل الكوفة وتركوا المهلب فى عدد قليل

ثم أن عبد الملك ولى الحجاج العراقين سنة ٧٥ فخطب بالكوفة خطبته المعروفة وكان منها وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم الي مصركم عاصين مخالفين وايم الله لاأجد أحدا من عسكره بعد ثلاث الا ضربت عنقه وانتهبت داره ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب وأتونى بالبراءة بموافاتهم فلم يتاخر أحد ولحقوا بالمهلب وهو بر امهرمز فقال المهلب . قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم فوتل العدو وشرع اذ ذاك بمناهضة الخوارج وهو ممتلىء ثقة بالقضاء عليهم ثم قتل اميرعسكر الكوفة فارسل الحجاج عليهم عتاب ابن ورقاء وأمره بطاعة المهلب وكان فى نفسه من المهلب شىء فلما اطلع الحجاج على مابينهما استدعى عتابا فجعل المهلب ابنه حبيبا على جيش عتاب واقاما يقاتلان الخوارج

الحجاج والصفرية

خرج ضالع بن مسرح التميمى وكان رجلا عابدا صالحا ولكنه كان يحط على الخليفتين عثمان وعلى كهيئة الخوارج ؛ وكان مسكنه الموصل والجزيرة وله اصحاب يقرئهم القرآن ويعلمهم الفقه فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين فاجابوه وجاءه كتاب من شبيب بن يزيد الشيبانى يحثه على الخروج فكتب اليه انه لم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فاقبل الى فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى الامور دونه فخرج شبيب نفر من أصحابه ولقي صالحا بدارا فقال له اخرج بنا رحمك الله وبث رسله و واعدهم هلال صفر سنة ٧٦ فاجابوه واجتمعوا عنده فى الميعاد فامرهم بالدعاء قبل القتال وخيرهم

فى الدماء والاموال فخرجوا وعرضت لهم دواب لمحمد بن مروان عامل عبد الملك على الجزيرة فاستحلوها وحملوا عليها أصحابهم فبعث اليهم محمد جيشا عليه عدي ابن عدي الكندى وكان ناسكا ، فكره حروبهم ولكنه خرج من حران اليهم وارسل اليهم رسولا بمغادرة البلاد فحبسوا الرسول وطلعوا عليه وهو على غير تعبئة فانهزم واحتوي الخوارج علي معسكره ومضوا الى آمد.

فسرح اليهم محمد الذين واعتصموا بخنادقهم فتركهم الخوارج وقطعوا أرض الجزيرة والموصل الى الدسكرة بنواحى نهر الملك من غربى بغداد : فسرح اليهم الحجاج ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فانهزم الخوارج وقتل صالح

﴿ أمر شبيب ﴾

ولما أصبح شبيب نادى فى القوم بايعوا من شئتم من اصحابكم واخرجوا بنا اليهم فبايعوا وخرجوا فوقع لهم مع الحجاج وقواده حروب كثيرة كان أكثرها لشبيب حتي لقد دخل الكوفة سنة ٧٦ ومعه امرأته غزاله التى كانت تدخل مع زوجها فى الحروب وربما قصدت الحجاج فرب منها فهابه بعض الناس بقوله :

اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الي غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحي طائر

والمعروف ان الحجاج بعث الى شبيب خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم قاتل الحجاج وحاصره وكسره غير مرة وكانت اكثر وقائعه في الدسكرة والمدائن ودارا وخانقين وتكريت والكوفة والقادسية وساباط والانبار وكان كلما انتصر دعا المنهزمين الى بيعته فيبايعونه حتى حار الحجاج فى أمره

ووالى قتاله حتي استولي الاعياء على الطائفتين معا ،ويئس شبيب فقصد الاهواز ثم فارس ثم كرمان ليستريح هو ومن معه — وعند ذلك اخذ الحجاج بعد العدة للقضاء عليه،فلما تم له ذلك استمد عبد الملك وعرفه وعجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فأمده بجيش من أهل الشام عليه سفيان الكلبي فسرحه الحجاج وكتب الي عامل البصرة ان يبعث أربعة آلاف من جند البصرة الى سفيان ففعل وكان شبيب بعدان استجم بكرمان أقبل راجعا فلقي سفيان بالاهواز فحمل عليهم شبيب واصحابه أكثر من ثلاثين حملة واوقع بأهل الشام من الضرب والطعن مالم يروا مثله وانهزموا علي أن يصبحوهم وقطعوا دجيل الاهواز ،فلما أصبح شبيب جاء ليعبر هذا النهير ، وبيناهو على الجسر « وكان من سفن مترابطة » نزا حصانه على فرس فاضطرب الجسر تحته فنزلت قدم الحصان وهو على حرف سفينة فسقط به في الماء ففرق وهو يقول وكان أمر الله مفعولا،ذلك تقدير العزيز العليم .فلم يعلم به أمير أهل الشام الا من صاحب الجسر ، ذهب الي سفيان وهو يريد الانصراف باصحابه وقال ان رجلا من الخوارج سقط فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ومروا وتركوا عسكرهم ، فكبر سفيان واصحابه وركب الى الجسر وبعث الى عسكرهم فحوي مافيه ثم استخرجوا شبيبا من الماء فشقوا جوفه واخرجوا قلبه وكان صلبا كأنه صخرة

خروج مُطَرِّف بن المغيرة

كان بنو المغيرة بن شعبة صلحاء اشرافا بانفسهم مع شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم . فلما قدم الحجاج علم أنهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همدان وكانوا في أعمالهم احسن الناس سيرة وأشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن ايام شبيب فبعث الى شبيب

يطلب اليه ان يرسل بعض صحابته لينظر فيما يدعون اليه فقالوا ندعوا الى كتاب الله وسنة رسوله . وانا نقمنا علي قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال مطرف : دعوتم الي حق وما نقمتم الا جورا ظاهرا وأنا لكم متابع فبايعونى علي ما أدعوكم اليه ليجتمع أمري وأمركم بايعونى على قتال هؤلاء الظلمة باحداثهم وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة وعلي الشوري كما تركها عمر حتى يولى المسلمين من يرضونه فلم يقبلوا منه وليثوا أربعة أيام يتناظرون فى ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده ثم دعا مطرف اصحابه واخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب وان رأيه خلع عبد الملك والحجاج ، فوجموا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زياد مولي ابيه: لن يخفي على الحجاج شيء مما وقع ولو كنت فى السحاب لاستنزلك فالنجاء بنفسك ووافقه اصحابه فسار مطرف عن المدائن الى الجبال ولما كان فى بعض الطريق دعا أصحابه الي الخلع والدعاء الي الكتاب والسنة وان يكون الامر شوري فرجع بعض اصحابه الى الحجاج وسار مطرف ومر بحلوان فاعترضه عاملها فاوقع به واثخن فى الاكراد ومال عن همذان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمده بمال وسلاح فأمده سرا وسار الي قم وقاشان فبعث عماله فى نواحيها وبعث عدى بن زياد الايادى عامل الري الى الحجاج فأمده وكتب الحجاج الى صاحب شرطة حمزة ان يقبض على حمزة ويولى مكانه فقرأه كتاب الحجاج فقال سمعا وطاعة فقبض عليه وأودعه السجن ، فلما عدى فسار نحو مطرف واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب مطرف وقتل مطرف جماعة من اصحابه قتله عميرة بن هبيرة الفزارى وحمل رأسة فتقدم بذلك عند بنى أمية ، وقيل يزيد مولى المغيرة وكان صاحب الراية وبذلك انتهي أمر هذا الخارجى الجديد

﴿ بقية خبر المهلب وقطري ﴾

تركنا المهلب وابنه يقاتلان الخوارج، وكانت فارس بيد المهلب وكرمان بيد الخوارج ، فضاق على الخوارج مكانهم لايأتيهم من فارس مادة ، فخرجوا وخرج المهلب فقاتلهم بمدينة كرمان (جيرفت) قتالا شديدا ، وترك له الحجاج بشارة عبد الملك فساوداربجرد واصطخر لكون له معونة على الحرب فلبث يقاتلهم ثمانية عشر شهرا لايقدر منهم على شيء ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ففارق بعضهم قطريا وولوا عبد ربه الكبير واقتتلوا نحوا من شهر فكتب المهلب الى الحجاج بامرهم فكتب اليه وامره ان ينتهز هذه الفرصة ويقاتلهم وهم مختلفون قبل ان يجتمعوا فلم يرالمهلب هذا الرأى ، بل رأي ان يتركهم يقتل بعضهم بعضا وفي ذلك هلاكهم بايديهم من غير ان يراق دم نفر من جنده وان اجتمعوا فانهم يكونوا قد رقوا فيكون امرهم عليه أهون اذ تكرر شوكتهم قد ضعفت فلم يجد الحجاج بدا من موافقة . فظل الخوارج يقتتلون نحو شهر والمهلب مستريح الي مايصفو

اما قطري فخرج بمن تبعه فلحق بطبرستان وعند ذلك انتهز المهلب هذه الفرصة وحصر عبد ربه واصحابه في جيرفت وشدد الحصار عليهم حتى خرجوا من احد ابوبها باموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب ثم دخل المدينة وعاد فتبعهم اربعة فراسخ وقاتلهم فجمع عبد ربه اصحابه وقال لهم هبوا انفسكم لله وبايع جماعة من اصحاب المهلب على الموت وكروا فعظم الخطب وطعن القوم بالرماح حتي تكسرت واضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ثم صاروا الى المعانقة فترجل المهلب في حماته وحمل عليهم وهو يتلو (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله) فلم يزل حتى انزل الله نصره عليه وهزم الخوارج وقتل

عبد ربه وكثيرا من اصحابه ولم ينج منهم الا ضعفاؤهم فدخلوا في عسكر المهلب وانضم كل رجل منهم الى عشيرته من أصحاب المهلب

﴿ وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة ﴾

ولما انتصر على الازارقة بعث مالك بن بشير الى الحجاج فلما ورد عليه قال كيف تركت المهلب ؟ قال ادرك ما أمل وامن من خاف ، قال كيف هو بجنده؟ قال والد رءوف قال فكيف جنده له؟ قال اولاد بررة ، قال كيف رضاهم عنه ؟ قال وسعهم بالفضل واقنعهم بالعدل قال ، فكيف تصنعون أذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقوننا بجدهم فيطمعون فينا قال كذلك الجد أذا لقي الجد قال فما حال قطري قال كادنا لبعض ما كدناه ، قال فلما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه ، قال فاخبرني عن ولد المهلب . قال اعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار . قال أيهم أفضل قال قال ذلك الى ابيهم . قال لتقولن . قال هم كحلقة مفرغة لا يعرف طرفاها . قال أقسمت عليك هل روأت في هذا الكلام . قال ما أطلع الله على غيبه احدا فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره ان يولي كرمان من يثق اليه ويقدم . فولاها ابنه يزيد وقدم على الحجاج فاكرمه واجلسه الي جانبه وقال ياأهل العراق أنتم عبيد المهلب وأمر له بالجوائز والصلات . ولولده وكانوا سبعة : المغيرة وحبيب ويزيد والمفضل ومدرك ومحمد وعبد الملك وعبد الله . وأكرم اصحاب المهلب وأقام المهلب عنده حتى وافاه عهده من عبد الملك بولاية خراسان فسار اليها ومكث خمس سنين ثم مات بها وكان قد استخلف في مرضه ابنه يزيد فجعل عبد الملك أمر خراسان للحجاج فاقر يزيد عليها

﴿ مقتل قطري ﴾

وأما ما كان من أمر قطري فان الحجاج ارسل الى سفيان الكلبي في جيش عظيم فاجتمع باسحق بن محمد بن الاشعث في اهل الكوفة هنالك والقوا الخوارج في شعب من شعاب طبرستان وقاتلوهم فافترقوا عن قطري ووقع عن دابته فتدهده الى أسفل الشعب . ومر به علج فاستقاه على ان يعطيه سلاحه فصعد الى أعلى الشعب وحدر عليه حجرا من فوق الشعب فاصابه في رأسه فأوهنه ونادى في الناس فجاء في أولهم اهل الكوفة فقتلوه وحملوا رأسه الى اسحق فبعث به الحجاج الي عبد الملك وهلك قطري بعد أن حارب المهلب سنين وسلم عليه بأمير المؤمنين .

وأما سفيان فأحاط بالخوارج وحصرهم حتي أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه مستميتين فقتلهم أجمعين وبعث برؤوسهم الى الحجاج ودخل طبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج .

قال بعض العلماء — وانقرضت الازارقة بعد قطري وعبيدة بن هلال آخر رؤسائهم — وأولهم نافع بن الازرق واتصل أمرهم بضعا وعشرين سنة الى أن افترقوا سنة ٧٧ فلم تظهر لهم جماعة الى رأس المائة

﴿ حديث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ﴾

كان الحجاج قد جهز لغزو سجستان عشرين الفا من فرسان الكوفة وعشرين الفا من اهل البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة وأنجدهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل وبعث عليهم عبد الرحمن هذا وكان يبغضه ويريد قتله ويخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا ازيله عن سلطانه وأشير على الحجاج الا يبعثه خشية خلافه فقال هو أهيب لى من أن يخالف أمري فسار عبد الرحمن ودخل

سجستان وحواها شيئا فشيئا وبعث عماله عليها وأخذ منها الحصون والغنائم ومنع من التوغل فى البلاد الى قابل وكتب الى الحجاج بذلك فكتب اليه يوبخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضى لما امره به من هدم حصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانيا وثالثا وقال له ان مضيت وإلا فأخوك اسحق أمير الناس: فجمع عبد الرحمن الناس وردالرأى عليهم وقال أنا رجل منكم امضى اذا مضيتم وآبي اذا أبيتم فثار الناس وقالوا لانسمع ولا نطيع للحجاج وتكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة فقال اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فتنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا . ولم يذكروا عبد الملك . فصالح عبد الرحمن صاحب سجستان علي أنه ان ظهر فلا خراج عليه مابقى وان هزم منعه ممن يريده ثم ولى على بست وعلي زرنج وسار الى العراق فى جموعه وأعشى همدان بين يديه يجري يمدحه وذم الحجاج وكان ذلك سنه ٨١ — فلما وصل الى فارس بدا للناس فى أمر عبد الملك وقالوا اذا خلعنا الحجاج فقد خلعنا عبد الملك واجتمعوا على عبد الرحمن وبايعوه على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمخلين وخلعهم .. فكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده وكتب المهلب الى الحجاج بألا يعترض أهل العراق حتي يسقطوا الى اهليهم . فاتهمه . وجند عبد الملك الجند الي الحجاج فساروا اليه متتابعين أسار الحجاج من البصرة فنزل تستر ولما التقى الجمعان انهزم الحجاج وعادفتبعه عبد الرحمن حتي دخل البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها (لان الحجاج كان قد اشتد عليهم فى الخراج) علي حرب الحجاج وخلع عبد الملك ثم اشتد القتال بينهم فى المحرم سنة ٨٢ فانهزم جند الحجاج اولا ولكن سفيان الكلبى حمل بأهل الشام على ميمنه عبد الرحمن فهزمها ولحق عبد الرحمن بالكوفة ، غيران عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحرث بن عبد المطلب اجتمع عليه من بقى من اهل البصرة وبايعوه فقاتل

بهم الحجاج خمس ليال اشد قتال ثم لحق بابن الاشعث بالكوفة وقد استقر بها وملكها من خليفة الحجاج عليها فرجع الحجاج الى الكوفة ونزل دير قره ونزل ابن الاشعث دير الجماجم وهما متقابلان (والاول ملاصق لطرف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة) واجتمع الي كل واحد منهما امداده وخندق على نفسه وبعث عبد الملك ابنه عبدالله واخاه محمدا في جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج ويجري عليهم اعطياتهم كاهل الشام وينزل عبدالرحمن الي اي بلد شاء عاملا لعبد الملك فوجم الحجاج وكتب اليه ان هذا مما يزيدهم جرأة فأبي، وتشاور اهل العراق بينهم وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك وان العزة لهم على عبد الملك لانزول فتواثبوا منكرين مجددين الخلع ثم برزوا للقتال واقاموا يتزاحفون ويقتتلون بقية سنتهم ثم اقتتلوا في منتصف جمادى الاخرة فانهزم عبد الرحمن واصحابه الى البصرة وعاد الحجاج الى الكوفة وعاد اهل الشام الى بلادهم ثم اجتمع على عبد الرحمن خلق كثير بايعوه على الموت وخرج فنزل مسكن (على نهر دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت) وظلوا يقتتلون حتى انهزم عبد الرحمن ايضا ، وكان الغرق من جنده اكثر من القتلى ، فسار الى سجستان واتبعه الحجاج بالعساكر فادركوه بالسوس فانهزم الى كرمان وانتهى الى بست واجتمع المنهزمون وارادوا قصد خرسان وكتبوا الي عبدالرحمن فثناهم عن قصدهم مخافة ان يسطوا عليهم يزيد بن المهلب وان يجتمع عليهم أهل خراسان فابوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا، فسار معهم الي هراة ثم الي خرسان فامره ابن المهلب بالرحلة من البلاد فقال انما نزلنا لنستريح ونرتحل ، لكنه أخذ في الجباية فسار اليه ابن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر بن الاشعث بالكف عنهم وغنم ما في عسكرهم وأسر جماعة منهم ولحق عبد الرحمن بهراة وانصرف ابن المهلب الى فرو وبعث بالاسري الي الحجاج فوفدوا عليه بمكان واسط قبل بنائها فقتل كثيرا من زعمائهم ثم انصرف ابن الاشعث صاحب سجستان فتابع الحجاج الكتب اليه يرهبه

ويرغبه فقبض على عبد الرحمن وقتله وأرسل رأسه الى الحجاج وقيل أنه مات بالسل ثم قطع رأسه ،قيل أنه حوصر فألقى نفسه من سطح قصر فمات فاحتز رأسه وسيره الي الحجاج وسيره الحجاج الى عبد الملك وهذا سيره الى عبدالعزيز أخيه بمصر ، وكان ذلك سنة ٨٥ (وانتهت فتنة ابن الاشعث)

قيل أنه خرج معه ثلاثة وثلاثون الف فارس ومائة وعشرون الف راجل فيهم علماء وفقهاء وصالحون وكان بينه وبين الحجاج اربع ثمانون وقعة فى مائة يوم فكان منها ثلاث وثمانون على الحجاج وواحدة له

وكان الحجاج قد أرسل الى ابن الاشعث أيوب بن زيد الهلالى المعروف بابن القرية (وكان من فصحاء العرب وأجوادهم) ليدعوه الى الطاعة وله الامان على ماسلف من ذنبه فانطلق اليه فما زال ابن الاشعث به يخدعه حتي ترك ماأرسل فيه وأقام مع ابن الاشعث حتى هزم فأسر ابن القرية فيمن أسر فأدخل على الحجاج فقال له ياعدو الله بعثتك رسولا الي عبد الرحمن فتركت مابعثت له وصرت وزيرا ومشيرا ، تصدر له الكتب وتسجع له الكلام وتدبر له الامور ، فاعتذر ابن القرية فلم يقبل الحجاج عذره ، ولما أحضر للقتل قال للحجاج أقلنى عثرتي واسقنى ريقي فانه ليس جواد الا له كبوة ولا شجاع الا له هبوة ولا صارم إلا له نبوة ، فقال الحجاج كلا والله لأزيرنك جهنم قال فارحنى فانى أجد حرها فأمر به فضربت عنقه ويقال إن الحجاج هو الذى وضع الحربة فى تندوته ودفعها حتى خالطت جوفه ثم خضخضها وأخرجها فاتبعها دم أسود فقال الحجاج هكذا تشخب أوداج الابل وفحص ابن القرية برجله وأشخص بصره وجعل الحجاج ينظر اليه حتى قضى فحمل فى النطع فقال الحجاج لله درك يابن القرية أي أدب فقدنا منك أي كلام رصين سمعنا منك

ثم تهدد الحجاج أنس بن مالك فكتب من ساعته الى عبد الملك فاستشاط غيظا وكتب الى الحجاج بغلظه وأمره أن يمشي اليه على قدميه حتى يأخذ منه كتابا بالرضا فلم يجد الحجاج بدا من ذلك ، فلما قرأ أنس كتاب عبد الملك قال جزي الله أمير المؤمنين خيرا كذلك كان رجائي فيه

واعلم أن خروج ابن الاشعث وما كان من انتصارات الخوارج وبخاصة شبيبا يدلك على مبلغ سخط بلاد المشرق على عبد الملك وعماله وتحفزهم للوثوب بهم واجابتهم أول ناعق يريد الخروج عليهم وامداد من يرغب فى حربهم سرا وعلانية بالنفس والمال والرجال ، والا فما سبب انتصار الخارجين .

هذا والباحث فى التاريخ يهمه ان يعرف أسباب انتصار الخوارج بصفة خاصة ، ثم اسباب انهزامهم وضعفهم مع ملاحظة أن حركاتهم كانت سياسية فافرجوها بشيء من الدين

فمن اسباب انتصاراتهم قوة شعورهم الدينى بانهم على الحق وان الله ينصرهم كما نصر أهل بدر وهم اذلة ، وهذا هو مايسمي الان بالقوة المعنوية ومادراك أن هذا لم يكن خاصا برجالهم بل كان فى نسائهم أيضا ، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون الى ميادين القتال وهم يرون رأى العين أن أعداءهم أكثر منهم عددا واقوى ثم ماهو الا ان يخرجوا من الميدان منصورين — هذا الشعور ألف بينهم وهم من قبائل شتى وانساهم وأمر العصبية ، واشعل فى قلوبهم نار الغيرة على دين الله ان يمس بسوء وعلى خلافة رسول الله أن يتولاها من لم يكن للمسلمين اختيار ولا شوري فى ولايته عليهم او من يستعمل سلطة وظيفته للاستئثار بما هو حق للمسلمين عامة او فى ايثار نفسه واهله وقرابته بالاعمال مع وجود الاصلح والأمثل من غيرهم وهذا الشعور ايضا مع ما يضم اليه من اقدامهم

الغرب وشجاعتهم النادرة وأنفتهم ان يستكينوا لظلم الظالمين وصبرهم وزهدهم فى الدنيا ورغبتهم فيما عند الله وخفة أثقالهم ومحافظتهم على التقشف والتجافى عن اسباب الترف ـ كل هذه الخصال كانت من عوامل انتصاراتهم فى جميع المواقع تقريبا

اما عوامل ضعفهم فترجع «١» الى أن أكثرهم كانوا لا يعرفون النظام ولا يألفون الطاعة لان جلهم من أهل البادية ومن أجل ذلك كانت تفترق كلمتهم لاقل الطوارئ، واوهن الاسباب، ولو اتفقت كلمتهم لمحوا بنى أمية من الدنيا محوا، ولأزالوا دوله من اقوى دول الارض

(٢) الى آرائهم المتطرفة فقد كفروا جميع المسلمين واوجبوا محاربتهم ومحاربة ولاة الامور عامة وقد كان تشددهم فى الرأي من أهم عوامل انقسامهم كما حصل بين الازارقة

(٣) الى أنهم لم ينشئوا جماعة كالجماعات السرية التى تكون بمثابة القوة المفكرة فى الجسم، تعمل فى الخفاء وفي هدوء، فترسم الخطط وتنظم الوحدة وتحفظ كيانها من ان يتعرض الى الانهيار وسلطانها من أن تتخطفه الاهواء بل كانوا سرعان ما يعلنون أمرهم ولا يبالون بما قد يتخذ ضدهم من التدابير أو يلقى فى سبيلهم من العوائق او يعرضهم الى الاخطار

ولا ننس أن خروج الخوارج كان من أهم الاسباب فى وقف الفتح الاسلامى وتعريض دولة المسلمين الى الزوال، ولو ان الترك او الروم كانوا فى ذلك الوقت اقوياء لكان لهم من خروج الخوارج فرصة ثمينة للقضاء على الدين الاسلامى واهله ودولته ولكن الله سلم وجعل من عبد الملك والمهلب والحجاج قوة كسرت شوكتهم وفرقت كلمتهم وبددت شملهم وأطفأت سراجهم، وقد مهد عبد الملك (بنا ضعفه مع الخوارج) لمن جاء بعده الملك المطمئن، فانه قضى

فى حياته على أسباب الحروب الداخلية والفتن والثورات كما قضي على القوى المعادية لبنى أمية في رفعة الدولة الاسلامية

﴿ وقوع أهل البصرة بالحجاج ﴾

خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة وخطب كما خطب بالكوفة وتوعد على القعود عن المهلب فجاءه بعضهم معتذرا بمرض واحضر عطاءه ليرد لبيت المال فضرب الحجاج عنقه فتتابع الناس مزدحمين الى المهلب ، وسار الحجاج حتى كان بينه وبين المهلب ١٨ فرسخا وأقام يشد ظهره ، ثم اراد قطع الزيادة التى زادها مصعب فى الاعطية فقال له بعضهم انما هى زيادة عبد الملك وقد أجازها اخوه بشر فاقبره الحجاج فقال انى لك ناصح وانه قول من ورائي فمكث الحجاج اشهرا لا يذكر الزيادة ثم اعاد القول فيها فاجتمع الوجوه الى عبد الله بن حكيم المجاشعي وقالوا له انا بنا يبك على اخراجه من العراق وتكتب الى عبد الملك أن يولى علينا غيره والا خلعناه وهو يخافنا مادامت الخوارج فى العراق . فبايعوه سرا وتعاهدوا ، وبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط غيرانهم خرجوا فى ربيع سنة ٧٦ ولم يبق مع الحجاج الا خاصة أهل بيته ، وكان على رايات عبد القيس عبد الله بن الجارود فارسل اليه رسولا يستدعيه ويهدده فرده اقبح رد وزحف فى الناس حتى خشي فسطاط الحجاج ونهبوا متاعه وكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه فاستشار الحجاج فاشار عليه بعضهم بأن يستأمن القوم ويلحق بامير المؤمنين واشار آخر بالثبات ولو كان دونه الموت فقبل الرأى الاخير . وجاءه من يقول قد أخذ لك الامان من الناس فقال والله لا أمنهم حتى تؤتونى بفلان وفلان وطلب الى بعض الرؤساء أن يمنوه فاجابوه فثابت اليه نفسه ، وعبي ابن الجارود أصحابه وحمل على الحجاج وحاصر أصحابه وكاد يظفر غيرانه أصابه سهم غرب فوقع ميتا فانهزم أصحابه فنادي منادى الحجاج بامان الناس الا فلانا وفلانا وأمر

يتبع المنهزمون وأرسل رأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه الى الباب ونصبت ايراها الخوارج ويتأسوا من الاختلاف و كان فيمن قتل عبدالله ابن أنس بن مالك فقال الحجاج ولا أرى أنسا يعين على فلما جاء البصرة نهب ماله فدخل أنس عليه فافحش له الحجاج فى القول فكتب أنس الى عبد الملك فكتب الي الحجاج يشتمه ويغلظ عليه فى التهديد وأمره ان يذهب الى انس فى منزله ويتنصل اليه والا بعث اليه من يضرب ظهره وبينك نسترة فلم يجد الحجاج بدا من ذلك فجاء الى أنس واعتذر له

ولما كان من أمر ابن الجارود ماكان خرج الزنج بالبصرة وجعلوا عليهم شير زنجى «أسد الزنج» وافسدوا وتناولوا الثمار كما حصل منهم أواخر أيام مصعب فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر بتسيير جيش اليهم فانهزم ثم أرسل اليهم جيش آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت الصبرة

﴿ الفتح والغزو ﴾

بعد أن استقل عبدالملك بخلافة المسلمين واصبح لاينازعه فيها منازع واشتد سلطانه واجتمع أكابر المسلمين عليه . وجه عنايته الى الفتح فى بلاد الروم والترك ، ولما كانت تمر عليه سنة لايفتح فيها ولا يغزو ، وكان من اهم ذلك

(١) فى افريقية والمغرب — اشرنا فيما سبق الى امر كسيلة ونعيد هنا ان اكابر المسلمين اجتمعوا الى عبد الملك وسألوه تخليص افريقية ومن بها من المسلمين من يد كسيلة فقال لايصلح لطلب دم عقبة من الروم والبربر الا من هو مثله دينا وعقلا فاجتمع رأيهم على تقديم زهير البلوي وقالوا هذا صاحب عقبة وأعلم الناس بسيرته وتدبيره واولاهم بطلب

دمه، فوجه اليه عبد الملك (وزهير ببرقة) يأمره بالخروج على أعنة الخيل الى افريقية ليستنقذ من في القيروان، فكتب اليه يعرفه بكثرة القوم فامده بالخيل والرجال والاموال وحشد اليه وجوه العرب فاقبل بهم الى افريقية فلما علم كسيلة ارتحل عن القيروان ليصنع حركة التفاف يطوق بها المسلمين فنزل زهير على القيروان ثم خرج الى كسيلة فهزمه وقتله وتبع فلوله الى وادى ملوية بالمغرب ثم عاد الى القيروان وبعد ذلك تركها آمنة ورحل الى المشرق واقام ببرقة فعلم الروم فاغاروا على برقة وسبوا ونهبوا وكانوا فى عدد عظيم فتلقاهم زهير واشراف من معه من العرب فقتلوا وقتل معهم، ففزع المسلمون الى عبد الملك فاخبروه فعظم ذلك عليه لفضل زهير ودينه وكانت مصيبته اعظم من مصيبة عقبة ابن نافع قبله فاجتمع الاشراف وسالوا عبد الملك ان ينظر لافريقية من يسد ثغرها ويصلح امرها فقال لهم ماأرى احد كفوا لافريقية كحسان بن النعمان الازدي وقدمه على عسكر فيه اربعون الفا، اقامه اولا فى مصر عدة لما يحدث ثم كتب اليه بالنهوض واطلق يده في أموال مصر يعطى من معه ومن ورد عليه فسار حتى نزل القيروان وافتتح قرطاجنة وهى دار ملك افريقية ففر بعض أهليها الى صقلية وبعضهم الى الاندلس وانصرف عنها فبادر أهل البوادى ودخلوها فكر عليهم حسان وقتلهم قتلا ذريعا ثم أرسل لمن حواليها فسارعوا اليه خوفا من شدة بأسه فأمرهم بتخريب قرطاجنة حتى صارت كأمس الغابر

ثم بلغه أن الروم والبربر تجمعوا اليه فانقض عليهم حتى بدد

شملهم فى بلاد صطفورة وفر الروم الى باجة وفر البربر الى بونه وعاد حسان الى القيروان فاراح بها أياما

أمر الملكة الكاهنة ـ واستدل على من بقى من ملوك أفريقية

ليسير اليه ليبيده أو يسلم فدلوه على امرأة بجبل اوراس وقد أخافت الروم والبربر جميعا ، فرحل بجيوشه اليه ففرت من الجبل بعدد لا يحصى وسبقته الى باغاية ولما التقى الجمعان تقاتلوا قتالا لم يسمع بمثله وصبر الفريقان صبراً عظيما ، غير أن حسان انهزم الى قابس فكتب الى عبد الملك ان أمم المغرب كلما بادت أمة منهم خلفتها أمم فورد عليه كتاب عبد الملك وهو بعمل برقة يأمره بالاقامة فاقام خمس سنوات ملكت فيها الكاهنة المغرب كله وخربت أفريقية وهدمت حصونها وقطعت اشجارها (وكانت ظلا واحدا من اترابلس الى طنجة) كل ذلك ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها

ثم ان حسانا توافت عليه فرسان العرب ورجالها من قبل عبد الملك فكتب الى خالد بن يزيد وهو أسير عند الكاهنة من حيث لا تعلم ، فكتب اليه باحوال القوم وانهم لا نظام لهم ولا رأى عندهم وأمره أن يطوى المراحل ويجد فى السير ، غير أن الكاهنة أحست أن حسانا تقهقر ليثب فارسلت خالدا مع أولادها ليستأمنوا الى حسان ، وتقدمت بجندها للقتال فقاتلها حسان وهزم جندها وقتلها واستولى على أفريقية كلها .

وكان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا اليه فقال لا اؤمنكم حتى تعطوني اثنى عشر الفا يجاهدون مع العرب ، فأجابوه وأسلموا على

يديه فعقد لولدى الكاهنة على هؤلاء البربر وأخرجهم يجولون فى المغرب يقتلون الروم ومن كفر من البربر وذلك سنة ٨٢ ثم عاد الى القيروان وقد استقامت له أفريقية فدون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم أفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية ، وأقام حسان لاينازعه أحد الى أن عزله عبد العزيز بن مروان والى مصر وأمره بالقدوم عليه فقدم عليه ثم سار الى الوليد فشكا له عبد العزيز فاراد أن يعيده الى عمله ويحسن اليه فحلف لاأتى لبنى أمية أبدا وكان حسان يسمى « الشيخ الامين »

ولكثرة الغنائم التى عادت بها ارتحل كثير من العرب الى أفريقية طمعا فى اكتساب الثروة فنشروا الاسلام بين البربر الذين كانوا يشبهون العرب فى كثير من صفاتهم وكانوا بعد ذلك قوة للعرب على الفتح هناك حتى فى الاندلس وتولى بعده على أفريقية موسى بن نصير

(٢) أما بقية الفتح فى بلاد الروم فقد فتحت قيسارية الروم وارقدة وهى على سبع مراحل من القسطنطينية، وقاليقلا وملطية والمصيصة، وهذا الى الغزوات المتوالية فى الروم وأرمينية من سنة ٧٠ الى سنة ٨٥ وكان أكثرها على يد محمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك الذي فتح حصنى بولق والاخرم

(٣) وأما الفتح فى المشرق فكان أكثره بما وراء النهر اذ فتح المهلب كش وفتح ابنه يزيد قلعة نيرك بباذغيس وغنم مافيها من الاموال والذخائر وكانت من أحصن القلاع وكان نيزك صاحبها اذا أشرف عليها يسجد لها

وفى أيام عبد الملك تحركت الروم سنة ٧٠ فعجز عنهم لاشتغاله بابن الزبير — وخرج عليه ملك الروم سنة ٧٥ ونزل على مرعش فهزمه محمد بن مروان ؛ وفى سنة ٨ دخلت الديلم قزوين لان المرابطين في ناحيتها أمنوا الديلم وناموا ليلة فانقض عليهم الديلم فيها غير أن محمد ابن أبى سبرة داهمهم فلم يفلت منهم احد ولم يعودوا بعدها الى الهجوم

﴿البيعة للوليد بن عبد الملك واخيه سليمان﴾

لما طالت أيام عبد الملك فى الخلافة ثقل عليه أمر عبد العزيز بن مروان واراد ان يخلعه من ولاية العهد ويجعلها لولديه الوليد وسليمان من بعده فمنعه قبيصة بن ذؤيب وكان على ديوان الخاتم وقال له لاتفعل ذلك فانك باعث على نفسك صوتا ولعل الموت يأتيه فتستريح منه ، فكف عن ذلك ونفسه تنازعه حتى دخل عليه روح بن زنباع الجذامى (وهو الذي قدم الحجاج عند عبد الملك ، فانه شكا الى روح انحلال عسكره وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فقال له ان فى شرطتى رجلا لو قلده امير المؤمنين أمر عسكره لارحل الناس برحيله وانزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف ، قال . فانا قد قلدنا ذلك فكان لا يقدر احد أن يتخلف الا اعوان روح فوقف الحجاج على هؤلاء الاعوان يوما وقد رحل الناس وهم على الطعام يأكلون فقال مامنعكم ان ترحلوا برحيل أمير المؤمنين فقالوا انزل يابن الخناء فكل

معنافقال هيهات ذلك ماهنالك وأمر بهم فجلدوا بالسياط وطيف بهم فى العسكر، وأمر بفساطيط روح فاحرقت بالنار، فدخل روح على عبد الملك باكيا وشكا اليه ما أتاه الحجاج مع رجاله، فقال الخليفة علىّ به، فلما دخل قال له ماحملك على مافعلت ؟ قال مافعلت ، قال ومن فعل ؟ قال أنت فعلت انما يدى يدك وسوطى سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف على روح للفساط فساطين وللغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له ، فاستحسن عبد الملك هذا العمل منه وكان ذلك أول ماعرف من كفايته وأخلف لروح ماذهب منه - ولذلك لما استقرت البيعة لعبد الملك واراد الخروج الى مصعب وجعل يستنفر أهل الشام فيبطئون عليه قال له الحجاج - لطنى عليهم فوالله لاخرجنهم معك. فقال له قد سلطتك عليهم فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا أحرق عليه داره فلما رأى أهل الشام منه ذلك خرجوا على بكرة أبيهم)

وكان روح من أجل الناس عند عبد الملك كما كان عظيما عند الناس فشاوره فى ذلك فقال روح لو خلعته ما انتطح فيها عنزان ، فبينما هما على ذلك اذ دخل قبيصة على عبد الملك فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين فى عبد العزيز فاسترجع وقال لروح كفانا الله ما أجمعنا عليه فقال له روح فذاك ما أردت ولم تقطع رحم أبيك ولم تأت ما تعاب به ولم يظهر عليك غدر والعجب من أمر عبد الملك انه قد بايع لولديه في الظرف الذى كان يعالج هو فيه خلع أخيه ولم يفطن الى ان ماحصل بينه وبين أخيه من العداء يحصل أيضا بين أبنيه وقد حصل .

ويقال ان عبد الملك كتب لاخيه عبد العزيز ياأخى أن رأيت أن تصير الامر لابن أخيك فافعل فأبى ، فكتب اليه ثانية : فاجعله من بعدك فانه أعز الخلق الى ، فكتب اليه عبد العزيز أنى أرى فى أبى بكر ابن عبد العزيز (يعنى ابنه) ماتراه في الوليد ، فكتب اليه ثالثة : فاحمل خراج مصر الى ، فكتب اليه : انى واياك قد بلغنا سنا لم يبلغها احد من أهلنا ، وانا لا ندري أينا يأتيه الموت اولا ، فان رأيت ألا تغثث على بقية عمرى ولا يأتينى الموت الا وأنت واصل فافعل ، فرق عليه عبد الملك وقال لاأغثث عليه بقية عمره وقال لولديه الوليد وسليمان ان يرد الله ان يعطيكما لم يقدر أحد من الخلق على ردها عنكما ، ثم قال لهما : هل قارفتما حراما قط ؟ قالا : لا والله فقال عبد الملك نلتماها ورب الكعبة ــ

ولما بلغه الخبر بموت عبد العزيز سنة ٨٥ أمر الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان فبايعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان ، وكان على المدينة هشام المخزومى فدعا الناس فأجابوه الا سعيد بن المسيب ، فضربه ضربا مبرحا وطاف به وحبسه ، فكتب عبد الملك الى هشام يلومه ، وكان سعيد لم يبايع ابن الزبير أيضا فضربه عامله ستين سوطا

ثم مرض عبد الملك ومات منتصف شوال سنة ٨٦ ويروى انه لما اشتد به المرض قال ارفعونى على شرف فرفعوه فتنفس الروح وقال : يادنيا ماأطيبك . ان طويلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كنا منك لفى غرور وتمثل

ان تناقش يكن نقاشك يارب ... عذابا لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فانت رب صفوح ... عن مسىء ذنوبه كالتراب

ويحق لعبد الملك أن يحذر هـذا الحذر يخاف ، فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أي شيء يقدم

﴿ ومن أهم أعماله ضرب الدنانير والدراهم ﴾

ويقال انه أول من أحدث ضربها في الاسلام فانتظم الناس بذلك ، أشار عليه بضربها أخوه عبد العزيز ويقال ان عبد الملك كتب في صدر كتاب الى ملك الروم (قل هو الله أحد) وذكر النبي مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم : انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم من في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون ، فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد ابن معاوية فاستشاره فيه ، فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة وفيها ذكر الله تعالى فاستشار أخاه عبد العزيز فاشار عليه أيضا بذلك ، فضرب الدنانير وأمر الحجاج بضرب الدراهم فنقش فيها (قل هو الله أحد) فكره الناس ذلك لمكان القرآن فان الجنب والحائض يمسها — وكان ضرب النقود الاسلامية سنة ٧٥

وقد جعلها عبد الملك رسمية اذ بعث بها الى جميع بلدان الاسلام وتقدم الى الناس في التعامل بها ، وتهدد بالقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدنانير والدراهم وغيرها وامر بابطال التعامل بالنقود الرومية أو الفارسية ، ورد ما كان منها الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية

﴿ ومنها بناء قبة الصخرة والجامع الاقصى ﴾

وسبب ذلك ان عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة فكان يخطب

فى أيام منى وعرفة وينال من عبد الملك ويذكر مثالب بنى أمية ويذكر ان جده الحكم كان طريد رسول الله ولعينه فمال اكثر اهل الشام الى ان الزبير ، فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجوا فبنى لهم القبة على الصخرة والمسجد الاقصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم وصار اخوه عبد العزيز يعرف الناس بمصر ويقفهم يوم عرفة

وانما أجل عبد الملك عن ان يحدث عبادة جديدة لم ينزل الله بها وهو كما نعلم كان يعد من الفقهاء والمجتهدين ولم يبلغ به الفجر الى هذا الحد على ان اهل الشام أن جاوه الى ماادعا اليه كانوا من البله وضعف الرأى وتزلزل العقيدة بمكان

ولعل القصة على هذا النحو موضوعة وضعا قصد واضعها ان يسوىء سمعة عبد الملك وانه غير دين الله رجاء ان يصل الى شىء من اغراضه السياسية وربما كان ذلك فى عصر العباسيين الذين كانت تروج مثل هذه القصص فى عصرهم حتى لايذكر الناس بنى أمية الا بالمروق من الدين على انه ان لم يفتر عليه هذا وامثاله حزب الخوارج وقد قضى عليهم تقريبا ، فانه لا يلم من ان يلصق به هذا حزب الشيعة اوحزب بنى هشم اذ كلهم موتور من بنى امية عامة

﴿ خلافة الوليد ﴾

كان الوليد أسن ولد عبد الملك . وكان يحبه وتراخى في تأديبه لشدة حبه اياه فكان لحانا ، وكان عبد الملك يقول : أضرنا فى الوليد

حينا له فلم نوجهه الى البادية — وكان الوليد عند اهل الشام أفضل خلفائهم واكثرهم فتوحا واعظمهم نفقة في سبيل الله — بويع له بالخلافة في النصف من شوال سنة ٨٦ ، ولبث فيها عشر سنين الا قليلا ومات في النصف من ربيع الاول سنة ٩٦ وهو ابن ٤٠ سنة وكان له كثير من البنين ولى منهم ابراهيم الخلافة شهرين ثم خلع وولى يزيد الكامل شهرا ثم مات وليس من ولده احد الا ومن رآه يحسب انه من افضل اهل بيته ولو وزن بهم عبد العزيز (من ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان) لرجحهم وقد اراد ابوه ان يبايع له بعد سليمان فابى عليه سليمان وشنع عليه لانه ابن امة

ولما دفن عبد الملك قال الوليد انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت امير المؤمنين والحمد لله على ما انعم علينا من الخلافة فكان اول من عزى نفسه وهنأها ، ثم تقدم اليه عبد الله بن همام وبايعه ثم بايعه الناس بعده ، ويروي انه صعد المنبر وقال: ايها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع المنفرد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

وكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع فكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء وفي أيامه فتح الله على الاسلام فتوحا عظيمة وعاد الجهاد شبيها بايام عمر وهو اول من اتخذ دار الضيافة للقادمين ، وبنى البيمارستانات للمرضى وساق المياه الى مكة والمدينة وأعطى المجذمين أموالا ومنعهم من سؤال الناس وأعطى كل مقعد

خادما وكل ضرير قائدا ـ غير أنه له مساوىء من كونه كان أقر الحجاج على العراق ولم يغير أحدا من عماله ، وأشياء غير ذلك وأيامه كانت أبرك أيام بني أمية اذ بلغ الامويون على عهده أقصى درجات العز وعز الاسلام والمسلمون وغزت الجيوش بلاد الترك والهند والروم وفتحت الاندلس وجزائر كثيرة فى بحر الروم

﴿ بناء الحرم المدنى ﴾

عقد الوليد لعمه عمر بن عبد العزيز على الحرمين فدعا عشرة نفر من افاضل اهلها منهم عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة وسليمان بن يسار فلما دخلوا عليه قال اعلموا انى لست اقطع امرا الا برأيكم ومشورتكم فاشيروا على ، فقالوا نفعل ايها الامير جزيت على ما تنوى خير ما جزى موئر لمرضاة ربه — ثم كتب اليه الوليد ان يشتري الدور التى حول الحرم المدنى فيزيدها فيه ويجدد بناءه وكتب الى ملك الروم يسأله ان يبعث له ما استطاع من الفسيفساء (الحجارة الملونة) فوجه اليه مائة الف مثقال من الذهب ومائة من العملة واربعين حملا من الفسيفساء فبعث بها الى عمر بن عبد العزيز ، فهدم عمر المسجد وزاد فيه وبناه وزينه بالفسيفساء وادخل حجر ازواج النبي التى كانت شمالى المسجد وجنوبيه بعد ان هدم بناءها وكانت شارعة فى المسجد ، واقتطع ايضا جزءا من حجرة عائشة ، أدخل ذلك كله فى المسجد وذلك من جهة الروضة ، واشترى ما بنواحيه حتى صار مائتي ذراع فى مثلها وقدم القبلة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص وعمل بسقفه من ساج وحلاه بماء الذهب ونقش أروس الاساطين والاعتاب بالذهب واقام بناء حول الحجرة النبوية جعله مخمسا ولم يجعله مربعا خشية ان يستقبله الناس كما كانوا يستقبلون الكعبة ولم يك للمسجد مآذن فبنى له اربعا فى كل ركن واحدة

ولما حج الوليد بعد فراغ عمر من العمارة سنة ٩١ اخذ ينظر فى جدر المسجد وسقفه ونقوشه وجميل شكله ثم التفت الى ابان بن عثمان وقال اين بناؤنا من بنائكم ؟ قال بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس



﴿ الحرم المكي ﴾

كان المسجد الحرام فى عهد النبي والخليفة من بعده ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محدقة به من كل جانب وكانت حدوده حدود المطاف الان وهو علي ذلك من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام، فلما استخلف عمر اشتري دورا هدمها ووسع بها المسجد سنة ١٧ على طريقة نزع الملكية الآن ثم جعل عليه جدارا قصيرا دون القامة كانت المصابيح توضع عليه، ولما كان زمن عثمان وكثر الناس اشترى دورا ووسع بها المسجد سنة ٢٢ ، واشتري عبد الله بن الزبير دورا وسع بها المسجد من جانبيه الشرقى والجنوبى توسعه كبيرة سنة ٦٤ ولما حج عبد الملك سنة ٧٥ عمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج وجعل فى رأس كل اسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب — فلما تولى الوليد نقض عمل ابيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا وجعل على رأس الاساطين الذهب علي صفائح الشبه وجعل فى وجوه الطيقان من اعلاها الفسيفسا وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام واول من نقل اليه اساطين الرخام وقد أرسل من الشام الرخام الابيض والاحمر والأخضر فعرشت به الكعبة وازرت جدرها من الداخل ، وهو أول من حلي الميزاب بالذهب وجعل على باب الكعبة واساطينها وأركانها من الداخل صفائح الذهب

﴿ الجامع الاموى ﴾

شرع الوليد سنة ٨٧ فى بناء جامع دمشق وكان نصفه كنيسة يوحنا على مقتضى ما كان من صلح ابي عبيدة ايام الفتح فى الشام ، فقال لهم الوليد انا قد اخذنا كنيسة مريم عنوة فانا اهدمها ، فرضوا بهدم كنيسة يوحنا او مابقى بايديهم منها وابقاء كنيسة مريم فضمه الوليد الي المسجد وبناه بناء محكما فكان محرابه الكبير مكان باب تلك الكنيسة وجعل له أربعة أبواب: فى

شرقيه باب جيرون ، وفي غربيه باب البريد ، وفي القبلة باب الزيادة وباب الناطفين مقابله ، وباب الفراديس في دبر القبلة

ويقال ان الوليد أنفق على عمارته خراج البلاد سبع سنين وضج الناس استعظاما لما أنفق فيه وقالوا أخذ بيوت أموال المسلمين وأنفقها فيما لا فائدة لهم فيه فقال أنكم تقولون، وتقولون وفي بيت مالكم عطاء ثماني عشرة سنة اذا لم تدخل لكم حبة قمح فسكت الناس

وقد تم بناء المسجد في تسع سنين وكان فيه ستمائة سلسلة من الذهب لحمل قناديله ومصابيحه وفي قبلته القبة المعروفة بقبة النسر ليس في دمشق اعلى ولا ابهى منظرا منها ولم يزل المسجد على رونقه وبهائه حتى وقع فيه حريق سنة ٤٦١ فاذهب بعض بهجته

وكان عمر بن عبد العزيز لما تولي الخلافة قد بعثه ورعه علي نزع رخامه وسلاسله وابدالها بالحبال فاشتد ذلك على أهل دمشق حتى جاءه جماعة من الروم استأذنوا في دخول المسجد فأذن لهم ووكل بهم من يسمع حديثهم فقال كبيرهم كنا معاشر أهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة لا بد ان يبلغوها فلما اخبر عمر بذلك قال اني ارى مسجدكم هذا غيظا على الكفار وترك ما هم به،

والملحوظ في امر هذا المسجد ان الوليد باقامته ومبالغته في تجميله واحكام هندسته وتجويد بنائه قد رسم للناس طريق الاشتغال بالفنون الجميلة فسلكوه تقليدا لخليفتهم وتنافسوا في ذلك وتسابقوا للوصول الى اقصى ما يمكن ان تبلغه عقولهم فارتقى بذلك فن البناء وما يتبعه حتى وصل الى درجة عظيمة جدا

﴿ جامع عمرو بمصر ﴾

عزل الوليد اخاه عبد الله عن مصر وولى قرة بن شريك على صلاة مصر وخراجها فدخلها سنة ٩٠ وكان سيىء التدبير خبيثا ظالما غشوما فاسقا منهمكا وهو من اهل قنسرين ، وكان عمر بن عبد العزيز يعتب على الوليد تولية قرة

يقول : الحجاج بالعراق واخوه محمد باليمن وعثمان بن حيان بالحجاز والوليد بالشام وقرة بن شريك بمصر ، اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فارح الناس ، فلم يمض غير قليل حتى توفى الحجاج وقرة فى شهر فنعاهما الوليد الى الناس وقال والله لأشفعن لهما شفاعة تنفعهما فقال عمر انظروا الى هذا الخبيث لا اناله الله شفاعة محمد والحقه بهما فهلك الوليد بعدهما بثمانية اشهر او اقل قيل بشهرين ونصف شهر

عود — وقد هدم قرة جامع عمرو بامر الوليد وزاد فيه من القبلى والشرق واخذ بعض دار عمرو وابنه عبد الله فادخله فى المسجد واخذ منهما الطريق التي بين المسجد وبينهما وعوض اولاد عمرو ، وأمر بعمل المحراب المجوف وهو المعروف بمحراب عمرو الا أنه فى سمت المحراب القديم الذى بناه عمرو ونصب المنبر الجديد ونزع المنبر الذى كان فى المسجد ، ولا يعرف منبر أقدم من منبر قره بعد منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد زوق قرة المسجد وذهب عمده الاربعة كما زوق اكثر العمد

﴿ الغزو والفتح ﴾

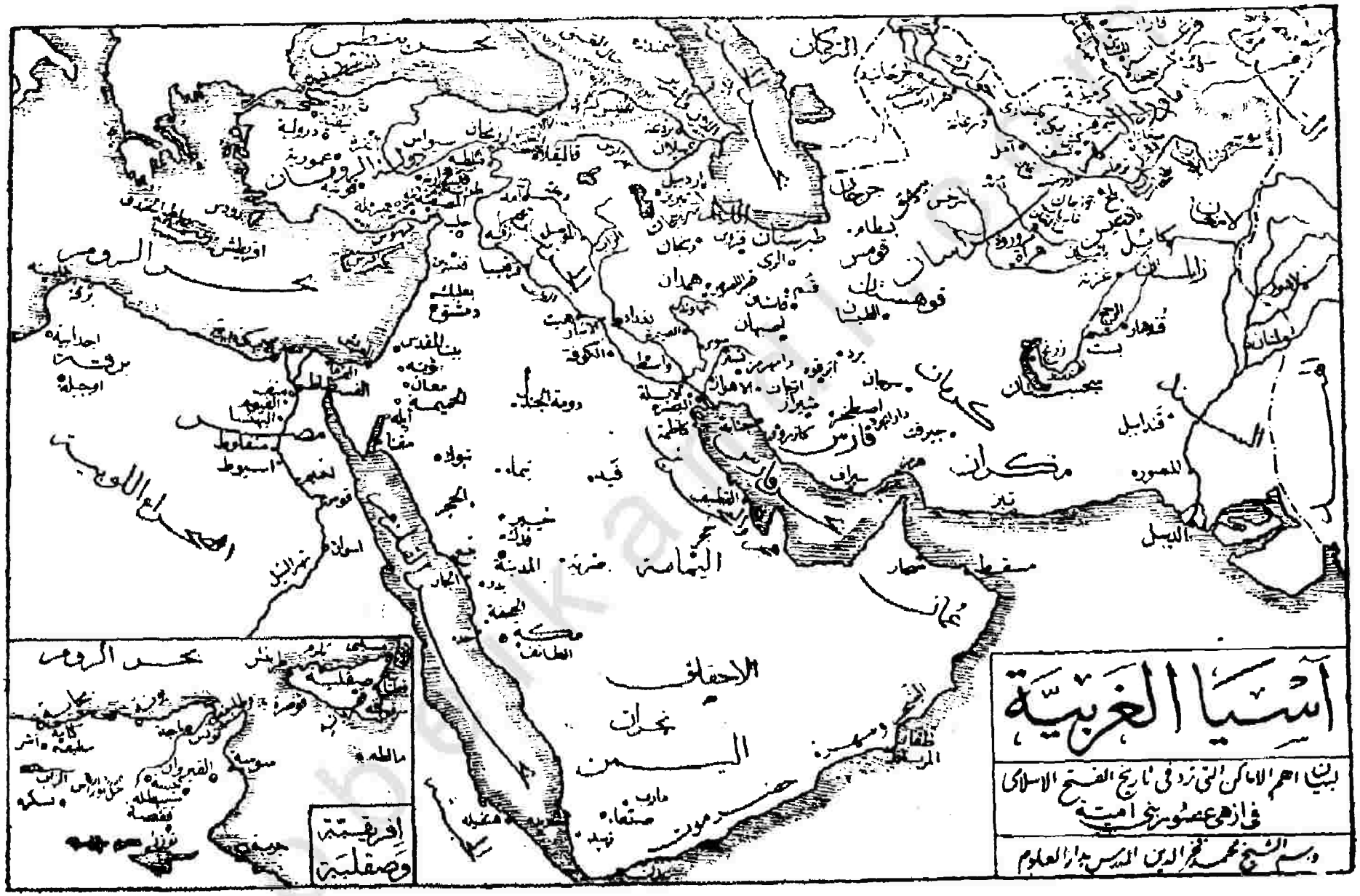
(١ فتح ماوراء النهر — كان بطل الفتح فى جهات خراسان وماوراء النهر وفرغانة والشاش وأرض الترك ، قتيبة بن مسلم الباهلى نائب الحجاج على خراسان فقد دخل هذه البلاد سنة ٨٦ فسلم اليه أهل صاغان بلادهم بالامان ثم والى الغزو والفتح فى تلك النواحى الى سنة ٩٤ وهو قتيبة بن مسلم بن عمر الباهلى وهو من التابعين وكنيته أبو صالح ، وكان فحل أمراء بني أمية ، ولاه الحجاج خراسان وفتح الفتوحات العظيمة فى المشرق أيام الوليد كلها ، فلما ولى سليمان نقم عليه لانه خلعه في عهد الوليد

فبعث اليه من قتله بعد أمور وحروب ، وكان قتله من سيئات البيعة بولاية العهد لاثنين

كتب اليه الحجاج بعبور النهر نهر بلخ وهو جيحون وان يفتح تلك البلاد فاستعد وسار فى المفازة التى بين مرو وبين أمويه وهى آمل الشط وآمل المفازة وتسمى أمو، وهذه المفازة رمال صعبة المسالك كثيرة الغضا فصار الى آمل ثم عبر النهر وسار الى بخارى وكان ملكها يسمى صول وكان ملكه على جميع ماوراء النهر، فلقيه الملك فحاربه قتيبه فهزمه فهرب صول نحو الصغانيان فاحتوى قتيبة على بخارى وحيزها ، ثم ولى عليها وسار حتى وافى بلاد الصغد فاناخ على مدينتها العظمى وهى سمرقند فحاصرها أشهرا ، وتحداه دهقانها بأنه لو أقام عليها عمره لم يصل اليها . فاعمل الخدعة وأعلم الدهقان انه راحل عنهم الى الصغانيان وطلب اليه المودعة فقبل الدهقان ويظهر انه اطمأن فلما جن الليل وهدأ الناس خرج رجال قتيبة وكأنهم كمينا فدخلوا المدينة من أبوابها وقتلوا الحرس وفتحوا الابواب فدخل قتيبة بالجيش ووقعت الواعية (الصراخ) وهرب الدهقان والملك وصارت سمرقند في قبضة قتيبة ثم استخلف عليها وسار حتى أتى صغانيان فهرب ملكها منها حتى صار فى بلاد الترك وخلى المملكة لقتيبة فدخل مدينته ووجه عماله الى كش ونسف وافتتح جميع ماوراء النهر وجميع طخارستان فانه فتح فرغانه والشاش وفاراب وخوارزم وجهات صغد سمرقند وصغد بخارى ووجد فى سمرقند جارية من ذرية يزدجرد فارسلها الى الحجاج وهذا ارسالها الى الوليد فاولدها يزيد ولم يبق من خراسان شيئا الا فتحه ـ

وفي سنة ٩٦ اجمع لغزو مدينة كاشغر وهي أدنى مدائن الصين فسار لذلك وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر وجعل على المجاز مسلحة يمنعون الراجع من العسكر الا باذنه ثم بعث مقدمته الى كاشغر فغنموا وسبوا وختم أعناق السبي وأوغل حتى قارب الصين فكتب اليه ملكها يستدعي من أشراف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم فذهبوا اليه وهددوه وهددهم وانتهى الامر بانه أجازهم فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم غلمان السبي وردهم وانصرف من غدانه ظافرا غانما آمنا .

«٢» فتح السند: كان الحجاج قد ولى على ثغر الهند ابن عمه محمد بن أبي القاسم وجهز معه ستة الاف مقاتل فنزل مكران وأقام بها ثم سار الى الديبل فحاصر أهلها ورماهم بالمنجنيق فلما خرجوا اليها هزمهم واستولى على المدينة عنوة وأنزل فيها أربعة الاف من المسلمين ثم سار فجعل لا يمر بمدينة من مدن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر ، فعقد محمد جسرا ضربه على النهر وعبر فقاتله داهر على الفيلة حتى قتل وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون وتبعوا فلولهم الى مدينتهم فاخذوها عنوة — ثم عبر محمد الى الملتان وحاصرها وقطع الماء عنها فنزلوا على حكمه فقتل وسبي وهدم بيتا فيها يحجون اليه وأصاب فيه ذهبا كثيرا واستكمل فتح السند ولم نزل عاملا على تلك النواحي الى ان ولى سليمان بن عبد الملك فعزله ثم جيء به الى العراق مكبلا بالحديد فحبس بواسط وعذب في رجال من


آسيا الغربية
تبين اهم الاماكن التي ترد في تاريخ الفتح الاسلامي
فازهر عصور تاريخ امية
وسم الشيخ محمد فخر الدين المدرس بدار العلوم
افريقية وصقلية
بحر الروم
بحر القلزم
الاحقاف
نجران
اليمن
حضرموت
عمان
البحرين
اليمامة
الحجاز
فارس
كرمان
مكران
الديبل
قندابيل
الرخج
قندهار
غزنة
كابل
طخارستان
طبرستان
همذان
الري
بغداد
الكوفة
البصرة
واسط
دجلة
الفرات
الشام
دمشق
حلب
حمص
بعلبك
بيت المقدس
عمان
الرملة
عسقلان
قيسارية
طبرية
عكا
صور
صيدا
بيروت
طرابلس
انطاكية
سرقسطا
اوجلة
مصر
الفسطاط
الاسكندرية
برقة
اسيوط
اخميم
قوصة
اسوان
بحر النيل
بحر الظلمات
المحيط الاطلسي
تونس
القيروان
سوسة
سفاقس
قابس
جربة
طرابلس
بنزرت
بجاية
سكيكدة
عنابة
بونة
قسنطينة
تبسة
تلمسان
وهران
مستغانم
مليانة
شرشال
الجزائر
مدية
تنس
مازونة
تيهرت
سجلماسة
تاهرت
القلعة
بسكرة
باغاية
مرسية
المرية
غرناطة
قرطبة
اشبيلية
شلب
باجة
ماردة
مارب
صنعاء
نهيد
ظفار
مهرة
عدن
زبيد
تعز
حلي
مكة
المدينة
الطائف
جدة
ينبع
تيماء
فيد
خيبر
وادي القرى
دومة الجندل
الحيرة
انبار
الموصل
نصيبين
الرقة
منبج
حران
سنجار
الرحبة
تكريت
سامرا
بلد
اذربيجان
اصبهان
قم
قاشان
الدينور
نهاوند
شيراز
جيرفت
كازرون
سيراف
تيز
مسقط
صحار
قلهات
الشحر
المهرة
عدن
زبيد
تعز
حلي
مكة
المدينة
الطائف
جدة
ينبع
تيماء
فيد
خيبر
وادي القرى
دومة الجندل
الحيرة
انبار
الموصل
نصيبين
الرقة
منبج
حران
سنجار
الرحبة
تكريت
سامرا
بلد
اذربيجان
اصبهان
قم
قاشان
الدينور
نهاوند
شيراز
جيرفت
كازرون
سيراف
تيز
مسقط
صحار
قلهات
الشحر
المهرة

قرابة الحجاج لقتلهم الناس وفتكهم بالخوارج على عهد الحجاج ثم قتل شر قتله ، وكان هذا جزاؤه من بنى أمية وقد بسط نفوذهم على بلاد السند كلها وجزء من بلاد الهند - وكان يقول وهو فى الطريق الى العراق

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وكان التنكيل به من سيئات البيعة بولاية العهد لاثنين

(٣) غزو الروم - كان الروم العدو اللدود للمسلمين ، فما كانوا يكفون عن العدوان أو الدس ، ومن أجل هذا كان المسلمون لا ينقطعون عن غزوهم بالطائفة والشاتية كلما أمكنهم ذلك — وكان أبطال الغزو الفتح فى هذه النواحى مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وقد أوغل الاول في جبال أرمينية حتى وصل الى باب الابواب وفتح حصونا كثيرة كما فتح طوانة وغيرها من حصون جبال طوروس وقد أمعن فى بلاد الروم وفتح هرقلة وعمورية كما فتح العباس أدرولية غربا وسميساط وطرسوس شرقا — والملحوظ أن الفتح فى بلاد الروم كان غزوا لمجرد الأرهاب والتأديب ولذلك تجد أكثر ما فتح في هذه الايام يستعاد فتحه فى الايام المقبلة حتى فى عصور بنى العباس

(٤) فتح الاندلس - وكان بطل الفتح فى المغرب وبلاد الاندلس موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد البربرى ، وهو الذى تولى كبر الفتح فى الاندلس وكان عاملا لموسى على المغرب الاقصى وكان مستقره بطنجة .

أما دخول المسلمين الى الاندلس ففيه أربعة أقوال

(١) أن عبد الله بن نافع وعبد الله بن الحصين الفهريان أتياها من برها وبحرها زمن عثمان سنة ٢٧

(٢) أن موسى جاز اليها بنفسه وفتحها سنة ٩٢

(٣) أن هـذا الفتح بوساطة طارق وانما نسب الى موسى باعتبار انه مولاه وعامله

(٤) ان طارقا أول من دخلها فاتحا وان موسى دخلها بعده وفتح مالم يفتحه طارق على ماسيجيء

والمشهور ان طارقا سار اليها بامر موسى وتحريض يليان عامل الجزيرة الخضراء الذي داخل طارقا حتى صار معه الى الرضا ووعده بادخاله الاندلس هو وجنوده وكانوا نحو اثنى عشر الفا، فكان يليان يحملهم على سفن التجار ولا يشعر أهل الاندلس بذلك ويظنون أن السفن تختلف بالنجار، فحمل الجند فوجا بعد فوج فلما لم يبق الا فوج واحد ركب طارق حتى أجاز البحر الى أصحابه بالجزيرة ثم تخلى يليان بها حتى لا يتهم ولكون أطيب لنفسه ونفوس صحبه فخلاه طارق ونزل الجبل المسمى باسمه ويقال أن يليان الذى ذهب الى طارق فذكر له ان رذريق القوطى اغتصبه ملك ابيه واهانه واذله وانه جاء مستنجدا حينما بلغه امر العرب وانه يكون لهم دليلا فاجابه طارق واستنفر البربر فحملهم يليان كما سلف

ويقال ان رذريق مديده الى ابيه يليان وكانت عنده فاغتصبها نفسها فدست الى ابيها من اخبره الخبر فكتمه وارتصد الايام حتى دخل العرب المغرب فدعا طارقا الى ماكان من جواز البحر

ولما علم رذريق بطارق وانه نزل الجبل جمع أهل القوة وقادم

إفريقية والمغرب والأندلس
في عصر بني أمية وبني العباس إلى نهاية القرن الرابع الهجري
العاشر الميلادي
بحر الروم
بحر المحيط
بحر الظلمات المحيط الغربي
بحر الأندلس
بحر الزقاق
بحر الروم
بحر المحيط
سردانية
صقلية
مالطة
جزيرة قوصرة
جزيرة قرقنة
جزيرة جربة
جزيرة كركنة
جزيرة ميورقة
جزيرة منورقة
جزيرة يابسة
جزيرة شقر
جزيرة أفرنجة
جزيرة الأندلس
جزيرة الزقاق
جزيرة طريف
جزيرة طنجة
جزيرة سبتة
جزيرة طليطلة
جزيرة سرقسطة
جزيرة برشلونة
جزيرة قرطبة
جزيرة إشبيلية
جزيرة غرناطة
جزيرة مالقة
جزيرة المرية
جزيرة بجاية
جزيرة تلمسان
جزيرة فاس
جزيرة سجلماسة
جزيرة وادي درعة
جزيرة السوس الأقصى
جزيرة وادي السوس الأقصى
جزيرة أغمات
جزيرة مراكش
جزيرة أوريكة
جزيرة تادلا
جزيرة مكناسة
جزيرة رباط الفتح
جزيرة سلا
جزيرة طنجة
جزيرة سبتة
جزيرة طريف
جزيرة الزقاق
جزيرة الأندلس
جزيرة أفرنجة
جزيرة برشلونة
جزيرة سرقسطة
جزيرة طليطلة
جزيرة مدينة سالم
جزيرة مدينة بلنسية
جزيرة مدينة تدمير
جزيرة مدينة باجة
جزيرة مدينة شلب
جزيرة مدينة باجة
جزيرة مدينة شلب
جزيرة مدينة باجة
جزيرة مدينة شلب

بنفسه الى الجبل فخرج طارق بجميع أصحابه رجالة ليس فيهم راكب الا القليل فاقتتلوا قتالا شديدا حتى ظنوا انه الفناء ثم صرف الله وجوه اعدائه فانهزموا وادرك رذريق فقتل ولم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ثم ارتحل المسلمون الى قرطبة وهى مدينة الاندلس التى كان بها رذريق وكان سلطانه الى اربونة وهى اذذاك اقصى مملكة الاندلس مما يلى افرنجة — وكان الذي اصابه طارق ومن معه من السبى فى أول فتح لهم عشرة آلاف رأس غير الذهب والفضة وكان أول القتال على وادى لكة من كورة شذونه ولم يعرف لرذريق موضع ولا وجدت له جثة — ثم يحرك طارق الى سجته ففتحها وهرب المشركون الى طليطله وتركوا مدائن الاندلس وراءهم وبعد ذلك جاءه يليان فقال له خذ من اصحابى ادلاء ففرق معهم جيوشك وسر معهم الى طليطلة ففرق جيوشه من استجه

(١) فبعث الى قرطبه مغيثا مولى عبد الملك وجاءه الادلاء براعى غنم فكشف لهم عن احوال المدينة ومن فيها ودلهم على ثغرة فى سورها ، فعبر مغيث النهر ودخل منها وهجم على احراس السور وكسر اقفال الابواب فدخل عامة جنده فخرج اليهم صاحبها فى كماة اصحابه وهم نحو اربعمائة وتحصنوا في كنيسة بغربى المدينة فحاصرهم نحو ثلاثة أشهر ، ثم هرب صاحبها فتبعه مغيث وحده فلما بصر به مغيث غير طريقه فوثب به فرسه فى خندق فسقط فيه واندقت عنقه فاسره ورجع الى بقية اصحابه فاستنزلهم أسرا وضربت أعناقهم صبرا

(٢) وبعث الى مالقة فافتتحها وجميع اعمال رية

٣) وبعث الى غرناطة قاعدة البيرة فحاصرها واستفتحها ثم سار الى مرسية وهي مدينة تدمير فقاتل صاحبها قتالا شديدا ثم انهزم فوضع المسلمون فيهم السيف حتى افنوهم ولجأ فلهم الى اربولة ، ثم احتال صاحبها حتى استأمن وعقد له الصلح وادخل المسلمين البلد فكتبوا الى طارق بالفتح واقاموا بتدمير رجالا من العسكر ثم لحقوا بطارق وهو على طليطلة

(٤) وذهب طارق الى طليطلة فألفاها خالية ليس فيها الا اليهود فى قلة ، وفر صاحبها مع اصحابه فتبعهم طارق وسلك الى وادى الحجارة ووصل الى مدينة المائدة فأصاب بها مالا وحليا كثيرا ثم انصرف الى طليطلة

اما موسى بن نصير فعبر الى الاندلس بعد طارق بسنة ومضى غازيا فيها مفتتحا لحصونها فى سنتى ٩٣ ، ٩٤ فهزم من لقيه من امرائها ولم يلق كيدا من احد ولا انهزمت له راية حتى وصل الى بلاد افرنجة ولم يبق لاهل الاسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك الاجبال قرقوشه (قرقشونه) وجبال ينبلونه وصخرة جليقية فاما الصخرة فقد حاصر من فيها حتى ماتوا بالجوع وشدة الحصار ولم يبق منهم الا ثلثمائة ، ورأى ذلك المرتبون على حصارهم فاستقلوهم وتركوهم فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية واما قرقوشه فافتتحت زمن هشام كما سيجيء

واما سبب عبور موسى فيقال انه أغرى بطارق وذكر له ما افاء الله عليه فكتب له باقبيح السب وامره الا يتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه اي ان الذي حمل موسى على ذلك الحسد ويقال انه جاز باستدعاء طارق اياه

هذا وقد خرج موسى فى عشرة آلاف، ونزل الجزيرة وقيل له أسلك طريق طارق فأبى فدله العلوج على نواح أشرف ومكان لم تفتح فامتلأ سرورا وساروا به الى شذونة ففتحها عنوة وهى أول فتوحه ثم نهضوا به الى قرمونة فكان ادلاؤه السبب فى فتحها اذ دخلوا على أهل المدينة كالمنهزمين من العرب فلما جاء الليل بعث موسى الخيل ففتح الادلاء لهم باب المدينة المعروف بباب قرطبة فقتلوا الاحراس ودخل المسلمون المدينة عنوة ثم تقدم الى اشبيلية وهى من اعظم قواعد الاندلس شأنا وأتقنها بنيانا واكثرها آثارا وكانت دار ملك روم روم، قبيل غلبة القوط على الاندلس ، فاحتل بها موسى اشهرا وفتحها الله عليه ، ثم تقدم الى ماردة وهى احدى القواعد الاربع التى بناها قيصر رومة فخرج أهلوها لحربه نحو الميل منها فحاربهم حتى اضطرهم الى المدينة فتبعهم وطاف بها فرأى ثغبا كان لمقالع الحجارة فكمن فيه الرجال ليلا فخرج جندها كخرجهم فى اليوم قبله فخرج عليهم الكمين وركبهم المسلمون ولجأ المنهزمون منهم الى المدينة فحاصرهم موسى أشهرا حتى عمل دبابة فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها فنقبوا صخرة واحسن العلوج بهم فاصابوهم وهم تحت الدبابة غير انهم ارسلوا رسلا الى موسى فى الصلح ترددوا عليه ثلاثة أيام حتى اتفقوا على الشروط التى رضيها وفتحوا له الباب فى اليوم الثالث وكان يوم عيد الفطر سنة ٩٤ ثم سار الى ماردة وفى خلال اشتغاله بحصارها نقض أهل شبيلة وانضم اليهم فلهم من ليله زياجه وقتلوا من المسلمين نحو ثمانين ، فلما علم بذلك

موسى أتم فتح ماردة ثم بعث ابنه عبد العزيز بجيش الى اشبيلية ففتحها وقتل أهلها وتقدم الى لبله ففتحها ايضا وانصرف الى أشبيلية

التقى موسى وطارق بطلبيرة فلقيه طارق معظما له ومبادرا بطاعته فوبخه وغضب عليه وقيل أنه ضربه اسواطا وقال له أحضر لى ماأصبت فلم يتأخر عن اجابته فقيل أن هذه المعاملة كانت بغيا ونفاسة على طارق وقيل أن سبب ذلك تقدم طارق دون رأى موسى وهو مولاه وتوغله بالمسلمين وتغريره بهم وهذا الرأى عندي أمثل وأليق، ثم تقدم موسى من طليطلة بعد ماجرى الى سرقسطه ففتحها وما حولها من الحصون ومازال يوغل حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فصالحهم واوغل فى بلاد البشكنس وغزى افرنجة وعاد ثم ظل في الاندلس الى ان مات الوليد وتولى سليمان فكان له مع سليمان شئون سنشير اليها فى خلافته

(ولاية العهد ووفاة الوليد)

عزم الوليد فى سنة ٩٦ على خلع اخيه سليمان من ولاية العهد وكان قد شاور الحجاج فأشار عليه بخلعه فكتب الوليد الى سليمان بذلك وكان بفلسطين فامتنع ، فعرض عليه أموالا كثيرة فأبى ،فكتب الوليد الى عماله أن يخلعوا سليمان ويبايعوا لابنه عبد العزيز بن الوليد، فلم يجبه الى ذلك سوى الحجاج وقتيبة ومحمد بن القاسم ثم قال لعمر ابن عبد العزيز بايع لابن أختك عبد العزيز (فان أم عبد العزيز اخت عمر) فقال : أنا بايعناك وسليمان في عقد واحد فكيف نخلعه ونتركك ؟

فاخذ الوليد منديلا وجعله فى عنق عمر ولواه حتى كاد يموت فصاحت أخت عمر (أم البنين زوجة الوليد) حتى أطلقه وحبسه فى بيت ثلاثة أيام الى أن قالت له ام البنين . أخرجه فأخرجه وقد التوى عنقه فقالت أم البنين اللهم لا تبلغ الوليد في ولده عبد العزيز ما أمله ثم، ان الوليد استقدم سليمان ثم استبطأه فاجمع السير اليه ليخلعه فمات دون ذلك ، وكانت وفاته فى منتصف جمادي الآخره سنة ٩٦ وصلى عليه عمر بن عبد العزيز

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

بويع سليمان بالرملة من فلسطين فى يوم موت أخيه وكان فصيحا لسنا جميلا حسن الصورة والسيرة مفتاحا للخير ، أذهب الله به ظلم الحجاج وأطلق من كان فى حبسه وأنصف المظلومين، وهو الذي بنى الرملة ومسجدها بفلسطين ثم ختم أفعاله باستخلافه عمر بن عبد العزيز على المسلمين وقدمه وهو ابن عمه على أخويه يزيد وهشام ، وكان سليمان هذا أكولا وله في الاكل أخبار مشهوره ، وكان يقول والله ماشبعت ولكن سئمت ـ وكانت خلافته دون ثلاث سنين وتوفي بدابق فى صفر سنة ٩٩ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وقد نشأ بالبادية عن اخواله بنى عبس، وكانت ولايته يمنا وبركة ، افتتحها بخير واختتمها بخير ، فاما افتتاحه فيها بخير فبرد المظالم واخراج المسجونين ؛ وبغارات مسلمه بن عبد الملك الصائفه حتى بلغ القسطنطينيه ، وأما ختمها بخير فباستخلافه عمر بن عبد العزيز ، وكان ولي عهده ابنه أيوب فمات في حياته

أول أعماله: يد أعمله بامر الحجاج وعمالة ، لانه كان من الناقمين عليه ولولا ان الحجاج ادركته منيته فى أيام الوليد لتعرض الى اشد مايكون من الاهانة والاذى من سليمان بن عبد الملك ولقتل شر قتلة وقد دخل الى سليمان يزيد بن مسلم فقال له على امرىء أمرك وجرأك وسلطك على الامة لعنة الله اتظن الحجاج استقر فى قعر جهنم أم هو يروى فيها فقال : الحجاج ياامير المؤمنين يأتى يوم القيامة بين اخيك وابيك فضعه من النار حيث شئت فأمر به الى الحبس فكان فيه طول أيام سليمان ولم يخرج عمر بن عبد العزيز ولما تولى يزيد بن عبد الملك اخرجه وولاه افريقية فثار عليه الجند وقتلوه على ماسيجىء في خلافة يزيد

وكان يزيد بن مسلم كاتب الحجاج ووالى العرق فعزله سليمان وولى مكانه يزيد بن المهلب وأمره بنكبة آل ابى عقيل قوم الحجاج وبنى ابيه وبسط انواع العذاب عليهم ، فوكل ذلك الى أخيه عبد الملك بن المهلب — وعزل عثمان بن حيان عن المدينة ومحمد بن القاسم عن السند وجىء به الى سجن واسط فقتل كما سلف

أمر موسى بن نصير — وكان ممن اصيب بسليمان موسى ابن نصير صاحب فتوحات الغرب ؛ وكان قد وفد على الوليد بعد فتح الاندلس ومعه الاموال وثلاثون الفا من الرقيق فلما أفضت الخلافة الى سليمان بعث فى موسى فعنفه بلسانه وقال والله لافلعن غربك ولافرقن جمعك ولاصغرن من قدرك فقال ذلك بيد الله وبه استعين عليك فامر به فوقف فى يوم صائف شديد الحر

حتى سقط مغشيا عليه ثم شفم فيه عمر بن عبد العزيز فقال سليمان من بضمه اليه فقام يزيد بن المهلب فقال انا يا امير المؤمنين ، قال فضمه اليك ولا تضيق عليه فانصرف به يزيد حتى حسن مابين موسى وسليمان وافتدى منه موسى بمال كثير

وقال له يزيد بن المهلب مرة : فى كم تعتـد من مواليك وأهل بيتك قال موسى : فى كثير فقال يزيد يكونون الفا؟ قال له موسى والفاوالفا الى منقطم النفس، فقال يزيد .وأنت علي ماوصفت والقيت بيدك الى التهلكة ! أفلا أقمت فى قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ، فأن أعطيت الرضا والا كنت على عزك وسلطانك فقال والله لو أردت ذلك لما نالوا من أطرافي طرفا ، ولكنى آثرت الله ورسوله ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة — ثم حج مع سليمان ومات بطريق مكة .

هذا وقد قتل سليمان بن عبد الملك أيضاً عبد الله بن موسى وكان على أفريقية كما قتل ابنه الاخر عبد العزيز عامل الاندلس نيابة عن ابيه موسى كما سيأتى ، قتله حبيب بن ابى عبدة الفهري ومعه جماعة قيل من اجل انه خلع طاعة سليمان حينما بلغه قتل اخيه وما صنع بأبيه وقيل للسببين الاتيين ، ومكث اهل الاندلس بعده شهور لا يجمعهم وال حتى اجتمعوا على ايوب بن حبيب اللخمى ابن اخت موسى الى ان ولى عليها الحر بن عبد الرحمن الثقفى

أمر قتيبة — كان قتيبة ممن وافق الوليد على خلع سليمان فلما تولي سليمان الخلافة خاف قتيبة ان يولى يزيد بن المهلب خراسان

فاجمع خلعه وكتب اليه يهدد ان لم يقره ويؤمنه فاضطر سليمان الى اجابته.

اما قتيبة فانه بعد ان ارسل كتابه اشتد وجله واشار عليه اخوه بالمعاجلة فدعا الناس الى الخلع فلم يجبه أحد لشدته فغضب وشتمهم وعدد مثالبهم واثنى على نفسه بالاب والولد والمعشر فازداد الناس حنقا عليه وكرهوا خلع سليمان واجمعوا امرهم بينهم على ان يخلعوا قتيبة ويجاء الازد الى حضين بن المنذر فأشار عليهم بوكيع بن ابى مسعود فاجتمع الناس اليه وبايعوه وفشا الخبر فارسل قتيبة الى وكيع فاعتذر بالمرض فقال لصاحب شرطته ائتنى به وان أبى فاتنى برأسه ، فلما جاء الى وكيع ركب ونادى فى الناس فاتوه ارسالا واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواصه وثقاته وابناء عمه ، فأمر فنودي فى الناس قبيلة قبيلة فأجابوه بالجفوة فذكرهم الله والرحم فلم يأبهوا به وبعث أخاه صالحا الى الناس فرمى بسهم وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن أخوه نحوهم فرمى وقتل ودنا الناس من قتيبة حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا أطنابه وجرح قتيبة جرحات كثيرة ثم احتز رأسه وقتل معه من اخوته وأهل بيته وخواصه احدى عشرة جلا ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة نجاه أخواله من تميم فلما قتل قتيبة صعد وكيع المنبر وأثنى على نفسه وذم قتيبة ووعد بحسن السيرة وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الازد وهددهم فجاءوا بالرأس فبعثه الى سليمان مع نفر ليس فيهم تميمى

﴿ مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ﴾

كان أباه قد استعمله على الاندلس عند عوده الى الشام فضبطها وسدد

أمورها وحمى ثغورها وافتتح فى امارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيرا فاضلا وفي قتله روايتان (أحدهما) أنه تزوج بامرأة ذريق فحملها على ان يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له عند الدخول عليه كما كان يفعل لزوجها فقال ان ذلك ليس فى ديننا فلم تزل به حتى أمر بفتح باب قصير لمجلسه فكان أحدهم اذا دخل عليه طأطأ رأسه فيصير كالراكع له ، فرضيت به وقالت الآن لحقت بالملوك وبقى أن أعمل لك تاجا مما عندى من الذهب والؤلؤ فأبى فلم تزل به حتي فعل فانكشف ذلك للمسلمين فقيل انه تنصر فثاروا عليه فقتلوه بدسيسة من عبد الملك بن رفاعة عامل مصر بأمر الخليفة

ويقال أن عبد الملك لما سخط على أبيه بعث الى الجند في قتله فدخلوا عليه وهو فى المحراب فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا رأسه فسيروه الي سليمان فعرضه على أبيه موسى فتجلد للمصيبة وقال هنيئا له بالشهادة وقد قتلتموه والله صواما قواما ، وكانوا يعدون قتل موسى من زلات سليمان لان موسى قسم الاندلس الى ولايات جعل على كل ولاية منها حاكما كبيرا ليتدارك الفتن قبل استفحالها، ووضع عساكر دمشق فى قرطبه ، وحمص فى اشبيلية، وفلسطين في شدونه والجزيرة واليمن فى طليطلة ،والعراق فى غرناطة، ومصر فى مرسية وغيرها ووفى للقوط ، ثم حث العرب على الزراعة والتجارة فعمرت المدن والقرى وحسنت الاحوال وصفا العيش

﴿حصار القسطنطينية﴾

جهز سليمان الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على

الصائفة ففتح حصن المرأة وفتح مسلمة وغيره حصونا أخرى فلما أهل سنة ٩٨ سار سليمان الى رابق وجهز جيشا مع أخيه مسلمة ليسير اليها واتفق أن ملك الروم هلك فجاء اليون من اذربيجان الى سليمان فاخبره وضمن له فتح الروم فوجه معه مسلمة فسار الى القسطنطينية فلما دنا منها أمر أهل العسكر أن يحمل كل واحد مدّين من الطعام ففعلوا فلما أتى المدينة أمرهم بالقاء الطعام فصار في العسكر أمثال الجبال ونهاهم ان يأكلوا منه شيئا وقال اغيروا في ارضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب وشتى بها وصاف وزرع الناس وبقى الطعام في الصحراء والناس يأكلون ماأصابوا من الغارات والزروع وطعامهم الذي استاقوه مدخر حتى جهد أهل القسطنطينية الحصار فارسلوا الى مسلمة الصلح على الجزية فلم يقبل فقالوا لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم وجاء الى مسلمة فقال له (خدعة) ان الروم علموا انك لاتصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك، فلو حرقته اعطوا الطاعة بايديهم اذ يعتقدون حينئذ أنك قصدتهم بالقتال (فخدع) واحرق الطعام وغدر اليون واصبح محاربا وقوى الروم واصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون واكلوا الدواب والجلود واصول الشجر ولقى الجند مالم يلقه جيش آخر وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر أن يمدهم حتى مات وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها

﴿ فتح جرجان وطبرستان ﴾

كان يزيد بن المهلب على العراقين كما سلف ثم استكره أن يحيف على

الناس في الخراج فتلحقه مذمه كما لحقت الحجاج ورغب الي سليمان ان يعفيه من الخراج واشار عليه بصالح بن عبد الرحمن فضيق على يزيد حتى ضجر ، وجاء خبر خراسان ومقتل قتيبة فطمع في ولايتها ودس الى سليمان من يطلب اليه ان يوليه خراسان وهو لايشعر بان يزيد يرغب في ذلك فنجح وكتب الى يزيد عهده على خراسان فسار اليها وأمره سليمان أن يسأل عن قتيبة فان أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يظلم فقيد وكيما به

فلما قدم يزيد خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها في مائة الف من أهل الشام والعراق وخراسان سوي الموالى والمتطوعة، فابتدأ بقوهستان فحاصرها والح عليهم في القتال وقطع عنهم الموادحتى ضعفوا وعجزوا وطلبوا الصلح فأجابهم ودخل مدينتهم وأخذ مما فيها من اموال ثم خرج حتى أتى جرجان وكان اهلها قد صالحوا ايام سعيد بن العاص ثم كفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جراجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق فلم يكن يسلك طريق خرسان الاعلى فارس وكرمان فلما أتى يزيد استقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فاجابهم الى ذلك ؛ وطمع في طبرستان وسير الجنود اليها وسأله اصبهبذها الصلح على ان يخرج من طبرستان فابى يزيد ورجا ان يفتحها فاستجاش الاصبهبذ أهل الديلم وجيلان فاتوه ولقيهم المسلمون فهزموهم وصعد المسلمون وراء فلولهم في الجبل فاصيب المسلمون اصابة شديدة وغدر أهل جرجان وقتلوا من عندهم من المسلمين ثم فرغ يزيد الى حيان النبطي ورجاء أن يعمل في الصلح فقبل ورجاء الاصبهبذ فمت اليه بنسب العجم

وتتصل له وقتل له في الذروة والغارب حتى صالح على سبعمائة الف درهم واربعمائة وقر زعفران وغير ذلك فارسل يزيد من يقبض ماصالحهم عليه وانصرف الى جرجان وعاهد الله ان ظهر بهم ليطحنن القمح على سائل دمائهم ويأكل منه فخرم سبعة أشهر حتى دله رجل من الاعاجم على الطريق اليهم فسير اليهم ثلثمائة رجل ثم اوقد النيران فلما نظر العدو الى النار هالهم ذلك فخرجوا الى المسلمين مطمئنين آمنين خلفهم وتقدم اليهم يزيد فلم يشعر المشركون الا بالتكبير من ورائهم ففروا الى حصنهم واتبعهم المسلمون حتى اعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فقتل المقاتلة وسبى الذرية وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره وقاد منهم اثنى عشر الفا الى وادى جرجان وقتلهم اجمعين واجرى الماء على الدم وعليه ارحاء ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز وأكل ثم استعمل على جرجان وعاد الى خراسان

﴿ موت سليمان والبيعة لعمر بن عبد العزيز ﴾

ثم مات سليمان بدابق بالتخمة من جراء اكلة أكلها واراد أن يعهد الى ولده داود ثم استصغره وقال له رجاء ابن حيوة : ابنك غائب عنك بقسطنطينية ولا تعرف حياته من موته فعدل الى عمر بن عبد العزيز وكتب عهده اليه ثم الى يزيد بن عبد الملك بعده وختم الكتاب وقال لرجاء (بعد أن جمع أهل بيته) اذهب بكتابي اليهم وامرهم فليبايعوا من وليت فيه ،ففعل ،فقالوا ندخل الى أمير المؤمنين فدخلوا فقال لهم في هذا الكتاب الذي في يد رجاء عهدى فاسمعوا واطيعوا لمن سميت فيه فبايعوا

رجلا رجلا وتفرقوا ،فلما مات سليمان جمعهم رجاء وقرأ عليهم الكتاب فلما ذكر عمر قال هشام والله لانبايعه أبدا فقال رجاء اذاً والله نضرب عنقك فقام آسفا وجاء الى عمر فبايعه واتبعه الباقون، ودفن سليمان بعد أن صلى عليه عمر

وبلغ عبد العزيز بن الوليد موت سليمان وكان غائبا ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا الي نفسه فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فاقبل حتى دخل عليه واعتذر وقال بلغني أن سليمان لم يعهد فخفت على الاموال أن تذهب فقال عمر لو قمت بالامر لقعدت في بيتي ولم أنازعك فقال عبد العزيز والله لاأحب لهذا الامر غيرك

﴿ خلافة عمر بن عبد العزيز ﴾

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموى القرشى ابو حفص ولد بالمدينة سنة ٦٠عام توفي معاوية أوبعدها بسنة . وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ،ولى الخلافة بعد موت ابن عمه سليمان بعهده اليه او(فيما يقال) بحيلة وضعها سليمان حتى بايعه يزيد وهشام ابناعبد الملك وتم أمره وذلك لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ ، وقد سار فى الخلافة سيرة الخلفاء الراشدين من التقلل والتقشف والعدل فى الرعية والانصاف الى ان توفى يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ١٠١ وكانت سنه يوم توفى تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك الذى تخلف بعده ، وكان مرضه بارض حمص ودفن بدير سمعان

هذا ولما قرىء العهد له بالخلافة قام رجل من ثقيف من أخواله (وكان عمر فى ناحية) فاخذ بضبعيه فاقامه، فقال عمر: أم والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب منى دنيا- وخطب حين استخلف فقال أيها الناس، والله ما سألت الله هذا الامر قط في سر ولا علانيه، ثم ان كان كارها لشيء مما وليته فالآن، فقال سعيد بن عبد الملك: ذلك أسرع فيما نكره، أتريد ان نختلف ويضرب بعضنا بعضا؟ قال رجل سبحان الله؛ وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ولم يقولوا هذا ويقوله عمر، وكان لا يأخذ من بيت المال شيئا ولا يجرى على نفسه من الفيء درهما، وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كل يوم، فقيل لعمر بن عبد العزيز لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال ان عمر ابن الخطاب لم يكن له مال وانا مالي يفتيني

وكان له غلام يقال له درهم يحتطب له، فقال له يوما: مايقول الناس بادرهم؟ فقال ومايقولون؟ الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر، فقال وكيف ذلك؟ قال أنى عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب طيب الطعام، فلما وليت رجوت أن أستريح وأتخلص فزاد عملى شدة، وصرت أنت في بلاء، قال فأنت حر فاذهب عنى ودعنى وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا

ولما ولى قال ان فدك كانت مما أفاء الله على رسوله، فسألتها فاطمة رسول الله فقال لها مالك ان تسأليني ولالى أن أعطيك فكان رسول الله يصنع فيها حيث أمر الله ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسول الله ثم ولى معاوية فأقطعها مروان ووهبها

مروان لعبد الملك وعبد العزيز فقسمناها بيننا اثلاثا ، أنا والوليد وسليمان ، فلما ولى الوليد سألته نصيبه فوهبه لى وما كان لى مال أحب الى منها وأنا أشهدكم انى قد رددتها الى ماكانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان يكتب الى عامله بالمدينة فى المظالم فيراددده فيها فكتب اليه : انه يخيل لى انى لو كتبت لك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى اذكرام انثى ، ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى أصغيرة أم كبيرة ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت ضائنة أم معز ، فاذا كتبت اليك فنفذ ولاترد على والسلام

وقال لبنى مروان ادوا مافى أيديكم من حقوق الناس ولاتلجؤنى الى ماأكره فاحملكم على ماتكرهون فلم يجبه أحد منهم فقال أجيبونى ، فقال رجل منهم والله لانخرج من أموالنا التى صارت الينا من آبائنا فنفقر ابناءنا ونكفر آباءنا حتى تزايل رءوسنا ، فقال عمر : أم والله لولا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم (أذللتها) ولكنى أخاف الفتنة ، ولئن أبقانى الله لارُدن الى كل ذى حق حقه ان شاء الله ، ثم جعل لايدع شيئا مما كان فى أيدى أهل بيته من المظالم الا ردها مظلمة مظلمة — وخطب يوما فقال ان هؤلاء (خلفاء بنى أمية) كانوا قد أعطونا عطايا ماكان ينبغى لنا أن نأخذها منهم ، وماكان ينبغى لهم أن يعطونا أياها ، وأنى قد رأيت الآن انه ليس على فى ذلك دون الله حسيب ، وقد برأت بنفسى والاقربين من أهل بيتى ؛ أقرأ يامزاحم ، فجعل مزاحم يقرأ كتابا كتابا فيه اقطاعات بالضياع والنواحى ثم يأخذه عمر فيقضه بالجلم (المقراض ،

ثم وضع المكس عن كل أرض ووضع الجزية عن كل مسلم ، وأباح الاحماء كلها الا القيع ، وفرض للناس الا التاجر لان التاجر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين زمازال يرد المظالم من أيام معاوية الى أن استخلف حتى لقد انتزعها من أيدى ورثة معاوية ويزيد — وبينا كان سليمان يقول لعامله اسامة بن زيد وقد ولاه خراج مصر : احلب حتى ينفيك الدم فاذا أنفاك فاحلب حتى ينفيك القيح ، لاتبقينها لاحد بعدى ، اذا بعمر يقول له ويحك ياأسامة انك تأتى قوما قد الح عليهم البلاء منذ دهر طويل فان قدرت أن تنعشهم فانعشهم

وأخبار عمر فى هذه المعانى مستفيضة وقد كتب الى أحد عماله ومن قبله من المسلمين : أما بعد فانظر أهل الذمة فارفق بهم ، واذا كبر الرجل منهم وليس له مال فانفق عليه فان كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه

وقد شاعت أخبار عمر في الآفاق حتى تسامع بعدله وحسن سياسته الروم فى المغرب وأهل الهند فى المشرق ، فقال في شأنه ملك الروم فى بعض حديثه عنه وقد مات : لقد بلغنى من بره وفضله وصدقته مالو كان أحد بعد عيسى يحيى الموتى لظننت أنه يحيى الموتى

وكتب عمر الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم وكانت سيرته قد بلغتهم. فأسلم حيشبة بن داهر وعده ملوك وتسموا بأسماء العرب ثم ارتد وازمن هشام وكتب اليه ملك الهند : من ملك الهند والسند ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك وتحته الف ملك والذى فى مملكته نهران ينبتان العود والكافور والاكرة التى يوجد ريحها من اثنى عشر فرسخا والذي فى

مربطه الف فيل وتحت يده الف ملك :الي ملك العرب :أما بعد فان الله هدانى الى الاسلام فابعث الى رجلا يعلمنى الاسلام والقرآن وشرائع الاسلام وقد أهديت لك هدية من المسك والعنبر والند والكافور فاقبلها فانما أنا أخوك فى الاسلام والسلام

وكتب الى أحد عماله لاتقاتلن حصنا من حصون الروم ولاجماعة من جماعاتهم حتى تدعوهم الى الاسلام فان قبلوا فاكفف عنهم وان أبوا فالجزية فان ابوا فانبذ اليهم على سواء

عطفه على مقاتلة المسلمون (١) وجه سنة ٩٩ الى مسلمة بن عبد الملك وهو بارض الروم يأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه لهم خيلا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم ولم يغفل مع ذلك عن غزو الروم عندما يقتضى الحال ذلك (٢) أمر أهل طرندة على ثلاث مراحل من ملطية فى بلاد الروم بالقفول عنها الى ملطية وكان عبد الله بن عبد الملك قد اسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ٨٣ فعادوا الى ملطية واخربوا طرنده — ولو طال به الاجل لاجلى المسلمين عن الاندلس لانه رأي أن أقامتهم فيها غير طبيعية لاحاطة الاعداء بهم

الاحوال الداخلية — كانت الدولة الاسلامية على عهده غاية فى الطمانينة وحسن الحال والرواج ،غير أن شوذب الخارجى واسمه بسطام تحرك سنة ١٠٠ وكان فى ثمانين رجلا فكتب الى عامله بالكوفه الا يحركهم حتى يسفكوا دما ويفسدوا فى الارض فان فعلوا فوجه اليهم رجلا صليبا حازما فبعث اليهم محمد بن جرير بن عبد الله البجلى فى الفين وأمره بما كتب به عمر ثم أن عمر كتب الى شوذب يسأله عن

مخرجه وكان فى كتابه بلغنى أنك خرجت غضبا لله ولرسوله واست أولى بذلك منى فهلم الى أناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان فى يدك نظرنا فى أمرك فكتب اليه شوذب قد أنصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك فلما قدما على عمر ناظرهما واقنعهما بخطأ نظرياتهم وقال انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا، لطلب الدنيا ومتاعها ولكنكم أردتم الاخرة فاخطأتم سبيلها، فقال احدهما بعد حديث أشهد أنك على حق، وقال الثانى أعرض على الناس ماقلت وانظر ماحجتهم فاقام الاول عنده خمسة عشر يوما ثم مات ومات عمر ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لايتعرضون اليه، كل منهم ينتظر عودة الرسل من عند عمر بن عبد العزيز

وكتب عمر الى يزيد بن المهلب بان يستخلف على عمله ويقبل اليه ثم كتب الى والى البصرة عدى بن أرطاة بأن ينفذ اليه ابن المهلب موثوقا فقبض عليه وهو يريد البصرة من واسط واوثقه وبعث به الى عمر فحبسه وكان يبغض يزيد وآله ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم، وكان يزيد يبغض عمر ويقول أنه مراءى ولما دعاه عمر سأله عن أموال كتب بها الى سليمان، فقال أنما كتبت الى سليمان لاعلم الناس به فقال له لاأجد فى أمر الله الا حبسك فاتق الله وأد ماعليك فانها حقوق المسلمين ولا يسعنى تركها وحبسه بحصن حلب واستشفع فيه فلم يقبل، ولما أبى أن يؤدى ماعليه ألبسه جبة صوف وحمله على جمل وقال سيروا به الى دهلك ثم خشى أن ينتزعه

قومة فرده الى محبسه فبقى فيه حتى بلغه مرض عمر فهرب الى البصرة وغلب عليها وحبس عديا وخلع يزيد كما سيجيء

﴿ أمر بنى العباس ﴾

كان محمد بن على بن عبد الله بن العباس ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام ولما مات بن الحنفية تولى زعامة الدعوة الى العلويين ابنه أبو هاشم عبد الله فكان يتردد على سليمان بن عبد الملك فاجتمع به محمد بن على فاحسن صحبته واجتمع بسليمان فأكرمه وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ماحسده عليه وخافه ، فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه فى لبن ، فلما أحس أبو هاشم الشر قصد الحميمة من أهل الشراة وبها محمد بن على فنزل عليه وأعلمه أن هذا الأمر صائر الى ولده ، وكان قد أعلم شيعته بذلك وأمرهم بقصد محمد ، فلما مات أبو هاشم تولى زعامة الهاشميين محمد بن على هذا وقصده الشيعة وبايعوه فوجههم الى العراق وخراسان وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته فى رفق وستر ، فلم يظهر أمره كثيرا غير أنه شاع فى الاقطار .

(الاحوال الخارجية) — وكانت أحوال الدولة الخارجية على أحسن مايمكن ، وقد رأيت ماكان من ملك السند شرقا وملك الروم عربا فى شأنه .

أما الترك فقد أغاروا سنة ٩٩ على أذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة فوجه اليهم حاتم بن النعمان الباهلى فقتلهم و لم يفلت منهم الا اليسير .

﴿ موت عمر بن عبد العزيز ﴾

شكا عمر بن عبد العزيز عشرين يوما فقيل له لو تداويت فقال لو كان دوائى فى مسح أذنى ما مسحتها نعم المذهوب اليه ربى، وكان يقال له أشبح بنى مروان رحمته دابة من دواب أبيه وهو غلام فشجته واختلف فى سبب موته فقيل انه لما رد المظالم التى احتقبها بنو مروان أبغضوه وذموه وسموه فمات، وقيل أن أحد رسولى شوذب قال له : افتسلم هذا الامر الى يزيد من بعدك وانت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق فقال انما ولاه غيرى والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي قال أفترى ذلك من صنع من ولاه حقا؟ فاحرج عمر وكان يقول اهلكنى أمر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم من الاموال وان يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاه سما فلم يلبث الا ثلاثا حتى مرض ومات

وفى حياته توفى أخوه سهل بن عبد العزيز وكان فاضلا دينا زاهدا وبعده توفى ابنه الشاب الصالح الناسك عبد الملك بن عمر وكان بعض أهل الشام يقول : أن عمر بن عبد العزيز انما ادخله فى العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك هذا

ومن مآثر عمر أنه أبطل عادة سب على على المنابر وكانت بدعة ابتدعها معاوية ليقرر فى نفوس الناس ان بنى هاشم لا حظ لهم فى هذا الامر وان سيدهم الذى به يصلون ويفخرون هذا حاله وهذا مقداره فيكون

من ينتمى اليه ويدلى به عن الامر أبعد وعن الوصول اليه أشحط وأنزح ولما أبطل هذه البدعة جعل مكانها (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية) و(أن الله يامر بالعدل والاحسان الاية ولا يزال الخطباء يستعملون الاخيرة الى الآن

(خلافة يزيد بن عبد الملك)

وهو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين أبو خالد القرشي الأموى الدمشقى ولى الخلافة بعد ابن عمه عمر بعهد من أخيه سليمان معقود فى تولية عمر ، فان سليمان كان قد عهد لعمر بالخلافة ثم خاف من أخوته ومن الناس فاخفى ذلك وبايع الناسَ لما هو مكتوب ، فقالوا نبايع على أن يكون فيه ولد عبد الملك فبايعوا فاذا فيه عمر بن عبد العزيز ثم من بعده ليزيد وهشام ابنى عبد الملك فتمت البيعة

وقد لبث فى الخلافة الى أن مات فى الخامس والعشرين من شعبان سنة ١٠٥ وكانت خلافته أربع سنين وشهرا - وكان سبب موته أنه كان يحب جارية من جواريه يقال لها حبابة وكانت مغنية وكان يزيد صاحب لهو وطرب فلما ولى الخلافة بعد عمر أقام بسيره بسيرته أربعين يوما وترك اللهو والشرب فقالت حباية لحصى ليزيد كان صاحب أمره ويحك قربنى منه حيث يسمع كلامى ولك عشرة آلاف ففعل فلما سمع بها يزيد أنشأ .

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسى فى البكاء وأسعد

وأبياتا أخرى بالالحان ،فلما سمعها قال للخصى قل لصاحب الشرطة يصلى بالناس ودخل اليها وعاد الى انهماكه ولذاته، فلماكان بعض الليالى شرقت حبابة فماتت فحزن عليها يزيد حزنا عظيما وخلاها ثلاثة أيام لم يدفنها وهو ينظر اليها ثم دفنها خمسة أيام ثم نبشها وأخرجها وجعل يقلبها ويبكى فقوى عليه الحزن حتى قتله بعد سبعة عشر يوما وهو ببلاد البلقاء

الاحوال الداخلية: لما تولى يزيد عمد الى كل ماصنعه عمر مما لم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجله ولا اثم عزل عماله الا قليلا منهم وكتب اليهم أما بعد فان عمر كان مغرورا ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والضريبه ، فاذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ماكنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى ، أخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا والسلام .

مقتل يزيد بن المهلب: علمنا أن يزيد هذا هرب من سجن عمر فى مرضه وغلب على البصرة فجهز له الخليفة جيشا جعل عليه أخاه مسلمة بن عبد الملك وأرسل الى أهل الكوفة شيئا يفرق على أهلها يمنيهم الزيادة، وقدم مسلم الكوفة ومعه العباس بن الوليد بن عبد الملك ونزلا بالنخيلة ، فلما سمع اصحاب ابن المهلب وصول مسلمة واهل الشام راعهم ذلك فخطب فيهم ابن المهلب وبين لهم أن أهل الشام تسعة أسياف سبعة منها له واثنان عليه وأن مسلمة ماهو الا جرادة صفراء اتاكم فى أوباش وأخلاط ، ثم بعث الى عماله على الاهواز وفارس وكرمان وبعث اخاه مدركا الى

خراسان فلم يدخلها ـ أما يزيد بن المهلب فقد حث أهل البصرة على الجهاد وزعم لهم ان جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ثم سار بهم من البصرة وأتى واسطا فأقام بها أياما ثم سار عنها وقدم أخاه عبد الملك نحو الكوفة فهزمه العباس فسار يزيد نفسه وقد اجتمع اليه عدد وفير من أهل الكوفة والثغور ، وخرج مسلمة فمبى جنوده أهل الشام ثم التقى الجمعان سنة ١٠٢ فانهزم اصحاب ابن المهلب وقتل اخوه حبيب فاستقتل واقبل نحو مسلمة لا يريد غيره فبادر اليه رجل من كلب فى نفر فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وأتى برأسه فسيره مسلمة الى أخيه الخليفة وقتل محمد بن المهلب وبقى المفضل فتفرق اصحابه عنه ومضى الى واسط وجاء عسكر الشام الى عسكر يزيد فاقتتلوا وأسر منهم مسلمة نحو ثلثمائة فسرحهم الى الكوفة وجاء كتاب الخليفة بضرب رقابهم فقتل فيهم مسلمة وبدّع وقل من نجا منهم ، واجتمع أهل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا للركوب فى البحر وفر الى كرمان والمقدم عليهم المفضل فارسلت الجنود فى اثرهم فقاتلوهم حتى طلب ناس من اصحابهم الامان ، ومضى آل المهلب ومن معهم الى قندابيل وهنالك تفرق الناس عنهم فتقدم المفضل ومروان وغيرهم من بنى المهلب فقاتلوا وحملت رءوسهم (وفي اذن كل واحد منهم رقعة باسمه وتساؤهم واسراهم الى مسلمة بالحيره فبعثهم الى الخليفة وهذا أبعثهم الى العباس بن الوليد وهو على حلب فنصب الرءوس واراد مسلمة أن يبيع الذرية فاشتراهم منه الجراح بن عبد الله الحكمى بمائة ألف وخلى سبيلهم غير أن مسلمة لم يأخذ من الجراح شيئا وبذلك

استؤصلت هذه الاسرة المجيدة ذات الفضل العظيم والاثر الواضح فى الفتح الاسلامي ولم يبق منهم الا ثلاثة نفر أمنوا اخيرا ولم يكن لهم شأن ولا أثر

ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع له أخوة ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد خذينة لانه زوج ابنة مسلمة

(أمر بنى العباس ودعاتهم)

وفى عهد سعيد هذا ظهر أمر الدعاة بخراسان اذ جاءه من قال له ان ههنا قوم قد ظهر منهم كلام قبيح واعلمه حالهم وانهم يزهدون الناس فى سلطان بنى أمية لخبث سيرتهم وعظيم جورهم وقد استجاب لهم أناس كثير وفشا بعض أمرهم وعلن ، فبعث سعيدا لهم فقال من أنتم ؟ قالوا ناس من التجار ، قال فما هذا الذى يحكى عنكم؟ قالوا لا ندرى ، قال جئتم دعاة ، قالوا انا فى أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا ؛ فخلى سبيلهم بضمان فارتحلوا عن مرو وأداروا كور خراسان ورسا نيقها فى عداد التجار يدعون الناس الى محمد بن على فلم يتخلف احد عن الاستجابة اليهم ، وسر ذلك يرجع الى شدة الحجاج وعماله فانهم ارهقوا الناس حتى ملوهم وتمنوا لو ان احدا يدعوهم الى الخروج على الامويين وخلعهم من سلطانهم فيخرجون معه ويعينونه باموالهم وانفسهم حتى يتخلصوا مما هم فيه على أي صورة —

﴿ قصة يزيد بن أبى مسلم ﴾

قدمنا ان يزيد بن عبد الملك أخرجه من السجن وولاه افريقية وكان على نمط الحجاج فى الجبروت وسفك الدماء فلما ولى عزم ان يسير فيهم بسيرة الحجاج فى أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة فاسلم بالعراق فان الحجاج كان يردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار فاراد يزيد ان يفعل باهل سواد افريقية كذلك فكلموه فى الامر فلم يسمع وعزم على ماعزم عليه فاجمع رأيهم على قتله ووثبوا عليه وقاتلوه وقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان قبله وكان عندهم وكتبوا الى الخليفة انا لم نخلع ايدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا مالا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه واعدنا علينا محمد بن يزيد مولى الانصار ، فكتب الخليفة اليهم انى لم ارض بما صنع يزيد وأقر مولى الانصار على عمله مدة أيام (مقتل شوذب) لما مات عمر بن عبد العزيز أحب أمير الكوفة ان يحظى عند يزيد ، فكتب الى محمد بن جرير بمناجزة شوذب ففعل ، فكتب شوذب الى ابن جرير ما أعجلكم قبل انقضاء المدة ؟ فارسل اليه انه لايسعنا تركنا على هذه الحال فقالت الخوارج ما فعل هؤلاء هذا الا وقد مات الرجل الصالح وقاتلوا وانتصروا وفر منهم بن جرير وجيشه فتبعوهم حتى ادخلوهم الكوفة ورجعوا الى مكانهم واقام شوذب ينتظر صاحبيه فقدما واخبراه بموت عمر ووجه الخليفة اليهم فصيلة فهزموا فارسل ثانية وثالثة والخوارج يهزمونها حتى دخل مسلمة

الكوفة فشكا اليه اهلامكان شوذب وخوفوه منه فارسل اليه عشرة آلاف فحملوا عليهم فطحنوهم طحنا وقتلوا شوذب واصحابه

﴿ الغزو ﴾

(١) لما ولى سعيد خذينة خراسان استضعفه الناس وطمعت الترك فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد فاقبلوا الى سمرقند فندب عاملها الناس فانتدب أربعة آلاف من جميع القبائل وعليهم المسيب بن بشر الرياح فلما دنوا من الترك كبروا وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجلوا ومازالوا يقاتلونهم صابرين حتى هزموا الترك هزيمة منكرة

(٢) ثم عبر سعيد النهر وغزا الصغد وكانوا قد نقضوا العهد واعانوا الترك على المسلمين فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لاتتبعوهم فأن الصغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم باأهل العراق الخلفاء غير مرة فهل ابار وكم فخالفه فريق من جنده وتبعوا الترك وكان كلما بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فثقل على الناس وضعفوا وأخذ الشعراء يذمونه — فلما تولى عمر بن هبيرة على العراق فكان مسلمة بن عبد الملك عزل سعيدا هذا وولى سعيد بن عمرو الحرشى ففزع منه أهل الصغد وخرجوا الى جختده وارسلوا الى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته فأبى وانزلهم رستاقا عينوه فسار اليهم الحرشى وحصرهم ونصب عليهم المجانيق فاستغاثوا بملك

فرغانة فلم ينجدهم فطلبوا الصلح وسألوا الامان وان يردوا الى الصغد فشرط عليهم شروطا قاسية وانذرهم ان احدثوا حدثا فنقضوا فقتلهم عن آخرهم واصطفى أموالهم وذراريهم واخذ ماعندهم وكتب بذلك الى الخليفة ولم يكتب الى ابن هبيرة ولذلك عزله عن خراسان

(٣ وكانت الخزر قد أغارت على المسلمين بجبال ارمينية واحتووا عسكرهم وغنموا مافيه فاقبل المنهزمون الى الشام فوبخهم الخليفة فاستعمل على ارمينية الجراح بن عبد الله الحكمى وأمده بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء فسار وسمع به الخزر فعادوا حتى نزلوا باب الابواب ونزل الجراح برذعة فاقام حتى استراح وعبر نهر الكر واستكثر من الميرة واسرى ليلا حتى انتهى الي باب الابواب فلم ير الخزر فبث سراياه فى النهب والغارة على مايجاوره وسار اليه الخزر فالتقوا بأران واقتتلوا وكان على الكفار ابن الخاقان فنصر الله المسلمين وركبوا أقفية الاعداء قتلا وأسرا وسبيا وغنموا جميع مامعهم وتبعوهم يملكون منهم حصونهم حصنا حصنا حتى وصلوا الى بلنجر وراء باب الابواب

(٤) أما غزوات الروم فكانت لاتنقطع فغزى مروان بن محمد الصائفة وافتتح قونية وغزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق فهزمهم واسر منهم نحو سبعمائة وكانت الروم قد اغارت على مصر ونزلت تنيس

موت الخليفة - وفى سنة ١٠٥ توفى الخليفة وكان حينما وجه

الجيوش الى يزيد بن المهلب قد عهد الى أخيه هشام ثم الى ابنه الوليد بن يزيد

﴿خلافة هشام﴾

وهو هشام بن عبد الملك بن مروان الأموى القرشى الدمشقى أبو الوليد ، استخلف بعهد من أخيه يزيد وكان عمره اذ ذاك أربع وثلاثون سنة ، ولبث خليفة تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما وكان جميل الصورة وبعينيه حول ومات بالذبحة فى الرصافة من قنسرين لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ١٢٥ وهو ابن خمس وثلاثين سنة — ولم يك في بنى أمية من ملوكها أعطر ولا ألبس منه

﴿أحوال الدولة على عهده﴾

طالت أيام هشام فى الخلافة فكثر فيها عزل الولاة وتنصيبهم وتحيز فريق من الناس الى هذا الوالى وفريق الى الوالى السابق وبدأ أمر العصبية يظهر فتطاحنت المضرية واليمنية في خراسان وانحاز الأولون الى الوالى نصر بن سيار والآخرون ومعهم ربيعة وغيرها الى عمرو بن مسلم الباهلى أخى قتيبة بن مسلم ووقع القتال بين الفريقين — ومهما يكن من نتيجته فيما بعد فانه جمع بلاد خراسان ملائمة جد الملاءمة لنمو الدعوة الى بنى العباس ، فضلا عن انه يطمع الترك وغيرهم في بلاد المسلمين نعم ان أسد ابن عبد الله القسرى لما ولى خراسان فتك بدعاة بنى العباس ولكنه تعصب الى اليمنية وضرب نصر بن سيار وجماعة معه بالسياط وأرسلهم الى

أخيه خالد بالعراق بحجة انهم أرادوا الوثوب به فكان هذا العمل سبب عزله وتولية أشرس السلمى وهذا أراد الخير فكتب الى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس وبنوا المساجد فانكسر الخراج فامر باعادة الجزية على من أسلم فحصلت فتنة دخل فيها بعض العرب حمية لمن أسلموا أو نكاية في اشرس وكفرت الصغد وبخاري واستجاشوا الترك فانقض عليهم اشرس وحرض الحرث بين سريج الناس على الجهاد فحملوا حتى فرقوهم ودخل اشرس بيكند ثم بخارى أما خاقان الترك فقد انضم اليه أهل فرغانة وطوائف من أهل بخارى وحاصروا كمرجة فاستبات المسلمون فى قتالهم ثم اتفقوا على أن يرتحل خاقان ويرتحلوا

وبينا أشرس فى هذا عزله الخليفة وولى الجنيد بن عبد الرحمن فعبر الى ماوراء النهر وحارب الترك وانتصر عليهم بمساعدة اشرس وعاد الى مرو فتعصب للمضرية ولم يول غيرهم عملا — ثم جاشت الترك فى قابل ونزلوا سمرقند فسارع اليهم الجنيد واذ كان على أربعة فراسخ من المدينة صبحه خاقان في عدد لايحصى ونشب القتال فابلى نصر بن سيار بلاء حسنا وأقبل الجنيد فوقف تحت راية اليمنية وكان قد جفاهم فقال صاحب رايتهم ماجئت لتكرمنا ولكنك علمت انه لايوصل اليك ومنا رجل حى فان ظفرنا كان لك وان هلكنا لم تبك علينا وما زال القتال مستمراً حتى أعيا الناس وتعاجزوا — وكتب الجنيد الى عامل سمرقند بالقدوم عليه ان لم يفعل فبين اليه خطر الطريق فهدده فلم يجد بدا من اجابته فهلك بمن معه لانه خالف الطريق وسار على غير ماء وكانوا ١٢ الفا

لم ينج منهم غير الف فخرج الجنيد يريد سمرقند فتوجه خاقان الى بخارى فلقيه الجنيد بكرمينية واقتتلوا فقتل عظيم من الترك تطيروا بقتله وولوا مدبرين فدخل المسلمون بخارى آمنين ثم عزل هشام الجنيد

خروج الحرث بن سريج — وبينا الناس يحاولون تهدئة الاحوال هالك اذا بالحرث بن سريج قد لبس السواد ودعا الى كتاب الله وسنة رسوله والبيعة الى الرضا كما يقول دعاة بنى العباس فزاد الطين بلة ، وكان الحرث عظيم الازد بخراسان فاجتمع عليه منهم ومن غيرهم خلق كثير انتصاراً للعصبية اليمنية حتما ، وسار بهم الحرث الى بلخ وطرد نصر بن سيار عاملها ثم استولى على الجوزجان والطالقان ومرو الروذ وأراد قصد مرو الشاهجان فهزمه والى خراسان وهو عاصم بن عبد الله الهلالى ثم ماهو الا ان هشاما ولى العراق خالد بن عبد الله القسري فولى خراسان أخاه أسد بن عبد الله ، وبلغ عاصما اقباله فصالح الحرث واتفقا على أن يكتبا الى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه وجمعا رؤساء الناس ليشهدوا فقام يحيى بن حضين وقال هذا خلع أمير المؤمنين فانفسخ مابينهما وعادت الحرب فانهزم الحرث أيضا وعظم أهل الشام يحيى وكتبوا الى أسد بما كان وبهزيمة الحرث فلقيه الكتاب فى طريقه الى خراسان فلما جاءها حبس عاصما ولم يجد بيده الا مرو ونيسابور وبقية بلاد خراسان بايدى اتباع الحرث وهو مقيم بمرو الزود فوجه اليه جندا ليشغله وسار الى آمل فحاصرها حتى طلب أهلها الامان فأمنهم وسار الى بلخ وانحدر منها الى ترمذ بالسفن فوجد أهلها يحاربون الحرث وهو يحاصرهم فهزموه وعاد أسد الى بلخ ثم سار الى زم فقاتل أصحاب الحرث بها حتى

استأمنوا فامنهم وذهب الى سمرقند ثم عاد الى بلخ - وفطن بجماعة من دعاة بنى العباس فبدع فى التنكيل قتلا وتمثيلا وحبسا ثم أطلق اليمنيين ومن كان معهم من ربيعة وأراد قتل من كان من مضر (تحيزا للعصبية أيضا) فدعا موسى بن كعب من الدعاة وألجمه بلجام حمار وجذب اللجام فحطمت أسنانه ودق وجهه

أما ماكان من أمر الحرث بعد ذلك فان أسدا وجه الى أهله وأصحابه وهم باحدى قلاع طخارستان جديع بن على الكرمانى فحاصرهم حتى نزلوا فجعلهم سبيا وباعهم فى سوق بلخ ممن يريد من العرب والموالى — واتفق ان الحرث نقم عليه ٥٠ رجلا من أصحابه وقالوا له ارتحل عنا وطلبوا الامان من أسد فسير اليهم الكرمانى فحصرهم حتى عطشوا وجاعوا فسألوا أن ينزلوا على حكم أسد فنزلوا وأرسل اليه أسد أن يبعث بخمسين من وجوههم اليه فقتلهم أسد ثم أرسل الى الكرمانى أن يجعلهم أثلاثا : فثلث يقتلهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم — ففعل كل ذلك وأخرج أثقالهم فباعها أما الحرث ففر الى الترك وانضم الى خاقان على المسلمين - وقد اتخذ أسد بعد ذلك مدينة بلخ داراً ونقل اليها الدواوين

وأخبر الحرث خاقان ان أسدا لاينهوض به اذ لم يبق معه كثير جند ، فطمح خاقان وجميع جنوده وسار فعلم أسد فدعا الناس من فوره واستشارهم فاستقر الرأى على المناجزة فخرج من بلخ يقصد الترك فلما تراءى العسكران قال خاقان للحرث ألم تكن أخبرتنى ان أسدا لاحراك به ، فطمأنه وحمل الحرث بالميسرة فحملت عليه ميمنة أسد

آسيا الغربية
أهم الأماكن التي ترد في تاريخ الشرق الأدنى القديم
وأهم عصوره
رسم
الصحراء العربية
الخليج العربي
البحر الأحمر
الأحقاف
نجد
الحجاز
عمان
فارس
كرمان
مكران
الهند
الفرات
دجلة
النيل
الجزيرة العربية
وضع
أفريقية

من الازد وتميم وغيرهم فانهزم شر هزيمة وانهزم الترك جميعا بانهزام خيرتهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون والحرث يحمي خاقان وهو يفر فيقال انه وصل الى طخارستان وسار منها الى بلاده يستعد لمحاصرة سمرقند فقتله هنالك غيلة كور وصول الترك لنزاع كان بينهما من أجل لعب النرد ويقال ان المسلمين أدركوه وهو فار فقتلوه وعلى أي حال فانه بقتله تفرقت الترك واشتغلوا بغير بعضهم على بعض فكتب أسد الى هشام بمصير خاقان فسجد شكرا لله غير أن القيسية حسدوا أسدا على هذا التوفيق وأخذوا يدبرون، أما الحرث فانه ظل في بلاد الترك حتى جاءت أيام يزيد بن الوليد فاخذ نصر بن سيار له الأمان فعاد ولعب دورا هاما في فتن خراسان الاخيرة حتى قتله الكرمان على ما سيجيء

كانت ظروف الاحوال بخراسان خلال هذا الاضطراب ملائمة لبني العباس اذ كان دعاتهم يجوبون كورها وبلاد ماوراء النهر ثم توفي محمد بن علي واوصى الى أكبر ولده ابراهيم الامام فارسل ابا مسلم الخراساني الى الدعاة في المشرق يعلمهم وفاة محمد وقيام ابراهيم بالامر فسودوا ثيابهم حزنا على محمد وجدوا فيما يريدون حتى كثروا وعلن أمرهم وعلم هشام فاستشارا أولى الرأي فيمن يوليه أمر تلك الناحية فاشير عليه بالكرماني فقال لاحاجة لي في اليمانية وكان يبغضهم وكذلك كان بنو امية عامة فاشير عليه برجل من ربيعة فقال ربيعة لاتسد بها الثغور فاشير عليه بنصر بن سيار فقبل لان هواه في المضرية فقيل له ليس لنصر بخراسان عشيرة فقال أي عشيرة أكثر مني وكتب الى نصر

بعهده على خراسان فكانت توليه بمثابة نصر للمضرية ـ هكذا كانت الاحوال فى خراسان

﴿الاحوال فى العراق والشام﴾

بينا دعاة العباسية فى خراسان يعملون بجد على قلب كيان الأموية لا يهنون لما يصيبهم فى هذا السبيل ولا يضعفون ولا يستكينون اذا باهل العراق قد أجمعوا أمرهم بينهم كحزب للملوبين من ابناء فاطمة وأردوا أن يبايعوا لرجل منهم فقدم اليهم بالكوفة زيد بن الحسين ابن على بن أبى طالب وكان الوالى اذ ذاك بعد خالد، يوسف بن عمر وهو ابن عم الحجاج ، فلما قدم زيد أقبلت الشيعة تختلف اليه وأمروه بالخروج وقالوا له نحن أربعون ألفا ، فقال أخاف أن تخذلونى وتسلمونى كما فعلتم مع أبى وجدي فحالفوا له ليكونن معه الى النهاية فاغتر بقولهم فنصح له جماعة من أهلهم فلم يقبل (كما فعل الحسين جده وعلى بن أبى طالب من قبله فاقام يبايعه الناس ويتجهز للخروج ثم خرج سنة ١٨١ فخرج اليه يوسف بن عمر واقتتل الفريقان فانهزم أصحاب زيد وخذلوه فقتل فى الميدان واكثر ما كان فى اصحابه فى شأنه أنهم واروه فى قبر وعموا مكانه على ابن عمر حتى لا يمثل به ومع هذا فان ابن عمر عرف مكانه ونبش القبر عليه واخرجه وقطع رأسه وأرسله الى هشام وصلب جسده بالكناسة من الكوفة فبقى مصلوبا ثم أحرق وذرى رماده فى الفرات

وكان ابن عمر قد أخذ خالدا بمال وحبسه فأمر هشام باطلاقه فأقام بالكوفة حتى انتهى أمر يزيد فاستأذن خالد الخليفة فى الجهاد بطرسوس فاذن له ثم أن جماعة

من اللصص أحرقوا ناحية من سوق دمشق ليشغلوا الناس بها وينهبوا النواحى الاخرى فدخل كاثوم بن عياض (وهو أن عم خالد وكان يعادن) وقال للخليفة هذا عمل محمد بن خالد وغلمانه ، فجاء بهم وحبسهم فبلغ ذلك خالدا فسار الى دمشق ونزل داره فغدا الناس عليه مسلمين حتى اذا فرغوا قال لهم خرجت بأذن هشام فحبس ابنى وغلمانى والله ليكفن هشام أولادعون الى عراقى الهوى شآمي الدار حجازي الاصل ابراهيم ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس الا وانى قدأذنت لكم أن تبلغوا هشاما (في كل ذلك يذكر هشاما باسمه مجردا) وبلغ أمره الخليفة فلم يعبأ به ثم مدح خالدا رجل فأدبه هشام ونفاه فامتعض خالد ، وقال يرضى ممن فضله على رسول الله وينكر على من وصفنى بخلال يحبها الله فأحبنى من أجلها فلم يحفل هشام به أيضا ، ولولا ماكان من حسن سياسة هشام وصبره على خالد لعمل أمر العصبية عمله علانية ولكنه كان فى تدبير سرى

﴿ أحوال المغرب والاندلس ﴾

ولى هشام عبيد الله بن الحبحاب مصر وأفريقية والمغرب فكان له من العريش الى طنجة الى السوس الاقصى الى الاندلس وما بين ذلك فكان أحد بنيه بمصر والثانى بطنجة والسوس والثالث بالاندلس وهو بأفريقية — فقدم مولاه عقبة السلولى عليه وكان أبو عقبة أعتق الحبحاب) فأكرمه وأدناه ،فقصده ذوو الحاجات فنص به بنو عبيد الله فخيره في ولاية ماشاء من سلطانه فاختار الاندلس فولاه عليها ففتح

أربونة وينبلونه وجليقية وأمعن فى أرض أفرنجة فقتل ببلاط الشهداء

أما والى طنجة والسوس فقد أساء السيرة وتعدي وأراد أن يخمس البربر وقال هم فيء المسلمين ، فانتهز البربر مسير الجيش الى غزو صقلية ونقضوا الصلح وتداعت عليه البلاد بأسرها مسلمها وكافرها لانه ارتكب مالم يرتكبه أحد قبله، وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة الحقير فاستولى على طنجة وبايعوه بالخلافة، فاضطر ابن الحبحاب الى مقاتلتهم وقتل ميسرة فولى البربر غيره فنهض بهم وقاتل المسلمين وقتل حماتهم وفرسانهم وسمع أهل الاندلس فثاروا على أميرهم وعزلوه وولوا آخر وبلغ الخبر هشاما فقال لأغضبن للعرب غضبة وأسير جيشا يكون أوله عندهم وآخره عندى، وأرسل جنداجعل عليهم بلج بن بشر وعمه كلثوم بن عياض القسرى فوصل الى القيروان ولقى بلج أهلها بالجفاء فشكوه الى حبيب بن أبى عبيدة وكان بواقف البربر بتلمسان فهدده فاعتذر اليهم وسار الى حبيب فتنازعا بالضرورة ثم اصطلحا على قتال البربر فلما التقى الجمعان انهزم المسلمون وفر بلج باهل الشام الى الاندلس فلم يدخلها على واليها الا بعد جهد وشروط منها أن يقيموا بالاندلس سنة واحدة فقط ثم يخرجوا فرضوا فأخذ منهم رهائن وأدخلهم وهم عراة لايواريهم الا دوابهم فكسامم عرب الاندلس على أقدارهم ـ وثار بربر الاندلس فهزمهم عاملها بمساعدة بلج وصحبه وفرض لهم فانتعشوا ومضوا معه الى قرطبة وطليطلة فهزموا من هنالك من البربر ، فلما مضت سنة قال لهم أخرجوا

وألح فى ذلك فنهضوا فأخرجوه من قصره بقرطبة سنة ١٢٣ وملك بلج الاندلس واستولى عليها وأخرج عاملها وقتله وصلبه وصلب خنزيرا عن يمينه وكلبا عن يساره وثار ولداه من جراء ذلك بجهات سرقسطه فهزمهما وغنم شيئا كثيرا الا انه جرح فى الموقعة ومات بعد أن ولي الاندلس ١٢ شهرا

فولى أمرها بعده ثعلبة بن سلامة ولاه أهل الشام تنفيذاً لما أوصى به الخليفة عند تحرك بلج بالجيش فثار عليه بربر ماردة فغزاهم وقتلهم غير انه تغير حاله واستبد بالناس وأخذ يبيع ذرارى البربر والعرب ويرهقهم من أمرهم عسراً وكان يبيعهم بالمناقصة حتى لقد بيع أحد الاشراف بعود وبيع الآخر بكلب ولذلك طلب أهل الاندلس الى عامل افريقية وهو حنظلة بن صفوان (الذي ولاه هشام فقتل بالبربر والخوارج فتكا ذريعا وقتل منهم ٨٠٠٠٠ وسنذكر عنه كلمة وجيزة) أن يرسل اليهم عاملا من قبله يجمع كلمتهم لانها تفرقت وكثر القتل فيهم ولا يأمنون تغلب العدو عليهم فارسل اليهم أبا الخطار الكلبى سنة ١٢٥ فاطلق الأسرى وجمع الناس بعد افتراقهم فدانت له جماعتهم وفرق أهل الشام على الكور ونظر لسواهم باحسن النظر وظهر أن تفريقة أهل الشام كان من جراء تعصبه لقومه فكان ذلك سببا لوثوب الصميل بن حاتم مع المضرية واستقلاله بأمر الاندلس الى أن وثب عليه يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٢٩ الى أن دخلها عليه عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٧

كلمة — وكانت الصفرية من الخوارج لا تنقطع ثوراتهم بافريقية والمغرب وقد قتل ابن كلثوم عياض القسرى وهو يقاتلهم واستبيح

فسكره سنة ١٢٣ وفى سنة حاصر واقابس وفى التى بعدها حصلت فتن كثيرة بالمغرب بين حنظلة بن صفوان وبين عكاشه الخارجى اذ كانت بينهما وقائع لم يسمع بمثلها وانهزم عكاشة وقتل من البربر مالا يحصى ثم التقى حنظلة مع عبد الواحد خليفة ميسرة على فرسخ من القيروان وقد جمع عبد الواحد ٣٠٠ ألف فبذل حنظلة الاموال للناس وضج القوم رجالا ونساء وأطفالا بالدعاء لحنظلة يسير بين الصفوف يحرض القتال حتى التحمت الحرب وأنهزم عبد الواحد وقتل وأسر عكاشة فقتله حنظلة وأحصى القتلى من البربر فكانوا مائه وثمانين الفا وهى اعظم ملحمة وقعت فى الاسلام بالمغرب وكتب حنظلة بذلك الى الخليفة هشام فسر بذلك سرورا عظيما وكان الليث بن سعيد يقول ما غزوة كنت أحب ان أشهدها بعد غزوة بدر أحب اليها من هذه الغزوة

هذا وفي سنة ١٢٥ هذه مات الخليفة هشام رحمه الله تعالى

(الفتح والغزو)

على الرغم مما كان من الاضطراب فى انحاء البلاد أيام هشام فان الغزو والفتح لم ينقطع فى سنة من سني خلافته اذ كان عمال خراسان لايفترون عن الغزو فى نواحيهم فضلا عن قيامهم القيام المحمود في قطع دابر الفتن والقضاء على الدعاة ومن أخصهم أسد بن عبد الله والجنيد ونصر بن سيار — وكان أكثر غزوهم فى أرض فرغانة وطخارستان وجهات سمرقند لرد الترك اذا جاشوا أو تأديب من يستجيب اليهم — وقد قتل أحد ملوك الترك (كورصول) بعد أن غزا المسلمين ٧٢ غزوة

وأراد أن يفتدي نفسه من نصر بالف جمل والف برزون فلم يقبل نصروقتله

وكان أبطال الفتح في ارمينية وأرض الروم والخزر وتلك النواحي:

١١ مسلمة بن عبد الملك الذي فتح قيسارية وغزا بلاد الخزر سنة ١٠ وكانت غزوته هذه تسمى غزوة الطين وكانت ملحمة عظيمة هزم الله فيها الكفار

١٢ معاوية بن الخليفة ، وكان لا ينقطع عن الغزو والاستيلاء على حصون الروم في سنة من السنين ، وكأنه سبر غور الروم وتعلم كيف يهاجم وينتصر عليهم

١٣ ومروان بن محمد عامل اذربيجان والجزيرة وقد غزا الروم غير ان فضله ظهر في نواحي الخزر ، فدخل جهات اللان والسرير وضايق ملك تلك الجهات حتى اضطر الى صلحه على الف رأس من الماشية ومائة مكيال من الحبوب سنويا

أما في بلاد أفرنجة فان هشاما ولى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي افريقية قبل ابن الحبحاب فاستعمل عبد الرحمن الغافقي على الاندلس فغزا أفرنجة وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة وعاد بها سالما وكانت نربونة مركز الاعمال الحربية ثم غزاهم مرة أخرى وأراد اخضاع بلادهم فسار اليه شارلمارتل وحصل بين الفريقين موقعة في نور أو بواتييه من حوض لوار ، فانتصر المسلمون أولا انتصارا باهرا وغنموا ولكنهم اشتغلوا بجمع الاسلاب وقسمة الغنائم فداهمهم الفرنجة وأوقعوا بهم وهزموهم شر هزيمة وقتل عبد الرحمن في الموقعة سنة ١٤

وتعتبر هذه الموقعة من المواقع الفاصلة في التاريخ لانها وضعت حدا

لتقدم العرب فى أوربا وأوقفت فى وجوههم هذا الباب فانقطعوا الى الاندلس وأخذوا فى أسباب عمرانها

وجهز ابن الحبحاب جيشا الى صقلية سنة ٢٢١ فنزل على سرسوقة فهابته النصارى وأدوا الجزية ولم يخذل لهشام جيش الا ماكان من جيش الجراح الحكمي فانه أغار من برذعة الى ابن خاقان سنة ١١٢ ليدفعه عن اردبيل فالتقى الجمعان وعظم القتال واشتد البلاء وانكسر المسلمون وقتل منهم خلق منهم أمير الجيش الجراح وغلبت الخزر على أذربيجان وحصل وهن عظيم على الاسلام هناك

﴿ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴾

بويع له بالخلافة فى ثلاث خلون من ربيع سنة ١٢٥ وامه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج وقتل بالهجراء من تدمر يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ١٢٦ وهو ابن خمس وثلاثين سنة

ولما ولى الخلافة صدرت عنه أمور قبيحة مشهورة عنه من شرب الخمر والفجور وتخريق المصحف بالنشاب — وذكر عنه بعض أهل التاريخ أمورا يستبعد وقوعها ، منها أنه دخل يوما فوجد ابنته جالسة مع مربيتها فبرك عليها وفجربها فقالت له المربية هذا دين المجوس فأنشد

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

واخذ يوما المصحف وفتحه فاول ماطلع له (واستفتحوا وخاب

كل جبار عنيد) فقال أتوعدونى ثم علقه ولا زال يضربه بالنشاب حتى خرقه ومزقه وهو ينشد

أتوعد كل جبار عنيـد فهأنا ذاك جبار عنيـد
اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يارب خرقنى الوليـد

ولما كثر فسقه خلعوه من الخلافة ـ بعد ان ولى سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما عكف فيها على البطالة وحب القيان والملاهى والشراب ومعاشقة النساء ، فتعاشق سعدى بنت سعيد فتزوجها ثم تعاشق أختها سلمي فطلق سعدى وتزوج سلمى فرجعت سعدي الى المدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك فندم الوليد على فراقها وكلف بحبها وكان له فى شأنها مع أشعب المضحك حديث تذكره كتب الأدب ثم كثر انتقاصه وعابه الناس بالشراب وطلب اللذات وكان يبلغه ذلك فلا يتغير عما رسم لنفسه فاجمعوا قتله

(مقتل الوليد) لما عزم الناس على قتله قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد ابن عبد الملك ، فخرج يزيد فأتى أخاه العباس ليلا فشاوره فى قتل الوليد فنهاه عن ذلك ، فأقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق فى أربعين رجلا فكسروا باب المقصورة ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وحمل يزيد الاموال على العجل ، وعقد لعبد العزيز بن الحجاج ونادى منادیه من انتدب الى الوليد فله الفان ، فانتدب معه الفا رجل ضم اليهم بعض القواد العظام

ولما بلغ الوليدَ الامر توجه من البلقاء الى حمص ثم خرج حتى انتهى الى قصر البريهة على أميال من تدمر وهنالك صبحته خيل حمص وكان

العباس بن الوليد قد بعثها وجاء فى غير خيل فقبض عليه عبد العزيز وسجنه، ونادى مناديه من أتى العباس فهو آمن ، فظن الناس ان العباس مع عبد العزيز على الوليد فتفرقوا عن الوليد فهجم عليه جند عبد العزيز وقتلوه بالسيف وأتى برأسه الى يزيد بن الوليد فنصبه بنفسه على رمح ـ ويقال انه لما أحيط به أخذ المصحف وقال أقتل كما قتل ابن عمى عثمان ـ وكان غفر الله له بعد أن ولى الخلافة يكره المواضع التى يراه فيها الناس ، فلم يدخل مدينة من مدائن الشام ولم يزل يتنقل ويتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده وأهله

ويقال ان سبب قتل الوليد يرجع الى العصبية وما تجر اليه عادة، وذلك ان الوليد لما تولى كان أول شىء نظر فيه انه كتب الى العباس بن الوليد بن عبد الملك بان يأتى الرصافة يحصى ما فيها من أموال هشام وولده ويأخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام لأياد كانت له على الوليد ففعل العباس ما أمره به ، ثم كتب الوليد الى يوسف بن عمر فقدم عليه من العراق فدفع اليه خالد بن عبد الله القسرى ومحمدا وابراهيم ابنى هشام المخزومى وأمره بقتلهم فأخذهم فعذبهم حتى قتلهم فغضبت اليمانية وغيرها وأتو يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة وخلع الوليد فامتنع وخاف ألا يبايعه الناس فلم يزالوا به حتى بايعوه سرا وكان اكثر ما هاجت من أجله اليمانية قول الوليد بن يزيد بعد قتل يوسف قصيدة جاء فيها

شددنا ملكنا بنى نزار ... وقومنا بهم من كان مالا
وهذا خالد فينا قتيلا ... الا منعوه ان كانوا رجالا

ولو كانت بنو قحطان عربا لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا تحمله سلاسلنا الثقالا
ولكن المذلة ضعضعتهم فلم يجدوا لذلتهم مقالا

فلما سمع من كان بأقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفا شديدا فاجتمعوا من مدن الشام وساروا نحو الوليد بدمشق فخرج اليهم بالمضرية فانهزمت مضر فدخل الوليد قصره وتحصن فيه . واقبلت اليمانية فدخلوا دمشق وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ورأسوه عليهم فارسل الى يزيد فبايعوه جميعا وارسل الى أشراف مضر فبايعوه أيضا طوعا وكرها وخلعوا الوليد فلبث مخلوعا أياما كثيرة وهو خليع بني أمية

وبعد فانني أقر هذه الرواية في سبب قتل الوليد، وأرى ان ما أثر من مجونه وفسقه وفجوره لم يك الا محض اختلاق لستر الحقيقة التي أدت الى قتله وهي أمر العصبية بؤيدها ويعضدها على اقتراف هذه الجريمة طمع أمراء البيت المالك في هذا المنصب الجليل وتحاسدهم وتضاغنهم وانطواؤهم على الاحقاد من جراء ظفر بعضهم به دون بعض ، وهذا أمر عادي وقد ضحى بالوليد من أجله غالبا ، وليس معنى هذا محاولة تنزيه الوليد عن الارتكاب فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ، وانما الذي يتبادر الى الباحث في التاريخ ان ارتكابا ليس السبب في قتله وتكون أخبار السوء الواردة في حقه قد ألفت تأليفا وألصقت به الصاقا وهي اما من وضع الذين نافسوا الوليد ونفسوا عليه مركزه من آل بيته ومن لف لفهم ان لم تك من وضع الخوارج او الشيعة للتسوئة على بني أمية عامة

في أشخاص بعض خلفائهم حتى ينفض الناس عنهم ويخلعوا طاعتهم وهذا أجدى على الخوارج والشيعة من اشهار السيوف عليهم

﴿ خلافة يزيد بن الوليد ﴾

وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وهو المسمي بالناقص لانه نقص الجند من عطائهم لما ولي الخلافة ، وكان ابن عمه الوليد المعروف بالفاسق قد زاد الجند زيادة كثيرة فنقصها يزيد هذا — وقد تم أمره قبل قتل الوليد كما سلف — بويع بالخلافة في جمادى آخر سنة ١٢٦، وأم يزيد هذا شاه فرندبنت فيروز بن يزدجرد وقد قدمنا أن قتيبة ظفر بها حينما ظفر بما وراء النهر فارسلها الى الحجاج وهذا أرسلها الى الوليد بن عبد الملك فاولدها يزيد هذا ولم تلد غيره وكانت أم فيروز بنت شيرويه بن كسري وأم شيرويه بنت خاقان وام أم فيروز بنت قيصر عظيم الروم فلذلك كان يزيد يفتخر ويقول

أنا ابن كسرى وجدي مروان وقيصر جدى وجدى خاقان

ومات بدمشق لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢٦ وهو ابن خمس وثلاثين سنة وقيل انه يوم وهو ابن تسع وثلاثين ومات ولم يبلغ الاربعين بعد أن ملك ستة أشهر الا قليلا

أم اخباره واحوال الدولة في عهده: لما بويع بالخلافة وضع للناس العطاء ، وفرق في اليمانية الصلات والجوائز واقبل محمد بن خالد الى قصر الوليد وتبعه هو والجند ثم نزلوا على الوليد فقتلوه واسدف الملك ليزيد (كذا يقال) ثم وجه الجيوش الى العراق لأخذ الناس بالبيعة ليزيد بواسط فاذعنوا بايعوا وقتلوا يوسف

ابن عمر، فبدأ القائد بالكوفة وأخذهم بالبيعة ثم سار الى واسط فبايعوه أيضا فلما فرغ دعا يوسف بن عمر الثقفي فقال له انت القاتل سيد العرب خالد بن عبد الله، قال كنت مأمورا وما لى فى ذلك من ذنب فهل لك أن تعفيني من القتل وأعطيك دبتي عشرة آلاف درهم (ولعلك تفهم من هذا كيف كانت روح الولاة فى ذلك العصر من النزوع الى الرشوة عند حدوث مايكرهون) فحمله الى محمد بن خالد بالشام فقال له محمد: أما زعمت انك كنت مأمورا فقد صدقت، وقد قتلت قاتل أبى وانما أقتلك بعبدة بن غزوان ثم قدمه فضرب عنقه

وكتب يزيد الى مروان بن محمد بالجزيرة وقد بلغه عنه تلكك في بيعته: أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام، ثم قطع اليه البعوث وأمرهم بالعطاء فلما بلغ مروان ان يزيد قطع البعوث اليه كتب ببيعته وبعث وفدا فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بموت يزيد فانصرفوا الى مروان ويروى انه لم يبايع يزيد حتى كاتبه يزيد ليبايع له ويوليه ماكان يتولاه أبوه محمد من الجزيرة وأرمينية واذربيجان، فبايع

(خطبة العرش) وخطب فى الناس فذم الوليد وذكر الحاد وانه قتله لفعله الخبيث، وقال: أيها الناس ان لكم على الا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة، ولا اكترى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطى زوجة وولدا، ولا أنقل مالا عن بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل نقلته الى البلد الذى يليه ولا أجمركم أحبسكم ولا أقفلكم فى ثغوركم فامتنعكم ولا أغلق بابى دونكم ولا أحمل على أهل جزيتكم، ولكم

أعطيناكم كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر ، حتى يكون أقصاكم كأدناكم ، فان وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة ؛ وان لم اف فلكم أن تخلعوني الا أن أتوب ، وان علمتم ان أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ماأعطيكم وأردتم أن تبايعوه ، فانا أول من يبايعه ، ايها الناس لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

﴿ اضطراب أمر بني أمية ﴾

كان قتل الوليد قنبلة قوية انفجرت فاثارت عوامل الاضطراب والفتنة في هذه الدولة :

(١) فوثب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعمان وكان الوليد قد حبسه بها فخرج من السجن وأخذ ماكان بها من الاموال وأقبل الى دمشق

(٢) وأغلق أهل حمص مدينتهم وهدموا دار العباس بن الوليد بن عبد الملك ونهبوها وسلبوا حرمه وطلبوه فهرب الى أخيه الخليفة ، وكاتبوا الاجناد ودعوهم الى الطلب بدم الوليد فأجابوهم ، ثم اتفقوا على الا يطيعوا يزيد وانتخبوا أميرا ووافقهم بعض أمراء البيت المالك فطمعوا وقصدوا دمشق فحصل بينهم وبين جند الخليفة موقعة في ثنية العقاب قتلوا فيها وأسروا فامتطر أهل حمص الى بيعة يزيد

(٣) ووثب أهل فلسطين على عاملهم وطردوه وأحضروا يزيد ابن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم فدعا الناس الى قتال يزيد فاجابوه — وبلغ أهل الاردن أمر فلسطين فولوا عليهم محمد بن

عبد الملك واجتمعوا معهم على قتال يزيد وبلغ الخليفة أمرهم فجرد عليهم جيشا وبذل الرشوة لبعض قادتهم فتفرق أمر الثائرين ولذلك بايع أهل البلاد عامة ليزيد

(٤) وامتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لمن ولاه والى العراق أمر خراسان

(٥) وثار أهل اليمامة بعاملهم وجمعوا له فاضطر الى الهرب وتركهم فتولى أمرهم أحد بني حنيفة ولكن الحروب وقعت فيما بينهم فظلوا كذلك الى خلافة مروان

(٦) ووقع الخلاف بين النزارية واليمانية بخراسان وأظهر الكرماني الخلاف لنصر بن سيار، وقدم على نصر عهده من والي العراق فقال الكرماني لاصحابه: الناس في فتنة فانظروا لأموركم رجلا، فقالوا له انت لنا، وقالت المضرية لنصر ان الكرماني يفسد عليك الأمور فأرسل اليه فاقتله أو احبسه فارسل صاحب حرسه ليأتيه به فارادت الازد أن تخلصه من يده فمنعهم من ذلك وسار الى نصر غير مكترث فأمر بضربه وحبسه فاحتلت الازد حتى أخرجته من السجن فلم يصل الصبح حتى اجتمع له زهاء الف ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف، فلما سمع نصر عسكر بباب مرو الروذ ثم سفر الناس بينهما على أن يلزم الكرماني بيته فلزمه ثم بلغه عن نصر شيء فخرج، فأراد نصر نفيه من خراسان فأبى عليه أصحابه فأمنه وأعطى أصحابه، وبعد قليل عاد الكرماني الى جمع الرجال واتخاذ السلاح، وترك المجيء الى نصر وأظهر الخلاف، فأرسل اليه نصر فتهيأ للخروج

عن خراسان الى جرجان — ثم ماعو الا ان الوليد أمن الحرث بن سريج بمساعى نصر لأنه خاف قوته فى أصحابه الترك فيكون أشد عليه من الكرمانى وغيره فطمع في الحرث أن يناصحه فأخذ للحرث أمانا من يزيد ، فقدم الحرث ورد عليه نصر ماأخذ له وكان ذلك سنة ١٠٧

ولعل هذه الحوادث تريك صورة مصغرة للاحوال فى عهد يزيد على قصره بالبلاد والمناخة لقر الدولة وما والاها شرقا الى أرض خراسان التى كانت أحوال الفتن فيها ملائمة تمام الملاءمة لنجاح دعاة العباسيين ، قد شغلت نصر بن سيار عنهم حتى قوى أمرهم واشتدت شوكتهم وعلن شأنهم فى جميع كور خراسان

أما افريقية فقد استقل بها أخيراً عبد الرحمن بن حبيب حتى خطب للعباسيين ، وأما الاندلس فتفاقم الامر فيها وعظم الخلاف حتى اتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فظل أميرها الى أن دخل عليه عبد الرحمن الداخل فأسس بها للأمويين دولة بعد أن زالت دولتهم بالمشرق

(وفاة يزيد) مرض الخليفة وكان يرى رأى القدرية فألحت عليه القدرية وقالوا لايحل لك اهمال أمر الامة ، فبايع لاخيك ابراهيم ولعبد العزيز الحجاج بعده فلم يزالوا به حتى بايع لهما ومات

(أمر ابراهيم بن الوليد)

لما مات يزيد قام بالامر بعده أخوه ابراهيم فلم يتم له الامر

وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة ، وقوم يسلمون بالأمرة ، وقوم لايسلمون بخلافة ولا أمرة ، وجماعة تبايع ، وجماعة يأبون أن يبايعوا ، فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل ولى عهده وولي الامر بنفسه

ويروي ان المضربة تلاومت فيما كان من غلبة اليمانية عليها وقتلهم الوليد فاجتمعوا من كل حدب وساروا حتى وافوا مدينة حمص فاذا بها مروان بن محمد سار اليها فى جنود الجزيرة فلما انتهى الى قنسرين بايعه أهلها وسار وهم معه الى حمص لأن أهل حمص لم يبايعوا ابراهيم وعبد العزيز ، فلما دنا مروان منهم خرجوا اليه فبايعوه وساروا معه فوجه الخليفة ابراهيم اليهم الجنود من دمشق فضمن لهم مروان أنه لايطلب أحدا من قتلة الوليد اذا هم كفوا عن قتاله فلم يجيبوه وجدوا فى قتاله يوما وكان مروان ذا رأى ومكيدة فدبر اليهم عسكرا جاءوهم من خلفهم وهم لايشعرون فلما أحسوا بهم انهزموا فوضع أهل حمص السلاح فيهم لحنقهم عليهم وكف أهل الجزيرة وقنسرين عنهم ، وأتى مروان بنحو ثمانية عشر ألفا من أسراهم فأخذ عليهم البيعة لولدى الوليد وخلى سبيلهم ثم دخل مروان دمشق وهرب ابراهيم وثار من بدمشق من مولى الوليد وقتلوا عبد العزيز الحجاج بن عبد الملك ونبشوا قبر يزيد وصلبوه على باب الجابية ، وتتابع القوم على مروان يبايعون حتى استدف له الامر واعطاه أهل البلد الطاعة ورجع الى منزله بحران — وطلب ابراهيم الامان فأمنه هو وسليمان بن هشام وقدموا عليه جميعا فبايعوه وخلع ابراهيم نفسه

(خلافة مروان بن محمد)

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، ولى الخلافة على ماوصفنا وهو يومئذ شيخ بنى أمية وكبيرهم وكان ذارأى فاضل وأدب كامل وكان احزم بنى مروان وأنجدهم وابلغهم ولكنه ولى الخلافة والامر مدبر عنهم ولد بقرية من قرى الجزيرة سنة ٧٢ وقتل بقرية من قرى مصر يقال لها بوصير يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة ١٢٢ وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وعشرة أيام وكان يسمى مروان الحمار لبصره فى الحروب ويسمى الجعدي أيضا نسبة الى مؤدبه الجعد بن درهم وقد نشأ فى دولة اقاربه وولى الولايات الجليلة وافتتح عدة فتوحات حتى وثب على الامر بعد ابراهيم بن الوليد وبويع له بالخلافة سنة ٢٧ ، فلم يتهن بها لكثرة الحروب وظهور دعوة بنى العباس

﴿ انتقاض الناس على مروان ﴾

(١) لما رجع مروان الى حران راسل ثابت بن نعيم من فلسطين أهل حمص فى الخلاف على مروان فأجابوه وارسلوا الى من يتدمر من كلب فجاءوهم فى نحو من الف فارس ودخلوا حمص ليلة الفطر من سنة ١٢٧ فزحف اليهم مروان ومعه ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام ونزل عليهم ثالث يوم الفطر وقد سدوا أبوابهم فنادى منادية : مادعاكم الى النكث ، قالوا أنا على طاعتك قال فافتحوا الابواب ففتحوا فدخل أحد قواده فى ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون حتى هزموا وخرجوا من

باب تدمر فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان حتى أفنوهم وقتل مروان من أسراهم وصلب نحو خمسمائة وهدم من سور المدينة نحو علوه

(٢) وبلغه وهو بحمص انتقاض أهل الغوطة وانهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحاصروا دمشق فبعث اليهم أبا الورد بن الكوثر ابن زفر بن الحرث وغيره في عشرة آلاف فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم فانهزموا وقتل يزيد وأرسل رأسه الى مروان بحمص، وأحرق المجاهدون بعض قري اليمانية

(٣) وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طبرية فبعث اليه مروان ابا الورد فلما قرب منهم خرج ثابت أهل طبرية فهزموه واستباحوا عسكره ولقيه أبو الورد منهما فهزمه مرة أخرى وافترق أصحابه فأسر ثلاثة من بنيه وارسلوا الى مروان وهرب ثابت ثم ظفروا به بعد شهرين فامر مروان به وباولاده فقطعت أيديهم وارجلهم وحملوا الى دمشق فالقوا على باب المسجد ثم صلبوا على أبواب دمشق

ثم زوج مروان ابنيه عبد الله وعبيد الله من ابنتي هشام وبايع لهما ولم يدر ماخبىء له في الغيب من زوال دولته ببني العباس ثم سار الى تدمر فاطأعه أهلها

(٤) وخلع سليمان بن هشام مروان من الخلافة وكان قد استأذنه أن يقيم بالرصافة ومروان سائر الى قرقيسيا لمحاربة الضحاك الخارجي فأذن له فعاد الى سليمان نحو عشرة آلاف من جند مروان فدعوه الى البيعة فأجاب وسار بهم فعسكر بقنسرين وكاتب أهل الشام فأتوه من كل وجه، وبلغ مروان خبره فأتاه فقاتله فهزمه واستباح معسكره وانحن

فيهم وقتل من أسراهم نحو ثلاثين الفا ومضى سليمان هاربا الى حمص وعاد ماهدم مروان من سورها وتحصن فسار مروان اليه فقاتله أصحاب سليمان غير أنهم انهزموا وقتل منهم نحو من ستة آلاف فعند ذلك فر سليمان الى تدمر وخلف أخاه سعيدا بحمص فحاصرها مروان عشرة أشهر ونصب عليها نيفا وعانين منجنيقا يرمي بها الليل والنهار فلما طال عليهم البلاء طلبوا الامان على أن يمكنوه من سعيد وغيره فأجابهم ثم سار لقتال الضحاك الخارجي بالكوفة ثانية

وبعد فهذا بعض أمثلة ماكان من اضطراب الامور على مروأن ؛ وماذا ينتظر بعد طروق الخلل فى الشوكة والعصبية عصبية بنى عبد مناف الذين أقاموا الملك لبنى أمية وبعد تنازعهم فى الاستئثار به وتقارعهم من جرائه ، غير الفتن والاضطراب ، وماذا بعد استعانة بعضهم على بعض بالعصبيات الاخرى كاليمنية الا أضعاف العصبية الاولى وانفراد صاحب الدولة عن قرابته ورحمه وعشيرته وأنصاره وهم الحماة الطبيعيون للدولة والاصل فيهم دفع الضيم عنه ، فكيف يكون الحال اذا غالبوه وقاوموه وتحدوه ؟ أليس ذلك يقوى الرعايا فى الاطراف على احداث الثورات والنزوع الى الاستقلال والترحيب بمن يدعوا الى الخروج على الدولة ، فيحصل الدعاة على أغراضهم وهم آمنون من وصول الحامية ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضايق حتى يصير الخوارج عليها فى أقرب الأماكن الى مركزها

وهذا بعينه هو ماحصل لدعاة بنى العباس وهم بخراسان أيام مروان

وقبل بيان أمرهم نقول على سبيل الاستشهاد ايضا : ان مروان ولى مصر حسان النجيبى : فلما استقر اسقط بعض الأعطية وفروض الجند كلها فوثبوا عليه وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصروا حسان فى داره وأخرجوا صاحب الخراج ، ثم استخرجوا حفص بن الوليد والى مصر السابق من سجنه وولوه عليهم فورد عليه حنظلة بن صفوان من افريقية وقد أخرجه أهلها أيضا فنزل بالجيزة وهنالك قدم عليه كتاب مروان بولاية مصر فامتنع المصريون وأخرجوه من الجيزة ومنعوه الاقامة بالفسطاط وحاربهم فحاربوه وهزم ، فسكت مروان عن مصر سنة ١٢٧ ثم ولى عليها حوثرة الباهلى ففتحها فتحا جديدا ، أجمع جند مصر على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الأمان فامنهم ثم جمع رؤساءهم فضرب أعناقهم وأخذ حفصا فقتله .

﴿ الفتن فى خراسان ﴾

وفى السنة الاولى من ولاية حوثرة على مصر وهى سنة ١٢٨ بعث ابراهيم الامام أبا مسلم الخراسانى وأمره على أصحابه ودعاته وكتب اليهم بذلك .

وقد علمنا ما كان من أمر الكرمانى ، وأمان الحرث ، ومن تمام حديثهما أن نصر بن سيار استقبل الحرث وعرض عليه أن يوليه ويعطيه مائة ألف فلم يقبل وقال انما اسأل كتاب الله وسنة رسوله وبذلك أساعدك على عدوك ، وانما خرجت انكارا للجور فكيف

تزيدنى عليه ، وبعث الى الكرمانى : ان عمل نصر بالكتاب عضدته فى أمر الله والا أعنتك ان ضمنت لى القيام بالعدل والسنة ، ثم دعا قبائل تميم فاجتمع له منهم ومن غيرهم ثلاثة آلاف وأقام على ذلك

ثم ولى مروان على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكتب الى نصر بعهده على خراسان فبايع لمروان فارتاب الحرث وقال انما أمننى يزيد ولا أمان لى من مروان وخرج فعسكر وطلب من نصر أن يجعل الامر شورى فأبى فأرسل اليه فى عزل صاحب شرطته وتغيير العمال فتقرر الامر بينهما على تحكيم أربعة من الرجال لانتخاب عامل سمرقند وطخارستان ثم عرض على الحرث ولاية ماوراء النهر فأبى ، واتفق على نصر أخيرا الحرث والكرمانى وحارباه منفردين ومجتمعين حتى دخل الكرماني مرو ونهب الاموال فانكر عليه الحرث ودخل عليه فقاتله الكرمانى وقتله وصفت مرو لليمن فهدموا دور المضرية اتباع نصر - فتقاتل نصر والكرمانى قتالا شديد حتى استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وأنه لامدد لهم فاعمل الحيلة للتفريق بين اليمنية والمضرية حتى صار هوي الفريقين معه

عند ذلك كتب الى نصر والكرماني : ان الامام أوصانى بكم ولا أعدو رأيه فيكم وكتب يستدعي الشيعة وقادهم ونزل بين خندقى الكرمانى ونصر وهابه الفريقان وبعث الى الكرمانى انى معك فانضم اليه غير أن نصر أخدع الكرمانى اذ دعاه الى الصلح فخرج اليه الكرمانى فى مائتى فارس فرأى نصر منه غرة فبعث اليه من قتله فاضطر ابن الكرمانى الى مبايعة أبى مسلم فقوى أمره كثيرا

وضعف نصر فكتب الى مروان يعلمه بخروج أبى مسلم ودعائه لابراهيم بن محمد ونجاحه ، فوجده مشتغلا بحرب الضحاك الخارجى فكتب مروان اليه : الشاهد يرى الغائب فاحسم التؤلول قبلك ، فقال نصر للقوم : أما صاحبكم فلا نعمر عنده ـ وصادف وصول كتاب نصر الى مروان عثورهم على كتاب من ابراهيم الامام الى أبى مسلم يوبخه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر الكرمانى اذ أمكنته ، ويأمره الا يدع بخراسان متكلما بالعربية ، فلما قرأ مروان الكتاب بعث الى عامله بالبلقاء ان يسير الى الحميمة فيبعث اليه بابراهيم مشدود الوثاق ، ففعل فحبسه مروان حتي مات فى السجن

ثم أن أهل خراسان أجمعوا على قتل أبى مسلم لانه أصل الفتنة وقد شموا الاختلاف فيما بينهم وكاد اختلافهم يقضى عليهم ، غير انه نجح فى التفريق بينهم وتعاقد مع ابن الكرمانى فحارب نصرا ودخل مرو فدخل بعده أبو مسلم وأمر بأخذ البيعة على الجند فبايعوه فبعث حينئذ الي نصر يدعوه الى البيعة ، فعلم نصر أن أمر أبى مسلم استقام وانه لاسبيل له عليه ، ولا طاقة له باصحابه فوعده أن يأتيه ببايعه من الغد

فلما كان الغد هرب بأهله وبلغ أبا مسلم هروبه فجاء الى معسكره وقبض على أصحابه وصفت خراسان لأبى مسلم فولى العمال على البلاد وقتل شيبان الحرورى وعبد الله بن معاوية الهاشمى وابنى الكرمانى واستولى على أكثر مدن خراسان واقبلت سعادة بنى العباس واخذ من يومئذ امر بنى أمية فى أدبار

﴿ مسير جيش العباسيين الى العراق ﴾

وقدم قحطبة بن شبيب الطائى على أبى مسلم من عند الأمام فضمّ اليه العساكر وبعثه وراء نصر فوصل الى نيسابور فهرب منها نصر الى قومس ثم الى الرى وبها مريض فارتحل عنها الى ساوة ، وهناك أدركته منيته —

أما قحطبة فما زال يتقدم ويستولى على البلدان من جرجان وأصبهان ونهاوند وكان ابن هبيرة قد بعث اليه الجنود فقاتلهم فهزمهم فخرج اليه ابن هبيرة فوصل الى جلولاء وخندق بها وأقام ، فغير قحطبة طريقه الى حلوان وقطع دجلة الى الانبار فرجع ابن هبيرة مبادرا الى الكوفة وهذا خطأ عظيم ولو سار ابن هبيرة الى خراسان حينئذ لقطع خط الرجعة على قحطبة وهزم مسلم شر هزيمة ولكن الله قضى بزوال دولة بنى أمية فأعمى أبصارهم وأبصار قادتهم عن الصراط المستقيم

مضى قحطبة في طريقه الى الكوفة فكان فى البر الغربى من الفرات وابن هبيرة في البر الشرقى ثم استدل قحطبة على مخاضة وقطع الفرات وقاتل مقدمة ابن هبيرة فانهزمت فانهزم الجيش كله بانهزامها وارتد ابن هبيرة الى واسط فتحصن بها وأصبح أصحاب قحطبة فلم يجدوه فقيل أنه غرق في النهر وقيل غير ذلك ، فولوا عليهم الحسن ابنه فما زال بهم حتى دخل الكوفة يوم عاشوراء سنة ١٣٢

وكان السفاح وأخوته وأهله قد هربوا من الحميمة لما قبض على ابراهيم الأمام فنزلوا دار الوليد بن سعد مختفين

وكان محمد بن خالد القسرى لما بلغه انتصار قحطبة ثار بالكوفة وعليها زياد بن صالح فهرب ومن معه من أهل الشام وخلت الكوفة لجيش الشيعة فاستخرجوا السفاح فبايعوه بالخلافة

وبلغ الأمر خليفة الوقت مروان فسار من الشام فى مائة ألف حتى نزل دون الموصل ـ فسير اليه السفاح عمه عبدالله بن على فالتقى الجمعان على الزاب وأمر مروان القبائل بان يحملوا فتخاذلوا عنه واعتذروا حتي صاحب شرطته ، فاباح الاموال للناس على أن يقاتلوا فاخذوها من غير قتال ثم فروا منهزمين وفر مروان ومعه ابراهيم المخلوع فغرق فى النهر وغرق معه أكثر ممن قتل ومضى مروان منهزما حتى وصل الموصل فقطع أهلها الجسر ومنعوه من العبور ، فنادي أصحابه : ياأهل الموصل هذا أمير المؤمنين يريد العبور ، فقالوا كذبتم أمير المؤمنين لايفر ، فعبر من جهة أخري وتقهقر الى الجزيرة حتى وصل الى حران فتبعه عبد الله بن على ففر الي حمص ثم خرج منها في جنده فتبعه أهلها لينهبوه فهزمهم وسار الى دمشق فأوصى عاملها بقتال العدو وسار الى فلسطين وعبد الله يتبعه ويستولى على مدن الشام حتى فتح دمشق عنوة في رمضان سنة ١٣٢ ثم خرج يريد فلسطين فاجفل مروان الى العريش فسار صالح بن على فى طلبه فاجفل مروان الى النيل ثم الى الصعيد فوجد أهل مصر قد دعوا الى أحد أمراء بنى أمية بل وجد ماهو أعظم وهو أن أهل الحوف الشرقى من بلاد مصر وأهل الاسكندرية والصعيد

قد صاروا مسودة فلما عزم على تعدية النيل عدى الجيزة ثم أحرق الجسر بن وبعث بجيش الى الاسكندرية ثم بآخر الى الصعيد ، وبينا هو فى ذلك قدم فى طلبه صالح بن على وذلك يوم الثلثاء للنصف من ذي الحجة سنة ١٣٢ فلم يثبت مروان لصالح ، وتوجه الى بوصير بالجيزة ومعه عبد الملك ابن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر وغيره من حواشيه وامرائه واقاربه من بنى أميه ، فلحقه صالح بها فالتقاه مروان بمن معه وقاتله حتى انهزم وقتل وهرب ابناه عبد الله وعبيد الله الى النوبة

وأما عبد الملك فأمنه صالح لأنه أحسن السيرة ولم يفحش فى حق بنى العباس — وكان قتل مروان يوم الجمعة لتسع بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ وقد بعث برأسه الى الشام والعراق وزالت بموته دولة بني أمية والبقاء لله وحده

وكان جميع خلفائهم من لدن معاوية الى آخرهم أربعة عشر رجلا — وكانت مدة دولتهم منذ خلص الأمر الى معاوية الى أن قتل مروان ٩١ سنة و٩ أشهر و٥ أيام منها أيام ابن الزبير ٩ سنين و ٢٢ يوما ثم انقطعت دولة بني أمية بالمشرق ، وكانت على علاتها دولة عربية لم يتخذ ملوكها قاعدة لانفسهم أنما كان سكناهم كل أمير فى داره وضيعته التى كانت له قبل الخلافة ، ولا أكثر احتجان الاموال ولا بناء القصور ولا طلبوا مخاطبة الناس لهم بالتمويل والعبودية ولا تقبيل أرض ولا يد ولا رجل انما ان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية والعزل فى اقاصى البلاد ، فكانوا يعزلون العمال ويولون الآخر فى السند والهند فى خراسان وأرمينية فى المغرب والاندلس فى الحجاز واليمن ، يبعثون اليها الجيوش

ولوا عليها من رضوا وملكوا أكثر الدنيا فلم يملك أحد من ملوك الدنيا ما ملكوا الى أن تغلب عليهم بنوا العباس بالمشرق فكانت دولتهم أعجمية سقطت فيها دولويين العرب وغلب عجم خراسان على الامر نعم انه قامت للأمويين دولة بالاندلس لبثت نحو ثلثمائة سنة فلم يملك في دول الدنيا أنبل منها ولا أكثر نصرا على أهل الشرك ولا أجمع لخلال الخير ولكنها كانت جزءا من ملك كان لهم واسم الاطراف عظيم السلطان

والعجب في هذه الدولة التي زالت قيامها على رفعة شأن المسلمين واعلاء كلمتهم وانتصاراتها المتوالية على مخالفيهم في العقيدة من الروم والخزر والهند والترك والبربر والقوط والفرنجة على الرغم مما كان من محاولة العلويين انتزاع الملك منهم وخروج الخوارج عليهم فما ولى منهم خليفة الا تجدد على عهده الشيء الكثير من الفتوح والغزو حتى دخلوا أوربا وهددوا العالم غير الاسلامي برمته فأين كان مجال الترف والنعيم الذي يلصقه بهم بعض المؤرخين ويغالي وعلى فرض أنهم أترفوا والترف من لوازم الملك فان ذلك لم يحل بينهم وبين النظر بعقل في شئون خلافتهم والعمل على نموها وزيادة عمرانها ورد غارات الأعداء في كل وقت عنها وصيانتها بالحزم والدهاء والسياسة والقوة

هذا ويمكن أن نستنبط من قراءة تاريخ الأمويين هذه الامور وهي جديرة بالالتفات والعناية

(١) أن دولة الأمويين كانت دولة تأسيس لملك المسلمين فعهدها عهد فتح وسيف

(٢) أنهم نجحوا في وضع هذا الاساس المتين على الرغم من أنهم كانوا بين معاديهم المسلمين من العلويين والعباسيين والخوارج، وبين معاديهم الأجانب عن الملة من الروم والفرس وغيرهم

(٣) انهم وضعوا للخلافة نظام ولاية العهد وغيره من النظم التي بجملتها شكلها دنيويا صرفا كما هو شأن دول الارض الماضين كالفرس أو الحاضرين كالروم، فكان لهم فضل النظام كما كان لهم فضل الفتح

(٤) ان الأمويين جعلوا دولتهم عربية من كل نواحيها على الرغم من أنهم أخضعوا الامم التي سبقتهم الى الحضارة والتمدين، أريد أنهم كانوا أعرف بسياسة الملك من العرب بالضرورة، فوزراء الأموية وقادتها وجندها وعمال الولايات فيها كانوا من العرب ليس غير، وقد أحفظ هذا قلوب الفرس لآل البيت وأخيرا انضموا الى العباسيين نكاية في الامويين الذين حرموهم الاعمال وهم جديرون بتوليتها، ولبثوا ثوب الرياء لخلفاء بني العباس حتى أصحاب الامر والنهي في دولتهم وبخاصة أيام البرامكة وبني سهل، وستعلم أن الرشيد فطن الى أغراض الفرس فتك بهم فتكا، وكذلك صنع المأمون ببني سهل

(٥) أنهم جعلوا اللغة العربية لغة الدولة الرسمية فكان لهم فضل نشر لغة القرآن الكريم بين الروم والفرس وكان أثرها في الشام اكثر لأن مركز الخلافة كان فيها فتعرب اهل الشام وكان هذا أصل ولائهم للمسلمين وبقي الفرس على عجمتهم كبرا وبغضا للعرب عامة وبني أمية خاصة ولم ينبغ منهم الا من أراد أن يخدم قومه أولا اذ كان لابد لهم في أحوال المعيشة من المسلمين.

وكان انفراد الفرس بالتشيع الى اليوم من أهم العوامل التي فرقت كلمة المسلمين دينيا، والخلاف في الاصل خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك وعلى من هو أولى بالخلافه وليس من الدين في شيء على أنه كان بين بني أمية وبين بني عمهم من الهاشميين علويين أو عباسيين فما بال الفرس ولا نسب بينهم وبين هؤلاء جميعا ؟ وما هذه الحمية على الدين وما هذه الغيرة لآل بيت الرسول التي آل أمرها الى تباغض المسلمين والقاء العداوة بينهم ، وهم آل أبي لؤلؤة قاتل عمر (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله) ولقد فطن أهل مذاهب المسيحية أخيرا الى أن هذا الاختلاف الديني لا معنى له فان الدين يدعوا الى الاخاء والوحدة فليت المسلمين يعملون على محو ما يسمى مذهب الشيعة ومذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة وما الى ذلك فقد زال السبب الذي افضى الى كل هذا ومضى زمنه ، ويعملون يدا واحدة على نصرة الحنفية السمحة ويرتبطون ويتعاونون، انهم أن فعلوا ذلك تقووا ودفعوا عن أنفسهم وبلادهم بغي الباغين وطمع الطامعين وأعادوا للاسلام دولة مجد وفخار كدولة الامويين والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وهو في عون العبد مادام العبد في عون أخيه

(الأحوال الاجتماعية والحضارة العربية في عهد الدوله الاموية)

كانت الدولة الاسلامية على عهد بني أمية الى البداوة أقرب ، وكان كل شيء فيها عربي الصيغة وان دخله شيء من التهذيب والتحسين

وقد قطعت فى طريق التمدين أشواطا وان الهاها الغزو والفتح ومقاومة الخارجين عليها عن الوصول الى الغاية فى هذا المضمار — وكان أكثر خلفائها من الحزم والعلم بضروب السياسة والاداره على جانب عظيم — وقد بنى معاوية الاول للامويين ملكا فخما ضخما توارثوه وكان كل عام فى نماء ، فلما فتحت لهم الاقطار نشروا فيها لغة العرب ودين الاسلام ووضعوا لها النظم التى تصلح أهلها وتوافق مشاربهم ومنازعهم وكان لهم مجالس يعقدونها فى المسجد الجامع للبحث فى سياسة الدولة وتدبير أمورها وكان الخليفة ينزل على ارادة القوم في أكثر الاحوال ولا يقطع أمرا دون مشورتهم ولا ينفرد عنهم بالرأى استبدادا وكبرا ولا يجسر على مقاومة صوت الشعب ولا مصادرته وكان الخلاف بين الحاكم والمحكوم لايكاد يذكر لانهم جميعا كانوا يلتمسون الهدي من آى القرآن والحق من المبادىء القويمة التى جاء بها الاسلام

هذا وينبغي فى هذا المقام أن نحيط علما بالمسائل الآتية :—

(١) انقلاب الخلافة الى الملك العضوض ، فبعد أن كان الوازع

دينا يؤثره المسلم على أمور دنياه وان أفضى الى هلاكه انقلب الي عصبية وسيف . نعم أن معانى الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق وطرائقه قد كان في الصدر الاول الى آخر أيام عبد الملك لكنها في العصر الثانى عصر بنى عبد الملك ومن جاء بعدهم قد ذهبت تلك المعانى ولم يبق من الخلافة الا اسمها وصار الامر ملكا بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت فى اغراضها من القهر والتقلب فى الشهوات والملاذ الا فى عصر عمر بن عبد العزيز فأنه نزل الى طريقة

الخلفاء الراشدين والصحابة جهده

ومعاوية ويزيد ابنه ومروان وعبد الملك ابنه، وان كانوا ملوكا لهم مذهبهم في الملك مذهب أهل البغي والظلم والقهر، أنما كانوا متحرين لمقاصد الحق بجهدهم الا في أحوال تحملهم على نقدها كخشية افتراق الكلمة، يشهد لذلك ماكانوا عليه من الاتباع والاقتداء، فلقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك

ثم خلف من بعدهم خلف استعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم الشهوية ونسوا ماكان عليهم سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم أفعالهم، وادلوا بالدعوة العباسية معهم

(ع) ولاية العهد - كان أمر الخلافة على عهد الراشدين يتم بالانتخاب الحر أو بأن يعهد الخليفة الى واحد يجعله ولي أمر الناس بعده أو الى جماعة يختارون من بينهم واحدا من غير قيد بقرابة أو صهر، فلما ولى معاوية اختار ابنه مباشرة فجعله ولي عهد المسلمين من بعده وعدل عن الفاضل الى المفضول مراعاة للمصلحة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية - ثم صار هذا العمل سنة متبعة من بعد معاوية في اختيار الابن والأخ حتى انتهت دولتهم، وقفى على آثارهم في هذا المعنى بنو العباس من بعدهم

ولا تكاد هذه الطريقة تختلف عن طريقة الراشدين نعم أن الراشدين كان الدافع لهم على ماصنعوا الدين فلم يعهد أبو بكر الى عمر ولم يؤثره بالخلافة على غيره من أصحاب الرسول الا لأنه ارتضاه لها

على أن وازعه من نفسه وهو دينه، أما معاوية فقد استعمل هذا الأمر وغرضه سياسى هو قصر هذا التراث على أهل بيته وحصره فيهم ، ذلك لأن العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك وضعف الوازع الدينى واحتيج الى الوازع السلطانى فلو عهد معاوية الى من لا ترتضيه العصبية لردت عهده وذلك ينتقض أمره وتصير الجماعة الى الفرقة ،

(٣ الامامة فى الصلاة ـ كان خلفاء بنى أمية يؤمون الناس فى المساجد استئثارا بهذا العمل واستعظاما لشأنه ورتبته ، فلما أترفوا وجاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس فى دينهم ودنياهم استنابوا فى الصلاة

(٤) القضاء ـ منصب الفصل بين الناس فى الخصومات من الوظائف الداخلة تحت الخلافة ـ وكان خلفاء الأموية يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلونه الى من سواهم كما كان يفعل الراشدون الا اذا شغلوا بالجهاد والفتح وسد الثغور فانهم كانوا يستخلفون من يقوم به تخفيفا على أنفسهم ، ومع هذا كانوا لا يقلدونه الا أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء ظلوا على ذلك الى أن نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة فى عوائد ترفهم ودعتهم فصاروا يقلدون القضاء من غير عصبياتهم من أهل العلم والفقه وحملة الشريعة ـ ثم صار للولاة اختيار القضاة فى الامصار الا القاضى حاضرة الخلافة فان اختياره كان للخليفة وحده وكان القضاء على بساطته حرا لا يتقيد فيه القاضى برأى اذ لم تك قد دونت فى ذلك الوقت أحكام الفقه ولذلك كانت الاحكام فى القضية الواحدة تختلف باختلاف القضاه وما يظهر لهم من الاراء

٥ الادارة العامة ـ وكانت الدولة الاموية تنقسم الى ولايات يدير الامور فى كل منها وال يختاره الخليفة ويطلق يده في ادارتها على حسب مايراه فكانت الحكومة فى الجملة الى الصورة اللامركزية أقرب، اذ كانت كل ولاية مستقلة استقلالا اداريا فكان الوالى يولى ويعزل ويقضى ويجبي ويعاقب ويكافىء من غير أن يحتاج الى مراجعة دار الخلافة الا فى اعلان الحرب او الصلح أو استمداد الرجال أو الاموال، وربما كان السبب في ذلك اتساع نطاق الدولة واختلاف بقاعها وأهليها وصعوبة المواصلات فيها وفوات الفرص فيها لو تأجل حل المسائل التي تعرض الى أن يستشار الخليفة ويجيء اذنه بالفصل فيها وهذا الى ثقة الخليفة العظيمة بولاة الأمصار بأما عمر بن عبد العزيز فكانت ثقته بهم ضعيفة ولذلك كف أيديهم عن شيء كثير مما كان لهم — وكان عصر سليمان بن عبد الملك ومن جاء بعده يسمى عصر اضطهاد الولاة ومصادرتهم حتى أن يوسف بن عمر لما تولى العراق اشتري من الوليد بن يزيد خالد بن عبد الله القسرى وعماله وهو من سادات اليمن ثم عذبه وقتله

والملحوظ فى أمر الولايات هو أن الولاية أحيانا كانت بمايضاف اليها تشمل أكثر من ثلث رقعة الدولة كما كان شأن زياد وعبد الله ابنه والحجاج في المشرق وموسى بن نصير وعبد العزيز ابنه فى المغرب على أن من الولاة من كان يبقي فى ولايته أكثر من عشرين سنة مثل عبد العزيز بن مروان بمصر

«٦» العلوم والفنون والاداب — لما اتسع ملك بنى أمية واختلط

العرب بالعجم فسد اللسان وفشا اللحن فابتدأ أمر تدوين النحو محافظة على القرآن الكريم من التحريف واشفاقا على اللغة العربية أن تفسد ولما كثرت الخوارج وتعددت مذاهبهم صحت نية عمر بن عبد العزيز على ضبط السنة فأمر بتدوين ما يحفظ من حديث رسول الله

وحبب الى خالد بن يزيد بن معاوية مطالعة كتب اليونان فترجمت اليه ووضع كتبا فى الطب كما ترجم الى معاوية كتاب الملوك وأخبار الماضين ووضع زياد ابن أبيه كتابا فى مثالب قبائل العرب لابنه عبيد الله وألف بعضهم كتبا فى الأغانى ونسبتها وترجمت من السريانية كتب في الطب ومع هذا فان العصر لم يك عصر تدوين وتصنيف بل كان عصر فتح وغزو وتكوين وتاسيس

ولا تنس أنه لما آل الملك لبنى أمية وظهرت الفرق المعادية لهم صار الشعر لسانا يعبر عن أهواء كل فرقة فعنى خلفاء الاموية باجتذاب الشعراء اليهم وأغدقوا عليهم فاصبح الشعر حرفة واصبحت دراسته ورواية ونقده، وضع عناية العلماء، وصار الهجائى منه أهم أغراض شعراء بني أمية للتفريق بين القبائل والفرق حتى يلهيهم اشتغال بعضهم ببعض عن الدولة وسياستها ومنهم عمر بن أبى ربيعة وجرير والفرذدق والاخطل

٧ـ المبانى وكانت دولة بنى مروان على علاتها دولة عربية لم يتخذ ملوكها قاعدة لانفسهم انما كانت سكناهم كل امير منهم فى داره وضيعته التى كانت له قبل الخلافة — وكان معاوية يقيم احيانا في غوطة دمشق وكان له دار تسمى الخضراء اشتراها عبد الملك من خالد بن يزيد باربعين ألف دينار — وبنى عبد الملك في الغوطة دار السلطنة وبنى امراء بني أمية

فيها دوار أخرى ،غير أن أكثرهم كان يبنى القصور في الاماكن القريبة الى البادية التماسا للهواء الصحيح وتجافيا عن رطوبة دمشق وحيطانها على أن العباسيين قد أزالوا من الشام آثار الاموين حتى قبورهم ولولا المساجد التى أقاموها وبخاصة المسجد الاموي ماعلمنا شيئا من رسومهم فى البناء وهندستهم في العمارة على أن المعروف أنهم استعانوا فى كل ذلك بالروم فأن الصنائع وكمالها انما هو بكمال الحضارة والدولة الاموية فى أيام الوليد كانت لاتزال الى البداوة اقرب

الدواوين ـ وكانت للامويين أربعة دواوين

(١) وديوان الجند أو وزارة الحربيه (٢) وديوان الخراج أو وزارة المالية وكان بالفارسية بالعراق الى أن نقله الحجاج الى العربيه وهو الرومية بالشام ثم نقله الوليد الى العربيه وبالقبطية فى مصر الى أن نقله الى العربيه عبدالله بن عبد الملك أمير مصر من قبل الوليد (٣) ديوان الرسائل (٤) ديوان الخاتم الذى تختم فيه الكتب والرسائل حتى لاتفتح قبل وصولها الى أهلها وتزوير مافيها ـ وقد علمت أنه فى عهد عبدالملك ضربت الدراهم والدنانير فاستقلت مالية الدولة عن الروم والفرس وفي هذا كفاية

﴿ أسباب سقوط الدولة الأموية ﴾

« لكل أمة أجل ، ولكل أجل كتاب ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

تلك آيات الله نقدمها قبل بيان أهم الأسباب التى من أجلها سقطت

هذه الدولة الشديدة البأس العظيمة الملك الواسعة السلطان، فان الله تعالى اذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، واذا قضى أمرا فلا مرد لأمره، ولما كانت أيام مروان الحمار آخر خلفاء هذه الدولة كثر الهرج والمرج وفشى الشر وتمادت الفتن واضطرب حبل بني أمية واختلفت كلمتهم وقتل بعضهم بعضا فضعفوا عن مدافعة العباسيين لما قدر الله انتقال الملك اليهم وأراد خذلان مروان وانقراض ملك بنى أمية وكان ابراهيم الامام العباسي بالحميمة من أرض البلقاء بالشام جالسا على مصلاة مشغولا بنفسه وعبادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل وأهل خراسان يقاتلون عنه او يبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ولا يفرق بين أسمه وشخصه يجبون اليه الاموال ويحملون اليه الخراج وبينا هو بتلك الحالة من الاقطاع بداره واعتزال الدنيا اذ مروان وهو الخليفة المبايع بالشام ومعه الجنود والاموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده كان أمره في ضعف وحبله فى اضطراب والناس يتفرقون عنه ويفرون منه ولم يغنه ما كان من شجاعته ودهائه ومكره وكثرة ماله وجنده

والثوب ان انهك فيه البلى ... اعيا على ذى الحيلة الراقم

فكان لا يدبر امرا الا كان فيه الخلل والفساد، حتى لقد دعا القبائل الموالية واحدة واحدة للهجوم على جيش عبد الله بن على بالزاب فكانت كل واحدة يدعوها تقول له: أدع أخرى، ثم استعمل البذل ليستجيبوا له فأخذوا المال وتخاذلوا عنه حتى انهزم واضطر الى الفرار من وجه العباسيين الى الشام ومصر حيث قتل

ومن أجمع ماقيل فى أسباب سقوط هذه الدولة الفتية ماروي

أن شيخا من شيوخهم سئل عقب زوال ملكهم عن الاسباب فقال : « جارعمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فجملوا عنا وخربت ضياعنا فخربت بيوت أموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا ، وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا » ولعمرى أن سببا واحدا من هذه الاسباب يكفى وحده لأسقاط أى دولة .

غير أن أسباب سقوط هذه الدولة لم تكن وليدة أيام مروان بل منها مانشأ مع نشوء الدولة ومنها ما حدث فى خلال أيامها وبخاصة فى العصر الاخير من حياتها واليك أهم هذه الاسباب

(١) الاحزاب العادية . قيل لبعض بنى أمية ماكان سبب زوال ملككم فقال : اختلاف فيما بيننا واجتماع المختلفين علينا

وقد رأيت أن الاحزاب فى هذه الدولة كانت أربعة

(ا) حزب بنى أمية وكان على عهد معاوية يزيد صاحب الامر والنهى غير منازع ؛ فان معاوية اجتهد حتى وفق بين القيسية واليمنية فصاهر بنى كلب وصانع رؤساء القبائل وانفق فى هذا السبيل ماله ودهاءه وكانت بضاعته منهما رائجه وكان امراء البيت المالك على تمام الوفاق معه حتى أنه لما بايع الى يزيد كانوا مغتبطين لأنه جعل الأمر فيهم

ولما استخلف معاوية بن يزيد وكان حدثا ضعيفا . انحل هذا النظام بتنازله عن الخلافة (١) اذ ظهر التنافس بين أمراء البيت المالك ، وتطلع

اليمنية مال الى خالد بن يزيد لان أمه كلبية، وانحاز بعضهم الى مروان لانه أسن بنى أمية وهو الذى يصح ان يكون معادلا لابن الزبير، وكان من جراء هذا الاختلاف وقوع الحرب غير أن اموبين ومن لف لفهم تداركوا الامر قبل استفحاله واجتمعوا كؤتمر بالجابية وتصالحوا على بيعة مروان والبيعة من بعده الى خالد بن يزيد ثم الى عمرو بن سعيد بن العاص فلم ترض قيس عن هذا العمل وانفردت بزعامة الضحاك بن قيس الفهرى وبايعت لابن الزبير فحصلت موقعة مرج راهط وانهزم فيها القيسيون شر هزيمة وفر فريق منهم بقيادة زفر بن الحرث الكلابى وتحصنوا بقرقيسيا فازالوا هنالك حتى صالح عبد الملك زفر واصهر اليه فانتهى العداء بين الفريقين مؤقتا

(ب) حزب الخوارج - وقد جد منذ نشوئه فى العمل على قلب كيان الاموية محتجا بأنهم اغتصبوا الخلافة اغتصابا فحاربهم الامويون وعمالهم فى العراق وفارس والجزيرة وغيرها وانتهى الأمر بهزيمة الخوارج وسكونهم غير أنهم كانوا يتربصون الفرص للثورة من وقت الى آخر وكان لهم ثورة فى أيام مروان بن محمد، وعلى أي حال فقد سقط هذا الحزب وذهبت ريحه تقريبا

(ج) حزب الزبيريين - وقد علمت ان ابن الزبير لم يحرك ساكنا حتى مات معاوية وقتل الحسين، ورأيت أن أمره استفحل حتى صار خليفة فى بلاد العرب عامة وبلاد العراق ومصر، وفى قسم كبير من بلاد الشام وقد كاد يقضى عليه مسلم بن عقبة المرى بعد وقعة الحرة لولا وفاة يزيد بن معاوية، كما أنه كاد يكون خليفة فى بلاد الاسلام كل منهم الى الخلافة (٢) وظهر أيضا التنافس بين القيسية واليمنية على أن بعض

كلما لو أنه لم يجد بعد بن نمير خليفة مسلم بعد وفاته في طريق مكة الى البيعة والخروج معه الى الشام، ولكنه قال لا والله لا أفعل فقال له بلى فافعل على ألا يختلف عليك اثنان فأبى، وقال له لعنك الله ولعن من زعم أنك سيد والله لا تفلح أبدا وركب باهل الشام أو انصرف باهل الشام وانصرف فوجد معاوية قد مات ولم يستخلف وبايع اهل الشام عامة لابن الزبير الا اهل الاردن وكذلك اهل مصر واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهرى على الشام وهنا استيقظ بنو امية واجتمعوا واتخبوا مروان كما مضى؛ ثم حصلت موقعة مرج راهط وقتل الضحاك وفر زفر بن الحرث بمن انضم اليه الى قرقيسيا كما سلف

لم تطل أيام مروان فتولى بعده عبد الملك ونظر فاذا ابن الزبير قد قسم جنده لمحاربة الخوارج بالبصرة وفارس ولمحاربة عبد الملك بالشام ولمحاربة المختار بالكوفة فتريث حتى ضعف أمر ابن الزبير وجرد الجيش على العراق وقتل مصعب بن الزبير « وكان مصعب قد ظفر بالمختار وشيعته واستعمل الرشوة حتى خدع جند العراق وكان يقول الحزم اختداع الناس بالمال واستمالتهم به فانهم اتباعه ان كان كانوا وكيف مال مالوا» وبعد نجاحه فى العراق ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره بمكة وقتله وبذلك سقط هذا الحزب أيضا وامحى أثره من من الوجود.

«د» حزب بنى هاشم، وهذا هو الذى بقي يناوىء حزب الأمويين، وكان زعماؤه أولا من العلويين غير أنه ضعف بقتل الحسين وان كان هذا الحادث قد أحفظ قلوب أهل الاسلام على بنى أمية وجمع قلوب

الخوارج والشيعة على مناوأة الأمويين والكيد لهم، وليس خروج المختار الا مثلا من هذه الامثلة وقد أسرف فى قتل قتلة الحسين ومن شايعهم كما علمت — غير أن ضعف حزب العلويين انما جاء من ناحية عدم وجود زعيم قوى يقودهم ويكون مطاعا فيهم ومما أدراك أن ابن الحنفية وهو الذى ورث الحسين فى الزعامة يكتب الى عبد الملك بعد قتل ابن الزبير ويقول : قد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من أمتنا لا نفارق الجماعة فكانت هذه من اعظم الفرص الذى حانت لعبد الملك فكتب اليه مسرعا ومما جاء فى هذا الكتاب : لك عهد الله وميثاقه الا تهاج فى سلطاننا غائبا ولا شاهدا ولا أحدا من أصحابك ما وفوا ببيعتهم فاخرج الى الحجاز وبايعه ، ثم أخذ يغريه الأمانى ، وكتب الى الحجاج لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه — وجنبى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب ، وأنى رأيت بنى حرب (يريد معاوية وبنيه) سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على — ثم ازداد هذا الحزب ضعفا واستكانة لما قتل ابن الزبير غير أنه بعد قليل ورث بنو العباس الزعامة الهاشمية ضد الاموية بتنازل أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية زعيم العلويين بعد أبيه الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس عن الزعامة وكتب الى شيعته بالاطراف بذلك فتحول الشيعة الى محمد فاختار النقباء وأرسل الدعاة الى مختلف البقاع وبخاصة خراسان يدعون الى الرضا من آل البيت ، وهي دعوة مبهمة لم يتعين فيها الزعيم الذى يراد ، وكان المعاصرون من العلويين لا يشكون أنهم انما يدعون

الى واحدمنهم فلم يقفوا فى طريقهم وأعانوهم اعانة سلبية بالضرورة ، أمازعماء العباسيين ونقباؤهم فكانوا على بصيرة بأنهم انما يدعون الى محمد المقيم بالحميمة من أرض البلقاء وهى قاب قوسين من حاضرة بنى أمية بالشام، غيرأنهم لم يفطنوا اليهم أو أنهم أغفلوا الامر حتى عظم وثبت فلم يستطيعوا له دفعا فى آخر الامر وذلك لانهم كانوا يعتقدون أن بنى هاشم عامة لايستطيعون القيام بحركة عدائية لضعفهم وفقرهم واضطرارهم الى استدرار القوت الضروري مباشرة من خلفاء بنى أمية — وكان بنوهاشم من العلويين والعباسين قد اجتمعوا فى ذيل دولة بنى أمية وتذكروا حالهم وماهم عليه من الاضطهاد وماقد آل اليه أمر بنى أمية من الاضطراب ، وميل الناس اليهم ومحبتهم لان تكون لهم دعوة ، واتفقوا على أن يدعوا الناس سرا ثم قالوا لابد لنا من رئيس نبايعه فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على رضى الله عنه وكان من سادات بنى هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما ، وكان هذا المجلس قد حضره أعيان بنى هاشم علويهم وعباسيهم من جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن بن الحسن وابناء النفس الزكية وأخوه ابراهيم بن عبد الله ثم اسفاح والمنصور وغيرهما ، فاجمعوا على انتخاب النفس الزكية الا جعفر الصادق فأنه قال لعبد الله بن الحسن ان ابنك لاينالها يعنى الخلافة ، ومع هذا بويع النفس الزكيه وأشاع الناس أنه المهدى المبشر به أو المنتظر ولكنه لم يصنع شيئا ، اذسار بنو العباس مرحلة طويلة فى طريقهم صابرين مصابرين واتخذوا العراق وخراسان عشا لبث دعوتهم لانها البلاد التى أفرط الحجاج وغيره من عمال

الأمويين فى قتلهم واحفاظ قلوبهم ، فمازال ابو مسلم كبير دعاة العباسيين يترقب الفرص المناسبة والحظ يساعده حتى ضم الى ناحيته تقريبا جميع المناوئين لعمال الامويين كالحرث بن سريج والكرمانى في اليمنية والربعية وبقي نصر بن سيار هالك فى المضرية وحدهم حتى ضعف عن القتال واستنجد الخليفة فلم يجد عنده نجدة فكتب اليه أبو مسلم بالدخول معهم فأجاب ثم هرب من ليلته قاصدا العراق فمات فى الطريق وتبعه جيش قحطبة بن شبيب الطائى الى العراق حتى دخل الكوفة واستخرج السفاح وبايعه بالخلافة ومروان اذ ذاك مرابط في جند الشام بالجزيرة يريد ان يقطع طريق العباسيين الى الكوفة فلم يستطيع لأن عامله على العراق وهو ابن هبيرة قد انهزم وفر الى واسط وتحصن بها — ولما بويع السفاح ارسل عمه عبد الله بن على الى مروان فهزمه فى جهات الزاب واضطره الى مغادرة الجزيرة الى الشام ثم الى مصر حيث لقى فيها حتفه

ومهما يكن من انتصار بنى أمية على هذه الاحزاب المعادية فانها كانت بلا شك كالسوس الذى ينخر عظام البدن من الداخل حتى يوهنه ويعرضه بعد ذلك الى الموت حتما ، وكانت بلا مراء أهم العوامل التى قصر بها عمر دولة بنى أمية عما كان يصح أن يكون ، وليس فى العالم مايدعوا الى انحلال الدول وضعفها وسقوطها أشد من الحروب الداخلية مهما كان شانها وما يلازمها من الدسائس والمكايد والثورات الاهلية التى هى بمثابة الوباء الفتاك الذي ينتشر مع الرياح في كل مكان ولايستطاع حصره فى دائرة ضيقة ولايمكن دفعه وكل هذا من جراء نشوء الاحزاب وما يجره وجود الاحزاب وما يحدث من النكبات

النكباء التى تصيب الدولة والامة من الاحزاب فى كل عصر ومصر

(٢) البيعة بولاية العهد لاثنين ، وهذا هو السبب الثانى من أقوى أسباب ضعف الأموية وزوال ملكها ،فأنه قد أوجد

(١) المنافسة والعداء بين افراد البيت المالك، واحل الخلاف بينهم محل الوفاق ، وكان كل خليفة يتولى لاينظر اولا الا الى ولى العهد المبايع بعده ليقصيه عن الخلافة ويولى ابنه فيدعو هذا بالضرورة الى غضب ولى العهد ومن يناصره،ويجر هذا الى أن الخليفة يضرب على أيديهم ويجدع انوفهم ويأخذهم بالقتل والاهانة وسبب الترف والنعمة منهم واحدا بعد واحد، خوفا على ملكه منهم او غيرة وبهذا يستحكم الخلل فى العصبية بهلاك رجالها او قلتهم وتحل عروتها وتضعف شكيمتها وينفرد الخليفة حينئذ عن العشير والناصر الطبيعى من قرابته وذوى رحمه وتنكسر سورة العصبية التى كان بها التغلب فيتجاسر الرعايا فى الاطراف على الانتقاض والعصيان ويبادرون الى الخروج على الدولة وهم آمنوا فيفسدون الأمر على صاحب الامر ولا يزالون يثابرون حتى ينتزعوا الملك من صاحب الملك :وهذا هو ما حصل للامويين (بعد أن افسدوا عصبيتهم من ابناء عمهم العباسيين

أحدث هذا السنة السيئة مروان ولم يبال بما كان بمؤتمر الجابية وبايع لولديه عبد الملك وعبد العزيز مع أن الصلح كان على أن يكون الامر من بعده الى خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد ، وتزوج أم خالد ليحط من شأنه فعملت على قتله كما علمت، ولما تولى عبد الملك سعى فى اقصاء أخيه عبد العزيز غير أن هذا عاجلته منيته وما تدرى لأى سبب

كان موته فصفا الجو منه لاخيه عبد الملك فبايع لابنيه الوليد وسليمان ولم يتعظ بما كان منه لاخيه ثم خرج عليه عمرو بن سعيد بصفته صاحب الحق فى الخلافة فما زال يعمل حتى أمنه ثم قتله غيلة .

ولما تم الامر للوليد عمل على خلع سليمان والبيعة لابنه ووافقه العمال في أم الولايات كالحجاج فى العراق، وقتيبة بن مسلم فى خراسان ومحمد بن القاسم فى السند فحالت بينه وبين انفاذ ما أراد منيته فلما تولى سليمان عمل على نكبة هؤلاء الولاة جميعا ولولا أن الحجاج مات قبيل خلافته لرأى منه العذاب الاليم ومع هذا فانه انتقم من موسى ابن نصير على زعم أن له ضلعا فى هذا الموضوع كالحجاج اى أن البيعة الى اثنين لم يك خطرها قاصرا على اضطهاد أمراء البيت المالك فحسب بل تعدت ذلك الى القواد وكبار رجال الدولة وذويهم وبعد فما بال العمال الحاليين أيخلصون أم تفسد نياتهم ويعملون وهم على حرص واحتياط أن يصيبهم من الخليفة ما أصاب الذين سبقوهم وكانوا موضع الثقة وكانوا أولى قوة وأولى بأس شديد

«ب» ومن سيئات البيعة لاثنين احياء العصبية الجاهلية وهي التنافس بين القبائل والعناصر المكونة للدولة فان عمر بن عبد العزيز لم يتعصب لقبيل دون قبيل فسكنت العواصف القبيلية على عهده سكون الريح قبيل مرور الزوبعة لان حزب بنى أمية كان يرى فى هذه المساواة اجحافا به ونقصا من عزته وعظمته فحقد على هذا الخليفة والله يعلم أنه مات من جراء تدبيرات قام بها فى الخفاء أفراد هذا الحزب وزعماؤه

أما يزيد بن عبد الملك بعده فقد استقبل بخلافته الفتنة التى لاحد

لها اذا شتد أمر العصبية بين المضرية واليمنية واضطهد الخليفة آل المهلب على زعم أنهم تولوا عذاب آل الحجاج وهم أصهاره أو امرأة هذا الخليفة بنت اخى الحجاج مباشرة ، وكان بطل هذا الاضطهاد مسلمة بن عبد الملك الذى صبحهم فى خبر كان مع انهم أبلو فى خدمة الدولة بلاء حسنا وكانوا كالبرمكة وآل سهل فى عهد بنى العباس ـ كان اضطهادهم الى هذا الحد باعثا على تعصب اليمنيين عامة على المضرية فحاربهم الوليد حتى اضعفهم وصارت صبغة الدولة مضرية ليس غير ـ فلما تولى هشام خشى على ملكه من المضرية وقد عزوا وتقووا فانحاز الى اليمنية واخذ يولى العمال منهم وحدهم فاساء الى المضرية وأذلهم غير أنه عاد فانضم الى المضرية وعزل عمال اليمنية ومنهم خالد بن عبد الله القسرى عزله عن العراق ثم وقع النزاع بين هشام والوليد بن يزيد اذ طلب من الوليد أن يخلع نفسه ويبايع لمسلمة بن هشام فأبى وحصلت بينهما احوال كانت كلها سيئات ثم أدركه منيته قبل أن ينتهى من أمر ابن أخيه الوليد بن يزيد

عود ـ وأما اليمنيون فقد اتخذوا من عزل خالد وسيلة لاحياء ذكر آل المهلب ومالاقوا من الامويين فأخذوا يعملون على قلب هذه الدولة من اساسها انتقاما، فلما تولى الوليد وأمه مضرية انحاز الى المضرية بالضرورة وتحدى خالدا وامر بقتله فقتل ،فاشاع اليمنيون عنه أنه فاسق فاجر حتى غضب الناس عامة على الوليد غيرة على الدين وفي مقدمتهم أمراء الامرية وعلى رأسهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك انضم اليه جميع العناصر الثائرة على الوليد ونجاحة اليمنيين حتى قتل يزيد وصار خليفة ، فانظر كيف كان خطر أحياء العصبية ـ

على أن مافعله يزيد بن الوليد لم يقطع أصل الخلاف، بل أزكى ناره. فانه انضم الى اليمنية لانهم كانوا أنصاره وولى العراق يمنيا وسلطه على يوسف بن عمر الوالى من قبله وأطلق يد اليمنية فى تحدى المضرية حتى ضاقوا ذرعا فثاروا في حمص وفلسطين والاردن وولى كل فريق عليه خليفة من أمراء البيت الاموى، ومع أن يزيد قد انتصر عليهم جميعا وعمد الى زعمائهم من أهل بيته فزجهم فى السجون، فان هذا العمل قد هد كيان البيت الاموى وأصبح بعضهم يكيد لبعض وتقطعت بينهم أسباب المودة وصار لكل واحد منهم شيعة تعمل على أن تجلسه فوق عرش الخلافة — ولما تولى ابراهيم بعده خلعه مروان من الخلافة ثم تولى الامر وروح العصبية ثائرة فى كل مكان، وثار عليه اليمنية لانه كان يطالبهم بدم الوليد، وانتقض أهل حمص وثار يزيد بن خالد العنسى في دمشق وثارت اليمنية فى فلسطين والجهات الاخرى، وخرج عليه سليمان بن هشام فلبى اليمنيون طلبه ليدفعوا عن أنفسهم على الاقل اضطهاد مروان — وكانت الحالة فى العراق على هذا النحو، وكانت دعوة العباسيين فى خراسان قد نجحت فأخذ مروان يعالج هذه الاحوال ولكنها كانت أكثر مما تبلغه حيلته ثم ماهو الا أن قدم جيش العباسيين من خراسان وقضى على ملك بنى أمية أيام مروان هذا سنة ١٣٢ هـ

(٣) ويضم الى هذين السببين أسباب أخرى يذكرها المؤرخون كاساءتهم المسلمين عامة والعرب خاصة بانتهاك حرمة الحرمين وسب على على المنابر مما جعل الناس يضمرون لهم العداء ولا يخلصون اليهم ويتباطئون عن معونتهم عند اشتداد الحالة الى المعونة — ونظامهم الذي

الثبوه في شكل الحكومة اذ جعلوها كاللامركزية تطلق فيها يد الوالى في ولايته يتصرف فيها كما يشاء على حسب مايبدو له من الرأى فكانت الاحكام فى الولايات على حسب اجتهاد كل وال أى أنها مختلفة وكانت كل ولاية حينئذ أشبه بمملكة مستقلة وكان من نتائج هذا النظام أن بعض الولاة كالحجاج أسرف فى الظلم مرضاة للخلافة والظلم مؤذن بخراب العمران — ومن ذلك استعمال بعض الخلفاء أهواءهم فى الانتقام من الرجال والقواد وأهل الاثر الصالح فى الدولة بحجة أنهم كانوا يتبعون الخليفة السابق فى رأيه ويعينونه على مآربه التى كانت تضربهم كامر ولاية العهد، وهذا العمل قد أفسد النيات، وولد الاحقاد ورغب الرجال البارعين عن خدمة الدولة أو النصح الى خلفائها، ومعونتهم بالرأي وبذلك ضعفت روح التعاون بين الحاكمين والمحكومين فتعرضت الدولة بذلك الى أشد الاخطار — ومما يذكر من أسباب سقوط الدولة ميل خلفائها أخيرا الى الترف — وقد سمر أبو جعفر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى افضى أمرهم الى ابنائهم المترفين وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذائذ والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا باستدراج الله وأمنا لمكره فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة

ومع أن أبا جعفر كان خصما فأن قوله هذا كان بيانا صحيحا لماوقع أخيرا فى دولة بنى أمية مما أدى الى ضعف الصفات العربية الاسلامية فيهم، غير أن ذلك لم يمنع أحدا منهم من اتمام ماشرع فيه سلفه من الفتح واعلاء شأن العرب فى كل مكان يحلون فيه مما جعل الدولة الاموية

موضع اعجاب الامم والشعوب ولكن الدنيا دول ،للدول أعمار كاعمار الاشخاص ولابد لكل دولة من الهرم فهو أمر طبعى واذا نزل فلا سبيل الى علاجه والبقاء لله وحده يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

(الدولة الشرقية بعد هرقل)

تولى بعد هرقل عدد من الاباطرة كانوا صغارا أوضعافا أوظالمة أو ممن ليس من بيت الملك مثل تيودسيوس الثالث الذي كان أصله جابيا ، مما أدي الى اضطراب الدولة واستيلاء المسلمين على بعض أطرافها الشرقية كرودس وقبرس ، وهجومهم علي بلاد الاناضول ومحاصرتهم القسطنطينية أيام من يسمى منهم قسطنطين الرابع ٨٦٦ ـ ٥٦٦ برا وبحرا . وقد أحرقت نيرانهم (التى كانت سرا لا يعرفه المسلمون) أكثر السفن الاسلامية

ومن سنة ٧١٧ — ٨٦٨ م غلبت على هذه الدولة أسرة مقدونية وهى الأليسوريانية وأول أباطرتها باسيليوس الاول وكان تاجرا ثم انتظم فى سلك الجيش فما زال يترقى حتي انتخب امبراطورا — فرد العرب عن القسطنطينية . وكان هو والذين جاءوا من بعده يكرهون التماثيل فأصدروا الاوامر بتكسيرها من الكنائس فأدي ذلك الي فتن وقلاقل ساعدت علي انشاء قوة زمنية للباباوات يدافعون بها عن التماثيل وجر هذا الي اقفال عدة أديرة للرهبان على زعم أن الذين فيها جماعة كسالي مفسدون

وفى سنة ٧٩٢ — ٨١١ كان الامبراطور يسمي نقفور وهو الذي حاربه هرون الرشيد وانتصر عليه واضطره الي دفع الجزية السنوية وكان على مذهب سابقيه فى كراهة الصور وتولى من بعده ابنه ميخائيل الاول ثم ميخائيل الثاني وفى زمنه افتتح بنو الاغلب صقلية وكلابريا من ايطاليا — ثم تولى من بعده تيوفيل . وقد قضي معظم حياته فى محاربة المعتصم العباسي — وخرج فى سنة ٨٣٨ فى جمع

عظيم حتي بلغ زبطرة فأوقع بالمسلمين وسبي منهم كثيرا ومنهم امرأة من بني هاشم سمعها بعضهم تقول وا معتصماه فبلغ أمرها المعتصم فأصر على استنقاذها وخرج يقود الجيش بنفسه الي الروم حتى وصل الي عمورية ففتحها عنوة وسبي أهلها وانتهبها ثم هدمها وأحرقها فمات تيوفيل غما من جراء ذلك

وفى عهد ميخائيل الثالث انشقت الكنيسة الاغريقية عن الكنيسة اللاتينية وفى سني ٨٦٧ — ١٠٥٦ وثب على عرش الدولة الشرقية اسرة مقدونية أول أباطرتها باسيل وكان له حظوة عند ميخائيل الثالث لمهارته ثم تغير عليه وأراد قتله فعجل به باسيل ووثب على العرش واسترد قيسارية من العباسيين وصقلية من بنى الاغلب

ولما تولى نقفور الثانى سنة ٩٦٣ استرد كيليكيا وقبرس وشيئا من سورية — أما الذين جاءوا من بعده فقد عكفوا على النعيم وانقطعوا الى الملاذ ولذا تمكن السلاجقة من الاستيلاء على كثير من أملاك الرومان فى الاناضول وظلوا ينتزعون منهم هذه البقعة بلدا بعد بلد حتى استوعبوا اكثرها فثارت الروم بامبراطورها اذ ذاك وهو ميخائيل السابع واضطرب امر الدولة مدة الى ان تولى الكسيس سنة ١٠٩٥ فانتصر على السلاجقة وهذا الامبراطور هو الذى أثار الحرب الصليبية الاولى اذ استنجد الدول المسيحية لصد غارات المسلمين عن بلاده فلباه البابا اربانوس الثاني وقام بتدبير الحملة الاولي منتهزا الفرص المناسبة لانفاذها وخطب فى الناس ووعد الذين يموتون في هذه الحرب جنات النعيم

﴿ تم بعون الله وحمده ﴾